الجامعة الإسلامية – غــزة
عمادة الدراســات العليــا
كليــة الآداب
قســم التاريـــخ والآثار

خلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " دراسة تاريخية منهجية

٥٨٩-٦٤٨هـ/ ١١٩٤-١٢٥٠م

إعــداد الطالب
سمير حسين عبد الكريم أبو محسن

تحت إشراف الأستاذ الدكتور
رياض مصطفى شاهين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

١٤٣٣هـ/٢٠١٣م

"قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"

صدق الله العظيم

(الأحقاف: ١٥)

الإهـــــداء

- **إلى الذين كتبوا التاريخ بدمائهم فجئنا على الأثر نكتبه حبرًا يوثّق بطولتهم ورجولتهم التي لا تشبهها في الزمان بطولة.**
- **إلى فلسطين الوعد والقضية والطين والهُوية وكلّ مخلص يعمل من أجل استعادة هــذا الحــق السليب.**
- **للذي تمنيّت أن يكون حاضرًا في هذا المقام فحلّت محلّه ذكراه الخالدة، إلى أبي رحمه الله.**
- **إلى رمز الحنان النابض وبلسم الوجدان، إلى أمّي الحبيبة حفظهــا الله وأدامهــا تاجًــا فــوق الرءوس.**
- **للتي احتملت أعبائي وقاسمتني الملح والفرح إلى زوجتي العزيزة.**
- **وإلى فلذات كبدي الذين اقتطعت لهم في القلب غرفًا ومأوى يحتضنهم، راجيًا من اللهِ أن ينبتَهم خير منبت ويرزقهم العلم السديد دومًا.**
- **إلى إخوتي أحبتي وأبنائهم مَن أظهروا لي جميعُهم من أرواحهم ومشاعرهم الصادقة ما هــو أجمل من الحياة نفسها.**
- **إلى وملائي وأصدقائي الذين ملأوا حياتي بمعاني المحبة والوفاء.**

إليكم جميعًا، من تذكَّرت، ومن غفلت عنهم، أهديكم هذا العمل الذي انتزعته من دمي ووقتي انتزاعًا آملًا من اللهِ أن يكون فيه الخير للإسلام والمسلمين، وأن ينتفع به الباحثون عن نور العلم، الراغبون بمواصلة هذه المسيرة المشرِّفة.

شـــكر وعـــرفـــان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله" . ولأنّ الشكر واجـــبٌ دينيٌّ قبل كل شيء، كان لابدّ أن أستجمعَ ما أسعفني من كلماتِ الشكرِ والعرفانِ والوفاءِ والتقدير، لمـــن كان لهم الدور الأساس بإنجاز هذا العمل، ولولا توفيقه تعالى ، ثم جهودهم الطَّيبة لما تكلّل هـــذا العمـــل بالنجاح، ولما رأت هذه الرسالة النور ينسلُّ من أفق المعرفة.

الشكر الجزيل أتقدم به من الأستاذ الدكتور الفاضل **رياض مصطفى شاهين**، الموجّه الأمين على جهـــوده ونصائحه وإرشاداته، على تسهيلاته وتوجيهاته ووقفته السديدة.

كما أتقدم بجميل الشكر أيضًا من **الدكتور الفاضل يوسف الزاملي والدكتور الفاضل إبراهيم أبو شـــبيكة** لتفضلهما مشكورين بمناقشة الرسالة، وأتمنى على الله أن يديكما ذخرًا لهذه الرسالة السامية التي تحملانها بهمَّة واقتدار.

والشكر أيضًا موصول للأستاذ الفاضل عبد الحميد الفراني الذي وافاني بمبادرته المتواصلة بجمع الكتب والمراجع والمصادر المهمّة، وكان له دور الإسناد والمساعدة التي كان لها الدور الجوهري بإنجاز هـــذا العمل الطيب.

كما وأشكر الأخ الكريم ناهض محسن الذي قام بمراجعة كاملة للرسالة لغةً، وقام بتنسيقها بالشكل اللائق والمناسب.

هو شكرٌ لأحبة يستحقون، وواجب أؤديه لهم بكل فخر وشعور بالتقصير تجاههم على عظـــيم مـــواقفهم النبيلة والجليلة.

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
الإهـــــداء	٢
شكر و عرفان	٣
فهرس المحتويات	٤
قائمة المختصرات والرموز	١٤
ملخص الدراسة	١٥
المقدمة	١٦
دراسة تاريخية وتحليلية حول أهم مصادر ومراجع الدراسة	٢١
الفصل الأول: **ابن واصل ومنهجه في كتابة التاريخ**	٣٩
ابن واصل ومنهجه في الكتابة	٤٠
نسبه	٤٠
مولده ونشأته	٤٠
شيوخه:	٤٦
ابن رزين (ت: ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م)	٤٦
ابن الخباز: (٥٥٧ -٦٣١هـ/ ١١٦٢- ١٢٣٤م)	٤٧
ابن شدّاد (٥٣٩-٦٣٢هـ/ ١١٤٥- ١٢٣٥م)	٤٧
البِرزالّي (٥٧٧-٦٣٦هـ/ ١١٨١-١٢٣٨م)	٤٨
ابن يعيش (ابن الصانع، ابن الصائغ)(٥٥٣-٦٤٣هـ/ ١١٥٨- ١٢٤٥م)	٤٩
قيصر بن أبي القاسم (تعاسيف) (٥٧٤- ٦٤٩هـ/ ١١٧٧-١٢٥١م)	٥٠
ابن مطروح (٥٩٢-٦٤٩هـ/١١٩٦- ١٢٥١م)	٥١
خُسروشاهي (٥٨٠-٦٥٢هـ/ ١١٨٤- ١٢٥٤م)	٥٣
سِبط ابن الجوزي (٥٨٣-٦٥٤هـ/ ١١٨٧- ١٢٥٦م)	٥٣
الناصر داود (٦٠٣-٦٥٦هـ/ ١٢٠٧-١٢٥٨م)	٥٤
ابن أبي زكري(ت: ٦٥٨هـ/١٣٠٠م)	٥٥
خشترين (٥٧٨-٦١٩هـ)	٥٦
المعظم عيسى (٥٧٦-٦٢٤هـ/ ١١٨٠-١٢٢٧م)	٥٦
عماد الدين بن شيخ الشيوخ (٥٨١-٦٣٦هـ/١١٨٥-١٢٣٨م)	٥٧

ابن النفيس (٦٠٧-٦٨٧هـ/ ١٢١٠-١٢٨٨م)	٥٧
تلاميذه:	٥٨
ابن الأكفاني(ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)	٥٨
ابن مطروح (٥٩٢-٦٤٩هـ/١١٩٦- ١٢٥١م)	٥٩
أبو الفداء: (٦٧٢-٧٣٢هـ/ ١٢٧٣-١٣٣٢م)	٥٩
أثير الدين (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)	٥٩
دَبيران(٦٠٠-٦٧٥هـ/ ١٢٠٤-١٢٧٧م)	٦٠
ابن حماد(٦٦٨-٧٣٦هـ/١٢٧٠-١٣٣٦م)	٦١
ابن النحوية(٦٥٩-٧١٨هـ/ ١٢٦١-١٣١٨م)	٦١
مؤلفات ابن واصل:	٦١
منهجه في كتابة التاريخ .	٦٥
وفاة ابن واصل .	٦٦
الفصل الثاني **انقسام الدولة الأيوبية، والصراعات بين خلفاء صلاح الدين**	٦٧
أولاً: موقف ابن واصل من خلفاء صلاح الدين .	٦٨
١- تقسيم أقاليم الدولة بين خلفاء صلاح الدين.	٦٨
٢- النزاع بين خلفاء صلاح الدين.	٧٤
٣- النزاع بين الأخوين الأفضل والعزيز.	٧٦
٤- تآمر الملك العادل على الأفضل.	٧٨
أ- رحيل الملك العادل والأفضل إلى مصر.	٧٩
ب- التحالف بين الملك العادل والعزيز.	٨٠
ج- استيلاء الملك العزيز على دمشق.	٨١
د- رجوع العزيز إلى مصر.	٨٢
ه- تحالف الأخوين الأفضل والظاهر ضد العادل.	٨٣
و- عزل الملك الأفضل.	٨٣
٥- استقلال الملك العادل بالسلطنة الأيوبية.	٨٤
٦- دخول الملك المنصور صاحب حماة تحت سيادة العادل.	٨٥
٧- الصراع بين الأيوبيين عقب وفاة العزيز عثمان(٥٩٥هـ/١١٩٨م).	٨٥
٨- الخلاف بين الملكين : الملك الأفضل والملك الظاهر.	٨٦

ثانياً: موقف ابن واصل من أسباب النزاع بين خلفاء صلاح الدين.	٨٨
١- ضعف الحكومة المركزية.	٨٨
٢- غياب العلماء الربانيين عن القرار السياسي.	٨٩
٣- ضعف الوازع الديني عند بعض الأمراء الأيوبيين.	٩١
الفصل الثالث: **الدولة الأيوبية وإعادة توحيدها في عهد الملك العادل**	٩٤
أولاً : موقف ابن واصل من الملك العادل وتوليه الحكم.	٩٥
١- شخصية الملك العادل وتوليه الحكم.	٩٥
أ- مولده.	٩٥
ب- اسمه و نسبه، ولقبه.	٩٥
ج- أسرته ونشأته.	٩٥
د- صفاته.	٩٦
ه- أولاده.	٩٧
و- وفاته.	٩٨
٢- المناصب التي تولاها العادل حتى وفاته.	٩٨
٣- علاقات الملك العادل مع القوى الإسلامية المحيطة.	٩٩
أ- العلاقات الأيوبية والسلجوقية.	٩٩
ب- العلاقات بين الخوارزميين والأيوبيين.	١٠٢
ج- العلاقات مع الخلافة العباسية.	١٠٣
١- تجديد الولاء للخلفاء العباسيين.	١٠٣
٢- مراسم العباسيين لحكام البلاد- الأيوبيون- .	١٠٤
أ-التقليد.	١٠٤
ب- التشريف.	١٠٤
ج- الخلعة.	١٠٥
ثانياً: دور العادل في توحيد الدولة الأيوبية.	١٠٦
١- علاقة الملك العادل بأولاد أخيه.	١٠٦
٢- القضاء على الأحلاف السياسية ضد الدولة الأيوبية في الجزيرة.	١١٠
أ- سيطرة العادل على خلاط.	١١٠

ب- منازلة الملك العادل ماردين.	١١٢
ج- قصد الملك العادل سنجار وحصارها.	١١٤
٣- موقف الملك العادل من الصليبيين.	١١٦
الفصل الرابع: **الدولة الأيوبية في عهد خلفاء العادل**	١٢١
أولاً : موقف ابن واصل من التحالف والتنافر بين خلفاء العادل:	١٢٢
١- الملك المعظم عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م).	١٢٢
٢- الملك الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م).	١٢٧
٣- الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م).	١٢٩
ثانياً: موقف ابن واصل من السياسة الخارجية لخلفاء العادل:	١٣٦
١- علاقتهم مع الدولة العباسية.	١٣٦
أ- الملك المعظم عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م).	١٣٧
ب- الملك الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م).	١٣٨
ج- الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م).	١٣٩
٢- علاقتهم مع الدولة الخوارزمية .	١٤٠
أ- المعظم عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م).	١٤٠
ب- الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م).	١٤١
ج- الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م).	١٤١
٣- علاقتهم بسلاجقة الروم.	١٤٤
أ- المعظم عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م).	١٤٤
ب- الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م).	١٤٤
ج- الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م).	١٤٥
٤- علاقة خلفاء العادل بالأراتقة.	١٤٧
أ- الملك المعظم عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م).	١٤٧
ب- الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م).	١٤٧
ج- الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م).	١٤٧
ثالثاً : موقف ابن واصل من خلفاء العادل في تصديهم للصليبيين .	١٤٨

١-الملك المعظم عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م).	١٤٨
٢- الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م).	١٤٩
٣- الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م).	١٥٠
الفصل الخامس **المظاهر الحضارية للدولة الأيوبية عند ابن واصل**	١٥٧
أولاً: المظاهر الإدارية والاقتصادية .	١٥٨
١- المظاهر الإدارية	١٥٨
١- الولاة والحكام .	١٥٨
٢-الوزارة .	١٦١
٣- النائب.	١٦٢
٤- القضاء والقضاة.	١٦٣
٥- البريد .	١٦٦
٦- الحاجب.	١٦٦
٧- ناظر الدواوين .	١٦٦
٨- صاحب الشرطة .	١٦٧
٩- العسكر.	١٦٧
١٠- وظيفة الواعظ.	١٦٧
١١- وظيفة (الكاتب).	١٦٧
١٢- وظيفة وكيل بيت المال.	١٦٨
١٣- وظيفة المدرس.	١٦٨
١٤- ناظر الجيش.	١٦٨
١٥- الاستدار.	١٦٨
١٦- جاندار.	١٦٩
١٧- نظر الخزانة.	١٦٩
٢- المظاهر الاقتصادية	١٦٩
١- الزراعة:	١٦٩
أ- المحاصيل الزراعية.	١٦٩
ب- الثروة الحيوانية.	١٧٠
٢- الصناعة .	١٧٠

أ- الصناعات الغذائية.	١٧٠
ب- الصناعات الكيماوية:	١٧١
١- العطور والطيب والمستقطرات.	١٧١
٢- الشمع.	١٧١
ج- صناعة الزجاج.	١٧١
د- صناعة الملابس والأقمشة.	١٧١
ه- الصناعات المعدنية.	١٧٣
و- الصناعات الخشبية.	١٧٣
ز- صناعة الكلس والحجر.	١٧٣
٣- التجارة .	١٧٤
أ- وسائل النقل.	١٧٤
ب- الضرائب.	١٧٤
ج- الغلاء ومستوى المعيشة.	١٧٤
د- دار الضرب (عمل النقود وسكها).	١٧٥
ه- الأسواق.	١٧٥
١- أسواق النخاسة.	١٧٥
٢- سوق الغزل.	١٧٦
و- المحال التجارية.	١٧٦
ثانياً: المظاهر الاجتماعية	١٧٦
١- فئات السكان في الدولة الأيوبية.	١٧٦
أولاً: المسلمون.	١٧٦
أ- العَرب.	١٧٦
ب- العُجم.	١٧٧
١- الأكراد.	١٧٧
٢- الأتراك.	١٧٧
ثانيا: أهل الذمة.	١٧٧
٢- العادات والتقاليد.	١٧٨
أولاً: الأعياد والمناسبات والاحتفالات.	١٧٨
١- الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية.	١٧٨

أ- الولادة.	١٧٨
ب – الزواج والختان.	١٧٨
١-الزواج.	١٧٨
٢- الختان.	١٨٠
ج- المآتم والأحزان.	١٨٠
٢- الاحتفالات والمناسبات الدينية.	١٨٣
أ- الاحتفال بالمولد النبوي (محمد صلى الله عليه وسلم).	١٨٣
ب- موسم عاشوراء.	١٨٣
ج- شهر رمضان.	١٨٣
د- سفر الحجاج لأداء فريضة الحج .	١٨٣
ه- عيد الفطر والأضحى.	١٨٤
و- المقامات والمزارات.	١٨٤
٣- مظاهر اجتماعية أخرى كانت سائدة في الدولة الأيوبية:	١٨٤
أ- كأس الفتوة ورمي البندق.	١٨٤
ب- وجود دور للنساء الأرامل، ودورللصغار الأيتام، ودور للقطاء .	١٨٥
ج- الصعاليك.	١٨٥
د- الغناء.	١٨٥
ه- الترفيه:	١٨٥
١- اللعب بالكرة.	١٨٦
٢- اللعب بالنرد.	١٨٦
٣- اللعب بالصوالجة.	١٨٦
٤- الصيد.	١٨٦
و- البذل (الرشوة).	١٨٦
ز- الظلم والجور.	١٨٧
ح- ظاهرة الحشم والخدم والجواري في الدولة الأيوبية.	١٨٨
ط- ظاهرة الغلاء والأوبئة والمجاعات.	١٨٨
ي- الحرامية.	١٨٨
ثالثًا: المظاهر الثقافية والعلمية.	١٨٨

١-العلماء.	١٨٨
٢- العلوم النقلية والعقلية.	١٩٢
أ- علم القراءات.	١٩٢
ب- علم التصوف.	١٩٣
ج- علم اللغة والفقه.	١٩٣
د- فنون الأدب والنظم والرسائل.	١٩٤
ه- علم الطب .	٢٠٠
و- علم التاريخ .	٢٠٣
ز- الرياضيات والفلك.	٢٠٤
ح- علم الكيمياء.	٢٠٥
٣- المؤسسات العلمية:	٢٠٥
أ- المساجد.	٢٠٥
ب- المدارس.	٢٠٧
ج- البيمارستان.	٢١٠
د- الكتَّاب.	٢١٠
ه- الرُبَطْ والخوانق.	٢١٠
١- الربط .	٢١٠
٢- الخوانق.	٢١١
و- دور الحديث.	٢١١
ز- القباب.	٢١٢
ح- التُرَبْ.	٢١٢
ثانياً : النظام العسكري.	٢١٢
١- عناصر الجيش وتنظيماته.	٢١٢
أ- الفرسان (الأمراء).	٢١٢
ب- المشاة (الرجالة).	٢١٣
ج- المفاردة.	٢١٣
د- النشابون (الرماة).	٢١٣
ه- المنجنيقيون.	٢١٣
و- رماة الجروخ.	٢١٤

ز- اليزك.	٢١٤
ح- قاضي العسكر.	٢١٤
ط- الخراسانيون .	٢١٤
ي- الزردخاناة.	٢١٥
٢- التعبئة وأساليب القتال.	٢١٥
أ- الحصار (تضييق الخناق).	٢١٦
ب- التجهيز والاستعداد للقتال وحشد القوات.	٢١٦
ج - وحدة القيادة.	٢١٦
د- إحداث خراب في الأبراج والحصون ، لعدم سيطرة العدو على البلاد.	٢١٧
ه- الخديعة.	٢١٧
و- إنهاك العدو واستنزاف قوّته.	٢١٧
٣- إنشاء القلاع والحصون والبروج.	٢١٧
٤- الأسلحة والمؤن والعتاد.	٢١٨
أ- السيوف.	٢١٩
ب- الأقواس.	٢١٩
ج- الرمح.	٢١٩
د- السهام.	٢٢٠
ه- المنجنيق.	٢٢٠
و- الجروخ.	٢٢٠
ز- النشابة والتراكيش	٢٢٠
ح- الدروع.	٢٢١
ط- الخوذة.	٢٢١
ي- البوق.	٢٢١
ك- جسور الخشب.	٢٢١
ل- الشبارة.	٢٢١
م- المرمات والحراقات.	٢٢١
ن- الزوارق.	٢٢١
س- الحجارة والنبل.	٢٢١
ع- السكاكين.	٢٢١

الخاتمة.	**٢٢٢**
الملاحق.	**٢٢٤**
الملحق الأول: خرائط للدولة الأيوبية في عهد خلفاء صلاح الدين.	**٢٢٥**
الملحق الثاني: البلدان التي أقام بها أو تنقّل بينها المؤلف ابن واصل وتواريخ ذلك.	**٢٣٠**
الملحق الثالث: خلفاء صلاح الدين .	**٢٣١**
الملحق الرابع: الكتابان المتبادلان بين لويس التاسع والصالح نجم الدين أيوب قبل نزول الفرنج إلى البر الغربي لدمياط.	**٢٣٥**
الملحق الخامس: نص رسالة الناصر داود صاحب الكرك إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام	**٢٣٧**
الملحق السادس: عملات أيوبية.	**٢٣٨**
الملحق السابع: آلات حربية في عهد خلفاء صلاح الدين الأيوبي.	**٢٤٤**
المصادر والمراجع.	**٢٥٢**

قائمة المختصرات والرموز

١- ت: توفي.

٢- ج: جزء. جرخي.

٣- ط: طبعة.

٤- ق: قسم.

٥- م: السنة الميلادية.

٦- هـ: السنة الهجرية.

٧- د.ط: دون طبعة.

٨- د.ت: دون تاريخ.

٩- د.ن: دون ناشر.

١٠- مج: مجلد.

10- Vol: Volume.
11- P: Page.

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة خلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه" مفرج الكروب في أخبار بني أيوب من سنة ٥٨٩-٦٤٨هـ/ ١١٩٤- ١٢٥٠م، حيث عاشت الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي فترة من الصراع والانقسام، مما ترتب عليه إعادة الكثير من المناطق التي تم تحريرها إلى الصليبيين مرة أخرى، فقد استطاع الملك العادل توحيد الجبهة الإسلامية بعد صراعات مع أولاد صلاح الدين، الذين حاولوا الاستقلال بممالكهم دون النظر إلى الوضع العام للجبهة الإسلامية، والمؤامرات التي كانت تحاك ضد الأمة الإسلامية؛ وبمجرد موت الملك العادل عادت الصراعات من جديد بين أولاد العادل الملك المعظم، والملك الأشرف، والملك الكامل، واستغلت الفرنج هذا الأمر بإطلاق حملات متعددة لغزو البلاد الإسلامية، والسيطرة عليها، كان آخرها حملة لويس التاسع عشر، التي فشلت فشلاً ذريعاً أمام صلابة الجبهة الإسلامية التي قادها السلطان الصالح نجم الدين أيوب.

تناولت الدراسة في طياتها شئون الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين رحمه الله، حيث قسمت إلى خمسة فصول:

- الفصل الأول: حياة ابن واصل ومنهجه في كتابة التاريخ ، حيث تحدث عن نسبه وكنيته، ومولده ونشأته، وعصره، وعقيدته ومذهبه، ومكانته العلمية، ومصنفاته، وكتابه مفرج الكروب، ووفاته.
- الفصل الثاني: انقسام الدولة الأيوبية والصراعات بين أبناء صلاح الدين.
- الفصل الثالث: الدولة الأيوبية وإعادة توحيدها في عهد الملك العادل.
- الفصل الرابع: الدولة الأيوبية في عهد خلفاء الملك العادل.
- الفصل الخامس: المظاهر الحضارية للدولة الأيوبية عند ابن واصل:

ففي الجزء الأول من الفصل الخامس تم مناقشة المظاهر الإدارية والاقتصادية، والمظاهر الاجتماعية. وفي الجزء الثاني تم مناقشة المظاهر العلمية والثقافية، والنظام العسكري.

وانتهت الدراسة بخاتمة ذكر فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، إلى جانب الملاحق، وإدراج قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

احتلت الدولة الأيوبية مكانة رفيعة لدى العديد من المؤرخين، ما حدا ببعضهم إلى إفراد مؤلفات خاصة عن هذه الدولة، أو أحد سلاطينها أو أمرائها، وهذه المكانة لم تكن لتحظى بها من فراغ، أو من قبيل الصدفة، وإنما تقديراً لجهود هذه الدولة واحتراماً لجهادها، وتعظيماً لدورها في حماية البلاد الإسلامية من الأعداء، ويكفيها شرفاً أن يكون منها قادة عظام سطروا بأحرف من نور تاريخاً يتشرف به كل من جاء بعدهم، ولعل أبرزهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب(ت: ٥٨٩هـ/١١٩٣م).

وكباحثين ومهتمين للتاريخ الإسلامي، يجب تسليط الضوء على الدولة الأيوبية اعترافاً بدورها، وبما قدمته للإسلام والمسلمين، وذلك من خلال دراسة ما كتبه المؤرخون حولها، لنكشف الجوانب الخفية، ووجهات النظر المتعددة والتي قد تتباين فيما بينها حول بعض النقاط الخلافية التي لا تقلل من شأن تلك الدولة.

ويعد ابن واصل، جمال الدين بن محمد بن سالم(٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)، من أبرز المؤرخين للفترة المتأخرة من الحكم الأيوبي لمصر وبلاد الشام، وكان قريب العهد لكثير من أحداث التاريخ الأيوبي، وشاهد عيان على نهاية الدولة الأيوبية، فهو من المؤرخين الذين أرخوا للدولة الأيوبية، وتناولها من زاوية تختلف عن تلك التي تناولها بعض المؤرخين لاعتبارات تم ذكرها.

أما عن أهم الدوافع وراء اختيار موضوع الدراسة:

كان الدافع الذاتي لاختيار الموضوع هو البحث في العهد الأيوبي فترة الدراسة من سنة ٥٨٩-٦٤٨هـ/ ١١٩٤- ١٢٥٠م، وخاصة فيما يتعلق بخلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه مفرج الكروب، بالإضافة للدوافع التالية:

١- إلقاء الضوء على فترة مهمة من حقب التاريخ الإسلامي، حقبة الدولة الأيوبية، وذلك من خلال معايشة المؤلف لجزء كبير من حياة الدولة الأيوبية.

٢- تزويد الباحثين والقراء بمعلومات متسلسلة حول تاريخ بني أيوب بعد صلاح الدين الأيوبي من وجهة نظر مؤرخ مسلم يعد كتابه من أهم مصادر التاريخ الإسلامي التي أرخت لفترة مهمة من فترات التاريخ في العصور الوسطى، حيث شهدت بلاد الشام غزو الصليبيين لها، وجهاد المسلمين بقيادة الأيوبيين.

٣- إثراء المكتبة الإسلامية والتاريخية بدراسة وافية عن المؤرخ ابن واصل، وكتابه مفرج الكروب كمصدر توثيقي لمرحلة مهمة من مراحل التاريخ الإسلامي.

٤- إبراز وجهات النظر حول بني أيوب ودورهم، وعلاقاتهم مع العديد من الدول المجاورة، كالسلاجقة، والخوارزمية، والعباسية، والأراتقة، وعلاقاتهم مع الصليبيين.

حدود الدراسة:

معرفة كيفية تعرض ابن واصل لأخبار الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين الأيوبي في الفترة من سنة ٥٨٩-٦٤٨هـ/ ١١٩٤- ١٢٥٠م، من خلال كتابه مفرج الكروب في أخبار بني أيوب.

الدراسات السابقة:

كُتب الكثير من الدراسات عن الدولة الأيوبية، ودراسات أخرى احتوى الحديث فيها عن الدولة الأيوبية بصورة غير مباشرة، ولا يوجد دراسة أو رسالة خصصت للكتابة عن ابن واصل ، ونظرته لخلفاء صلاح الدين ، وعزاؤنا في ذلك ، أن معظم الدراسات التالية ذكرها استعانت بكتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، كمصدر من المصادر والمراجع، أما دراستنا ستعطي بإذن الله صورة كاملة عن دولة الأيوبيين في كتاب مفرج الكروب لابن واصل.

فمن الدراسات التي تحدثت عن الدولة الأيوبية مباشرة:

١- دراسة سليمان إسحاق عطية، وهي بعنوان: " تاريخ التعليم في فلسطين من الفتح العربي إلى آخر الأيوبيين "، وهي رسالة ماجستير غير منشورة، من كلية الآداب في جامعة القاهرة، (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م).

٢- دراسة سوسن محمد نصر إبراهيم، وهي بعنوان: "الأخوة الملوك الثلاثة أولاد العادل الأيوبي"، وهي : رسالة دكتوراة غير منشورة في جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣- دراسة عدنان محمد محمود ظاهر، وهي بعنوان: " التعليم في مدارس بيت المقدس الإسلامية في العصر الأيوبي" ، وهي رسالة ماجستير ، من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية بعمان، في العام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٤- دراسة مقبولة حسن خليل، وهي بعنوان: "مدينة القدس في العهد الأيوبي"، وهي: رسالة ماجستير، في كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٥- دراسة الأستاذ الدكتور رياض مصطفى شاهين، وهي بعنوان: " الملك المعظم عيسى (٥٧٦-٦٢٤هـ/١١٨٠-١٢٢٧م)، سياسته الداخلية والخارجية"، وهي : رسالة دكتوراة غير منشورة، في جامعة الخرطوم، من العام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٦- دراسة عبد المجيد إبراهيم إبراهيم، وهي بعنوان:" الحياة الاجتماعية في بلاد الشام العصر الأيوبي، وهي رسالة دكتوراه غير منشورة، في معهد التاريخ العربي والتراث العلمي لاتحاد المؤرخين في بغداد، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧- دراسة محمد عبد الوهاب حمد الكتري، وهي بعنوان: " السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي"، وهي رسالة ماجستير غير منشورة، من كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار في الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٨- دراسة فادي موسى المبيضين، وهي بعنوان: " الملك الناصر داود شاعراً"، وهي: رسالة ماجستير غير منشورة، في جامعة مؤتة، الأردن ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٩- دراسة عبد المعين محمد طاهر الشواف، وهي بعنوان: " دمشق بين سقوط الفاطميين وظهور الأيوبيين (٤٦٨-٥٦٩هـ/١٠٧٥-١١٧٣م)، وهي: رسالة دكتوراة غير منشورة، من كلية الآداب، قسم التاريخ في جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.

١٠- دراسة فادي عبد الرحيم محمود عودة، وهي بعنوان: " الحركة الشعرية في بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز (٦٣٤ه-٦٥٨هـ/١٢٣٦م-١٢٦٠م)"، وهي: رسالة ماجستير ، من كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١١- دراسة فريد وحيد صيدم، وهي بعنوان: " جهاد السلطان الصالح نجم الدين أيوب وجهوده في توحيد مصر والشام (٦٣٨-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م)، وهي رسالة ماجستير غير منشورة، من كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، في الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٢- دراسة عبد القادر أحمد أبو صيني، وهي بعنوان: " دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة"، وهي رسالة دكتوراه غير منشورة، من معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا في بغداد، وهي بدون تاريخ.

ومن الدراسات التي تحدثت عن الدولة الأيوبية بصورة غير مباشرة:

١٣- دراسة مفيد داود الحناوي، وهي بعنوان: " العلاقات السياسية بين إمارة دمشق ومملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي (١١٠٠-١١٩٣م)"، وهي: رسالة ماجستير غير منشورة، من كلية الآداب، قسم التاريخ، في الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م .

١٤- دراسة أحمد عبد السلام أحمد ناصف، وهي بعنوان: " دور الصوفية في صد الهجمة الصليبية على ديار الإسلام في مصر والشام (٤٩٠-٧٩٨هـ/١٠٩٦-١٣٩٨م) "، وهي: رسالة دكتوراه في جامعة طنطا، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

١٥- دراسة إبراهيم المسحال، وهي بعنوان: "عسقلان في فترة الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، في كلية التربية ، جامعة عين شمس ، كلية التربية الحكومية ، غزة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٦- دراسة عادل محمد خضر عبد الهادي، وهي بعنوان: "عسقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري وحتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري دراسة تاريخية وحضارية (٣٥٩-٦٦٩هـ/٩٦٩-١٢٧٠م)" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٧- دراسة أسامة أحمد حمد، وهي بعنوان: " إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي من سنة (٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، وهي: رسالة ماجستير غير منشورة، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٨- دراسة صبيح عبد اللطيف عبد الله العورتاني النابلسي، وهي بعنوان: " القضاء والمراكز العلمية في بيت المقدس، خلال القرون الستة الأولى من الهجرة" ، وهي دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراة ، في معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد- العراق، (رمضان ١٤٢٢هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠١م).

١٩- دراسة رشاد المدني، وهي بعنوان: الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي(٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٨-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، في الجامعة الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٠- دراسة هاني فخري الجزار، وهي بعنوان: " النظام العسكري في دولة المماليك(٦٤٨ـ٩٢٣هـ/١٢٥٠ـ١٥١٧م) رسالة ماجستير غير منشورة، من كلية الآداب في الجامعة الإسلامية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢١- دراسة نسيم زريق شلوف، وهي بعنوان: " الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م "، وهي: رسالة ماجستير غير منشورة، في الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩م.

٢٢- دراسة زياد جابر إبراهيم مسلم، وهي بعنوان: " صورة الهند عند المؤرخين المسلمين، دراسة في الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية حتى نهاية القرن الخامس الهجري "، وهي: رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين، ٢٠٠٩م.

٢٣- شريف أمين محمد أبو شمالة، وهي بعنوان: " فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر ١٣٢-٢٦٤هـ/ ٧٥٠- ٨٧٨م" ، وهي أطروحة ماجستير غير منشورة، من كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية – غزة، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

٢٤- دراسة أمل هشام أحمد نصار، وهي بعنوان: " المقدسي البشاري، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دراسة في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والدينية والإدارية والعمرانية "، وهي: رسالة ماجستير غير منشورة، في جامعة النجاح الوطنية. بدون تاريخ.

وقد استفدنا من هذه الدراسات السابقة، حيث أمدت الدراسة بقدر وافر من المعلومات حول الدولة الأيوبية، وصلاح الدين وخلفائه، وشكلت مادة مهمة في معظم فصول الدراسة.

منهج الدراسة:

نظراً لوجود أكثر من مصدر تاريخي تحدث عن الدولة الأيوبية؛ فإن الوصول إلى دراسة وافية عن هذه الدولة يتطلب من الباحث أن يعتمد في بحثه على منهج البحث التاريخي ليتسنى له دراسة الروايات والنصوص دراسة متأنية، ومقارنتها مع المصادر الأخرى.

المشاكل والصعوبات:

١- طول مدة الدراسة إلى حد ما ، حيث امتدت إلى أكثر من نصف قرن، مما أجبر الباحث على العودة إلى قائمة طويلة من المصادر والمراجع التي عالجت الفترة، تعدت الأربعمائة مصدر ومرجع.

٢- تناثر المعلومات حول خلفاء صلاح الدين في بطون المصادر والمراجع التي لم تتحدث عن هذا الموضوع بشكل مباشر لتكون السند لكتاب ابن واصل (مفرج الكروب).

٣- صعوبة التوفيق بين الدراسة والعمل، فساعات العمل الطويلة جعلت الباحث يبذل الكثير من الجهد والعمل الدؤوب.

تقسيمات الدراسة: قسم الباحث دراسته إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، حيث تضمنت المقدمة لمحة موجزة عن الموضوع وأهميته، ومنهج البحث، وحدودها، والصعوبات، أما عن تقسيمات الدراسة:

- الفصل الأول: حياة ابن واصل ومنهجه في كتابة التاريخ ، حيث تحدث عن نسبه وكنيته، ومولده ونشأته، وعصره، وعقيدته ومذهبه، ومكانته العلمية، ومصنفاته، وكتابه مفرج الكروب، ووفاته.
- الفصل الثاني: انقسام الدولة الأيوبية والصراعات بين أبناء صلاح الدين.
- الفصل الثالث: الدولة الأيوبية وإعادة توحيدها في عهد الملك العادل.
- الفصل الرابع: الدولة الأيوبية في عهد خلفاء الملك العادل.
- الفصل الخامس : المظاهر الحضارية للدولة الأيوبية عند ابن واصل:

ففي الجزء الأول من الفصل الخامس تم مناقشة المظاهر الاقتصادية والإدارية، والمظاهر الاجتماعية. وفي الجزء الثاني تم مناقشة المظاهر العلمية والثقافية، والنظام العسكري.

دراسة تاريخية وتحليلية حول أهم مصادر ومراجع الدراسة

١-كتب التاريخ العام:

أ- ابن واصل (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م):

هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله ، صاحب كتاب مفرج الكروب ، ولد بحماة سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م، وتلقى بها علومه الأولى ثم رحل في طلب العلم إلى دمشق وحلب وبيت المقدس والكرك والقاهرة، وبغداد ومكة والمدينة، ونبغ في علوم كثيرة وله عدة مصنفات، وأقام بمصر مدة طويلة وعاصر الحملات الصليبية المتأخرة وسقوط الدولة الأيوبية[١].

وقد اعتمد ابن واصل على من سبقه من المؤرخين المعاصرين، فنقل العديد من روايات القاضي الفاضل وابن شداد وابن الأثير، وكان كثيراً ما يقول: "ذكر عماد الدين الكاتب"، قال ابن الأثير ما ذكره العماد في البرق، وحكى القاضي بهاء الدين ابن شداد وأغلبها في الجزء الثاني والثالث[٢].

ومما يؤخذ على ابن واصل أنه لم يميز بين "الفتح" و "الاستيلاء"، فكان يصف دخول صلاح الدين لبعض المدن الإسلامية التي احتلها الصليبيون، بأنه "استيلاء"[٣].

ويعد كتابه مفرج الكروب المصدر الأساسي للدراسة، في جميع فصولها الستة بدءاً من الجزء الثالث وحتى الجزء السادس[٤].

ب- ابن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م):

هو أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، وهو ابن أسرة دمشقية ، كانت رئاسة دمشق لبعض رجالها، وفي ظل هذه الأسرة ترعرع ابن القلانسي، وقد تولى رئاسة ديوانها مرتين، وجمع بين كتابة الإنشاء، (ديوان الرسائل)، وكتابة الحساب (ديوان الخراج) فأتيح له أن يطلع على محفوظات الدولة في دمشق وأن يتعرف على الكثير من الأمور السياسية خلال حكم الأتابكة من أبناء طغتكين لدمشق[٥]، ويعد كتابه "المذيل في تاريخ دمشق" المشهور خطأ باسم "ذيل تاريخ دمشق" لأن مؤلفه قد جعله

([1]) ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، مقدمة المحقق، ص٤؛ ج٤، ص٢٤٨.

([2]) المصدر نفسه، ج٢: ٩، ٣٣، ٤٠، ٤١، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٧، ٨٢،١٠٠، ١٠٥، ١٠٩، ١٢٤، ١٢٩، ١٥٩، ١٧١، ١٧٢-١٧٣،١٧٦،١٧٩،١٨٣،١٩١، ١٩٣،١٩٧،٢٠٦،٢٠٧، ٢١١، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩١-٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٤١، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤١٤، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٧-٤٣٠، ٤٣٦، ٤٣٩ . ج٣: ٢، ١٣، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٨، ٣٢، ٣٥- ٣٨، ٤٢، ٥٦- ٥٩، ٦١- ٦٨، ٧٤، ٨٩،١١٠، ١١١، ١٥١، ٢٧١.

([3]) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٩٣، ١٠٥.

([4]) المصدر نفسه، ج٣، ج٤،ج٥،ج٦.

([5]) اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٣٠٨. ياقوت، معجم، ج١٠، ص٢٧٨. العريني، مؤرخو الحروب، ص١٩٢.
بروكلمان، تاريخ الأدب، ج٦، ص٦٨-٦٩. مصطفى، التاريخ، ج٢، ص٢٢٦-٢٣٧. عمار، التاريخ، ص٢٠٣.
محمد، مقدمة، ص١٥٩.

تذييلاً على تاريخ هلال الصابئ[١]، الوحيد الذي وصلنا كاملاً عن المرحلة الواقعة بين قدوم السلاجقة إلى بلاد الشام وبين حكم صلاح الدين لهذه البلاد[٢]، وقد أمد هذا المصدر الدراسة بقدر وافر من المعلومات حول صلاح الدين وخلفائه، من ذلك: الحديث عن موقف ابن واصل من خلفاء صلاح الدين في تقسيم أقاليم الدولة بينهم، وفي التعريف عن صلاح الدين في ثنايا البحث، وفي الحديث عن النظام العسكري، وخاصة عناصر الجيش وتنظيماته، ومنهم: النشابون(الرماة)، والخراسانيون([٣]).

ج- العماد الأصفهاني (ت: ٥٧٩هـ/١٢٠٠):

هو عبد الله محمد بن محمد ، ولد في أصفهان سنة ٥١٩هـ/١١٥٢م، تفقه على المذهب الشافعي وعمل في خدمة نور الدين محمود زنكي بدمشق حتى وفاة الأخير في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، وأشرف على ديوان الإنشاء، ثم عمل في خدمة السلطان صلاح الدين، و كان من كتاب عصره المشهورين[٤]، يتميز أسلوبه بالإسراف في المحسنات اللفظية والصياغة البديعية، غير أن تأليفه كان يحوي الكثير من الروايات التاريخية الممتازة التي تستحق العناية لأن مؤلفها شاهد وعاصر الأحداث بنفسه، ثم سجلها بأسلوبه الأدبي[٥]. وقد ألف الأصفهاني خمسة كتب في التاريخ، والذي يعنينا منها ما كان له علاقة بمادة الدراسة وهي:

١-كتاب البرق الشامي:

يغلب على هذا الكتاب طابع المذكرات الشخصية، حيث وصف فيه ما شاهده بنفسه أثناء مصاحبته لصلاح الدين[٦]، وأبنائه، ويقع هذا الكتاب في سبعة مجلدات لا يوجد منها سوى الجزء الثالث والخامس والذي حققه فالح حسين، وقد اعتمدنا عليهما في فصول الدراسة، من ذلك : التعريف بصلاح الدين وأولاده، مثل: الملك الظاهر مظفر الدين أبو العباس خضر ، والملك الأعز شرف الدين يعقوب، الملك المؤيد نجم الدين مسعود، الملك الجواد أبو سعيد ركن الدين أيوب، الملك المُعَظِّمْ فخر الدين تورانشاه ، والتعريف بوزير الملك العادل صفي الدين بن شكر، وفي الحديث عن الأعياد والمناسبات والاحتفالات، خاصة الاجتماعية، ومنها: المآتم والأحزان، والصيد، وفي الحديث عن النظام العسكري، وخاصة عناصر الجيش وتنظيماته، ومنهم: الفرسان(الأمراء)، والمنجنيقيون رماة المنجنيق، والخراسانيون([٧]). أما باقي الأجزاء فقد اعتمدنا على مادتها فيما نقله إلينا أبو شامة في الروضتين، بالإضافة إلى المختصر الذي ألفه الفتح البنداري، والذي أطلق عليه اسم "سنا البرق الشامي"([٨]).

([1]) ابن القلانسي، الذيل، ص٨٦. مصطفى، التاريخ، ج٢، ص٢٣٨. عمار، التاريخ، ص٢٠٣-٢٠٤.

([2]) العريني، مؤرخو، ص١٩٢. الحناوي، العلاقات السياسية ، ص٧.

([3]) ابن القلانسي، ذيل، ص١٣٠-١٣١، ٢٦٥، ٢٧٩، ٢٧٩، ٣٤١، ٤٠٧،

([4]) الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٨٨-٨٩، ١٤٢، ٢٠٩. سعداوي، المؤرخون، ص١٩-٢٨.

([5]) عبد القادر، سياسة صلاح الدين، ص١٧.

([6]) الأصفهاني، البرق الشامي، ج١، ص٢٣٦-٢٣٨.

([7]) المصدر نفسه، انظر ما يلي: ج٣، ص٥٤، ٧٢، ٧٧، ٧٨، ٩٣، ١٥١، ١٦٦، ١٧٨. ج٥، ص١١٤، ١٤٧.

([8]) البنداري، سنا البرق، ص٢٩١-٢٩٩، ٣١١.

٢- كتاب الفتح القسي:

وهذا المصدر الثاني للعماد الأصفهاني الذي اعتمدنا عليه. ولقد أفاد هذا المصدر الدراسة بمعلومات قيمة، منها: موقف ابن واصل من أسباب النزاع بين خلفاء صلاح الدين، من تلك الأسباب : غياب العلماء الربانيين عن القرار السياسي، وفي موقف ابن واصل من خلفاء العادل في تصديهم للصليبيين، ومنهم الملك المُعَظِّمْ عيسى، وفي الحديث عن الولاة والحكام، ومنهم: فارس الدين ميمون القصري، وفي الحديث عن المؤسسات العلمية، ومنها: المساجد، وخاصة المسجد الأقصى، والمدارس، ومنها: المدرسة الميمونية، وفي الحديث عن البيمارستان ([1]).

وترجع أهمية المصدرين السابقين إلى كون صاحبهما من رجال الإدارة في عهد صلاح الدين وخلفائه، وأحد كتاب أبناء صلاح الدين، والقائمين على الأمور بديوان إنشائهم، والمطلعين على مراسلاتهم، ووثائقهم([2]).

د- ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٢م):

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٢م)، وضع ابن الجوزي مؤلفه هذا "المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" في تسعة عشر جزءًا، تحدث فيه عن أمم وملوك كثيرة، ومن هؤلاء ملوك الدولة الأيوبية، ومنهم خلفاء صلاح الدين موضوع الدراسة، وقد استفاد الباحث من هذا المصدر في فصول الدراسة، من ذلك:

التعرف على أحد مؤسسي الدولة الأيوبية، صلاح الدين، والتعرف على الحياة الاجتماعية في الدولة الأيوبية، من ضمنها الترفيه، وخاصة الصيد، حيث عرفنا ابن الجوزي على الأقواس التي كانت تستخدم في الصيد، وعلى أنه هو السلاح الرئيسي بجانب السيف في المعارك والحروب التي كانت تخوضها الدولة الأيوبية، وكذلك على المنجنيق ، وهو من أشهر الأسلحة الثقيلة، وأشدها تأثيراً، وبخاصة في الحصار، وقد استخدمه الأيوبيون في حروبهم خاصة في ضرب القلاع، والحصون، والمدن الكبيرة، وعرفنا أيضاً على النشابة والتراكيش، أي: الأسهم والنبال، وهي أسلحة مكملة لسلاح الأقواس([3]).

ه- ابن الأثير(ت:٦٣٠هـ/١٢٣٤م):

عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٤م): ولد سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م في جزيرة ابن عمر(٤)، وهاجر مع أسرته سنة

([1]) الأصفهاني، الفتح ، انظر ما يلي: ص ٨٨-٨٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٩٨، ٢٠٩، ٥٠٠، ٥٨٦، ٦١٢.

([2]) الأصفهاني، البرق الشامي، ج٣، ص٥٤، ٧٢، ٧٧، ٧٨، ٩٣، ١٥١، ١٦٦، ١٧٨. ج٥، ص١١٤، ١٤٧. وانظر: الفتح القسي للأصفهاني ، ص ٨٨-٨٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٩٨، ٢٠٩، ٥٠٠، ٥٨٦، ٦١٢.

([3]) ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص١٧١، ج١٦، ص١٢٥، ج١٨، ص١١٢.

([4]) جزيرة ابن عمر : مدينة صغيرة على غربيّ دجلة لها أشجار ومياه وشمشاط هى ثغر الجزيرة ، ويقال: أن جبل الجودي قريب من هذه الجزيرة، وهو الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام. والجزيرة بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات. انظر: الاصطخري، المسالك والممالك، طبعة ليدن، ص٥٥، ص٧٥. الإدريسي، نزهة، ج٢، ص٦٦٤. ياقوت، معجم، ج٢، ص١٣٨.

٥٧٦هـ/١١٨٠م إلى الموصل وشاهد حروب الصليبيين مع جيش الموصل بعد سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م)، ولهذا اعتمد على ماسمعه ونقله في الحوادث الواقعة قبل سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م(١)، أما بعدها فيعد ابن الأثير مصدراً معاصراً لها(٢)، ولكون ابن الأثير معاصراً لأحداث الغزو الصليبي، فقد امتاز بحسن الاطلاع والنظرة الشاملة للأحداث التاريخية المتعلقة بهذا الغزو، وقد جاءت معرفته وإطلاعه على شكل تفصيلات وقائعية على مستوى عال، اقتربت بالتسلسل الزمني الذي امتاز بالدقة في تصوير الغزو ونتائجه(٣)، وقد أفدت من كتابيه ، الكامل في التاريخ، والتاريخ الباهر، في معظم فصول الدراسة:

١- **الكامل في التاريخ:** بين ابن الأثير الكثير من الموضوعات، التي استفاد منها الباحث في دراسته، من ذلك: التعريف بشخصيات هامة، مثل: الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله، المُعَظِّمْ عيسى ابن الملك العادل، الملك الأوحد ابن الملك العادل، الملك الفائز إبراهيم ابن الملك العادل، وفي الحديث عن موقف ابن واصل من التحالف والتنافر بين خلفاء العادل، خاصة عند الملك المُعَظِّمْ عيسى ابن الملك العادل، والملك الأشرف ابن الملك العادل، وموقف ابن واصل من السياسة الخارجية لخلفاء العادل، وخاصة علاقتهم بالدولة الخوارزمية، وبالأراتقة التي كانت تحكمها المصالح الشخصية، وخاصة عند الملك المُعَظِّمْ عيسى، والمظاهر الإدارية عند خلفاء صلاح الدين، ومنها: الولاة والحكام، الذي منهم: الأفضل نور الدين علي حاكم دمشق ابن صلاح الدين، الملك العادل سيف الدين أبو بكر شقيق صلاح الدين، سيف الإسلام طغتكين أخو صلاح الدين ، ومن الولاة والحكام بعض الأمراء، ومنهم: عماد الدين زنكي الثاني الذي حكم سنجار في محافظة نينوى شمال العراق حاليا، وقطب الدين سقمان الثاني الأرتقي حصن كيفا وآمد على نهر دجلة، والمظاهر الاقتصادية، ومنها: التجارة، التي منها: وسائل النقل، ومنها: الخيل، ومن المظاهر الاقتصادية الضرائب ، حيث قبيل وفاة الملك الظاهر " أسقط كثيراً من المكوسى"، وتحدث ابن الأثير في الكامل عن المظاهر الاجتماعية، ومنها: المآتم والأحزان، حيث وافق بن الأثير ابن واصل في هذا الجانب، فذكر أن من عادات بني أيوب إذا مات أحد الملوك يتم السيطرة على ما يملك، ففي ٧ جمادى الآخرة ٦١٥هـ/ ٣٠ أغسطس ١٢١٨م، توفى الملك العادل، ولم يعلم بموته إلا المُعَظِّم، فأخذ جميع ما كان مع الملك العادل من الأموال والجواهر النفيسة، والذخائر، والعدد، والأثقال ، والخيول. فلما تم للملك المُعَظِّم ما أراد أظهر موته، وجلس في العزاء، وكتب إلى سائر الملوك يخبرهم بموته، أيضاً أشار ابن الأثير في الكامل، حيث كان مؤكدا لكلام ابن واصل عن الحياة العلمية والثقافية، وخاصة علم الطب، حيث بين أن هناك أشربة وأدوية وعقاقير انتشرت في الدولة الأيوبية، حيث أشار مع ابن واصل أنه لما وقع الملك

---

(1) عمار، التاريخ، ص٦٠.

(2) سعدون، المؤرخون، ص٩. عمار، التاريخ، ص٦١-٦٣.

([3]) محمد، مقدمة، ص١٣٦.

الظاهر قبيل وفاته بالحمى حُقِنَ وخيف عليه؛ ولكن أجل الله جاء في ٢٠ جمادى الآخرة ٦١٣هـ/ ١٤ أكتوبر ١٢١٦م(١).

٢- **التاريخ الباهر:** كان لابن الأثير في كتابه هذا دورٌ في صقل معلومات الباحث في دراسته، حيث أشار إلى موضوعات هامة، منها: التعريف بالشخصيات الهامة التي أسست الدولة الأيوبية، ومنها: عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود(٢).

و- بهاء الدين يوسف بن شداد (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م):

كان مولده بالموصل ٥٣٩هـ/١١٤٥م، تفقه على المذهب الشافعي، وتلقى علومه على يد شيوخ البصرة والموصل[٣]، ومع أن بيئته موصلية، إلا أنه يختلف عن ابن الأثير في أن نزعته الموصلية لم تؤثر على كتابته، كان يعمل لدى أتابكة الموصل، وقد كلفوه مهمة القيام بالسفارة إلى صلاح الدين بعد فتح القدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، ولما وصل إلى صلاح الدين، أعجب به لدينه، وصدقه ومقدرته في الكتابة، فأبقاه إلى جانبه، ألف كتاباً بحث فيه سيرة صلاح الدين كاملة وبصورة مركزة أسماه: "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية".

وقد قدم ابن شداد في النوادر السلطانية معلومات مهمة أفادت موضوع الدراسة، وبخاصة أن المؤلف كان شاهد عيان للأحداث التي جرت أثناء حكم أبناء صلاح الدين، والملك العادل وأولاده ، حيث أشار في كتابه إلى النزاع بين الخلفاء على حكم الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين، مما كان له الأثر الكبير في ضعفها وزوالها بعد ذلكن وأشار ابن شداد أن الملك الأفضل هو الأكبر من أولاد السلطان، والمعهود إليه بالسلطنة، وبين ابن شداد إلى أن البيعة التي دعا إليها الملك الأفضل القادة والأمراء في دمشق، لا تصح؛ بينما كان أبوه يعاني سكرات الموت: معتذراً بأن المرض قد اشتد وما يعلم ما يكون، وما يفعل هذا إلا احتياطاً على جاري عادة الملوك، وأوضح ابن شداد الصراع بين الأيوبيين عقب وفاة العزيز عثمان. وأشار ابن شداد في كتابه أن أول علاقة للملك الكامل ابن الملك العادل بالأراتقة يوم أن رتبه والده العادل محاصراً لها بدلاً منه بسبب وفاة العزيز ملك الديار المصرية. فرحل الكامل ليلاً إلى ميَّافارقين، ثم انهزم إلى حرَّان، حيث اتفقت عليه عساكر الموصل وسنجار والجزيرة لإنقاذ صاحب ماردين(٤).

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٩٦؛ ج ٩، ص ٤٦، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٥٥؛ ج١٠، ص١٢٤، ١٥٢، ١٨٠، ٢٢٤ ، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٢٥، ٣٢٦، ٤٢٥، ٤٤٥، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٧٣؛ ج١١، ص٨٥-٩٩.

(2) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٣، ٢٦، ٥٥، ٥٦، ٦٦، ٧٤ – ٨٤.

(3) سعداوي، المؤرخون ، ص١٤٢.

(٤) ابن شداد، النوادر، انظر ما يلي: ج١، ٣١، ٧٦-٧٧، ١١٨، ١٤٨، ٣٦١، ٣٦٥،

ز- سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م):

شمس الدين أبو المظفر بن قزاواغلي بن عبد الله، وهو حفيد أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، وقد ولد سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م في بغداد ونشأ في كنف جده لأمه المؤرخ ابن الجوزي مؤلف كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تنقل بين بغداد ودمشق ومصر، وعمل كاتباً ومدرساً ومحدثاً، حيث تلقى علومه على يد العديد من الشيوخ والعلماء[١].

يعد كتاب "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" من أهم المصادر لموضوع البحث، ومن أشهر الكتب التي وصلتنا خلال مرحلة الدراسة وهو تاريخ عام يبدأ من بدء الخليقة وينتهي بعد نهاية سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، أي نفس السنة التي توفي فيها المؤلف[٢].

وقد استفاد الباحث من هذا المصدر في التعريف لبعض الشخصيات الأيوبية الهامة مثل: الملك المُعَظِّم شرف الدين عيسى، أضف إلى ذلك العلاقة التي كانت تربط بين سبط بن الجوزي والملك المعظم عيسى إذ كان صديقاً حميماً له ولغيره من ملوك ابن أيوب[٣].

ح-ابن العديم (ت:٦٦٠هـ/١٢٦١م):

كمال الدين ابن القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله، ولد ابن العديم سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م. وهو من أسرة عريقة في حلب، نشأ ابن العديم في حلب وتعلم في مدارسها على يد العديد من العلماء ورافق أباه في بعض رحلاته إلى دمشق وبيت المقدس والعراق والحجاز وجالس العلماء وأخذ عنهم[٤] ، ومن هنا جاءت أهمية كتبه ، ومن هذه الكتب:

١-"بغية الطلب في تاريخ حلب":

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه من أوثق المصادر وأصدقها عن تاريخ بلاد الشام وخاصة في فترة موضوع الدراسة، نظراً؛ لأن ابن العديم اعتمد على مصادر أصلية ومعاصرة معظمها مفقود. ومن تلك المصادر التي نقل عنها ابن العديم كتاب في التاريخ لمؤلفه ابن هلال الصابئي (ت ٤٨٠هـ)، ومن مصادره أيضاً ما نقله ابن العديم من خط المؤرخ يحيي ابن زريق، كما نقل ابن العديم بعض الروايات عن العماد الأصفهاني، يبدو أنها من كتب العماد المفقودة، إذ لا توجد هذه المعلومات في مؤلفات العماد التي بين أيدينا، واعتمد أيضاً على والده فيما يرويه عن أسلافه، كما قابل ابن الأثير ونقل عنه مشافهة، هذا عدا مصادر أخرى كثيرة نقل عنها ابن العديم، ولا يتسع المجال لذكرها(٥). ومن المعلومات التي استقاها الباحث من بغية الطلب مدعماً فيها قول ابن واصل: المظاهر الإدارية في عهد خلفاء صلاح

([1]) سالم، التاريخ، ص١٠٣. الغامدي، بلاد الشام، ص١٥.

([2]) مصطفى، التاريخ، ج٢، ص٥٤٤- ٥٤٥.

([3]) ابن الجوزي، مرآة ، ج٨، ٢٧٩ ؛ ٤٤١، ج٨، ق٢، ٥٥٠ ، ٥٩٧، ٦٠٤، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٤٥، ٦٤٨، ٦٥٤.

([4]) ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص٢٠٨-٢٠٩. مصطفى، التاريخ، ج٢، ص٢٦٣. الغامدي، بلاد الشام، ص٢٦-٢٧.

([5]) الغامدي، بلاد الشام، ص٢٧-٢٨.

الدين، وخاصة الولاة والحكام، ومنهم: الملك المحسن يمين الدين أحمد، (ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، وكان ثمة بعض البلدان والحصون بأيدي جماعة من أمراء الدولة ، من هؤلاء: وبدر الدين دُلْدُرم بن بهاء الدين ياروق، والترجمة لبعض الأعلام ، ومنهم: أبو علي الفارسي صاحب الإيضاح، والملك الناصر داود(١).

٢-"زبدة الحلب في تاريخ حلب" :

وهو في ثلاثة أجزاء استله ابن العديم من كتابه الكبير بغية الطلب، وأفرده للتاريخ السياسي لحلب على طريقة الحوليات وهو يبدأ من العصر البيزنطي حتى سنة ٦٤١هـ. وقد أفاد الباحث من هذا المصدر في عدة موضوعات من الدراسة، حيث كانت داعمة لآراء ابن واصل في الدراسة، من ذلك:
التعريف بباني الدولة الأيوبية السلطان صلاح الدين، وبيان مولد ابن واصل، ونشأته، حيث كان لوالده سالم بن نصر الله بن سالم الذي تقلد القضاء بحماة دورٌ في بلورة شخصية ابن واصل، إذ كان يصطحبه معه في سفره وترحاله، إذ سافر في (شعبان سنة ٦٢١هـ/ أغسطس ١٢٢٤م) معه من حماة إلى دمشق بناءً على استدعاء صاحبها الملك المُعَظِّمْ عيسى ، كذلك التعريف لشيوخ ابن واصل، ومن هؤلاء: بهاء الدين بن شداد، أيضاً في تقسيم أقاليم الدولة بين خلفاء صلاح الدين، والإشارة إلى الملك الزاهر مجير الدين داوود ، حيث تولى البيرة عند تولي أخيه الظاهر غياث الدين غازي لحلب، وعهد إليه بالملك بعده قبل أن يولد له ولد، وأشار أيضاً إلى احتفاظ سيف الإسلام طغتكين أخو صلاح الدين باليمن وجزيرة العرب، وبين الصراع بين الأيوبيين عقب وفاة العزيز عثمان، وأوضح أن من أسباب النزاع بين خلفاء صلاح الدين غياب العلماء الربانيين عن القرار السياسي وضعف الوازع الديني عند بعض الأمراء الأيوبيين، وتحدث عن أولاد العادل، منهم: الملك المُعَظِّمْ شرف الدين أبو العزائم عيسى، وأشار إلى المناصب التي تولاها العادل حتى وفاته، ومنها: الكرك، والرقة، سروج، وبين ابن العديم أنه في سنة (خمسمائة وست وتسعون/ ألف ومائة وتسع وتسعون)، استقل الملك العادل بالسلطة داخل مصر، وعزل الملك المنصور بن الملك العزيز، وجعل الملك الكامل ابنه نائباً عنه حتى وفاته، وأشار إلى ارتكاب الملك العادل خطأً حين قسم دولته بين أبنائه، واحتفظ لنفسه بنوع من السيادة العليا، وذلك في معرض الحديث عن دور الملك العادل في توحيد الدولة الأيوبية، وبين ابن العديم دور العادل في مواجهة الصليبيين(٢).
وقد أفاد الباحث كثيراً من هذين المصدرين كمصدرين أساسيين في الدراسة في جميع فصول الدراسة(٣).

---

(1) ابن العديم، بغية، ج١، ص ٣٢٢ ؛ ج٣، ص١٢٥٨. ج٤، ص ١٦٠٨، ١٨٠٩؛ ج ٥، ص٢٢٧٢؛ ج٧، ص٣٤٥٥.

(2) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٦٧، ٣٥١، ٤١٧ ،٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٥٩،٤٤٤، ٤٦٧، ٤٨٤؛ ج٢، ص١٢٠-١٢١، ١٥٠. ج٣، ص١٨٠-١٨١، ١٩٢-١٩٣،١٩٨، ٢٠١ .

(3) ابن العديم ، بغية الطلب، ج١، ص ٣٢٢ ؛ ج٣، ص١٢٥٨. ج٤، ص ١٦٠٨، ١٨٠٩؛ ج ٥، ص٢٢٧٢؛ ج٧، ص٣٤٥٥. ج١، ص ٣٢٢ ؛ ج٣، ص١٢٥٨. ج٤، ص ١٦٠٨، ١٨٠٩؛ ج ٥، ص٢٢٧٢؛ ج٧، ص٣٤٥٥. زبدة الحلب، ج١، ص٦٧، ٣٥١، ٤١٧ ،٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٥٩،٤٤٤، ٤٦٧، ٤٨٤؛ ج٢، ص١٢٠-١٢١، ١٥٠. ج٣، ص١٨٠-١٨١، ١٩٢-١٩٣،١٩٨، ٢٠١ .

ط- أبو شامة (ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٧م):

هو شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي: ولد بدمشق ٥٩٩هـ/١٢٠٣م، وعرف بأبي شامة لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، تفقه على المذهب الشافعي[١]. وهو مؤلف كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية"، الذي حفظ فيه أبو شامة كثيراً من روايات البرق الشامي للعماد الأصفهاني، المفقود أغلب أجزائه، وروايات المؤرخ ابن أبي طيء، والكتب والمناشير التي كان يصدرها القاضي الفاضل بتوقيع صلاح الدين[٢]. وقد أفاد الباحث من هذا المصدر إفادة كبيرة وخاصة في المعلومات التي يقدمها لنا في جميع الفصول، من ذلك: التعريف بملوك بني أيوب، ومنهم: الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن صلاح الدين، الملك الظافر مظفر الدين خضر ابن صلاح الدين، الملك الأعز شرف الدين يعقوب ،حدث الحرمين ودمشق، وكان متواضعاً كثير التلاوة، توفي بحلب سنة(٦٢٤هـ/١٢٤٤م)، الملك المنصور، مؤنسة خاتون ابنة صلاح الدين، المُعَظِّم عيسى، التعريف بشيوخ ابن واصل، ومنهم: ابن شداد، وأشار أبو شامة إلى النزاع بين خلفاء صلاح الدين، من ذلك: غياب العلماء الربانيين عن القرار السياسي، ومن هؤلاء العلماء القاضي الفاضل، وقد قال أبو شامة عن القاضي الفاضل : " كان ذا رأي سديد، وعقل رشيد ومعظماً عند السلطان صلاح الدين يأخذ برأيه ويستشيره في الملمات والسلطان له مطيع وما فتح السلطان الأقاليم إلا بأقليد آرائه وكان كتائبه كتائب النصر" ، ونقل الباحث عن "أبو شامة " وصف القاضي الفاضل الخلاف في البيت الأيوبي بقوله: "أما هذا البيت فإن الآباء منه اتفقوا فملكوا ، وإن الأبناء منهم اختلفوا فهلكوا، وإذا غرب نجم، فما الحيلة في تشريقه، وإذا بدأ تخريق في ثوب فما يليه إلا تمزيقه، وهيهات أن يسد على طريقه، وقد قدر طروقه، وإذا كان مع خصم على خصم فمن كان معه فمن يطيقه"، ومن الأسباب ضعف الوازع الديني عند بعض الأمراء الأيوبيين، وأشار إلى خلافة الملك الأفضل لأبيه، الذي كان أكبر أبناء صلاح الدين، وبين الصراع بين الأيوبيين عقب وفاة العزيز عثمان [٣].

ي- ابن شداد الحلبي (ت: ٦٨٤هـ/١٢٨٥م):

ومؤلف هذا الكتاب "**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**" هو ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، وهو من الكتب المرقمة آلياً غير موافقة للمطبوع؛ ولكن هذا الكتاب أثرى الدراسة بمعلومات قيِّمة، من ذلك:

([1]) السبكي، طبقات الشافعية، ج٨، ص١٦٥-١٦٧. مصطفى، التاريخ، ج٢، ص٢٦٦.

([2]) عبد القادر، سياسة صلاح الدين، ص٣٥.

([٣]) أبو شامة، الروضتين، انظر ما يلي: ج١، ص٢٩، ٣٢، ٧٣ ، ١٠٩، ١١٠، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٧-١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٨،٢٦٤، ٢٧٩، ٣٠٥؛ ج ٢، ص٢٤، ٤٧، ١٨٦، ١٨٩، ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٠٦، ٣٣٥، ٣٩٨، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨؛ ج٣، ٢٠، ٣٠٨، ٣٣٠، ج ٤، ٢٨، ١٤٣، ٣٥٩ ، ٣٦٩، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٤، ٤٤٢، ٤٤٣-٤٤٦، ص٤٤٨- ٤٥٠ ، ٤٦٢، ٤٧٢.

التعرف على بعض ملوك بني أيوب، مثل: الملك الظاهر غياث الدين غازي ، الملك الناصر داود بن الملك المُعَظِّم عيسى، الذي تولى السلطان بدمشق بعد وفاة أبيه الملك المُعَظِّمْ عيسى سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٧م ، وعلى الملك الصالح نجم الدين، حيث حارب الصالح نجم الدين المناوئين له من الأيوبيين وأنصارهم من الفرنج، وحقق النصر الساحق على الفرنج في طبرية وعسقلان، والإشارة إلى أن القوات المصرية بقيادة فخر الدين بن الشيخ استطاعت فتح طبرية عنوة في ١٠ صفر ٦٤٥هـ/١٧ يونية ١٢٤٧م في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وعلى أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكى صاحب الموصل، وعلى بهاد الدين بن شداد أحد شيوخ ابن واصل، الذي أنشأ المدرسة الصباحية سنة (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)، ودرس بها ، كذلك التعرف على بعض المدن مثل: صور، صيدا ([1]).

ك- ابن العبري (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): ومؤلف كتاب " تاريخ محتصر الدول" هو: غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرون (أو هارون) بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العبري (المتوفى: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، في جزء واحد، رصد فيه الكثير من أحداث الدول ، ومنها: الدولة الأيوبية ([2]).

وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب في موضوعات مختلفة من الدراسة، منها على سبيل المثال: الترجمة لبعض الشخصيات الهامة في الدولة الأيوبية، منها: بعض الملوك، مثل: الملك الناصر صلاح الدين، المُعَظِّم عيسى ابن الملك العادل، وعلى دور العادل في توحيد الدولة الأيوبية، والتي منها: القضاء على الأحلاف السياسية ضد الدولة الأيوبية في الجزيرة، حيث بعد وفاة السلطان صلاح الدين انتقض الأمراء والملوك المعاهدين في الجزيرة، وكان أوّلهم بكتمر صاحب خِلاط؛ ولكن العادل استطاع السيطرة على خِلاط ، والإشارة إلى دور الملك الأوحد في حياة أبيه الملك العادل، خاصة مع المناوئين من البلاد الشرقية([3]).

ل- أبو الفداء (٦٧٢-٧٣٢هـ/ ١٢٧٣-١٣٣٢م):

إسماعيل بن علي الإمام الفاضل السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء ابن الأفضل بن الملك المظفر ابن الملك المنصور تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي، المؤرخ، الجغرافي، الفقيه، صاحب حماة. له العديد من المصنفات، منها: (المختصر في أخبار البشر) في التاريخ.

وقد استفاد الباحث من كتابه "المختصر في أخبار البشر" ، لأن مؤلفه كان شاهد عيان على الدولة الأيوبية، كيف وهو من سلالة ملوك بني أيوب، مما كان له الأثر الكبير في استقاء الباحث العديد من المعلومات لتدعيم آراء ابن واصل، وتأكيدها في جميع فصول الدراسة، من ذلك:

([1]) الحلبي، الأعلاق، ج١، ص٣٥، ٣٧، ٧٦، ٨٩، ١٣٣، ١٣٩، ١٦٣؛ ج٢، ٩٨، ١٣٤، ص١٦٣.

([2]) ابن العبري، مختصر، ص١٢١؛ ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٤٦، ٤٢٥.

([3]) ابن العبري، مختصر، انظر ما يلي: ص١٢١؛ ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٤٦، ٤٢٥.

التعريف بالكثير من الشخصيات الهامة ، منهم: الملك المؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود ابن الملك الناصر صلاح الدين ، الملك الأوحد، الملك المُعَظِّم عيسى، الملك الناصر داود بن المُعَظَّمْ عيسى، الملك الصالح نجم الدين أيوب، صفي الدِّين بن شكر وزير العادل، وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وتحدث عن شيوخ ابن واصل، ومنهم: ابن يعيش ، قيصر بن أبي القاسم (تعاسيف)، وعرّف أيضًا لتلاميذه، ومنهم: العلامة الخطيب جمال الدين يوسف بن محمد بن مظفر بن حماد الحموي الشافعي ، والإشارة إلى وفاة ابن واصل : وتوفي(يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال ٦٩٧هـ/ الأول من أغسطس ١٢٩٨م)، وأشار أبو الفداء إلى تقسيم أقاليم الدولة بين خلفاء صلاح الدين، ومنهم الملك العزيز، حيث قال عنه أبو الفداء: أنه من أهل الخير والصلاح، وأشار أيضاً إلى النزاع بين أولاد صلاح الدينن ودعم قول ابن واصل بأن الملك الأفضل هو الأحق بالملك؛ لأنه كان أكبر أبناء صلاح الدين، وتحدث عن المناصب التي تولاها الملك العادل، ومنازلته لمنطقة ماردين ، ورحيله عنها بعد ذلك ، وبين أبو الفداء موقف العادل من الصليبيين، وأشار أبو الفداء إلى المظاهر الثقافية والعلمية، حيث بين بعض العلوم المشهورة كالرياضيات، وبعض المؤسسات العلمية كالمدارس([1]).

م- المقريزي(ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):

هو أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي، ولد سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، بحارة برجوان بمدينة القاهرة، وهو بعلبكي الأصل، مصري المولد والمنشأ، عرف باسم المقريزي نسبة إلى حارة المقارزة في مدينة بعلبك، عكف على دراسة القرآن، وعلوم الدين ، والتاريخ وغيرهما، وتقلد العديد من الوظائف، كان آخرها وظيفة الحسبة بالقاهرة، ويعد المقريزي من أشهر المؤرخين المسلمين، وله مؤلفات تاريخية كثيرة، منها: "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" ، و"السلوك لمعرفة دول الملوك" ، وقد تميزت كتاباته بالدقة في إيراد الحقائق والاعتماد على مصادر ووثائق لا تزال أصولها مفقودة[2].

وقد أفاد الباحث من كتاب السلوك في جميع فصول الدراسة، من ذلك:

التعريف بملوك الدولة الأيوبية، ومنهم: الملك المؤيد نجم الدين مسعود ، الملك الصالح نجم الدين أيوب، الملك شهاب الدين غازي ابن الملك العادل، أيضاً التعريف بشخصيات كبيرة لزمها ابن واصل في حياته، ومنهم: الأمير حسام الدين محمد بن أبي علي الهذباني نائب السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، كذلك الترجمة لشيوخ ابن واصل، ومنهم: قيصر بن أبي القاسم (تعاسيف)، العالم، المهندس، الفلكي، الرياضي، والطبيب علاء الدين بن النفيس علي بن أبي الحزم القرشيّ، الدمشقي، الطبيب،

([1]) أبو الفداء، المختصر، انظر ما يلي: ج١، ص٩٢، ١٢٨، ٢٤١، ٣٧٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٥٢، ٤٨٦، ٤٨٧، ؛ ج٢، ص٣٥ ، ٢٠٨ ؛ ج٣، ٦٣، ٨٦، ٨٧ ،٩٠-٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨-١٠٩، ١١٢، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٦٣، ٢٠٠- ٢١١،٢٠٣، ٢١٩.

([2]) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢١. زيادة، دراسات، ص٧-٨. الغامدي، الشام، ص٩. عنان، مؤرخو ، ص٨٧.

المصري، وبين المقريزي مراسم العباسيين لحكام البلاد- الأيوبيون، ومنها: التشريف، وأبرز المقريزي دور العادل في توحيد الدولة الأيوبية، وعلاقته بأولاد أخيه، وبين أن الشخصية السياسية عند الملك الأفضل كانت ضعيفة، وكذلك الإدارية ، فهو لم يكن الشخص المرغوب فيه ، وخاصة في مرحلة حساسة من التاريخ الإسلامي، وأشار أن ابن واصل كان رأيه في الأفضل مغايرا لآراء غيره من المؤرخين، حيث وصفه بالزهد والقناعة مما جعله يقبل " على العبادة " وأشار المقريزي إلى النظام العسكري المتبع في الدولة أيوبية، وخاصة عناصر الجيش، ومنهم المفاردة، وأمور أخرى طي الدراسة ([1]).

ن- الحنبلي (ت: ٨٧٦هـ/١٤٧١م): هو أحمد بن إبراهيم الحنبلي ، صاحب كتاب "شفاء القلوب في مناقب بني أيوب" ، ،تناول الحنبلي في كتابه مناقب وصفات بني أيوب، مما جعل الباحث يستقي منه المعلومات الداعمة لآراء ابن واصل في الدولة الأيوبية، من تلك المعلومات:

منازلة الملك العادل لمنطقة ماردين؛ ولكن سرعان ماتم الصلح بين العادل وبين أهل ماردين ، ورحيل العسكر عن ماردين ، والإشارة إلى دور أولاد الملك العادل في وجه المناوئين وخاصة للملك المُعَظِّمْ، بعد وفاة أبيهم، والإشارة إلى التحالف والتنافر بين أولاد الملك العادل بعد وفاته ، وخاصة بين الملك المُعَظِّم وأخويه: الملك الأشرف، والملك الكامل([2]).

وقد ألمح الحنبلي في كتابه أن الملك الكامل عين ابنه الصالح نجم الدين أيوب ولاية عهده في سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م)، وأركبه بالقاهرة، وجعله نائباً عنه في الديار المصرية، وأنزله بدار الوزارة، وعمره يومئذ اثنتان وعشرون سنة؛ لأن مولده سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وكانت وفاته في عام (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ، واتفق الحنبلي مع ابن واصل على أن دمشق حوصرت من قِبل الخوارزمية مع الصالح عماد الدين ضد الملك الصالح نجم الدين، حيث هلك عالم كثير من أهل دمشق بالجوع والوباء([3]).

٢- كتب التراجم:

قدمت هذه الكتب، خلال ترجمتها للأشخاص الكثير من المعلومات المهمة حول خلفاء صلاح الدين، من أولاده، وإخوانه وخاصة العادل وأولاده. فقد استفاد الباحث من هذه المصادر في التراجم الموجودة في هوامش البحث. وأهم كتب التراجم التي اعتمدت عليها الدراسة:

أ- ابن خلكان (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م):

هو أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي صاحب كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" ، في هذا الكتاب ترجم ابن خلكان للعديد من الملوك

([1]) المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٦، ٦٦، ٨١، ١١٨،١٢٩، ١٥٥، ١٦٦، ٢٢٠ ،٢٣١، ٢٣٢، ٢٨٤، ٢٨٩، ٣٠٨، ٣١١، ٣٣٩، ٣٦١، ٣٨٢، ٣٩٧، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٢٥، ٤٧٦؛ ج٢، ص٦، ٢٠٩، ٣٤٠؛ ج٣، ٧٢٥.

([2]) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢١٣ ، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٨، ص٣٩٧.

([3]) المصدر نفسه، شفاء القلوب، ص٢١٣ ، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٨، ص٣٩٧.

في الدولة الأيوبية ، منهم: عماد الدين زنكي، الملك الأفضل نور الدين ابن صلاح الدين، الملك الظاهر مظفر الدين أبو العباس خضر بن السلطان صلاح الدين ، الملك الزاهر مجير الدين داوود ابن صلاح الدين، الملك سيف الإسلام طغتكين أخو صلاح الدين، وابنه إسماعيل، الملك المُعَظِّم عيسى، الملك الأشرف ، الملك الكامل، الملك الفائز إبراهيم، وهؤلاء الملوك من أولاد الملك العادل، حيث كان جل الدراسة عنهم، ومواقفهم، وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، وترجم أيضاً للملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل، والمُعَظِّمْ توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب، وترجم أيضا لبعض الولاة والحكام، منهم: أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكى صاحب الموصل، الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه ، وترجم لبعض شيوخ ابن واصل، منهم: ابن الخباز، ابن يعيش ، ابن مطروح، سبط ابن الجوزي، وترجم لبعض العلماء، مثل: ابن الأنباري العالم النحوي، وأشار للكندي إمام اللغة، والفخر الرازي، وترجم للشعراء ، منهم: ابن سناء الملك، ابن عينين([1]).

ب- "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م):

يقع كتاب السبكي في عشرة أجزاء ، ويبدو الكتاب من اسمه، هو ترجمة لكل شافعي في مذهبه، استعان به الباحث مع كتب تراجم أخرى لترجمة الشخصيات الأيوبية، منها على سبيل المثال: الملك الأشرف، الملك الكامل، والعلماء، مثل: أبو المحاسن ابن شداد الشافعي، وأفضل الدين الخونجي، الشافعي، وخسرو شاهي أحد شيوخ ابن واصل، كذلك ابن النفيس، أبو الفداء أحد تلاميذ ابن واصل ([2]).

ج- شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

يعتبر الذهبي من العلماء الكبار، له العديد من المؤلفات، استعان الباحث ببعضها، لتدعيم الدراسة، وصقلها، وبيانها على الوجه الأفضل، من هذه المؤلفات التي تعد مصادر في الترجمة:

١- كتاب "سير أعلام النبلاء" :

يعد كتاب الذهبي" سير أعلام النبلاء "من أكبر الموسوعات التاريخية الشاملة التي بحثت في التراجم والطبقات ، ومن خصائص موسوعة الذهبي أنها احتضنت سبعة قرون ونيفاً من تاريخ رجال الإسلام ، وذلك منذ فجر الدعوة الإسلامية وحتى سنة 746 هـ/ 1345 م ، كما أنها تناولت جميع طبقات الشعب ، خلفاء وسلاطين وملوك ، وحكام ، وأمراء ، وشعراء ، وأدباء ، ونحاة ، ومسلمين ، وغير مسلمين .وقد أفادت الدراسة من هذه الموسوعة في معظم فصول الدراسة، فقد *ذكر الذهبي في مصنفه هذا ، العديد من الشخصيات الأيوبية، وترجم لها، مثل: الملك المحسن يمين الدين أحمد ابن صلاح الدين الأيوبي ، الملك الأشرف، الملك الكامل، الملك الأوحد، والترجمة للعلماء، مثل: ابن شداد،

([1]) ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص١٨٤، ٢٦٠، ٣٦٥، ؛ ج٢، ص٢٥٠، ٤٥٣، ٥٢٤، ٥٢٥،٢٥٧، ٣٢٧، ٣٣٠؛ ج٣، ١٣٩، ١٤٢، ٢٥١، ٤١٩-٤٢١، ٤٩٤-٤٩٥. ج٤، ص٩١، ٢٤٨؛ ج٥، ص١٤، ١٩، ٧٩، ٨١، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ،٩١، ١٤٧، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٩٠؛ ج٦، ص٦١، ٢٥٨؛ ج٧، ص٤٦، ٤٧،١٠٠، ٢٠٠، ٢٠٥.

([2]) السبكي، طبقات، ج١، ص ٨٣٨؛ ج٨، ص٣٤٢؛ ج٩، ص٤٠٣ ؛ ج١٠، ص١٢٥ .

الإمام جمال الدين الحصيري، الإمام فخر الدين الرازي ، الشيخ الإمام سيف الدين أبو الحسن علي الآمدي، والتعريف بأناس عاشت في كنف الدولة الأيوبية، مثل: الأكراد، حيث كان جل سكان الدولة الأيوبية من الأكراد، ومؤسسها صلاح الدين كردي، والتعريف بأقوام كانت لهم علاقة بالدولة الأيوبية ، كالأراتقة، ومؤسس دولتهم: أرتق بن سكمان، والتعريف ببعض المؤسسات العلمية كالخوانق([1]).

٢- **كتاب "تاريخ الإسلام"**: أيضًا أفاد الباحث من كتاب تاريخ الإسلام في التعرف على شخصيات ، وأحداث تاريخية ، وأماكن هامة في الإسلام، خدمت الدراسة كثيراً، وخاصة أنها دراسة تاريخية لدولة إسلامية، ومن أمثلة ذلك: التعرف على الأمير الكبير حسام الدين أبو علي بن محمد باساك بن أبي علي الهذباني ، الكردي، التعرف على مساجد في القاهرة، مثل الجامع الأقمر، الذي بناه الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله ، وقد درس فيه ابن واصل صاحب المفرج في زمن الملك الصالح نجم الدين، التعرف على قبائل، مثل: برزال وهي قبيلة بالمغرب ، وهي إحدى بطون دمر، خرج منها علماء أجلاء مثل: البرزالي، أحد شيوخ ابن واصل ([2]).

٣- **كتاب "العبر"**: يقع هذا الكتاب "العبر في خبر من غبر" للذهبي في أربعة أجزاء، ويتبادر للذهن أن هذا الكتاب عبارة عن عبر وحكم من أحداث تاريخية سجلها لنا الذهبي في الكتاب، ومن أهمها:

أن الملك نجم الدين صالح كان مهيبا عالي الهمة عفيفاً طاهر اللسان شديد الوقار، بنى خلال حكمه مدارس للمذاهب الأربعة، وأن ابن واصل صاحب المفرج تتلمذ على يد علماء أجلاء، منه: ابن رزين، والذي تتلمذ على يد الكندي، فقد حفظ القرءان وهو ابن سبع سنين، وأكمل القراءات العشرة وهو ابن عشر سنوات، وكان أعلى أهل الأرض إسنادا في القراءات، توفي سنة (٦١٣هـ/١٢١٧م)([3]).

وأشار الذهبي في العبر: أن الملك نجم الدين صالح لما تملك دمشق سنة (٦٤٣ هـ/١٢٤٥م)، جعل ابن مطروح الشاعر والأديب أحد شيوخ ابن واصل والياً للبلد، وألبسه زيّ الأمراء، وارتفعت منزلته. في سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) قدم الملك الصالح دمشق ، فعزله وتنكّر له لأمور نقمها عليه(٤).

د- كتاب "الوافي بالوفيات" لابن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م):

يقع هذا الكتاب في تسعة وعشرين جزءًا ، تضمن العديد من التراجم لشخصيات مختلفة، منها شخصيات أيوبية ، وعلى رأسها الملوك خدمت الدراسة، مثل: الملك الظافر مظفر الدين خضر، والملك الأعز شرف الدين يعقوب ،الملك المؤيد نجم الدين مسعود ، الملك المعز فتح الدين اسحق، الملك العادل، ومن

([1]) الذهبي، سير، ج٢، ص٣٢٦؛ ج٧، ص٣٤٦؛ ج ١٥ ، ص ٥٠٦ ؛ ج١٦، ص٤١، ١٢٠-١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ٢٤٣، ٣٠٧، ٣٠٩، ص٣٥١-352؛ ج١٧ ، ص١٩٠؛ ج٢١، ص٥٠٠-٥٠١؛ ج ٢٢، ص١٠٢، ، ٢٤١،٢٦٦، ٣٦٦؛ ج٢٣، ص١٦٤.

([2]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٦، ص١٢٤؛ ج٤١، ص١٣١؛ ج٤٣، ص١٩، ص٢٤٤ ؛ ج٤٥، ٧٨، ٣٠٠. ج٤٦ ، ٨٥، ١٣٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٧٧؛ ج٤٧، ص٤٢٩؛ ج ٤٨، ١٢٥، ٣٣٦، ٣٧٨، ٤٤٥؛ ج ٥١، ص ٣١١.

([3]) الذهبي، العبر، ج١، ص٢٤٣؛ ج٣، ص١١٧-١١٨، ١٣٦، ١٩٤؛ ج ٥، ص٤٤، ١٩٣، ٢٠٤، ٢٥١.

(4) المصدر نفسه ، العبر، ج ٥، ص ٢٠٤، ٢١١، ٢٢٩.

حكام الأقاليم، والولايات: الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه، ومن الولاة والحكام: الأمير فخر الدين جِهاركْس، كان من كبراء أمراء الصلاحية(ت: ٦٠٨هـ/ ١٢٠٧م)، ومن الشخصيات، شيوخ ابن واصل، مثل: أثير الدين، ابن يعيش، وتلاميذه، مثل: دَبيران، وابن حماد، وترجمة لبعض العلماء: ابن واصل، القاضي أفضل الدين الخونجي، القاضي شرف الدين بن أبي عصرون، الشيخ تاج الدين الأرموى، العالم، المهندس، الفلكي، الرياضي، علَم الدين، قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر بن حسان بن عبد الرحمن أبو عبد الله السلمي الدمشقي الأصل والوفاة ، المصري المولد، المعروف بتعاسيف ([1]).

ه- ابن العماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

ومؤلف كتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح.

يقع هذا الكتاب في أحد عشر جزءًا، ترجم فيه للعديد من الشخصيات الأيوبية، منها: ملوك بني أيوب، منهم: سيف الإسلام طغتكين أخو صلاح الدين ، الملك العادل، الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ومن الشخصيات: ابن واصل ، أبو علي الفارسي، تاج الدين الكندي، ابن مطروح، الشيخ أبو محمد الخسروشاهي، وسبط ابن الجوزي، عماد الدين بن شيخ الشيوخ، الإمام العلاّمة، النحوي، أبو حيان ([2]).

٣- كتب الجغرافية والرحلات: قدمت هذه المجموعة من الكتب معلومات قيمة عن الناحية الجغرافية لبلاد الشام موضوع الدراسة وخاصة في الفصل الأول، واستفاد الباحث من هذه المصادر خلال تعريفه للكثير من المناطق الإسلامية في بلاد الشام ومن هذه المصادر:

أ-ابن منقذ (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م):

هو مؤيد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني، وتكمن أهمية هذا المصدر"الاعتبار" في أن واضعه كان معاصراً للأحداث التي أرخ لها، فضلاً عن أن كل ما تعرض له كان خلاصة تجاربه ومشاهداته في البلاد التي زارها، وانفرد عن غيره بذكر الأحداث التي أمدنا بها والخاصة بموضوع البحث(٣)، من ذلك:

([1]) الصفدي، الوافي، انظر ما يلي: ج١، ص٥٩، ١٥٨-١٥٩؛ ج٢، ص٥، ١٥٧، ١٦٨، ٢٦١؛ ج٣، ص٧١؛ ج٤، ص١٧٥؛ ج ٥، ص١٨٤ ، ١٩١؛ ج٧، ص٢٣٦؛ ج ٨، ص٢٢١،٢٨٠؛ ج١٠، ص٢٠، ٢٤ -٢٥، ٣٥،١٩٠؛ ج١١، ص١٥٢-١٥٣، ١٥٨؛ ج١٢، ص٢١٣ ؛ ج١٣، ٩٦،١٤٣، ٢٠٤ ؛ ج١٥، ص٣٢، ج١٦، ص١٤٥؛ ج١٨، ص٤٤؛ ج١٩، ص٣٢٢، ٣٣٣؛ ج٢١، ص٥٤،٢٤٤؛ ج ٢٢، ص ٦٦؛ ج٢٤، ص١٨٨، ٢٢٨؛ ج٢٧، ص١٣٥؛ ج٢٨، ص١١٣، ١١٨، ؛ ج٢٩،ص١٨، ١١٣،١٢١، ١٨٧، ٣٨٧ .

([2]) ابن العماد، شذرات، انظر ما يلي: ج١، ص٦٧٠؛ ج٣، ص٨٨؛ ج ٤، ص ١٢٨؛ ج٥، ص١٢٦،٥٤، ١٨١، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٥٥، ٣٦٦، ٤٣٨؛ ج٦، ص١٤، ٣١١، ٤٨٨، ٥٤٥؛ ج٧، ص١١٧، ٢٠١؛ ج١٦، ص٦٧٧.

([3]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٩٥-١٩٦. اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٤٢٧. الغساني، العسجد المسبوك، ص٢٠٥-٢٠٦. عوض، الجغرافيون، ٢٤٥-٢٤٧. البيشاوي، نابلس، ص٢٦، ص٣٣. هامش (٨٠). محمد، مقدمة، ص١٦٠.

تحدث عن النظام العسكري في الدولة الأيوبية، ومنها تنظيمات الجيش وعناصره، ومنهم الخراسانيون، واختصوا بنقب الأسوار، والعمل على إحداث الفتحات، ليتسنى للجنود الدخول إلى القلعة أو المدينة ، وتحدث عن الأسلحة والمؤن والعتاد، ومنها: البوق الذي ينفخ به لإعلان النفير (١).

ب-ابن جبير(ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م):

هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين ، ولد في مدينة بلنسية ٥٤٠هـ/١١٤٥م، وتلقى العلم على شيوخ عصره في غرناطة، وسبتة، وقام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق الإسلامي، الأولى ٥٧٨هـ، وانتهى منها بعودته إلى نابلس ٥٨١هـ، والثانية في ٥٨٥هـ،أي بعد أن استرد السلطان صلاح الدين بيت المقدس، أما الثالثة فكانت في ٦١٤هـ، ولكن لم يطل به العمر حيث توفي في لإسكندرية في العام نفسه[٢]. وقد سجل ابن جبير كل ما شاهده في بلاد الشام في كتاب "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" المعروف برحلة ابن جبير، من خلال زيارته لتلك البلاد، وبالطبع فإن تلك المعلومات قد استفاد منها الباحث في معظم فصول الدراسة، من ذلك: التعريف بمنطقة الكرك، بانياس التي كانت بيد الإفرنج واسترجعها نور الدين رحمه الله ، مدينة صور، حمص[٣].

ج- ياقوت الحموي(ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ولد في الفترة الواقعة بين سنتي(٥٧٤-٥٧٥هـ/١١٧٨-١١٧٩م) ببلاد الروم، ولكنه وقع في الأسر وهو صغير فاشتراه أحد تجار بغداد كي يعتمد عليه في تجارته، وتنقل ياقوت بين كثير من الأمصار وتوفي بظاهر مدينة حلب(٤).

ومن أهم مؤلفاته "معجم البلدان"، وضعه في سبعة أجزاء، وهو بمثابة موسوعة جغرافية قائمة بذاتها، نظراً لوفرة المادة التي أوردها وتحدث فيها عن البلدان والأقاليم والمدن والجبال والأنهار، وكتاب معجم البلدان مرتب وفق الحروف الأبجدية ولا غنى عنه للباحث في التاريخ والجغرافيا والأدب وتاريخ البلدان خاصة في تحقيق أسماء المدن والبلدان والمعالم الجغرافية(٥)، وقد أفاد منه الباحث من حيث كونه المصدر الأول للتعريف بالبلدان والقلاع والقرى والحصون التي تناولتها الدراسة، من ذلك: البلاد الشرقية ، قال عنها: وهي: حران، والرها، وسميساط، والرقة، وقلعة جبر، وديار بكر. وعرَّف على: بعلبك، حماة، وقال عن سَلَمِيَّة: من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص. معرة النعمان، منبج، آمد ، وقال عن بُصرى: من أعمال دمشق وهي مشهورة عند العرب قديما وحديثا، وبها

([1]) ابن منقذ، الاعتبار، ص١٨، ٩٥،١٤٦، ٢٠٠، ٢٠٣.

([2]) سالم، التاريخ، ص٢٢٠-٢٢١. عوض، الجغرافيون، ص٢٨٣-٢٨٧.

([3]) ابن جبير، رحلة، ص١٨٢، ٢٠١، ٢١٠، ٢١٢، .

([4]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٧-١٢٩. اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٥٩. فراج، معجم، ص٧٨. سالم، التاريخ، ١٩٦. الفاخوري، تاريخ، ص٧٧٤. عوض، الجغرافيون، ص٧٣، ٧٥.

([5]) البيشاوي، نابلس، ص٢٦.

كان بحيرا الراهب الذي بشر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبها مبرك ناقته قد بني عليه مسجد عظيم . وقال عن صرخد: من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة وواسعة. وقال عن هونين: بلد في جبال عاملة مطلة على نواحي مصر، وكان بها قلعة حصينة للفرنج. وذكر ياقوت الداروم، قال: الداروم، قلعة بين غزة ومصر يرى الواقف فيها البحر، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل، وذكر ياقوت مرج الصُّفَّر ، ثغر جُبيل، وذكر عين القيارة، قال عنها : بها عين يخرج منها القار ، وهى من الموصل، على مرحلة إلى أسفل. وماؤها معدنيّ حارّ، يستحمّ فيه الناس للشفاء من أمراض المفاصل. ومن القلاع والحصون: ماردين، برزيه، تل باشر، الكرك، الشوبك، شيزر، أبو قبيس ([1]).

د- كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، للمقدسي البشاري (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

يعد كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" من أهم الكتب الجغرافية التي اعتمدت عليها الدراسة في كثير من الجوانب المتعلقة بفصول الدراسة، فقد أفدت من كتاب المقدسي فيما يتعلق بجغرافية الدولة الأيوبية ، وفي ترجمة بعض المناطق التابعة للدولة الأيوبية، من أمثلة ذلك: ذكر المقدسي بانياس، حيث كانت بيد الإفرنج واسترجعها نور الدين رحمه الله([2]).

وتحدث المقدسي عن المظاهر الاقتصادية، وخاصة الزراعة، والمحاصيل الزراعية في الدولة الأيوبية، وأشار إلى أن الحمضيات كانت تزرع في قيسارية الليمون والأترج ، فقد وصفت قيسارية بأنها "حسنة الفواكه ". وأشار إلى أن الأترج كان يزرع في بيت المقدس، والناصرة([3]).

ه- كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي (ت:٥٦٠هـ/١١٢٤م):

يعد الإدريسي أحد كبار الجغرافيين في التاريخ ومؤسس علم الجغرافيا، كما أنه كتب في التاريخ ، والأدب ، والشعر، والنبات ودرس الفلسفة، والطب، والنجوم، في قرطبة.

ولد في مدينة سبتة جنوب الأندلس عام (٤٩٣هـ/١١٠٠م)، تعلم و طاف البلاد فزار الحجاز و مصر. وصل سواحل فرنسا و إنكلترا . سافر إلى القسطنطينية وسواحل آسيا الصغرى، وعاش فترة في صقلية، ونزل فيها ضيفاً على ملكها روجر الثاني، وتركها في أواخر أيامه، ليعود إلى بلدته سبتة حيث توفي.

وقد ألف الإدريسي كتابه المشهور (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، والمسمى أيضاً (كتاب رجار)، أو (الكتاب الرجاري)، وذلك لأن الملك رجار ملك صقلية هو الذي طلب منه تأليفه، ويعد من

([1]) ياقوت ، معجم، انظر ما يلي: ج١، ص٥٦، ٨١، ١٥٠، ٣٢١، ٣٥٢،٣٨٣، ٤٥٣-٤٥٥، ٤٧٩؛ ج٢، ص٤٧، ١٠٩، ١٤٢، ٢٣٥، ٣٠٠،٣٠٢، ٤٢٤، ٤٩٤، ٥٠٠؛ ج٣، ص٥٩ ، ١٠٦، ٢٤٠، ٢٥٨،٣٧٠، ٤١٣،٤٠١ ، ٤٣٣ ؛ ج٤، ص٦٧، ٤١٩، ٤٥٣؛ ج٥ ، ص٣٩، ١٥٦،٢٠٢، ٢٠٥، ٤٢٠.

([2]) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص١٤٢.

(3) المصدر نفسه، أحسن التقاسيم، ص١٥٦، ١٦٤، ١٦٦،

أشهر الآثار الجغرافية العربية، التي أفاد منه الأوروبيون معلومات جمة عن بلاد المشرق، كما أفاد منه الشرقيون، فأخذ عنه الفريقان ونقلوا خرائطه، وترجموا بعض أقسامه إلى مختلف لغاتهم([1]).

والكتاب بحق من المصادر المهمة في مرحلة الدراسة، وعليه فقد أفدنا من هذا المصدر في فصول الدراسة ، من ذلك: التعرف على المناطق التابعة للدولة الأيوبية، ميَّافارقين، مدينة أرجيش ، وهي من أعمال خلاط من بلاد أرمينية، وأشار الإدريسي إلى مدينة صور، ومدينة حمص، وهي بين دمشق وحلب، وبين منطقة معرة النعمان، وهي من أعمال حمص بين حماة وحلب، ومنطقة منبج، وأشار أيضًا إلى البلاد الشرقية ، والتي تضم: حران، والرها، وسميساط، والرقة، وقلعة جبر، وديار بكر، وذكر الإدريسي بعض القلاع الموجودة في الدولة الأيوبية، مثل: ماردين، قلعة المعرة([2]).

٤- كتب اللغة والأدب :

كانت للمصادر اللغوية فائدة عظيمة في شرح وتفسير بعض المصطلحات العربية ، ونخص بالذكر هنا المصدرين اللغويين الأساسيين اللذين لا غنى للباحثين والدارسين عنهما ألا وهما: كتاب "لسان العرب" لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، و"مختار الصحاح" للرازي (ت ٧٢١هـ) ، أيضاً كان للمصادر الأدبية دور هام في التعريف بالشعراء والأدباء الذين نبغوا في العصر الأيوبي.

أ- كتاب "لسان العرب" لابن منظور (ت: ٧١١هـ/ ١٢١١م):

ابن منظور محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حبقة الأنصاري الإفريقي كان ينسب إلى رويفع بن ثابت الأنصاري، من صحابة رسول الله وهو صاحب «لسان العرب» في اللغة. ولد ابن منظور في القاهرة، وقيل في طرابلس، في شهر المحرم سنة ٦٣٠ هـ/ سنة ١٢٣٢ م. كانت حياته حياة جد وعمل موصول، كان عالما في الفقه مما أهله لتولي منصب القضاء في طرابلس، كما عمل فترة طويلة في ديوان الإنشاء، وكان عالما في اللغة، ويشهد له بذلك هذا الكتاب الفرد «لسان العرب» . وقد جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة والنهاية وحاشية الصحاح جوده ما شاء ورتبه ترتيب الصحاح وهو كبير، له العديد من المؤلفات، على رأسها : معجم «لسان العرب» في اللغة. وتوفي في مصر سنة ٧١١ هـ/ ١٢١١م([3]).

وقد استفاد الباحث من هذا المصدر، في تفسير كثير من المفردات التي كانت سائدة في الدولة الأيوبية، حيث كانت حياتهم تحوي أجناس مختلفة: العرب، والكرد ، والعجم، من أمثلة ذلك:

المخامرة وهو أن يبيع الرجل غلاما حرا على أنه عبده ، وتفسير كلمة النَّهب، وهي بمعنى: أخذ الشيء قهراً، وتفسير كلمة الرَّبَضُ، وهي بمعنى الفضاء حول المدينة، والمغلطة والأغلوطة: الكلام

---

(1) عوض، الجغرافيون، ص١٧-٢٣.

([2]) الإدريسي، نزهة المشتاق، انظر ما يلي: ج١، ص٣٥٨،٣٦٥، ٣٧٤؛ ج٢، ص٦٤٩،٦٥١، ٦٥٢، ٦٦٢، ٦٦٣، ٨١٤،٨٢٦.

([3]) ابن منظور، لسان، ج١، ص٤.

الذي يغلط فيه ويغالط به، ويقال : سيف لهذم أي : حاد ، جاء في لسان العرب: " وشحن البلد بالخيل: ملأه، وقال ابن منظور عن المحفة: مركب كالهودج إلا أن الهودج يقبب والمحفة لا تقبب، وجاء في اللسان النَّخَّاس هو بائع الدواب، سمي بذلك لنخسه إياها حتى تنشط، وحرفته النخاسة والنخاسة، وقد يسمى بائع الرقيق نخاسا، والأول هو الأصل، وجاء في اللسان الحَشَمُ بالتحريك: جماعة الإنسان اللائذون به لخدمته، وفي معنى الكتاتيب: موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ والجمع الكَتَاتِيبُ، وفي معنى البروج، الحصون، وجاء في اللسان معنى التلاميذ، فهم الأتباع والخدمن واحدهم تلميذ([1]).

ب- **كتاب "مختار الصحاح" للرازي (ت: ٧٢١هـ/ ١٣٢١م):**

قال المؤلف عن هذا الكتاب: هذا مختصر في علم اللغة جمعته من كتاب الصحاح للإمام العالم العلامة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري رحمه الله تعالى، لما رأيته أحسن أصول اللغة ترتيبا وأوفرها تهذيبا وأسهلها تناولا وأكثرها تداولا، وسميته (مختار الصحاح) واقتصرت فيه على ما لا بد لكل عالم فقيه، أو حافظ، أو محدث، أو أديب من معرفته وحفظه: لكثرة استعماله وجريانه على الألسن مما هو الأهم فالأهم خصوصا ألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبوية ؛ واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلبا للاختصار وتسهيلا للحفظ. وقد استفاد الباحث من هذا المصدر اللغوي الهام في عدة مواضع من الدراسة لتفسير بعض المفردات المنتشرة في زمن الدولة الأيوبية ([2]). ومن أمثلة ذلك:

جاء في معنى الرستاق: لفظ فارسي معرب، يجمع على رساتيق وهي السواد من القرى، وهو يقابل الريف في المفهوم المعاصر. وجاء في معنى الفقاع ، هو شراب من الشعير يخمر حتى يعلو الزبد، وفي معنى البعير النجيب الإبل الكريمة واحدتها نجيبة ، والذي يركبه سراه الناس في أسفارهم([3]).

ج- **كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م):**

يقع هذا الكتاب في ثلاثة وثلاثين جزءًا ، وهو مصنف أدبي، ترجم فيه للأدباء والشعراء في عصور مختلفة، وقد استفاد الباحث من هذا المصدر ؛ لأن الدراسة تحدثت في ثناياها عن فنون الأدب، ، وأن مؤلف مفرج الكروب ابن واصل كتب الشعر، وألف كتباً فيه، ومن أمثلة ذلك:

أشار النويري في معرض حديثه عن الملك المُعَظِّم عيسى، أنه كان يحب الأدب، وقال الشعر. وبين النويري أن ابن واصل كان من مؤلفاته " شرح قصيدة ابن الحاجب في العروض والقافية" ، وكان عنوان القصيدة (المقصد الجليل في علم الخليل)(٤).

([1]) ابن منظور، لسان ، انظر ما يلي: ج١، ص٦٩٨، ٧٧٣؛ج٢، ص٢١٢؛ج٣، ص٤٧٨؛ ج٤، ص٢٥٩؛ ج٦، ص٢٢٨؛ ج٧، ص١٥٢، ٣٦٣؛ ج٩، ص٤٩؛ ج١٠، ص٣١؛ ج١٢، ص١٣٦،٥٥٦؛ ج١٣، ص٢٣٤.

([2]) الرازي، مختار، ص٧، ٧٥، ٩٧.

([3]) المصدر نفسه، مختار، ص١٢٢،٧٥ ، ٢٤١، ٣٠٤.

([4]) النويري، نهاية، انظر ما يلي: ج٢٧، ص ٣٧ ؛ ج ٢٨، ص ٢٩٥؛ ج ٢٩، ص٣١، ٤٨، ٩٣، ١٩٦، ٢١٤-٢١٥، ٢٣٢، ٢٧٣، ٣٠٢، ٤٤٥.

الفصل الأول

ابن واصل ومنهجه في كتابة التاريخ

ابن واصل ومنهجه في الكتابة

نسبه :

هو جمال الدين، محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل أبو عبد الله المازني التميمي الحموي الشافعي(١).

مولده ونشأته: ولد ابن واصل في الثاني من شهر (شوال ٦٠٤هـ/٢٠ أبريل ١٢٠٨م) في مدينة حماة(٢). " فإن مولدي ثاني شوال سنة أربع وستمائة"(٣)، وتلقى فيها تعليمه، برع في علوم كثيرة مثل: المنطق، والهندسة، وأصول الدين، والفقه الإسلاميين، والتاريخ، كما أن رحلاته المتواصلة في بلاد الشرق الأدنى الكبرى، وعواصمه، وخاصة: دمشق، وبيت المقدس، وحلب، والكرك، وبغداد، ومكة المكرمة، والمدينة، والقاهرة ساهمت في إثراء كتاباته. وقد كان لوالده سالم بن نصر الله بن سالم الذي تقلد القضاء بحماة دورٌ في بلورة شخصية ابن واصل، إذ كان يصطحبه معه في سفره وترحاله، إذ سافر في (شعبان سنة ٦٢١هـ/ أغسطس ١٢٢٤م) معه من حماة إلى دمشق بناءً على استدعاء صاحبها الملك المُعَظِّمْ عيسى(٤)، الذي أحسن استقبالهما. " فسافرنا من حماة في أواخر شعبان"(٥).

وقد طلب والده من الملك المُعَظِّمْ الإقامة بالقدس الشريف لينقطع للعبادة، فلم يوافق له الملك، وعرض عليه ولاية أحد المنصبين : القضاء، أو الخطابة بالجامع الأموي في دمشق، فرفض أيضاً، وأصر على التوجه للقدس. " فطلب والدي منه المقام بالقدس الشريف لينقطع للعبادة، وتوقف الملك المُعَظِّمْ في إجابته"(٦) ، ففوضه الملك بتدريس المدرسة

---

(1) الصفدي، الوافي، ج٣، ص٧١. الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٦. السبكي، طبقات، ج٢، ص١٩٤. ابن العماد، شذرات، ج٥، ص٤٣٨. خليفة، كشف، ج١، ص٦١. السيوطي، بغية، ج ١، ص ١٠٨. إسماعيل، إيضاح ،ج ٤، ص ٧١٨. البغدادي، هدية العارفين، ج ٦، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) مدينة كبيرة -في سورية-يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضر كبير جدا فيه أسواق كثيرة، وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير تستقي الماء من العاصي، وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وإتقان عمارتها وحفر خندقها. ياقوت، معجم، ج٢، ص٣٠٠.

(3) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤، ٢٢٨. الصفدي، الوافي، ج٣، ص٧١. السيوطي، بغية، ج١، ص١٠٨. البغدادي، هدية العارفين، ج٦، ص١٣٨-١٣٩. يسري، معجم، ص١٨٥.

(4) هو شرف الدين عيسى، ابن العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي بن مروان، ابن والد الملوك نجم الدين أبي الشكر، الأيوبي، الكردي، الفقيه، الحنفي، صاحب دمشق؛ كانت ولادته في سنة(٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، على الأرجح. كان حنفي المذهب، متعصباً لمذهبه، كان شديد الثقافة، وبرع في العديد من العلوم ، وكان المُعَظِّمْ يحب الأدب كثيراً ، قال الشعر. وكان حافظاً للقرآن الكريم، وروى الحديث الشريف. توفى في ذي القعدة من سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م)-بالدوسنطاريا- ودفن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى جبل الصالحية، ودفن في مدرسة تعرف بالمُعَظِّمْيَة، وكانت مدة ملكه لدمشق استقلالاً بعد أبيه، تسع سنين وشهوراً. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١٦، ص١١٨-١١٩، ص١٢٣، ١٢٦ . ج٤، ص٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٨،٢١١- ٢١٩، ٢٢٤. الدواداري، الدر المطلوب، ج٧، ص١٤٨ . ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٨، ص٥٥٠ ، ص٦٤٨،٦٤٥. ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٦٩، ص٤٢٥. المنذري، التكملة، ج٣، ص٢١٢. ابن العديم، زبدة، ج١، ص٦٧ ، ص٤٦٧، ج٣، ص٢٠١. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٧٣. ابن العميد، أخبار، ج٧، ص١٣٧. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٤٩٤-٤٩٥. ابن العبري، مختصر، ص٤٢٥. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٩٩ . النويري، نهاية، ج٢٧، ص ٣٧ . الصفدي، أمراء، ص٦٢. المقريزي، المقفى، ج٨، ص٧٢٩-٧٣٠.

(5) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٤١.

(6) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤١.

الناصرية الصلاحية(١)، وتوجها إليها في أوائل (٦٢٢هـ/١٢٢٥م). "فمضينا إلى القدس في أوائل سنة ٦٢٢هـ وأقمنا بها"(٢). ولم يطل المقام به هناك حتى قدم الملك المُعَظِّمْ إلى القدس الشريف سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، وجلس خارج الصخرة الشريفة، واستدعى عدد من الفقهاء منهم: والد ابن واصل، وباحثهم في مسائل لغوية وفقهية(٣). وفي عام (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) أمر الملك المُعَظِّمْ ببناء قبة(٤) بالحرم القدسي، وولي تدريسها للشيخ شمس الدين بن رزين البعلبكي(٥)، فقرأ عليه ابن واصل كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي(٦).

وأشار ابن واصل لذلك بالقول: " وقرأت في تلك القبة الإيضاح لأبي علي الفارسي"(٧).

وفي نفس السنة استأذن والد ابن واصل من الملك المُعَظِّمْ أن يحج، فأذن له فحج، وأقام مكانه ابن واصل بالمدرسة الناصرية(٨). ثم انتقل في سنة(٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م) إلى دمشق بعد وفاة الملك المُعَظِّمْ عيسى، وحضر استقبال الملك الناصر داوود(٩) للملك الأشرف(١٠). "وخرج الملك الناصر لاستقباله وكنت

---

(1) أنشأها السلطان صلاح الدين بالقرب من البيمارستان النوري، وسماها ابن قاضي شهبة بالنورية ، ويقال، أن الذي بناها هو نور الدين محمود بن زنكي؛ لكنها نسبت إلى صلاح الدين، كانت كنيسة من زمن الروم تعرف بقبر حنة، ويقال، أن حنة هي أم مريم عليها السلام. انظر: العليمي(مجير الدين)، الأنس الجليل، ج٢، ص٤١. بدران، منادمة، ج١، ص٢٢٦و١١٢. النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٥٠.

(2) ابن واصل، ج٤، ص١٤٢.

(3) المصدر نفسه، ج٤، ص٢١٣.

(4) أمر ببنائها سنة ٦٢٤ه بالحرم الشريف، ووقف عليها وقفاً جليلاً على أن يشتغل في تلك القبة بالقراءات السبع، وشرط أن لا يصرف من وقفها شئ إلا للحنفية فقط. انظر: ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١١.

(5) محمد بن عبد الكريم بن رزين البعلبكي توفي فجأة عام ٦٣٥هـ ، كان حسن القراءة جيد الأداء حافظاً للقراءات العشر وطرقها. انظر: ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٢؛ ج٦، ص٣٥.

(6) أبو علي الفارسي الحسن بن محمد بن عبد الغفار النحوي صاحب التصانيف توفي ببغداد في ربيع الأول سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م، وله ٨٩ سنة، وكان متهما بالاعتزال ، قال عنه ابن خلكان: كان إمام وقته في علم النحو، ودار البلاد ، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة، وكان قدومه في سنة (٣٤١هـ/٩٥٢م)، شرح كتاب الإيضاح في نحو أربعين مجلداً ، وكان أهل بغداد يقولون في زمانه لو عاش سيبويه لاحتاج إليه، توفي سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م. للمزيد انظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج ٥، ص٢٢٧٢. الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي، ج١٥، ص ١٩١. ابن العماد، شذرات، ج٣، ص٨٨.

(7) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٢.

(8) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٢.

(9) الملك الناصر، داود بن عيسى بن محمد بن أيوب أخو الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الصالحي، ولد سنة ٦٠٣ هـ ، كانت والدته خوارزمية، كان معتنياً بالكتب النفيسة ، وحصل منها جملة كثيرة ذهبت بعد وفاته، كان على الكرك، توفي سنة ٦٥٦ هـ بالطاعون بظاهر دمشق في قرية يقال لها، البويضا عن ثلاث وخمسين سنة، ودفن بالصالحية في تربة والده المُعَظِّمْ عيسى. ابن العديم، بغية الطلب، ج ٤، ص ١٦٠٨. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٨٩. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٦٨. العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ١٥٤. العليمي، الأنس، ج ٢، ص ١٠. البغدادي، هدية العارفين، ج ٥، ص ٣٦٠.

(10) كانت ولادته سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م). قال ابن واصل في صفاته ، وأخلاقه، " كان ملكاً جواد مفرط السخاء، يطلق الأموال الجليلة، حتى قيل أنه كان يصل إليه الحمل الذي فيه المال المستكثر فيطلقه لأحد الحاضرين عنده ولم نسمع أن أحداً من الملوك والعظماء بعد آل برمك فعل فعله في التوسع في العطاء والكرم ونقل عنه مع ذلك من حسن الخُلق وجميل العشرة لأصحابه مالم ينقل مثله عن أحد من الملوك المتقدمين، وكان له موقف من الصراع بين أبيه العادل وأبناء أخيه صلاح الدين . وتوفي بدمشق، بعد مرض شديد ألم به، وقد تاب إلى الله توبة حسنة (ت: ٦٣٥هـ/١٢٣٧٦م). ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٣٣، ص١٥٠، ص٢٧٥؛ ج٥، ص١٣٧-١٤٦ . وانظر: ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٣٠، ص٣٣٣. الذهبي، سير، ج١٦، ص١٢٤. ج٢٣، ص١٦٤. السبكي، طبقات،ج١، ص٨٤٤. المقريزي، السلوك،ج١، ص٨٤ . اليافعي، مرآة، ج٤، ص٦٩، ص٨٨.

يومئذ بدمشق وشاهدت دخوله للقلعة"(١). وفي نفس السنة استولى الملك الكامل(٢) على دمشق من الملك الناصر داوود بعد حصار طويل، ورأى ابن واصل دخول العسكر المصري قلعة دمشق وسط بكاء أهلها.

وبين ابن واصل ذلك: "وما رأيت يومئذ أحداً من الدمشقيين إلا ورأيته في صورة من فجع بموت ولد أو أب"(٣).

وفي أواخر سنة(٦٢٧هـ/١٢٣٠م) توجه ابن واصل إلى حلب لخدمة القاضي بهاء الدين بن شداد، ومكث بها حتى (شعبان ٦٢٨هـ/ يونيو ١٢٣١م). " وأقمنا بها إلى شعبان من سنة ثمان وعشرين وستمائة"(٤)، فحضر مجلسه، واستفاد منه، وأقام بمدرسته التي أنشأها إلى جانب داره أكثر من سنة. "وترددنا في هذه المدة إلى خدمة القاضي بهاء الدين بن شداد، وكان نزولنا بالمدرسة التي أنشأها بالقرب من داره"(٥). وظل ابن واصل في خدمة ابن شداد حتى عاد إلى دمشق في شهر(شعبان ٦٢٨هـ/ يونيو ١٢٣١م)(٦) . وبعد عدة شهور، استدعى الناصر داوود صاحب الكرك(٧) والد جمال الدين بن واصل، فسافرا معاً في أواخر العام ، ووصلا إليها مع بداية (٦٢٩هـ/١٢٣٢م)(٨).

وقد أقام ابن واصل في خدمة الملك الناصر داوود بالكرك. " وكنت مقيماً بالكرك في هذه السنة في خدمة الملك الناصر"(٩)، حتى سافر بصحبته متوجهين إلى الملك الكامل ، وفي الطريق وعندما وصلا إلى حماة أصيب والد ابن واصل بحمى شديدة أعقبها دوسنطاريا توفي على أثرها في (العشرين من ذي القعدة ٦٢٩هـ/ السابع من سبتمبر١٢٣٢م) عن عمر بلغ ٥٨ عاماً(١٠). وفي عام (٦٣٠هـ/

---

(1) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٢٨.

(2) هو السلطان الكبير الكامل ناصر الدنيا والدين، أبو المعالي، وأبو المظفر محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر، والشام، وميافارقين، وآمد، وخلاط، والحجاز، واليمن، وغير ذلك. ولد في سنة ست وسبعين وخمس مائة، وكان أجل الثلاثة(الملك المُعَظَّمْ عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م)، الملك الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م)، الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م).

، وأرفعهم رتبة.... كان يتولى الأمور بنفسه. وكان مهيبا، حازما، مدبراً، عمرت مصر في أيامه، مات بدمشق، في الحادي والعشرين من رجب، سنة خمس وثلاثين وست مائة، ودفن في تابوت. خلف ثلاثة أبناء، المسعود صلاح الدين يوسف صاحب اليمن ، توفي في حياة أبيه(٦٠٠هـ-٦٢٦هـ/١٢٠٣-١٢٢٨م)، العادل أبا بكر(٦١٥هـ-٦٤٥هـ/١١١٨م-١٢٤٧م)، والصالح نجم الدين(٦٠٣هـ-٦٤٧هـ/١٢٠٦-١٢٤٩م). فملكوا العادل بمصر، وتملك الجواد دمشق، فلم تطل مدتهما. ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص٩٥، ص١٠٢، ص١١٦؛ ج٥، ص١٥٣-١٧١. ابن خلكان، وفيات ، ج٥، ص٨١، ص١٩-٩١. الذهبي، سير ، ج١٦، ص١٢٧ . الكتبي، الوافي ، ج١، ص ١٥٨-١٥٩ . السبكي، طبقات، ج١، ص٨٣٨. ابن تغري بردي، مورد، ج٢، ص١٣ .

(3) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٥٦.

(4) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٣١٢.

(5) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٣١٢.

(6) المصدر نفسه، ج٤، ص٣١١.

(7) الكرك: اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وهي على سن جبل عال . ياقوت ، معجم، ج٤، ص٤٥٣. ابن جبير، رحلة، ج١، ص٢٠١. وانظر:

.Feddan, Crussader Castles. P.22

(8) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣١.

(9) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨.

(10) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨.

١٢٣٣م) عاد الملك الناصر داوود إلى الكرك، فالتقاه ابن واصل في مكان يقال له العلفدان بالقرب من زيزاء(١)، وتصدق عليه، وأحسن إليه، وقرر له ما كان لوالده.

وفي عام(٦٣١هـ/ ١٢٣٤م) وصل ابن واصل إلى حماة. " ووصلت أنا إلى حماة "(٢)، ثم عاد ابن واصل ولازم خدمته للملك الناصر داوود(٣) حتى(سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) التي عاد فيها إلى حماة . "وأقمت عنده بالكرك إلى أن دخلت سنة ٦٣٤ه، ثم سافرت من خدمته ورجعت إلى حماة "(٤).

وفي عام(٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) أقام بدمشق " وكنت يومئذ مقيما بدمشق للاشتغال بالعلم"(٥). ثم انتقل منها إلى جنين من الساحل بصحبة الأمير حسام الدين بن أبي علي" وسافرت معه، فنزل تحت عقبة الكرسي، وخيم على بحيرة طبريا إلى أواخر رمضان، وأنا معهم"(٦). ثم عادوا مسرعين إلى دمشق بعد أن سمعوا أن الصالح نجم الدين يريد أخذها. " فسار إليها حسام مسرعاً وكنت في صحبته "(٧)، لكنه سبقهم إليها، وعرفوا بالأمر، وهم في قرية الصنمين(٨)، فباتوا ليلتهم، ولما طلع النهار دخلها ابن واصل، مختبئاً، ولم تكن القلعة قد فتحت، إذ فتحت في آخر النهار. " وتواريت ولم أظهر خوفاً من صاحب حمص(٩)؛ فإنه كان يتبع أهل حماة لعداوته لصاحبها"(١٠). وفي بداية (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) سافر ابن واصل بصحبة الملك المظفر من حماة نحو بغداد " وسافرنا من حماة مستهل المحرم"(١١). وكانت أولى محطاتهما حلب، وأقاما فيها أياماً، ثم توجها إلى حران(١٢)، ثم دنيسر(١٣)، ثم إلى الموصل، حيث اجتمعا بصاحبها بدر الدين لؤلؤ(١٤).

---

(1) زيزاء، من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة، وأصله في اللغة المكان المرتفع. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٤، ص ٣٧٦. ياقوت، معجم، ج ٣، ص ١٦٣. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٣٣١.

(2) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٧٤.

(3) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥.

(4) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١١٢.

(5) المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٣.

(6) المصدر نفسه،ج٥، ص٢١٠.

(7) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٣١.

(8) الصنمان، قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران. ياقوت، معجم، ج٣، ص٤٣١.

(9) حمص: بلد مشهور قديم كبير مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق. ياقوت، معجم،ج٢، ص٣٠٢. وانظر: البكري، معجم، ج١، ص٤٦٨. الإدريسي، نزهة، ج١، ص٣٧٤. ابن جبير، الرحلة، ص١٨٢. ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص٨٥.

(10) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٣٢.

(11) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٢٣.

(12) حران، مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة آقور وهي قصبة ديار مضر، على طريق الموصل والشام، سميت باسم هران بن آزر اخ سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها. ياقوت، معجم، ج٢، ص٢٣٥. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٣٥.

(13) دُنيسر بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين، وقريبة من نصيبين، ومعناه رأس الدنيا، انظر، ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٤٧٨. البغدادي أبو بكر، تكملة الإكمال،ج ٢، ص ٦٠٥. ابن خلكان، وفيات،ج ٥، ص ١٤٧. ابن حجر العسقلاني، تبصير، ج ٢، ص ٥٧١. الطهطاوي ، التنبيه، ج١، ص ٣٤.

(14) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٢٤.

والذي أخبرهما بانتصار التتار على المسلمين ببلاد الروم بدر الدين لؤلؤ(١)، ثم توجها إلى نصيبين(٢)، واجتمعا بالأمير حسام الدين بركة خان، مقدم الخوارزمية، وتحدثا معه في أمر القيام بنصرة الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم توجها إلى حلب الموجودة في العراق ، ووجدا فيها القاضي أفضل الدين الخونجي(٣)، الذي كان قاضياً ببلاد الروم، ثم أكملا رحلتهما نحو بغداد. " ودخلنا بغداد"(٤)قبل نهاية سنة(٦٤١هـ/١٢٤٤م) سافر ابن واصل إلى الديار المصرية. "وسافرت في أواخر هذه السنة إلى الديار المصرية"، وفي الطريق إليها دخل بيت المقدس ليرى فيها القساوسة والرهبان عند الصخرة المشرفة يضعون عليها قناني الخمر(٥).

وقد أبطلوا الأذان، وإقامة الصلاة بالمسجد الأقصى(٦)، وواصل طريقه، فغادر القدس إلى غزة(٧)، ثم العباسة(٨)، ثم القاهرة التي اجتمع فيها مع الأمير حسام الدين محمد بن أبي علي

---

(1) أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكى صاحب الموصل، سمى نفسه الملك الرحيم، كان أرمنياً اشتراه رجل خياط، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر الأتابكى صاحب الموصل، وتقدَّم في دولته إلى أن صارت الوفود من سائر جهات ملكهم إليه، ثم أنه هجم على أولاد أستاذه، فقتلهم غيلةً، واحداً بعد واحد، إلى أن لم يبق معه أحد منهم، فاستقلَّ بالمملكة حينئذ، توفي بقلعة الموصل ، ودفن فيها يوم الجمعة (الثالث من شعبان سنة ٦٥٧هـ/ 25 يوليو 1259م) عن ثمانين سنة وملك نحو خمسين منها، كان الناظر إليه وهو ابن ثمانين سنة يحسبه شابا من نضارة وجهه، وحسن شكله، كان ذا عقل ودهاءٍ ومكرٍ، حازماً شجاعاً مدبراً خبيراً. ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ١٨٤. ابن شداد، الأعلاق، ج ١، ص ١٣٩. أبو الفداء، المختصر،ج ١، ص ٢٤١. الذهبي، سير، ج ٢٢، ص ٢٤١؛ العبر، ج ٥، ص٢٤٠. ابن كثير، البداية، ج ١٣. ص ٢١٤. العيني، عقد، ج ١، ٤ ص ٧٠. ابن تغري بردي، النجوم، ج ٧، ص ٧٠.

(2) نصيبين، مدينة على شاطئ الفرات، كبيرة، تعرف بنصيبين الروم، بينها وبين آمد أربعة أيام أو ثلاثة، ومن قصد بلاد الروم من حران مر بها . الكرخي، المسالك والممالك، ج١، ص٣٠. القرشي البغدادي، ذم المسكر، ج ١، ص١٥٣. الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٥٣. ياقوت، معجم، ج٥، ص٢٨٨-٢٨٩. الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٢، ص٤٥٠. البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٣١٠.

(3) الخونجي، هو الإمام العالم أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماوار بن عبد الملك ، بن زنجلين الخونجي الشافعي، ولد في جمادى الأولى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، درس بالصالحية ، وتميز في العلوم الحكمية، وأتقن الأمور الشرعية ، وتفرد بعلم المنطق في زمانه، له كتاب الجمل في المنطق، والموجز في المنطق، وكتاب كشف الأسرار في المنطق ، وكتاب أدوار الحميات، وفي آخر أمره تولى القضاء بمصر، وصار قاضي القضاة بها وبأعمالها، توفي بالقاهرة في الخامس من رمضان سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٩٠. الخزرجي، عيون، ج١، ص٥٨٦. النويري، نهاية، ج ٢٩، ص١٩٦، ٢١٤. الذهبي، سير،ج٢٣، ص٢٢٨. الصفدي،الوافي،ج٥، ص١٩١. السبكي،طبقات،ج٨، ص ١٠٥.

(4) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٢٤.

(5) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٣٣.

(6) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٣٣.

(٧) مدينة طيبة بين الشام ومصر ، قال، صلى الله عليه وسلم، أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان. موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف. القزويني، آثار، ج١، ص٢٢٧ . الحميرى، الروض، ج١، ص٤٢٨ .

(8) العباسة ، بليدة بالشرقية، أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية ذات نخل. سميت باسم عباسة بنت أحمد ابن طولون، التي خرجت في أواخر سنة (٢٨١هـ/ ٨٩٥م)، لتشييع ابنة أخيها قطر الندى بنت خمارويه إلى زوجها المعتضد إلى آخر أعمال مصر من جهة الشام، وبنت هناك قرية ، فسميت باسمها، ثم عملت عباسة في هذا الموضع قصراً، وأحكمت بناءه. ياقوت، معجم، ج٤، ص٧٥. ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢٥٠. الصفدي، الوافي، ج٢٤، ص١٨٨. العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٢٥. الزبيدي، تاج، ج١٦، ص ٢٢٢.

الهذباني(١) نائب السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، الذي أنزله في داره على شـــاطئ النيـــل(٢). وفي شهر (رجب ٦٤٤هـــ/ نوفمبر ١٢٤٦م) وقع الملك الصالح أيوب لابن واصل بوظيفة التدريس في الجامع الأقمر(٣) بالقاهرة، الذي بناه الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله(٤).

وقد أقام خلال إقامته بمصر علاقات واسعة مع أعيانها من العلماء والأمراء، فكان يجتمع كثيراً بالصاحب الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح الذي كان يأخذ العلم عنه، ويتذاكران فـــي أشـــياء مـــن الأدب، وكان ابن مطروح ينشده كثيراً من أشعاره . وفي أوائل (٦٤٦هـــ/ ١٢٤٨م) خرج ابن واصل مع الأمير حسام الدين الهذباني نائب السلطان بالقاهرة إلى دمشق، وأقام معه نحو أربعة أشهر، ثم رجع معه للقاهرة، ووصلت العلاقة بينهما من القوة لدرجة أن حسام الدين كان يطلعه على كل بطاقـــة، أو مكاتبـــة تأتيه من السلطان(٥). بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين في يوم الإثنين (١٥ من شعبان ٦٤٧هـــــ/ ٢٢ نوفمبر ١٢٤٩م) (٦). قدم ابنه الملك المُعَظِّمْ تورانشاه(٧) إلى مصر، فخرج ابن واصل لمقابلته بصحبة الأمير حسام الدين ، فالتقيا به عند الصالحية ، وفي مجلس الملك المُعَظِّمْ، أراد المُعَظِّمْ اختبار الخطيبين: ابن عماد الدين، وأصيل الدين في مسألة ، فلم ينطقا لعدم معرفتهما بعلم المنطق، فتصدى ابـــن واصـــل

---

(1) الأمير الكبير حسام الدين أبو علي بن محمد باساك بن أبي علي الهذباني ، الكردي، ولد بحلب سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م) ، كـــان مـــن أكـــابر الأمراء، ولي مرتين نيابة السلطنة بدمشق زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب. أصابه في آخر عمره صرع، وتزايد به حتى مات ، وكانت وفاتـــه في شهر رمضان بمصر، ودفن بتربة والده بالرصد بمصر. اليونيني، ذيل، ج ١، ص ١٤٦، ١٨٦. الذهبي، تـــاريخ الإســـلام، ج ٤٨، ص ٣٧٨؛ العبر، ج ٥، ص ٢٥١. الصفدي، الوافي، ج ٢٢، ص ٦٦. المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٦٦.

(2) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٣٣.

(3) بناه الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله في القاهرة بوساطة وزيره أبو عبد الله محمد بن مختار بن بابك بن البطائحي، الملقب بالمأمون، وكـــان مكانه دكاكين علافين، بدأ البناء فيه (٥١٥هـــ/١١٢١م)، وكمل بناؤه في (٥١٩هـــ/١١٢٥م)، وكتب عليه اسم الآمر والمأمون، جدد بنـــاءه الأميـــر يلبغا السالمي أحد أمراء الظاهر برقوق (٨٠١هـــ/١٣٩٨م)، ورتب فيه الخطب. الـــذهبي، تـــاريخ، ج ٣٦، ص١٢٤. القلقـــشندي، صـــبح، ج٣، ص٤١٠. المقريزي، اتعاظ، ج٣، ص٧٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٧٣. السيوطي، حسن، ج١، ص٢٨٢.

(4) أبو علي المنصور ابن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر العبيدي صاحب مصر، وهو الابن العاشر من ولد المهدي عبيد الله، ولـــد فـــي(١٣ محرم سنة ٤٩٠هـــ/ ٣١ ديسمبر ١٠٩٦م)، بويع له بالخلافة سنة (٤٩٥هـــ/١١٠١م) في اليوم الذي توفي فيه والده، قام بتدبير، قتل في الثاني من ذي القعدة سنة ٥٢٤ه، بعد أن ولي الخلافة نحو ٢٩ سنة، بعد أن وثب عليه الباطنية ، وقتلوه بالقرب من المقياس. ابن الأثير، الكامـــل، ج ٩، ص ٤٦، ٢٥٥. الخزرجي، عيون، ج ١، ص ٢١. ابن العبري، مختصر، ص ١٢١. أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٩٥.

(5) ابن واصل، مفرج، ج٦، ص٢٥.

(6) الملك الصالح نجم الدين أيوب، ابن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب ولد سنة (٦٠٣هـــ/١٢٠٦م) بالقاهرة ، تولى الملك سنة(٦٣٨هـــ/١٢٤٠)، وبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر، مهيبا عالي الهمة عفيفاً طاهر اللسان شديد الوقـــار، بنـــى خـــلال حكمه مدارس للمذاهب الأربعة، وتوفي في مصر ليلة النصف من شعبان سنة (٦٤٧هـــ/١٢٤٩م)، وكانت مدة ملكه تسع ســـنين وثمانيـــة أشـــهر وعشرين يوماً. ابن واصل، مفرج، ج٥، ٢٩٥-٢٩٦. وانظر: ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٧٤. الخزرجي، عيون الأنباء، ج١، ص٧٢٤ . ابـــن العميد، أخبار، ص٣٧، ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٨٦. أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٤٣٣. ابن كثيـــر، البدايـــة، ج١٣، ص١٦٠، ص٢٩٥، ص. الذهبي، العبر، ج ٥، ص ١٩٣. ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٦. الصفدي، الوافي، ج١٠، ص٣٥. القلقـــشندى، مـــآثر الإنافـــة، ج٢، ص٨١.المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٠٢ ، ص٤٤١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٩٥ ، ص٣١٩. الـــسيوطي، حـــسن، ج١، ص٣٠٢. العليمي، الأنس،ج٢، ص٨. ابن العماد، شذرات، ج٥، ص ٢٣٧ .

(7) المُعَظِّمْ توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ولاه أبوه على حصن كيفا في الشرق، وكان يستدعيه فلا يجيبه، لذلك كان يكرهه، قتـــل في محرم ٦٤٨ه. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٨٩.

للمسألة وشرحها، فأعجب به السلطان، وأقبل عليه ، وأصبح بعدها من رواد مجلس السلطان(١). وبعد انتصار المظفر قطز(٢)على التتار في موقعة عين جالوت(٣)، جهز ابن واصل هدية ليمضي بها للمعسكر، ويهديها للسلطان؛ لكنه في طريقه إلى هناك تلقى نبأ مقتله فعاد، ولما تولى الظاهر بيبرس (٤) السلطنة بمصر، ولي ابن واصل تدريس الزاوية التي كان يقرئ فيها الإمام الشافعي إضافة للتدريس بالجامع الأقمر، وقضاء الجيزة والإطفيحية. وفي (رمضان ٦٥٩هـ/ أغسطس ١٢٦١م) أرسل الملك الظاهر بيبرس ابن واصل رسولاً إلى الإمبراطور(٥) الألماني منفريد ابن الإمبراطور فريدريك(٦)، وأقام عنده مكرماً "وتوجهت رسولاً إلى منفريد من جهة الملك الظاهر بيبرس في رمضان سنة (٦٥٩هـ/ أغسطس١٢٦١م)، فأقمت عنده مكرماً"، فصنف له كتاباً في المنطق سماه الإنبروزية (الإمبراطورية) (٧). وفي (شوال٦٦١هـ/أغسطس١٢٦٣م) ، عاد للإسكندرية في الفترة التي كان يزورها فيها الملك الظاهر بيبرس؛ لكنه عاد بعدها إلى بلده حماة، فكان يتردد عليه المؤرخ أبو الفداء، ويعرض عليه ما يحله من أشكال كتاب إقليدس ويستفيد منه.

شيوخه: تلقى ابن واصل علوماً كثيرة في المذهب، والأصول، والقراءات، والأدب، والشعر، والنحو، والطب، والتاريخ، والرياضيات، والفلك، على أيدي علماءٍ التقاهم خلال عمره المديد، ورحلاته الكثيرة إلى بلدان كثيرة، ومن أبرز العلماء الذين أخذ عنهم والذين وثقتهم المصادر:

ابن رزين (ت: ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م):

هو محمد بن عبد الكريم بن رزين البَعْلَبكيّ، شمس الدين النحوي. ولاّه الملك المُعَظِّمْ عيسى بعد أن بنى بالحرم القُدسيّ الشريف قبّة، ووقف عليها وقفاً جليلاً على أن يُشتغل فيها بالقراءات السبع، وشرط

---

(1) ابن واصل، مفرج، ج٦، ص١٥ .

(2) قطز بن عبد الله الشهيد الملك المظفر سيف الدين المعزي، كان من أكبر مماليك المعز أيبك التركماني، وكان بطلا شجاعا مقداما، قتله الظاهر بيبرس ومجموعة من الأمراء سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، ودفن بالقصير، وصار قبره مزاراً، فبعث بيبرس من نبش القبر، ونقله الى جهة مجهولة. للمزيد انظر: الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص ٢٢٤ .

(3) موقعة حدثت بين التتار بقيادة كتبغانوين والمسلمين بقيادة الملك المظفر قطز في منطقة عين جالوت قرب بيسان في (٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ/٣ سبتمبر ١٢٦٠م)، وانتصر فيها المسلمون، وقتلوا قائد التتار. للمزيد انظر: النويري، نهاية، ج٢٩، ص٣٠٢. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٥٢. ابن شداد، الأعلاق، ج١، ص١٣٣.

(4) الملك الظاهر بيبرس بن عبد الله السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي، مملوك من قواد السلطان قطز، ولد بأرض القبجاق (٦٢٥هـ/١٢٢٨م) تقريبا. وتوفي (٦٧٦ هـ/١٢٧٧م) ، بعد أن حول دولة المماليك من دولة ناشئة إلى دولة قوية. الكتبي، فوات، ج١، ص٢٥١. الطرسوسي، تحفة، ج ١، ص ٧٥.

(5) الإمبراطور بالإفرنجية، ملك الأمراء. انظر: أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٨٧.

(6) منفريد بن فردريك، كان والده فريدريك ملك صقلية، وأنبولية، والإنبردية مصافياً للسلطان الملك الكامل، ولما مات والده ٦٤٨ه، تربع على الملك بعده ولده كرا بن فردريك، ثم مات كرا، وملك بعده أخوه منفريد بن فردريك، وكانوا محرومين من جهة البابا في روما لميلهم إلى الإسلام، قتل على يد البابا ذبحاً سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٧م) تقريباً، كما قال ابن واصل. أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٤٨٧.

(7) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٤٨. أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٤٨٧.

أن لا يُصرف من وقْفها إلاّ للحنفية فقط، وكان ابن رزين تلميذاً للشيخ تاج الدين الكِنْدي، وتوفي فجأة في سنة ٦٣٥ هـ(١).

قال ابن واصل: «قرأت عليه في قبة الحرم القدسيّ كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسيّ(٢)، عام (٦٢٤ هـ/١٢٢٧م) وجوّدت عليه القرآن العظيم، وكان حَسَن القراءة، جيد الأداء، حافظاً للقراءات العَشر وطُرقها"(٣).

ابن الخباز: (٥٥٧ -٦٣١هـ/ ١١٦٢- ١٢٣٤م):

هو العلامة محمد بن أبي بكر بن علي، نجم الدين ابن الخبّاز، الموصلي، الشافعيّ، الفقيه(٤). كان من كبار العلماء، ولد بالموصل في (التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٥٧هـ/ السابع عشر من مارس ١١٦٢م)(٥)، رحل إلى مصر وأقام بها مدة، وتفقّه عليه جماعة، وكان كيّساً، لطيفاً، متواضعاً، بصيراً بالمذاهب(٦)، من تصانيفه: شرح ألفية ابن معطي في النحو، وشرح الجزولية(٧)، توفي بحلب في (السابع من ذي الحجة سنة ٦٣١ هـ/ الثاني من سبتمبر ١٢٣٤م) ، ودفن ظاهرها خارج باب أربعين(٨)، اشتغل عليه ابن واصل أثناء إقامته بحلب سنتي(٦٢٧ و٦٢٨ هـ/١٢٣٠ و١٢٣١م) (٩)، "وكنت بحلب ، توجهت إليها للاشتغال فيها بالعلم على الشيخ نجم الدين ابن الخباز" (١٠).

ابن شدّاد (٥٣٩-٦٣٢هـ/ ١١٤٥- ١٢٣٥م): هو القاضي، بهاء الدين أبو المحاسن، وأبو العز، يوسف بن رافع بن تميم بن عُتْبة بن محمد بن عتّاب الأسدي، الحلبيّ الأصل، الموصليّ المولد والمنشأ، الشافعيّ، الفقيه، المعروف بابن شدّاد، وشداد هو جده لأمه(١١).

---

(1) العلامة تاج الدين الكندي أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن البغدادي المقرئ النحوي اللغوي شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام ومسند العصر؛ ولد سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م)، حفظ القرءان وهو ابن سبع سنين، وأكمل القراءات العشرة وهو ابن عشر سنوات، وكان أعلى أهل الأرض إسنادا في القراءات، توفي سنة (٦١٣هـ/١٢١٧م)، ودفن بقاسيون. ابن واصل، مفرج، ج٦، ص٣٥ . الذهبي، معرفة، ج ٢، ص ٥٨٨. الذهبي، العبر، ج ٥، ص ٤٤. الصفدي، الوافي، ج ١٥، ص ٣٢. النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٧٠. ابن العماد، شذرات،ج ٥، ص ٥٤.

(٢) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ = ٩٠٠ - ٩٨٧ م)؛ ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد، وكان إمام وقته في علم النحو، ودار البلاد، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة، ثم انتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي علي الفسوي في النحو، وصنف له كتاب الإيضاح، والتكملة في النحو، توفي سنة سبع وسبعين وثلثمائة . ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٨٠. الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٧٩.

(3) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٢.

(4) الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، ج١، ص٢٢٦. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٦، ص٨٤. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٨٣.

(5) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٨٣. ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص١٠٠.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٦، ص٨٥.

(7) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٨٣. البغدادي، هدية، ج٦، ص١١٣.

(8) المصدر نفسه، طبقات الشافعية، ج٢، ص٨٣. ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص١٠٠.

(9) المصدر نفسه، طبقات، ج٢، ص١٩٤.

(10) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٣١١.

(11) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٨٩. الأصبهاني، المسند المستخرج على صحيح مسلم، ج ٣، ص ٣٣٥. ابن العديم، بغية، ج١، ص٣٢٧.أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٢٩. الذهبي، تاريخ، ج ٤٦، ص ١٣٤.

ولد بالموصل " وأصله من الموصل"(١)، ليلة الأربعاء (العاشر من رمضان سنة ٥٣٩ هـ/١١٤٥م)(٢)، وتفقّه، وتفنّن، وبرع في العلم، وحدّث بمصر، ودمشق، وحلب، وكان ثقةً، حجةً، عارفاً بأمور الدين، اشتهر اسمه، وسار ذِكره، وكان ذا صلاح وعبادة. وكان في زمانه كالقاضي أبي يوسف في زمانه(٣)، قربه إليه الملك الظاهر، وأعظمه، وفوض إليه قضاء بلاده، وظل على القضاء حتى وفاة الملك الظاهر، وتولي ولده الملك العزيز(٤)، اجتمعت الألسُن على مدحه، أنشأ المدرسة الصباحية(٥) سنة (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)، ودرس بها(٦)، وأنشأ دار حديث بحلب، وصنّف كتاب "دلائل الأحكام" في أربع مجلدات، و"الموجز الباهر" في الفقه، و"ملجأ الحكام" في الأقضية، في مجلدين، و"النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية" ، وهو سيرة الناصر صلاح الدين الأيوبيّ. توفي بحلب في الرابع عشر من صفر سنة ٦٣٢ هـ/ السابع من نوفمبر ١٢٣٤م (٧). قصد ابن واصل حلب لخدمته في سنة (٦٢٧ هـ/١٢٣٠م) ، " وقصدت خدمته بحلب ، وحضرت مجلسه، واستفدت منه، وأقمت بمدرسته التي أنشأها إلى جانب داره نحو سنة وكسر"(٨).

وقد قال عنه ابن واصل: إنه " نال من المنزلة والمكانة ونفاذ الكلمة ما لا أعرف أن معمماً في عصرنا ناله " (٩).

البِرزالّي (٥٧٧-٦٣٦هـ/ ١١٨١-١٢٣٨م): هو الحافظ، الرحّال، زكيّ الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يُدّاس البرزالي(١٠) الإشبيلي، وُلد تقريباً سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م)(١١)، رحل من إشبيلية بالأندلس إلى الإسكندرية في مصر، ووصلها سنة(٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م)، فحبب إليه العلم وكتابة الآثار(١٢)، ثم حج واستقر في مكة حتى رحل إلى دمشق سنة (٦٠٥هـ/١٢٠٨م) (١٣)، ومنها: إلى

---

(1) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٩١.

(2) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٨٩. وانظر: البغدادي، هدية، ج ٦، ص ٥٥٣. أبو الطيب، ذيل التقييد، ج٢، ص٣٢١. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٩٦. العليمي، الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٢.

(3) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٠٢.

(4) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨.

(5) أنشأها القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع ابن تميم المعروف بابن شداد رحمه الله في سنة ٦٠١ه ودرس بها. انظر: ابن شداد، الأعلاق، ج١، ص٣٥.

(6) ابن شداد، الأعلاق، ج١، ص٣٥.

(7) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٨٩. أبو الطيب، ذيل التقييد، ج٢، ص٣٢١.

(8) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٩.

(9) المصدر نفسه، ج٥، ص٨٩.

(10) برزال قبيلة بالمغرب ، وهي إحدى بطون دمر. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٦، ص ٣٠٨؛ سير، ج ٢٣، ص ٥٦. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص٧٢.

(11) أبي عوانة، مسند أبي عوانة، ج٢، ص١٠٣. ابن العديم، بغية، ج٥، ص٢٢٨٧. الذهبي، سير، ج ٢٣، ص ٥٥. الذهبي، تذكرة، ج٤، ص١٤٢٣؛ تاريخ، ج٤٦، ص٣٠٧.

(12) الذهبي، سير، ج ٢٣، ص ٥٥.

(13) المصدر نفسه. ج ٢٣، ص ٥٥. الذهبي، تذكرة، ج٤، ص١٤٢٣.

مصر، ثم دمشق مرة أخرى، ثم رحل إلى خُراسان، وأصبهان(١)، ونيسابور(٢)، ومرو(٣)، وهَراة(٤)، وهَمَذَان(٥)، وبغداد، والريّ(٦)، والموصل، وتكريت، وإربل(٧)، وحلب، وحرّان(٨)، ثم عاد إلى دمشق، فاستقر فيها، وكتب، ونسخ، وخرّج لكثير من شيوخ دمشق، وكان يحفظ، ويُذاكر مذاكرة حسنة، أخذ عنه ابن واصل وآخرون(٩)، توفي سنة (٦٣٦ هـ/ ١٢٣٨م)(١٠) بحماة، ودفن فيها(١١).

ابن يعيش (ابن الصانع، ابن الصائغ)(٥٥٣-٦٤٣هـ/ ١١٥٨- ١٢٤٥م):

العلامة أبو البقاء موفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي بن المفضّل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيان القاضي بشر بن حيان، الأندلسي، الأصل، الموصلي، ثم الحلبي المولد والمنشأ(١٢)، النحويّ، المعروف بابن الصائغ(١٣)، أو ابن الصانع(١٤)، وُلد بحلب في (الثالث

---

(1) أصبهان، هي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن ، تعرف الآن بشهرستان ، وفيها أنزل بخت نصر اليهود عندما سباهم من بيت المقدس . للمزيد انظر: ياقوت، معجم، ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٨.

(2) نيسابور مدينة في خراسان لها أرض سهلة، أبنيتها طين، وهي مفترشة البناء، وللمدينة أربعة أبواب، أحدهما يعرف بباب رأس القنطرة، والثاني بباب سكة معقل، والثالث بباب القهندز، والرابع بباب قنطرة تكين. للمزيد انظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ج١، ص٨٨.

(3) مرو أشهر مدن خراسان، وتعني بالعربية الحجارة البيض التي يقتدح بها، وقد روي عن بريدة بن الحصيب أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بريدة إنه سيبعث من بعدي بعوث، فإذا بعثت فكن في بعث المشرق، ثم كن في بعث خراسان، ثم كن في بعث أرض، يقال لها، مرو إذا أتيتها، فانزل مدينتها، فإنه بناها ذو القرنين، وصلى فيها عزير، أنهارها تجري بالبركة على كل نقب منها، ملك شاهر سيفه، يدفع عن أهلها السوء إلى يوم القيامة، فقدمها بريدة غازيا، وأقام بها إلى أن مات، وقبره بها إلى الآن معروف عليه راية. وقد أخرجت مرو عن الأعيان وعلماء الدين ما لم تخرج مدينة مثلهم. منهم، الإمام أحمد بن حنبل، وسفيان بن سعيد الثوري، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم. ياقوت، معجم، ج٥، ص١١٢-١١٥.

(4) هراة بالفتح مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها، بساتين كثيرة، ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة ، محشوة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل والثراء، خربها التتار سنة (٦٨١هـ/١٢٨٢م). للمزيد انظر: ياقوت، معجم، ج٥، ص٣٩٦-٣٩٩.

(5) همذان، سميت بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام ، ويقال، إن الذي بناها كرميس بن حليمون، فتحت بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بستة أشهر على يد المغيرة بن شعبة، وقال بعض علماء الفرس، أن همذان كانت أكبر مدينة بالجبال، وأنها من أحسن البلاد، وأنزهها، وأطيبها، وأرفهها. للمزيد انظر: ياقوت، معجم، ج٥، ص٤١٠-٤١٤.

(6) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد، وأعلام المدن ، حكى الاصطخري أنها كانت أكبر من أصبهان، لما قدم المهدي الري في خلافة المنصور بنى مدينة الري، وجعل حولها خندقاً، وبنى فيها مسجداً جامعاً، وجرى ذلك على يد عمار بن أبي الخصيب. ياقوت، معجم، ج٣، ص١١٦-١١٨.

(7) إربل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة في العراق، ولقلعتها خندق عميق، وهي في طرف من المدينة، وسور المدينة ينقطع في نصفها، وهي على تل عالٍ من التراب، قام بعمارتها، وبناء سورها الأمير مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كوجك، وأكثر أهلها أكراد. ياقوت، معجم، ج١، ص١٣٨-١٤٠.

(8) الذهبي، سير، ج ٢٣، ص ٥٥؛ تذكرة، ج٤، ص١٤٢٣؛ تاريخ، ج٤٦، ص٣٠٧.

(9) الذهبي، سير، ج ٢٣، ص ٥٦.

(10) الذهبي، تذكرة، ج ٤، ص ١٤٢٤؛ تاريخ الإسلام، ج ٤٦، ص ٣٠٨؛ سير، ج٢٣، ص٥٦. ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ١٥٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج ٦، ص ٣١٤.

(11) الذهبي، تاريخ، ج٤٦، ص٣٠٧. ابن كثير، البداية،ج١٣، ص١٥٣.ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٣١٤.

(12) انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٣٥٥. الفيروز أبادي، البلغة، ج١، ص٢٤٣. الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص١٨. ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٤٦. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٠. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٧٢. السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٣٥١. الغزي، ديوان الإسلام، ج١، ص٣٥١. البغدادي، هدية، ج٦، ص٥٤٨.

(13) الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص١٨. ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٤٦. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٠. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٧٢.

(14) السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٣٥١. البغدادي، هدية، ج٦، ص٥٤٨.

من رمضان سنة ٥٥٣ هـ/ السابع والعشرين من سبتمبر ١١٥٨م)(١)؛ لكن البغدادي في هدية العارفين يقول: إنه ولد (سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م)(٢)، رحل في بداية عمره من حلب إلى بغداد ليدرك ابن الانباري(٣)، ولما وصل الموصل بلغه خبر وفاته، فأقام بالموصل مدة طويلة، ثم عاد إلى حلب، ثم سافر إلى دمشق، واجتمع بالشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي(٤)، كان من كبار أئمة اللغة العربية(٥)، برع في النحو والتصريف، كان طويل الروح حسن التفهم ، طويل الباع في النقل ، طيب المزاح، وكان أغلب فضلاء حلب في عصره من تلامذته(٦)، له تصانيف كثيرة مشهورة منها: شرح المفصل للزمخشري. وقد شرحه شرحاً ليس في الشروح مثله(٧)، وشرح التصريف لأبي الفتح بن جني(٨)، توفي بحلب في(الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٤٣هـ/ السابع والعشرين من اكتوبر ١٢٤٥م)(٩)، ودفن المقام(١٠)، اشتغل عليه ابن واصل في النحو أثناء إقامته بحلب سنتي(٦٢٧ و٦٢٨ هـ/١٢٣٠ و١٢٣١م)، "وكنت بحلب في هذه السنة توجهت إليها للاشتغال فيها بالعلم على .... وعلى الشيخ موفق الدين بن يعيش في علم النحو"(١١).

قيصر بن أبي القاسم (تعاسيف) (٥٧٤- ٦٤٩هـ/ ١١٧٧-١٢٥١م):

العالم، المهندس، الفلكي، الرياضي، عَلَم الدين، قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر بن حسان بن عبد الرحمن أبو عبد الله السلمي الدمشقي الأصل والوفاة ، المصري المولد، المعروف بتعاسيف(١٢). وُلد بأصفون من شرقي صعيد مصر سنة(٥٧٤هـ/١١٧٧م) عند أغلب المصادر(١٣)؛

---

(1) الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص١٨. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٠. الذهبي، سير، ج٢٣، ص١٤٥. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٧٢. السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٣٥١.

(2) البغدادي، هدية ج ٦، ص ٥٤٨.

(3) أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله ابن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري الملقب كمال الدين النحوي، كان من الأئمة المشار إليهم في علم النحو، وسكن بغداد من صباه إلى أن مات، وتفقه على مذهب الشافعي رضي الله عنه بالمدرسة النظامية، وتصدر لإقراء النحو بها، وتبحر في علم الأدب، واشتغل عليه خلق كثير، وصاروا علماء، ولد سنة ٥١٣ه، وتوفي ببغداد سنة ٥٧٧ه، وله من المصنفات، هداية الذاهب في معرفة المذاهب، والداعي إلى الإسلام في علم الكلام ، والنور اللائح في اعتقاد السلف الصالح، واللباب المختصر، ومنشور العقود في تجريد الحدود، والتنقيح في مسلك الترجيح، والجمل في علم الجدل، الاختصار في الكلام. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٣٩. الكتبي، فوات، ج١، ص٦٣٥.

(4) ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٤٧.

(5) الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص١٨.

(6) الذهبي، سير، ج ٢٣، ص١٤٥.

(7) أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٠.

(8) الذهبي، سير، ج٢٣، ص ١٤٥. الغزي، ديوان، ج١، ص٣٥١. الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص١٨.

(9) ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٣٥٥. الفيروز أبادي، البلغة، ج١، ص٢٤٣. الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص١٨. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٠. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٧٢.

(10) أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٠. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٧٢.

(11) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٣١١.

(12) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٤٥-١٤٦. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٨. النويري، نهاية، ج ٢٩، ص٢٧٣. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٨٣. الصفدي، الوافي، ج٢٤، ص٢٢٨. القرشي، طبقات الحنفية، ج١، ص٤١٥. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٧٦. العسقلاني، نزهة الألباب، ج١، ص١٤٦.

(13) أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٨. النويري، نهاية، ج٢٩، ص٢٧٣. ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص١٨٣. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٧٦. العسقلاني، نزهة الألباب، ج١، ص١٤٦.

لكن الذهبي، والقرشي، قالا: إنه ولد سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٨م)(١)، في حين خالف الصفدي في الوافي بالوفيات الجميع، وذكر انه ولد سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م(٢)، كان إماماً في العلوم الرياضية(٣)، وفنون أخرى كثيرة، نشأ بالقاهرة، واشتغل بالديار المصرية والشام، ثم سار إلى الموصل، وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس(٤) علم الموسيقى، ثم عاد للشام(٥)، ولاه الملك المظفر تقي الدين محمود تدريس المدرسة النورية بحماة (٦)، وتولى في مصر النظر في الدواوين، فلم تشكر سيرته، وكثر ظلمه(٧)، عمل للسلطان كرة عظيمة كبيرة فيها: الكواكب المرصودة، وعمل له طاحونة على نهر العاصي، وبنى له أبراجاً(٨)، وبنى طواحين مائية(٩). توفي في دمشق في (الثالث عشر من رجب سنة ٦٤٩ هـ/ الثلاثين من سبتمبر ١٢٥١م)(١٠). له رسالة في "بديهيّات" إقليدس. قال عنه ابن واصل: " شيخنا في العلوم الرياضية"(١١).

ابن مطروح (٥٩٢-٦٤٩هـ/١١٩٦- ١٢٥١م):

الأمير الصاحب جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح(١٢)، الأديبُ الشاعر. وُلد بأسيوط (يوم الاثنين الثامن من رجب سنة ٥٩٢ هـ/ السادس من يونيو ١١٩٦م)(١٣)، ونشأ هناك، وتنقلت به الأحوال، والخدم والولايات حتى اتصل بخدمة الملك الكامل، ولما اتسع ملك الكامل جعل ابنه الملك الصالح نائباً عنه في الديار المصرية، وأرسل معه ابن مطروح(١٤)، وفي سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م) تم تعيين ابن مطروح ناظراً في الخزانة(١٥)، ولم يزل يقربه الملك الصالح حتى صار في صورة وزير(١٦). ولما تملّك الصالح دمشق

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٤٢٩. القرشي، طبقات الحنفية، ج١، ص٤١٥.

(2) الصفدي، الوافي، ج٢٤، ص٢٢٨.

(3) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٣.

(4) كمال الدين موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الفقيه الشافعي، كان إمام وقته في مذهب الشافعي وغيره، وكان يشتغل الحنفيون عليه في مذهب أبي حنيفة، كان متقنا علم المنطق والطبيعي والإلهي، وكان إماماً مبرزاً في العلم الرياضي، وأتقن المجسطي وإقليدس والموسيقى والحساب بأنواعه، وكان أهل الذمة يقرؤون عليه التوراة والإنجيل، وشرح لهم هذه الكتابين شرحاً يعترفون أنهم لا يجدون من يوضح لهم مثله، وكان إماماً في العربية والتصريف، وكان يقرئ كتاب سيبويه والمفصل وغيرهما، وكان إماماً في التفسير والحديث، تولى قضاء الموصل. انظر: أبو الفداء،المختصر،ج١،ص٤٢٦.ابن الوردي،تاريخ،ج٢، ص١٦٧. المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٤٠.

(5) أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٩.

(6) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٣. الصفدي، الوافي، ج ٢٤، ص ٢٢٨.

(7) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٧، ص ٤٢٩. الصفدي، الوافي، ج ٢٤، ص ٢٢٨.

(8) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٣. الصفدي، الوافي، ج ٢٤، ص ٢٢٨.

(9) فارس، موسوعة، ص١٠٤.

(10) أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٣٩. النويري، نهاية،ج٢٩،ص٢٧٣.ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص١٨٣. الصفدي، الوافي، ج٢٤، ص٢٢٨. القرشي، طبقات، ج١، ص٤١٥. المقريزي، السلوك، ج ١، ص٤٧٦.

(11) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٤٥-١٤٦.

(12) ابن العماد، شذرات، ج٥، ص٢٤٧. ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٥٨. اليونيني، ذيل، ج ١، ص٧٧. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٧٦. العيني، عقد، ج١، ص٤٧٦. ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص٢٧. السيوطي، حسن، ج١، ص١٨٩. الغزي، ديوان الإسلام، ج١، ص٢٤٧.

(13) الغزي، ديوان الإسلام، ج١، ص ٣٥١. البغدادي، هدية، ج ٦، ص ٥٤٨. الذهبي، سير، ج٢٣، ص١٤٥.

(14) ابن العماد، شذرات، ج ٥، ص ٢٤٧. العيني، عقد، ج ١، ص ٤٧٦.

(15) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٠٤. ابن العماد، شذرات، ج ٥، ص ٢٤٧. اليونيني، ذيل، ج ١، ص ٧٧. العيني، عقد، ج ١، ص ٤٧٦.

(16) ابن العماد، شذرات، ج ٥، ص ٢٤٧. اليونيني، ذيل، ج ١، ص ٧٧. المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٤٧٦. العيني، عقد، ج ١، ص ٤٧٦. ادوارد فنديك، اكتفاء، ج ١، ص ٢٧٦.

سنة (٦٤٣ هـ/١٢٤٥م)، جعله والياً للبلد، وألبسه زيّ الأمراء، وارتفعت منزلته. في سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) قدم الملك الصالح دمشق ، فعزله وتنكّر له لأمور نقمها عليه(١). وفي أوائل سنة(٦٤٧هـ/١٢٤٩م) عاد الصالح إلى مصر، فصحبه معه، فأقام بالمنصورة إلى أن مات الملك الصالح في نفس السنة، وهو معرض عنه، فنزل في دار له بناها على النيل وكتب على بابها(٢) :

دَارٌ بَنَيْنَاهَا بإحسانٍ مِنْ ... لَمْ تَخْلُ دارٌ قَطْ مِنْ رَفْدِهِ
المَلِكُ الصَّالِحُ رَبُّ العُلَى ... أيوب زَادَ اللهُ فِي مَجْدِهِ
اليُمْنُ والتَّوفيقُ مِنْ حِزْبِهِ ... والنَّصْرُ والتَّأْيِيدُ مِنْ جُنْدِهِ
أَغْنَى وَأَقْنَى فَالذي عِنْدَنَا ... مِنْ نِعْمَةِ اللهِ وَمِنْ عِنْدِهِ
فَقُلْ لُحُسَّادِيَ أَلَا هَكَذَا ... فَلْيَصْنَعُ السَّيِّدُ مِنْ عَبْدِهِ

وقد كان في مدة انقطاعه في داره وضيق صدره بسبب عطلته قد حدث في عينيه ألم انتهى به إلى مقاربة العمى(٣)، وظل ملتزماً بيته حتى توفي ليلة الأربعاء في مستهل شعبان سنة ٦٤٩هـ/ اكتوبر ١٢٥١م (٤)، وقيل سنة ٦٥٠ هـ/١٢٥٢م (٥)، في حين خالفهم السيوطي، فذكر أنه توفي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م (٦)، ودفن بسفح المقطم(٧)، وأوصى أن يكتب عند رأسه بيتين من الشعر نظمهما في مرضه(٨):

أَصْبَحْتُ بِقَعْرِ حُفرةٍ مُرتَهَنًا ... لا أَمْلِكُ مِنْ دُنْيَايَ إِلَّا الكَفَنَا
يَامَنْ وسعتَ عبادَهُ رَحْمَتُهُ ... مِنْ بَعْضِ عِبَادِكَ المُسيئينَ أَنَا

قال ابن واصل: " كان لي به أنس كثير، واجتمعت به اجتماعات كثيرة، أولها بدمشق حين قدم الملك الصالح من المشرق. اجتمعت به بدمشق بعد قدومه من مصر مع محيي الدين ابن الجوزي، ثم في حماة، وهو نازل بالدار التي على العاصي المعروفة بدار زين الدين بن قُرناص، ثم بالأمير مبارز الدين آقش المنصوري. وكنت أتردد إليه كثيراً فيها، وكان يأخذ عني شيئاً من العلم، ونتذاكر في أشياء من الأدب. ثم اجتمعت به بالديار المصرية، وأنشدني كثيراً من أشعاره"(٩) .

---

(1) الذهبي، العبر، ج ٥، ص ٢٠٤.

(2) اليونيني، ذيل، ج ١، ص ٧٧.

(3) العيني، عقد، ج ١، ص ٤٧٦.

(4) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٤٣١. الذهبي، سير، ج ٢٣، ص ٢٧٤. اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١١٩. ابن العماد، شذرات، ج ٥، ص ٢٤٧. العيني، عقد، ج ١، ص ١١. حاجي خليفة، كشف، ج ١، ص ٧٦٨. الغزي، ديوان الإسلام، ج١، ص ٢٤٧.

(5) ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ١٨٢. الذهبي، العبر، ج ٥، ص ٢٠٤.

(6) السيوطي، حسن، ج١، ص١٨٩.

(7) العيني، عقد، ج١، ص١١.

(8) ابن العماد، شذرات، ج ٥، ص ٢٤٧. العيني، عقد، ج١، ص١١.

(٩) ابن واصل، مفرج، ج٦، ص٧٣.

خُسروشاهي (٥٨٠-٦٥٢هـ/ ١١٨٤- ١٢٥٤م):

عبد الحميد بن عيسى بن عمّويْه بن يونس بن خليل الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو محمد الخسروشاهي(١). ولد سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م (٢)، بخُسروشاه(٣)، واشتغل بالعقليّات على فخر الدين الرازي ابن الخطيب، برع في علم الكلام، وتفنّن في العلوم.

وقد كان فقيهاً أصولياً متكلماً محققاً بارعاً في المعقولات، وأتقن العلوم الشرعية. توفي بدمشق في (الخامس والعشرين من شوال سنة ٦٥٢ هـ/ السابع من ديسمبر ١٢٥٤م) ، ودفن بجبل قاسيون(٤).

ومن مصنفاته: مختصر المهذب في الفقه لابن إسحاق، ومختصر المقالات لابن سينا، وتتمة الآيات البينات في المنطق للإمام فخر الدين(٥). قال ابن واصل: إنه استفاد منه في العلوم النظرية، مع الملك الناصر داود عندما كان يحضر مجلسه بالكرك في سنة(٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، " ولازمت خدمته والحضور في مجلسه في غالب الأوقات والاستفادة معه على الشيخ شمس الدين الخسرو شاهي في العلوم النظرية"(٦).

سِبط ابن الجوزي (٥٨٣-٦٥٤هـ/ ١١٨٧- ١٢٥٦م):

الإمام، الواعظ، المؤرخ، شمس الدين، أبو المظفر، يوسف بن الأمير حسام الدين قُزُغلِي بن عبد الله عتيق الوزير عون بن هبيرة الحنفي، أمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، وُلد في بغداد سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) كما يذكر الصفدي والكتبي(٧)؛ لكن العيني في عقد الجمان يذكر أنه ولد سنة (٥٨١ هـ/١١٨٥م)(٨)، سمع من جده، وسمع بالموصل، ودمشق من جماعة، كان إماماً، فقيهاً، واعظاً، علاّمة في التاريخ والسِيَر(٩). رحل من بغداد، فنزل دمشق في حدود سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٤م)، وأكرمه ملوكها من بني أيوب، وولي التدريس فيها، وكان يجلس في درسه حوالي ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء، وكان الناس يبيتون ليلة السبت في الجامع ليجدوا لهم مكانا من شدة الزحام، قاتل مع الملك المُعَظِّمْ ضد الفرنج(١٠). كان حنبلياً، ثم صار حنفياً (١١)، وصنّف (مناقب أبي حنيفة) في مجلد،

---

(1) الفهري، فهرسة اللبلي، ج١، ص١٢٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص١٢٥؛ العبر، ج٥، ص ٢١١. الصفدي، الوافي، ج١٨، ص٤٤. الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٦٠٧. السبكي، طبقات، ج٨، ص١٦١. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٠٨. ابن العماد، شذرات، ج٥، ص٢٥٥. الغزي، ديوان الإسلام، ج١، ص٢٥٦. البغدادي، هدية، ج٥، ص٥٠٦.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص١٢٥؛ العبر، ج٥، ص٢١١. الصفدي، الوافي، ج١٨، ص٤٤. الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٦٠٧. السبكي، طبقات، ج٨، ص١٦١. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٠٨. ابن العماد، شذرات، ج٥، ص٢٥٥.

(3) خسرو شاه: قرية بينها وبين مرو فرسخان. من قرى تبريز. صفي الدين، مراصد، ج١، ص٤٦٧. شهاب الدين، مسالك، ج٩، ص١٧٥.

(4) الخزرجي، عيون، ج١، ص٦٤٩. الكتبي، فوات، ج١، ص٦٠٧.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص١٢٥. الصفدي، الوافي، ج١٨، ص٤٤. الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٦٠٧. السبكي، طبقات، ج٨، ص١٦١. الغزي، ديوان الإسلام، ج١، ص٢٥٦.

(6) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٥.

(7) الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص١٢١. الكتبي، فوات، ج٢، ص٦٦٣.

(8) العيني، عقد، ج١، ص٥٨. القنوجي، أبجد، ج٣، ص٩٤.

(9) الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص١٢١. الكتبي، فوات، ج٢، ص٦٦٣.

(10) الكتبي، فوات، ج٢، ص٦٦٣. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٥٨. العيني، عقد، ج١، ص٥٨. السودوني، تاج،ج١، ص٣٢١. ابن العماد ، شذرات،ج٥، ص٣٦٦.

(11) الصفدي، الوافي، ج ٢٩، ص١٢١. ابن العماد، شذرات، ج ٥، ص ٣٦٦.

و(معادن الإبريز في التفسير) تسعة وعشرين مجلّداً، و(شرح الجامع الكبير) في مجلدين، و(مرآة الزمان) في التاريخ، و(شرح الجامع الكبير)، و(إيثار الإنصاف)، (ومنتهى السول في سيرة الرسول)، و(اللوامع في أحاديث المختصر والجامع)(١). وقد توفي بمنزله في جبل الصالحية بدمشق سنة (٦٥٤ هـ/١٢٥٦م)، ودفن هناك(٢). حضر ابن واصل مجلس وعظه الذي كان يعقده في الجامع الأمويّ الكبير بدمشق، وهو يذكر فضائل بيت المقدس "وحضرت أنا هذا المجلس"، وسمعه يورد قصيدةً لم يعلق بذهنه منها سوى بيت واحد، وذلك في سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٩م(٣).

الناصر داود (٦٠٣-٦٥٦هـ/ ١٢٠٧-١٢٥٨م):

الملك الناصر داود بن المُعَظِّمْ عيسى بن محمد بن أيوب الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر ابن الملك المُعَظِّمْ عيسى بن الملك العادل أبي بكر الأيوبيّ(٤).

وُلد بدمشق في جمادى الآخرة سنة ٦٠٣ هـ/ يناير١٢٠٧م، من أم خوارزمية، وتولى السلطان بدمشق بعد وفاة أبيه الملك المُعَظِّمْ عيسى سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٧م (٥)، أحبه أهلها؛ لكن عمه الكامل توجه من مصر ليأخذها منه، فاستنجد بعمه الأشرف، فجاء لنصرته، ثم تغير عليه، ومال لأخيه الكامل وأوهم الناصر أنه يصلح قضيته، فاتفقا عليه، وحاصراه أربعة أشهر، وأخذا دمشق منه، ثم انتقل إلى الكرك، وأعطي معها نابلس وعجلون وقرى بيت المقدس(٦).

وفي سنة(٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م) دخل مصر(٧)، ثم عاد إلى الكرك(٨)، ومنها سافر إلى بغداد سنة(٦٣٣هـ/١٢٣٦م) (٩) لمقابلة الخليفة العباسي المستنصر بالله، وأودع لديه وديعة قيمتها مائة ألف دينار لكنه أنكرها عليه(١٠)، فعاد إلى الكرك، وحرر القدس من الفرنج سنة(٦٣٧ هـ/١٢٣٩م)(١١).

---

(1) السودوني، تاج، ج١، ص٣٢١. القنوجي، أبجد، ج٣، ص٩٤. الكتاني، فهرس، ج٢، ص١١٣٨.

(2) الصفدي، الوافي، ج ٢٩، ص١. النعيمي، الدارس، ج١، ص٢١، ص٣٦٦. الكتبي، فوات، ج٢، ص٦٦٣. العيني، عقد، ج١، ص ٥٨. السودوني، تاج، ج ١، ص٣٢١. ابن العماد، شذرات، ج ٥، ص ٣٦٦. حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٥٥٨.

(3) ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٢٤٦.

(4) أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٤٥. الذهبي، سير، ج٢٣، ص٣٧٦ .ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٥. الصفدي، الوافي، ج١٨، ص٤٤. الكتبي، فوات، ج١، ص٣٨٩. اليافعي، مرآة، ج ٤، ص١٣٩.

(5) ابن شداد، الأعلاق، ج١، ص٧٦. الذهبي، سير، ج٢، ص١٢٠،ج١٦، ص١٢٣، ج٢٣، ص٣٧٧. ؛ العبر، ج٣، ص١١٧-١١٨. ص١٩٤. الصفدي، الوافي، ج١٣، ص٣٠٢. الكتبي، فوات، ج١، ص٣٨٩. اليافعي، مرآة، ج٤، ، ص٥٨، ص١٣٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٢١، ص١٣٠. ص ١٩٨. ابن تغري بردي، النجوم، ص٢٣٧-٢٣٨ .

(6) الذهبي، سير، ج ٢٣، ص ٣٧٧؛ العبر، ج٥، ص٢٢٩. الصفدي، الوافي، ج١٣، ص٣٠٢. الكتبي، فوات، ج١، ص٣٨٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٩٨.

(7) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٥.

(8) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٠.

(9) المصدر نفسه، ج٥، ص١٠١. الذهبي، تاريخ، ج ٤٦، ص ٣٧٧. ابن كثير، البداية ة، ج ١٣، ص ١٨٤.

(10) الذهبي، سير،ج٢٣، ص٣٧٧. الكتبي، فوات، ج١، ص٣٨٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٩٨.

(11) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٤٧. الطرسوسي، تحفة الترك، ج١، ص٨.

كان فاضلاً ناظماً للشعر ناثراً، بصيراً بالآداب، قرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين الخسرو شاهي، له أشعار جيدة(١).

كان فقيهاً حنفياً ذكياً(٢)، صنف له الحصيري كتاباً أسماه "خير المطلوب في العلم المرغوب(٣)".

وصفه ابن واصل بعد أن حضر مناظرةً له "وكان رحمه الله جيد المناظرة، صحيح الذهن، له في كل فن مشاركة جيدة "(٤). توفي بالطاعون ليلة (السبت السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٥٦هـ/ الثلاثين من مايو ١٢٥٨م) (٥)، بظاهر دمشق في قرية يقال لها: البويضا(٦)، وأوصى أن يغسله القاضي شمس الدين الحنفي قاضي دمشق(٧)، ونقله بعد وفاته الملك الناصر يوسف صاحب دمشق، ودفنه بالصالحية في تربة والده المُعَظِّمْ(٨)، إلى جانبه من الشمال(٩). قال ابن واصل: "فوجدنا منه إحساناً كبيراً ، وتفضلا زائدا، وشاهدنا ملكا ذا فضل باهر، وعلم زاخر(١٠)".

ابن أبي زكري(ت: ٦٥٨هـ/١٣٠٠م) :

هو الأمير مجير الدين إبراهيم بن أبي بكر بن أبي زكرى. كان أميراً جليلاً، عظيم القدر، جواداً، شجاعاً، من بيتٍ كبير من الأكراد(١١). خدم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في الشام. ولما مَلَك مصر، كان في خدمته إلى أن توفي، وحضر مقتل ابنه الملك المُعَظِّمْ تورانشاه ، ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف، وكانت له عنده كلمة لا ترد، جعله على نابلس وما معها، واستشهد فيها على أيدي التتار الذين هاجموه، فتلقاهم بوجهه، وقاتلهم قتالاً شديداً، حتى قيل: إنه لم يقتل حتى قتل من التتار سبعة عشر رجلاً، وانكسر سيفه، فتكاثروا عليه، وقتلوه. وقد قال عنه ابن واصل:" أنشدني في الديار المصرية مقطعات حسنة"(١٢).

---

(1)ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٢٠٦. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٤٥. الذهبي، العبر، ج٥، ص٢٢٩. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٩٢. الصفدي،الوافي، ج١٨،ص٤٤.الكتبي، فوات، ج٥، ص٣٨٩.ابن كثير،البداية، ج١٣، ص١٩٨.

(2) اليافعي، مرآة، ج ٤، ص ١٣٩. الذهبي، سير،ج٢٣، ص٣٧٧. ابن الوردي، تاريخ،ج٢،ص ٢٥.

(3) القرشي، الجواهر، ج ٢، ص ١٥٥.

(4) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٠٨.

(5) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٤٤٥. العليمي، الأنس الجليل، ج٢، ص١٠. الذهبي، العبر، ج٥، ص٢٢٩. ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١٩٢. ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ٢١٤. الصفدي، الوافي، ج ٣، ص٣٠٢. الكتبي، فوات، ج ١، ص ٣٨٩. اليافعي، مرآة، ج ٤، ص ١٣٩. النويري، نهاية، ج٢٩، ص٤٤٥. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣٤٦٣.

(6) البويضا، وهي قرية من قرى دمشق.أبو الفداء،المختصر،ج١، ص٤٤٥.الذهبي،تاريخ الإسلام،ج٤٨، ص٤٤٥.

(7) ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣٤٦٣.

(8) أبو الفداء،المختصر، ج١، ص٤٤٥. ابن الوردي، تاريخ،ج٢، ص١٩٢.ابن كثير،البداية،ج١٣، ص٢١٤. العليمي،الأنس،ج٢، ص١٠. الذهبي،العبر،ج٥، ص٢٢٩. ابن العديم، بغية، ج٧، ص٣٤٦٣.

(9) ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣٤٦٣.

(10) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٣٣٠.

(11) اليونيني، ذيل، ج١، ص١٤٧ و١٥٩. الذهبي، تاريخ، ج٤٨، ص٣٣٦. الصفدي،الوافي، ج ٥، ص ٢٢٣.

(12) المصدر نفسه، ذيل، ج ١، ص١٤٧.

خشترين (٥٧٨-٦١٩هـ):

هو خشترين بن تليل بن أبي الهيجاء ابن أفشين بن خشترين الكردي الحكمي الأربلي من بني مروان بن الحكم، ولد بمصر سنة(٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وتوفي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة (٦١٩هـ/ التاسع من يوليو ١٢٢٢م) بإربل(١). ذكره ابن واصل فقال: " جندي كُرديّ. كان شاعراً مُجيداً، غير أنه كان ألْكن لحّاناً، وإذا نظم أجاد وأحسن. ووصف لباس السلطان، وأبدع في المعنى(٢)"، وقال: إنه سمع منه قصيدة أنشدها في رثاء الملكة خاتون بنت الملك العادل، والدة الملك المظفّر، زوج الملك المنصور، في العزاء الذي أقيم بعد وفاتها عام ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م (٣).

المُعَظِّمْ عيسى (٥٧٦-٦٢٤هـ/ ١١٨٠-١٢٢٧م):

السلطان الملك المُعَظِّمْ عيسى بن محمد بن أيوب بن شاذي بن مروان، ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن محمد بن أيوب(٤)، ولد بالقاهرة سنة (٥٧٦هـ/١١٨٠م) (٥)، برع في الفقه والأدب، وكان يتكلم مع العلماء ويناظرهم، اشتغل في الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، شرح الجامع الكبير، وصنف في العروض(٦)، توفي بقلعة دمشق سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م (٧)، بالدوسنطاريا(٨)، وقيل: أنه سم(٩)، أمر ألا يكفن إلا في البياض، وأن يلتحد له، ويدفن في الصحراء ولا يبنى عليه، فلم تنفذ وصيته(١٠). يقول ابن واصل: أنه في سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م)، رأى بنفسه خط الملك المُعَظِّمْ على نسخة من كتاب سيبويه، وعليها خطه في عدة مواضع "أظنها ستة"(١١)، يقول في بعضها: "أتممت هذا الكتاب مطالعة، ومراجعة، وأنا منازل مدينة أرسوف"، وفي بعضها: "أتممته مطالعة ومراجعة وأنا بنابلس"(١٢). كما صنّف المُعَظِّمْ كتاباً بعنوان: (السهم المصيب في الرد على الخطيب)(١٣)، وقف عليه ابن واصل وهو في القدس "ووقفت على هذا الكتاب بالقدس الشريف وطالعته جميعه ووجدته في غاية الحسن"(١٤).

---

(1)اليونيني، ذيل، ج١، ص ٢٤٥.

(2) ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٦٦.

(3) المصدر نفسه، ج٤، ص٦٥.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٣. القفطي، أخبار، ج١، ص١٦٢. الخزرجي، عيون ، ج١، ص٧٣٧. النويري، نهاية ج٢٩، ص٩٣. السودوني، تاج التراجم، ج١، ص٢٢٦. النعيمي، الدارس، ج١، ص٤٤٨.

(5) النويري، نهاية، ج٢٩، ص٩٣. السودوني، تاج، ج١، ص٢٢٦. السيوطي، حسن، ج١، ص١٥٥.

(6) السيوطي، حسن، ج١، ص١٥٥. النعيمي، الدارس، ج١، ص ٤٤٥-٤٤٨.

(7) النويري، نهاية،ج٢٩، ص٩٣. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٤٥. السودوني، تاج التراجم،ج١، ص٢٢٦.السيوطي، حسن،ج١، ص١٥٥. النعيمي، الدارس،ج١،ص٤٤٥-٤٤٨.

(8) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠٨.ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١٤٥. بدران، منادمة الأطلال، ج١، ص٢٠١. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٣.

(9) النويري، نهاية، ج ٢٩، ص ٩٣.

(10) المصدر نفسه، نهاية، ج ٢٩، ص ٩٣. النعيمي، الدارس، ج ١، ص٤٤٥-٤٤٨.

(11) ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٢١٠.

(12) المصدر نفسه، مفرج ، ج٤، ص٢١١.

(13) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٢. السودوني، تاج، ج١، ص٢٢٦. الصفدي، الوافي، ج٦، ص١١٥.

(14) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٢.

عماد الدين بن شيخ الشيوخ (٥٨١-٦٣٦هـ/١١٨٥-١٢٣٨م):

عماد الدين بن الشيخ هو عمر بن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني الأصل بن شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن بن شيخ الشيوخ عماد الدين(١)، ولد بمصر في شعبان سنة (٥٨١هـ/ نوفمبر ١١٨٥م)، نشأ في مصر، ودرس بالمدرسة الشافعية(٢)، سمع من أبي علي بن الخلال (٣) وغيره(٤).

كان عماد الدين سبباً في إعطاء دمشق للجواد بن العادل بعد موت الملك الكامل، ولما عاد عماد الدين إلى مصر لأمه الملك العادل، فطلب منه العودة لدمشق لإرسال الجواد إليه، وهدد باستخدام القوة ضده إذا رفض، ولما وصل دمشق طلب من الجواد السير إلى مصر، فاتفق الجواد مع أسد الدين صاحب حمص الذي كان موجوداً في دمشق على قتله، ودس عليه رجلاً نصرانياً ضربه بسكين فقتله، وكان ذلك في سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) (٥)، وتم تجهيزه، وحمل إلى الجامع بدمشق وتمت الصلاة عليه في المسجد، وصفه ابن واصل " كان تام العقل والفضل والكرم والرئاسة" (٦).

وكان لابن واصل معه اجتماعات كثيرة سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) يتباحثان في علوم شتى. " اجتمعت به في هذه السنة مراراً .... وبحثت معه في الأصول وغيره رحمه الله ورضي عنه، فانه كان معدوم المثل في وقته"(٧).

ابن النفيس (٦٠٧-٦٨٧هـ/ ١٢١٠-١٢٨٨م):

علاء الدين بن النفيس علي بن أبي الحزم القرشيّ، الدمشقي، الطبيب، المصري(٨)، يرجح أنه ولد سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م) تقريباً، نشأ في دمشق، صنف في أصول الفقه، والعربية ، والحديث، وعلم البيان، وغير ذلك(٩)، كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي(١٠)، انتهت إليه رياسة الطب في مصر(١١)، حتى قيل: إنه لم يكن على وجه الأرض مثله في زمانه، ولا جاء بعد ابن سينا مثله، ألف وصنف في كثير من العلوم، فصنف في الطب (كتاب الشامل في هو خشترين بن تليل بن أبي الهيجاء

---

(1) ابن العماد، شذرات، ج٥، ص١٨١. ابن تغري بردي، النجوم،ج٦، ص٣١٣. الذهبي، سير،ج٢٣،ص٩٧. السبكي، طبقات، ج٨، ص٣٤٢.

(2) الذهبي، سير، ج٢٣، ص٩٧. السبكي، طبقات، ج٨، ص٣٤٢.

(3) هو الحسن بن علي بن أبي بكر بن يونس بن يوسف الشيخ المسند الأمين بدر الدين أبو علي بن الخلال الدمشقي، ولد في صفر سنة ٦٢٩ه ، كان ديناً وقوراً محباً للرواية ، حدث نحو عشرين سنة، وشيوخه نحو المائتين، توفي في ربيع الأول سنة ٧٠٢ه. الذهبي، معجم محدثي الذهبي، ج١، ص٦٣-٦٤. الصفدي، الوافي، ج ١٢، ص ١٠٨. العسقلاني، الدرر، ج٢، ص١٢٤.

(4) الذهبي، سير، ج٢٣، ص٩٧.

(5) ابن العماد، شذرات، ج٥، ص١٨١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٣١٣-٣١٥.

(6) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٠١-٢٠٢.

(7) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٠٢.

(8) الذهبي، تاريخ، ج ٥١، ص ٣١١. الصفدي، الوافي، ج٢٠، ص١٨٢. المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٢٠٩. السيوطي، حسن، ج١، ص١٨٢. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١٠٢٤. زادة، أسماء، ج١، ص١٨١. القنوجي، أبجد، ج٣، ص١١٥. البغدادي، هدية، ج٥، ص٧١٤. فنديك، اكتفاء، ج١، ص٢٢٤. عطية، دراسات، ص٣٦٠.

(9) الصفدي ، الوافي، ج٢٠، ص١٨٢. السبكي، طبقات، ج٨، ص٣٠٥. زادة، أسماء، ج١، ص١٨١.

(10) زادة، أسماء، ج١، ص١٨١و٣٠٠. الغزي، ديوان ، ج١، ص٣٠٠. القنوجي، أبجد، ج ٣، ص١١٥.

(11) الذهبي، تاريخ، ج٥١، ص٣١١.

ابن أفشين بن خشترين الكردي الحكمي الأربلي من بني مروان بن الحكم، ولد بمصر سنة(٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وتوفي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة (٦١٩هـ/ التاسع من يوليو ١٢٢٢م) بإربل(١). وقد ذكره ابن واصل فقال: " جندي كُرديّ. كان شاعراً مُجيداً، غير أنه كان ألْكن لحّاناً، وإذا نظم أجاد وأحسن. ووصف لباس السلطان، وأبدع في المعنى(٢)"، وقال: إنه سمع منه قصيدة أنشدها في رثاء الملكة خاتون بنت الملك العادل، والدة الملك المظفّر، زوج الملك المنصور، في العزاء الذي أقيم بعد وفاتها عام ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م (٣).

تلاميذه(٤): كان ابن واصل يتمتع بذهن متقد، وذكاء شديد حتى قيل: أنه كان يشغل في حلقته في ثلاثين علماً، وبمتابعة ومراجعة المصادر التاريخية فإن الباحث توصل إلى عدد من تلاميذه، والذي قد يبدو أنه لا يتناسب والعلم والتاريخ الذي عاشه ابن واصل على مدى عمره الطويل(٥).

ابن الأكفاني(ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

محمد بن إبراهيم بن ساعد، شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري السنجاري(٦) الأصل والمولد المصري الدار والوفاة، المعروف بابن الأكفانيّ(٧).

وقد برع في علوم الحكمة وكان واسع العلم في الأدب، حفظ من الشعر الكثير، عالماً بتاريخ العرب وأيامهم، وكان إمام عصره في الطب والهندسة والحساب ، وله اليد الطول في الروحانيات والطلاسم ، خبيراً بالجواهر، والآلات، وأنواع العقاقير والحيوانات(٨). وحفظ من الرقى والعزائم شيئاً لا يشاركه فيه أحد(٩)، توفي بالطاعون في مصر سنة ٧٤٩ه(١٠). من تصانيفه: (نخب الذخائر في معرفة الجواهر) ، و(غُنية اللبيب عند غيبة الطبيب) (١١) ، و(إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد)(١٢)،

---

(1) السبكي، طبقات، ج٨، ص٣٠٥. القنوجي، أبجد، ج٣، ص١١٥. عطية، دراسات، ص٣٦١.

(2) ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٦٦.

(3) المصدر نفسه، ج٤، ص٦٥.

(٤) تلمذ: التلاميذ: الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ. انظر: ابن منظور، لسان، ج٣، ص٤٧٨.

(5) الصفدي، الوافي، ج٣، ص٧٢. الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٧. السيوطي، بغية، ج١، ص ١٠٨.

(6) سنجار، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، يقال أن سفينة نوح لما مرت به نطحت جبلا ، فقال سيدنا نوح عليه السلام، هذا سن جبل جار علينا، فسميت سنجار، وهي من أحسن المدن وأجملها، وجبلها من أخصب الجبال، وهي محافظة نينوى في شمال العراق حالياً. للمزيد انظر، ياقوت، معجم، ج ٣، ص ٢٦٢. المغربي، الجغرافيا، ج ١، ص ٤٤. فارس، موسوعة، ص١٩.

(7) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٢٢٥ وج٩، ص٢٠١. الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ج١، ص٥٦. الصفدي، نكت الهميان، ج١، ص١٠٠. ابن الوزير، إيثار الحق، ج١، ص٣٤. العسقلاني، الدرر، ج ٥، ص٣. منق، خير، ج١، ص٣٣. حاجي خليفة، كشف، ج١ ، ص٦٦. الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٧٩.

(8) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٢٢٥-٢٣٢. الذهبي، ذيل، ج١، ص٥٧. الشوكاني، البدر، ج٢، ص٧٩.

(9) العسقلاني، الدرر، ج٥، ص٣.

(10) المصدر نفسه، الدرر، ج٥، ص٤. منق،القسطنطيني الحنفي، خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، ج ١، ص٣٣. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١٩٣٥و١٤٩٠ و١٩٩٠. الغزي، ديوان الإسلام، ج١، ص ٧٩. الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٧٩. ابن محمد أمين، إيضاح المكنون، ج٤، ص٦٩٢.

(11) العسقلاني، الدرر، ج٥، ص٣. البغدادي، هدية، ج٦، ص ١٥٥.

(12) ابن الوزير، إيثار الحق، ج١، ص٣٤.العسقلاني، الدرر، ج ٥، ص٣. حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٦٦. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٥٥. الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٧٩.

و(اللباب في الحساب)(١)، و(نهاية القصد في صناعة الفصد) ، و(نغب الطائر من البحر الزاخر) ، و (كشف الرين في أمراض العين)، في التفسير، حكى للصفدي عن ابن واصل غرائب من حفظه وذكائه(٢) .

ابن مطروح (٥٩٢-٦٤٩هـ/١١٩٦- ١٢٥١م):

تمت الترجمة له عند الحديث عن شيوخ ابن واصل، وجاء ذكره هنا ضمن التلاميذ لقول ابن واصل "كان يأخذ عنّي شيئاً من العلم".

أبو الفداء: (٦٧٢-٧٣٢هـ/ ١٢٧٣-١٣٣٢م):

إسماعيل بن علي الإمام الفاضل السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء ابن الأفضل بن الملك المظفر ابن الملك المنصور تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي، المؤرخ، الجغرافي، الفقيه، صاحب حماة(٣).

ولد بدمشق سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، شارك في قتال الصليبيين وهو في الثانية عشرة من عمره، وبعدها بأربع سنوات شارك في إخراج الصليبيين من طرابلس بلبنان، كان أميراً بدمشق، خدم السلطان الملك الناصر بن المنصور عندما كان في الكرك، فوعده بحماة، وأعطاه إياها، حاز من العلوم في الفقه والطب والحكمة، وشارك في سائر العلوم مشاركةً جيدة، وكان محباً لأهل العلم مقرباً لهم، لقبه الملك الناصر بالمؤيد. وقد زار مصر عدة مرات وزار الديار الحجازية، وفلسطين، وتجول في شرق آسيا الصغرى. ومن تصانيف (أبو الفداء): (الأحكام الصغرى في الحديث) ، و(تقويم البلدان) ، و(الكناش) ، و(الموازين) ، و(كشف الوافية في شرح الكافية) لابن الحاجب، و(المختصر في أخبار البشر) في التاريخ، و(نظم الحاوي) ، و(نوادر العلم) ، و(تاريخ الدولة الخوارزمية). توفي بحماه سنة(٧٣٢ هـ/١٣٣٢م)، وعاش ستين سنة(٤). قال: "تردّدت إلى ابن واصل بحماة مراراً كثيرة. وكنت أعرض عليه ما أحله من أشكال كتاب إقليدس، وأستفيد منه. وكذلك قرأت عليه شرحه لمنظومة ابن الحاجب في العَروض، فإنه صنف لهذه المنظومة شرحاً حسناً مطوّلاً، فقرأته عليه، وصححت أسماء من له ترجمة في كتاب "الأغاني"(٥).

أثير الدين (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م):

الإمام العلاّمة، النحوي، الأستاذ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسيّ المالكيّ(٦). وُلد بمطخشارش(٧) في غرناطة في(شوال سنة ٦٥٤ هـ/

---

(1) العسقلاني، الدرر، ج٥، ص٣. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٥٥.

(2) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٨. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص ١٩٩٠. البغدادي، هدية، ج ٦، ص ١٥٥.

(3) البغدادي، هدية، ج٥، ص٢١٤. الصفدي، الوافي، ج٩، ص١٠٤. الكتبي، فوات، ج١، ص ١٠٤. اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢٨٤.السبكي، طبقات، ج٩، ص٤٠٣. افنديك، اكتفاء، ج١، ص ٥٤.

(4) البغدادي، هدية، ج٥، ص٢١٤. الصفدي، الوافي، ج٩، ص١٠٤. الكتبي، فوات، ج١، ص ١٠٤. اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢٨٤.السبكي، طبقات، ج٩، ص٤٠٣. افنديك، اكتفاء، ج١، ص ٥٤.

(5) أبو الفداء، المختصر، ج١، ٤٨٧، ٥٨٦.

(6) الصفدي، أعيان، ج٥، ص٣٢٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١١١-١١٢. الذهبي، من ذيول العبر، ج ١، ص ٢٤٣. الوادي آشي، برنامج الوادي آشي، ج١، ص٧٤. السبكي، طبقات، ج٩، ص ٢٧٧. السيوطي، بغية، ج١، ص٢٨٠. ابن العماد، شذرات، ج٦، ص١٤٥. الكتاني، فهرس، ج١، ص ١٥٥. السيوطي، الخصائص، ج١، ص٣٦٤. السيوطي، المزهر، ج١، ص٢٨٠. البغدادي، هدية، ج٦، ص ١٥٢.

(7) مطخشارش، مدينة مسورة في غرناطة. التلمساني، نفح الطيب، ج٢، ص٥٥٩.

نوفمبر ١٢٥٦م)(١).

إمام النحو في عصره، وخدم هذا العلم مدة ثمانين سنة(٢)، له معرفة بفنون كثيرة. ملأت شهرته الآفاق، وسافر إلى الحجاز ، والشام والعراق، وسمع من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً(٣)، عد من تصانيفه سبعاً وأربعين كتاباً، قال: إنه أكملها، وسبعاً لم يكملها، من تصانيفه المكتملة:
(البحر المحيط في تفسير القرءان)، و(إتحاف الأريب بما في القرءان من غريب)، و(الإسفار الملخص من كتاب الصفار)، و(التذييل والتكميل في شرح التسهيل)، و(غاية الإحسان)، و(عقد اللآلي)، و(النافع في قراءة نافع)، و(الأثير في قراءة ابن كثير) (٤) ، توفي بمنزله بالقاهرة في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ ه، ودفن بمقبرة الصوفية(٥).

يقول الصفدي في أعيان العصر: أن أثير الدين أخبره أن ابن واصل: "قدم المذكور علينا القاهرة مع الملك المظفر صاحب حماة، فسمعت منه، وأجاز لي جميع مروياته، ومصنفاته، وذلك بالكبش من القاهرة في(يوم الخميس التاسع والعشرين من المحرم ٦٩٠هـ/الحادي والثلاثين من يناير ١٢٩١م) "(٦).

دَبيران(٦٠٠-٦٧٥هـ/ ١٢٠٤-١٢٧٧م):

هو علي بن عمر بن علي، الكاتبي، نجم الدين، أبو الحسن، القزوينيّ(٧)، ولد في(رجب سنة ٦٠٠هـ/مارس ١٢٠٤م) ، له من التصانيف: (بحر الفوائد)، و(جامع الدقائق في كشف الحقائق)، و(حكمة العين في المنطق)، و(الشمسية المختصرة في المنطق)، و(عين القواعد)، و(المفصل شرح المحصل)، و(شرح كشف الأسرار)، توفي في(رمضان سنة ٦٧٥ هـ/فبراير ١٢٧٧م)(٨). قال الصفدي: إنه حضر حلقة ابن واصل، وأورد عليه أشكالاً في المنطق(٩).

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١١١-١١٢. الذهبي، العبر، ج١، ص٢٤٣. السبكي، طبقات، ج٩، ص٢٧٧. ابن الجزري، غاية، ج١، ص٢٨٠. البلوي، تاج، ج١، ص٣٩. العيني، عقد، ج ١، ص٣٩. التلمساني، نفح الطيب، ج٢، ص٥٥٩. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٥٢. السيوطي، المزهر، ج١، ص٢٨٠. السيوطي، الخصائص، ج١، ص٣٦٤. ابن العماد، شذرات، ج٦، ص١٤٥.

(2) الصفدي، أعيان، ج٥، ص٣٢٧.

(3) الكتاني، فهرس، ج١، ص١٥٥. السيوطي، الخصائص، ج١، ص٣٦٤. السيوطي، المزهر، ج١، ص٢٨٠. ابن العماد، شذرات، ج٦، ص١٤٥. الصفدي، أعيان، ج٥، ص٣٣٠.

(4) الصفدي، أعيان، ج٥، ص٣٤٦. الصفدي، نكت، ج١، ص ١١٩. الكتبي، فوات، ج٢، ص٤٦٦. حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٦. منلا خسرو، درر، ج٢، ص٤٦٦. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٥٢.

(5) الذهبي، العبر، ج١، ص٢٤٣. الصفدي، أعيان، ج٥، ص٣٢٧. السبكي، طبقات، ج٩، ص٢٧٩. السيوطي، المزهر، ج١، ص٢٨٠.

(6) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٨. الصفدي، نكت، ج١، ص١٠٣. السيوطي، بغية، ج١، ص١٠٣.

(7) حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٦٨٥. البغدادي، هدية، ج٥، ص٧١٣. الغزي، ديوان، ج١، ص١١٧. الكتبي، فوات، ج٢، ص١١٧. الصفدي، الوافي، ج٢١، ص٢٤٤.

(8) البغدادي، هدية، ج٥، ص٧١٣. الغزي، ديوان، ج١، ص١١٧. الكتبي، فوات، ج٢، ص١١٧. الصفدي، الوافي، ج٢١، ص٢٤٤. حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٦٨٥.

(9) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٧.

ابن حماد(٦٦٨-٧٣٦هـ/ ١٢٧٠-١٣٣٦م):

العلامة الخطيب جمال الدين يوسف بن محمد بن مظفر بن حماد الحموي الشافعي، ولد سنة(٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)(١)، ينسب إلى جده فيقال: يوسف بن حماد، برع في الفقه والأصول والنحو ونظم الشعر الجيد، كان مفتي حماة، وخطيبها بالجامع الكبير، توفي في(ذي الحجة سنة ٧٣٦هـ/ يوليو ١٣٣٦م)، قال الكمال جعفر: أخذ عن جمال الدين ابن واصل وغيره(٢).

ابن النحوية(٦٥٩-٧١٨هـ/ ١٢٦١-١٣١٨م):

محمد بن يعقوب بن الياس الدمشقي الإمام بدر الدين أبو عبد الله المعروف بابن النحوية(٣)، ولد سنة(٦٥٩هـ/ ١٢٦١م)، كان بحماة، ثم انتقل إلى دمشق(٤)، وكان رأساً في العربية والمعاني والبيان، من تصانيفه : (شرح ألفية ابن معطي)، و(أسفار الصباح في شرح ضوء المصباح)، و(ضوء المصباح في مختصر المفتاح)(٥)، أخذ عن جمال الدين بن واصل وغيره، توفي في (صفر سنة ٧١٨هـ/ أبريل ١٣١٨م)(٦).

مؤلفات ابن واصل:

تنوعت مؤلفات ابن واصل بتنوع معارفه العلمية، فصنف في: علم المنطق، والفلك، والطب، والهيئة ، والتاريخ ، والسِيَر، وأصول الدين، والعَروض، والقوافي، والأدب.

وقاربت مصنفاته العشرين بين رسالة صغيرة، وكتاب في عدة مجلدات، نذكرها فيما يلي مرتّبة على حروف الألف باء.

١. "**الإنبروزية**" **في علم المناظر (في المنطق)**. مجلد صغير ألفه للإمبراطور الألماني منفريد بن فردريك صاحب صقلية، أثناء سفارته إلى هناك سنة(٦٥٩ هـ/ ١٢٦١م)(٧).

٢. "**التاريخ الصالحي**"(٨). وقيل: "البارع الصالحي في التاريخ(٩)". ألفه للملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان ينوي تقديمه إليه. وهو كتاب كبير افتتحه بذكر الأنبياء المرسَلين، وتواريخ الملوك المتقدمين. ولما انتهى إلى ذكر النبي ﷺ، ذكر تفاصيل دقيقة من حياته، ثم أتْبع ذلك بذكر الخلفاء الذين وُلُّوا بعده على

---

(1) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٥. الصفدي، الوافي، ج١٣، ص٩٦. العسقلاني، الدرر، ج٦، ص٩٦. السيوطي، بغية، ج٢، ص٣٦١.

(2) العسقلاني، الدرر، ج٦، ص٩٦، ٢٤٧-٢٤٨. السيوطي، بغية، ج٢، ص٣٦١.

(3) السيوطي، بغية، ج١، ص٢٧٢. العسقلاني، الدرر، ج٦، ص ٤٠. الغزي، ديوان، ج١، ص٩٢. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٤٣. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١٧٦٤.

(4) المصدر نفسه، بغية، ج١، ص٢٧٢. العسقلاني، الدرر، ج٦، ص٤٠.

(5) العسقلاني، الدرر، ج٦، ص٤٠. الغزي، ديوان، ج١، ص٩٢. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٤٣. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١٧٦٤.

(6) السيوطي، بغية، ج١، ص٢٧٢. العسقلاني، الدرر، ج٦، ص٤٠.الغزي، ديوان، ج١، ص٩٢. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٤٣. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١٧٦٤.

(7) أبو الفداء، المختصر،ج١، ص٤٨٦. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٣٧. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٣٨.

(8) ابن واصل، التاريخ الصالحي، ورقة م أ ب . ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٩٥.

(9) البغدادي، هدية، ج ٦، ١٣٨-١٣٩.

ترتيبهم في الزمن، وصولاً للخليفة المستنصر بالله، وينتهي الكتاب عند تولي الملك الصالح عرش مصر في سنة(٦٣٧ هـ/ ١٢٤٠م)(١).

٣. "**التاريخ الكبير**": من أهم كتب ابن واصل الضائعة. أشار إليه مرتين في "مفرّج الكروب"، أولاهما: حين أحال إليه في الحديث عن نسب الفاطميين "وقد ذكرت ما قيل في ذلك في التاريخ الكبير"، والثانية حين أحال مرة أخرى إليه للاطلاع بالتفصيل على الحروب الكثيرة التي قامت بين قراقوش التقوي قائد صلاح الدين، وبين المغاربة "وجرت بينهم وبين المغاربة حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وقد ذكرتها مفصلة في التاريخ الكبير"(٢)، وبالرغم من أن هذه الحروب تكررت في الفترة ما بين (٥٧١هـ و٥٨٢هـ/ ١١٧٥و ١١٨٦م)، فإننا لا نجد التفصيل الذي أشار إليه في أي كتاب من كتبه الأخرى(٣).

٤. "**تجريد الأغاني من ذكر المثالث والمثاني**"(٤). **وقيل:** "**مختصر الأغاني**". جرّده ابن واصل للملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي، كُتبت في سنة(٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨م). قال الصفدي: "وملكت نسخة عُظمى من هذا الكتاب، وكان خط ابن واصل عليها بعدما أضر(٥).

٥ ــ "**خصائص الأنبياء**"(٦): من الكتب الضائعة حتى الآن.

٦ ــ "**خفايا الأفكار**": من الكتب الضائعة حتى الآن(٧).

٧ ــ "**شرح أبيات ابن اللمطي**": من الكتب الضائعة حتى الآن. أما ابن اللمطي، فتذكر المصادر اثنين يُعرفان بهذه النسبة، وهما من الأمراء، ولا يُعرف إن كان المقصود أحدهما أو غيرهما(٨).

٨ ــ "**شرح الجُمَل**"(٩). **في المنطق.** وهو شرح لكتاب "الجُمَل" الذي ألفه أفضل الدين محمد بن ناماوَر بن عبد الملك الخُونَجيّ. القاضي أبو عبد الله الشافعي، (ت: ٦٤٦ هـ/١٢٤٨م)(١٠).

٩ ــ "**شرح قصيدة ابن الحاجب**"(١١): في العَروض والقوافي. وابن الحاجب هو: جمال الدين أبو عمرو عثمان ، ابن عمر بن أبي بكر بن يونس ، الدويني الأصل الاسنائي المولد ، الفقيه المالكي – المعروف بابن الحاجب، ولد بإسنا (مدينة مشهورة من عمل قوص) سنة(٥٧٠هـ/١١٧٥م)،

---

(1) ابن واصل، مفرج، ج١، ص٢٠٤.

(2) ابن واصل، مفرج، ج١، ص٢٠٤.

(3) المصدر نفسه، مفرج، ج٦، ص١٥.

(4) البغدادي، هدية، ج ٦، ص ١٣٨.

(5) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٩.

(6) ابن واصل، مفرج، ج٦، ص٢٤. البغدادي ، إيضاح ، ج٣، ص٤٣٠. البغدادي، هدية،ج٦، ص١٣٨.

(7) البغدادي، هدية، ج٦، ص١٣٨.

(8) ابن اللمطي، الأمير، أبو التقى، صالح ابن الأمير المكرم أبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن حسن ابن اللمطي توفي سنة ٦٣٨ه . والأخر الأمير الأجل ، مكرم الدين إسماعيل بن أحمد بن الحسن ابن اللمطي توفي سنة ٦٣٨ه. الذهبي ، تاريخ الإسلام، ج ٤٦، ص١٤٩و٣٦٣. الصفدي، الوافي، ج١٦، ص١٤٥.

(9) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٩.

(10) البغدادي، هدية، ج٦، ص١٢٣.

(11) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٩.

أو(٥٧١هـ/ ١١٧٦م) ، وانتقل إلى القاهرة في صغره، فقرأ القرآن ، واشتغل بالعلم على مذهب الإمام مالك ، فتفقه، وانتقل إلى دمشق ، ودرس بجامعها، وكان من أذكياء العالم، صحب شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ، واختص به ولازمه ، توفي في ضحى يوم (الخميس السادس عشر من شوال سنة ٦٤٦هـ/ الحادي والثلاثين من يناير ١٢٤٩م / ١٢٥٠م)، ودفن بخارج باب البحر(١). وعنوان القصيدة: "المقصد الجليل في علم الخليل(٢)"، أولها:

الحَمْدُ للهِ ذِي العَرْشِ المَجِيدِ عَلَى إِلْبَاسِهِ مِنْ لِبَاسِ فَضْلِهِ حُلَلا

وقد شرحها ابن واصل شرحاً وافيًا .

١٠."**شرح الموجز(٣)**". **في المنطق**. وهو شرح لكتاب أفضل الدين الخُونَجي، الذي تقدم ذِكره.

١١."**مختصر الأدوية المفردة**"(٤). **في الطب**. وقيل: "مختصر المفردات". وهو اختصار كتاب "الأدوية المفردة" لابن البيطار(°).

١٢. "**مختصر مسألة أربعين**". **في الكلام**. ويقال: "مختصر الأربعين في أصول الدين"(٦). وهو اختصار كتاب الإمام الفخر الرازي(٧).

١٣."**مختصر المجسطي**". وهو اختصار لكتاب بطليموس القلوذي في الرياضة، من أيام أدريانوس ملك اليونان.

١٤. "**نخبة الأملاك في هيئة الأفلاك**"(٨). وقيل: "النخبة الملكية في الهيئة الفلكية". وهو في الفلك والرياضيات. ألفه باسم الملك المُعَظِّمْ الأيوبي، وهو في مصر سنة ٦٤٨ هـ/١٢٥٠م.

---

(1) النويري، نهاية، ج ٢٩، ص٢١٤ –٢١٥. الذهبي، سير، ج٢٣، ص٢٦٥. الذهبي، تاريخ، ج٤٧، ص ٣١٩. الصفدي، الوافي، ج١٩، ص٣٢٢. السبكي، طبقات، ج ٩، ص ٢٣٤. الدمشقي، توضيح المشتبه، ج٤، ص٢٣٤. السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص١٣٤. القنوجي، أبجد، ج٣، ص٣٤.

(2) حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١١٣٤.

(3) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٩.

(4) المصدر نفسه. أعيان، ج٤، ص٤٤٩.

(°) ابن البيطار: هو ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي(ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) : ولد في مالقة، وتعلم الطب، ورحل إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم، باحثا عن الأعشاب والعارفين بها، حتى كان الحجة في معرفة أنواع النبات وتحقيقه وصفاته وأسمائه وأماكنه. مصنف كتاب (الأدوية المفردة) ، وما صنف في معناه مثله. وله كتاب المغني في الطب، وهو مجيد مرتب على مداواة الأعضاء،انتهت إليه معرفة الحشائش، وسافر إلى أقاصي بلاد الروم، وحرر شأن النبات، وكان أحد الأذكياء، وخدم الملك الكامل، وابنه الملك الصالح. توفي بدمشق، في شعبان سنة ست وأربعين وست مائة. الذهبي، سير، ج٢٣، ص٢٥٦. صلاح الدين، فوات، ج٢، ص١٥٩.

(6) الصفدي. أعيان، ج٤، ص٤٤٩.

(7) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي ولد في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٥٤٣ه أو ٥٤٤ه، واشتغل على والده الإمام ضياء الدين، وكان من تلامذة، محيي السنة أبي محمد البغوي، وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاث مائة تلميذ فقهاء، وكانت له اليد الطولى في الوعظ بالعربي وبالعجمي، توفي يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ه. انظر، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٤٨. الفهري، فهرسة اللبلي، ج١، ص١٢٧. أبو الفداء، المختصر، ج١ ، ص١٢٨. النويري، نهاية، ج٢٩، ص٣١. الذهبي، العبر، ج٥، ص١٨. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٢٥. الصفدي، الوافي، ج٤، ص١٧٥.

(8) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٩.

١٥. "**نخبة الفكر**". في المنطق(١).

١٦. **نظْم الدُرَر في التاريخ والسِيَر**". فرغ من تأليفه في شهر رجب سنة ٦٩٢ هـ/ يونيو ١٢٩٣م. قال الدكتور شاكر مصطفى: «منه المجلد الأول مع ثلاث كرّاسات من المجلد الثاني، يبدو أن المؤلف توقف عندها، ولم يُتَح له تجاوزها. وكانت النسخة في ملك أحمد عُبيد صاحب المكتبة العربية، ثم بيعت لأوروبا(٢).

١٧. "**هداية الألباب(٣)**". في المنطق. وقيل: "هدية الألباب(٤)". هذا ما عرفناه من أسماء مصنفات ابن واصل، عدا ما نظمه من قصائد في الشعر، ولا ندري إن كان جمعها في كتاب مُفرد أم لا.

١٨. "**مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب**". **وقيل: "مفرّج الكروب في دولة بني أيوب"(٥)، وقيل: "مفرّج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب"(٦):**

يعد كتاب مفرج الكروب لابن واصل أهم المصادر التاريخية التي أرخت ورصدت الأحوال السياسية والاجتماعية في الدولة الأيوبية منذ نشأتها حتى سقوطها سواء في مصر أو في الشام(٧)، إذ كان ابن واصل شاهدا على كثير من أحداثها وحياتها ، والذي كان لهذه الشهادة دور في إثراء المكتبة العربية بكثير من المعلومات التي لم تتوفر لكثيرين ممن أرخوا لهذه الدولة. والكتاب عبارة عن ستة أجزاء ، صدر الجزء الأول منه (عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م) بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال رحمه الله ضمن مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم بوزارة التربية والتعليم ، إدارة الثقافة العامة، مطبعة جامعة فؤاد الأول. ثم صدر بتحقيقه الجزء الثاني، عام(١٣٩٧هـ/١٩٦٠م)، عن المطبعة والإدارة المذكورتين وصدر بتحقيقه أيضا الجزء الثالث عام(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي ومكتبة دار القلم بالقاهرة. وفي عام(١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، صدر الجزء الرابع ، بتحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع عن وزارة الثقافة ، مركز تحقيق التراث، مكتبة دار الكتب المصرية. وصدر الجزء الخامس عام(١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) بتحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع أيضا وعن الوزارة نفسها. وظل الجزء السادس والأخير يبحث عمن يقوم بتحقيقه حوالي ربع قرن إلى أن قام الدكتور عمر عبد السلام تدمري بتحقيقه من النسختين المخطوطتين المحفوظتين بالمكتبة الوطنية بباريس.

---

(1) البغدادي، هدية، ج٦، ص ١٣٨-١٣٩. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١٩٣٧.

(2) ابن واصل، مفرج، ج٦، ص٤٣ .

(3) السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ١٠٨. محمد أمين، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ج ٤، ص ٧١٨.

(4) البغدادي، هدية، ج ٦، ص ١٣٨-١٣٩.

(5) الصفدي، الوافي، ج١، ص٥٩. الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، ج١، ص٥٩. السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص١٠٨.

(6) حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١٧٧٢.

(7) يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص٢٤.

منهجه في كتابة التاريخ:

يعتبر ابن واصل من المؤرخين القلائل الذين أوردوا أخبار بني أيوب في كتاباتهم، حيث ذكر الكثير من محاسنهم ، ومناقبهم (١)، إذ أخذ بترتيب الأحداث التاريخية في دولة بني أيوب منذ البداية (٥٨٩هـ– ٦٤٨هـ/ ١١٩٤-١٢٥٤م).

وقد كان ابن واصل يُعنَى بذكر شيوخه، والاستفادة من المدارس التي تعلم فيها ، كالمدرسة الصلاحية، أو مدرسة القاضي بهاء الدين بن شداد في حلب(٢)، أو المدرسة العزية(٣). وكان يميل ابن واصل في كتابته للتاريخ إلى العبارات البلاغية(٤)، ولعله يشير في ذلك إلى أن ملوك بني أيوب كانوا من الفصاحة بمكان ، وكانوا يتبارون في خطاباتهم ، وكتاباتهم، ورسائلهم فيما بينهم . وقد اهتم ابن واصل بذكر التاريخ ، الحولي (الميلادي)، أو الهجري ، حيث يؤرخ لدولة عريقة من الدول الإسلامية، ألا وهي الدولة الأيوبية. وقد اهتم ابن واصل بذكر أقوال معاصريه من الكتاب ، وذلك في كتابه مفرج الكروب، مثل: عماد الدين الكاتب، عز الدين ابن الأثير(٥). وكان ابن الأثير يهتم بذكر آيات من القرآن الكريم ، أو أحاديث نبوية شريفة ، ليدعم بها أقواله في سرد تاريخ بني أيوب ، مثل : ذكر الزواج، وأحداث أخرى كثيرة(٦).

أيضاً كان ابن واصل يهتم في منهجيته للتاريخ اهتمامه بالشعر، وكتابات الشعر، وفي مناسبات كثيرة ، فالشعر لا يختفي من ثنايا كتابه مفرج الكروب، أثناء عرضه للمادة التاريخية(٧).

ومن منهجية ابن واصل في كتابة التاريخ الميل إلى ذكر المظاهر الإدارية(٨) ، والاقتصادية في كتابه المفرج(٩) .

ومن منهجية ابن واصل في كتابة التاريخ أيضًا الميل إلى ذكر المظاهر الاجتماعية(١٠)، والمظاهر الثقافية والعلمية(١١) ، والنظام العسكري(١٢) .

---

(١) ابن واصل ، مفرج ، ج١، ص١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣، ص٩، ص٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١، ص١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٥ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٣٧، ٣٨، ٤٩، ٧٢،٦٩، ٧٤، ٧٧، ١١٣، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٧.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، انظر ما يلي: ج٢، ص٣٧٨،٤١٩، ٤٢٤-٤٢٥ ؛ ج٣، ص٣-٥، ٨-١١، ١٣، ٢٠، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٥٤، ٦٤، ٦٧ ، ٧١، ٩٤، ١٠٣، ١١٠، ١١٢-١٦٧،١١٣ ، ١٩٨-٢٠٠، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٧٠؛ ج٤، ص١٩، ٨٦، ١٩٨، ٢١٤-٢١٥، ٢٢٦، ٢٨٤؛ ج٥، ص٦٦، ١٤٣، ١٥٧، ٢٠٩، ٢٣٤، ٣٠٤، ٣٠٧، ١١٤-١١٥، ٢١٣، ٢٣٦، ٢٧٧، ٢٩٩، ٣١٣ ، ٣٧١- ٣٧٣.

(٩) المصدر نفسه ، مفرج ، انظر ما يلي: ج٣ ، ص٨، ١٩، ٢٢، ٢٨، ٣١ ، ٤٠، ٤٤ ، ٧٥، ٩٤- ٩٥، ١٠٠، ١٠٧، ١٠٨، ١٣١، ١٩٧، ١٩٨ ؛ ج٤، ص٣٦، ٤٧، ١٣٣، ١٧٩، ٢١٧-٢١٨، ٢٥٧ ، ٢٦٧؛ ج ٥ ، ص٢٦، ٥٨، ٩٤، ١٣٢، ١٣٩-١٤٠، ١٦٩، ٢٤٤، ٢٩٣ ، ٣١١، ٣٧٩.

(١٠) ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص٥، ١٦، ٢١، ٣٤، ٨٢، ٩٦، ١٠١، ١١٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٧، ١٧٣، ٢٠٦-٢٠٨، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢١، ٢٦٤، ٢٧٠، ؛ ج٤، ص ١٦- ١٧، ٦٥، ٧٧-٧٨، ١٠٥، ١٤٠، ١٦٤ -١٦٥ ، ٢٨٤ ؛ ج٥، ص١٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ١٣٨، ١٥٨، ١٧٦، ١٩٤، ٢١٢

(١١) ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص١٠، ٨٣ ، ١١١، ١٢٧-١٢٨، ١٨٧ ؛ ج٤، ص٦٥، ٧٨ ، ١٤٢، ٢١٠-٢١١؛ ج٥، ص٣٥، ٣٧، ٥٥، ٨٩، ١١٧ ، ١٣٧، ١٤٥-١٤٦،١٦١- ١٦٣، ١٦٧-١٦٨، ١٧١، ١٩٠، ١٩٥، ٢٢٦-٢٢٧، ٣٤٣، ٣٤٥،

(١٢) ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص٢٨-٣٠، ٧٥- ٧٦، ٩٦ -٩٨، ١٠٠، ١٠٩، ١٢٢ ، ١٢٣، ١٣٥، ٢٢١، ٢٣٩ ؛ ج٤، ص٣٢، ٤٧، ٩٣، ١٤٠، ١٤١ ، ٣٠٣؛ ج٥ ، ص١٧، ٢٦، ٦٥، ١٨٢، ٢٢٩، ٣٤٦.

ومن منهجية ابن واصل ، وضع لكتابه عدة فهارس، بلغت أحد عشر فهرساً، فوضع : فهرساً للموضوعات، وفهرساً للملاحق، وفهرساً للأعلام، وفهرساً للأعلام في الحواشي، وفهرساً للجماعات والشعوب والقبائل، وفهرساً للمواقع والأمكنة والبلدان، وفهرس المصطلحات، وفهرس المصطلحات التي عرف بها في الحواشي، وفهرس الكتب التي ذكرت في المتن، وفهرس الوثائق، وفهرس الشعر والشعراء .

وفاة ابن واصل:

كانت وفاته في(محرم سنة ٦٩٠هـ/ يناير ١٢٩١م) دخل مصر من جديد بصحبة الملك المظفر صاحب حماة ، ومكث فيها يلقي بعلمه في أرجائها(١) حتى فقد البصر(٢)، وتوفي(يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال ٦٩٧هـ/ الأول من أغسطس ١٢٩٨م)(٣)، ودفن بتربته بعقبة بيرين(٤).

(1) السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ١٠٨.

(2) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٧.

(3) أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٤٨٦. الصفدي، نكت، ج١، ص١٠٣. السيوطي، بغية، ج١، ص١٠٣. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص١٧٧٢ و١٩٣٧. ابن محمد أمين، إيضاح، ج٣، ص٤٣٠ و ج٤، ص٧١٨. البغدادي، هدية، ج٦، ص١٣٨-١٣٩. الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٧.

(4) الصفدي، أعيان، ج٤، ص٤٤٧.

الفصل الثاني

انقسام الدولة الأيوبية
والصراعات بين خلفاء صلاح الدين

أولاً: موقف ابن واصل من خلفاء صلاح الدين:

١- تقسيم أقاليم الدولة بين خلفاء صلاح الدين:

بين ابن واصل(٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، وعدد من المؤرخين مواقف خلفاء صلاح الدين بعد وفاته في (صفر سنة ٥٨٩هـ/ فبراير١١٩٣م)، حيث أخذ كل أمير على عاتقه الاستقلال في مملكته، والذود عنها سواء من الأقارب، أو من الأعداء(١).

وقد أكد ابن واصل ، وجمع من المؤرخين ، مثل: الأصفهاني(ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، ابن الأثير(ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، وابن العديم(ت: ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، وأبو شامة(ت: ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، والخزرجي (٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، وابن الوردي(ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، وابن كثير(ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، على مدى تأثير وفاة الناصر صلاح الدين، على مجريات الأمور من بعده، وما ترتب عليه من تقسيم البلاد بين أولاده (٢).

وكانت الأمة الإسلامية في مسيس الحاجة إلى شخصيته المتميزة، وإيمانه الكبير، وعبقريته العسكرية الفذة، لأن أحد من خلفائه سواء كان من أبنائه السبعة عشر، أو إخوانه لم يستطع، أن يملأ الفراغ الذي تركه(٣).

وظهر خلفاء صلاح الدين على مسرح الأحداث التاريخية، وكانوا مختلفين عنه سلوكاً وخلقاً، وكان مستواهم العسكري والسياسي، لا يرقى إلى مستواه، ومن هنا ترك صلاح الدين فراغاً سياسياً كبيراً بموته(٤).

ومهما يكن من أمر فقد انقسمت الدولة الأيوبية بين أولاد صلاح الدين، وكانت تقسيمات على النحو التالي:

أ- الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين(٥) ولي دمشق، والقدس، وبعلبك(٦)،

---

(1) ابن واصل، مفرج ، ج٢، ص٤١٩. ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٢٤. ابن العديم، زبدة، ج ١، ص ٤٢٧. الخزرجي، الأنباء، ج ١، ص ٦٧٣. النويري، الأرب، ج ٢٨، ص ٢٩٣. ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١٠٤. ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ٢. ابن خلدون، تاريخ، ، ج ٥، ص ٣٨٣.

(2) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣-٥. ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٢٢٤.ابن العديم،زبدة، ج١، ص٤٢٧.الخزرجي، الأنباء،ج١،ص٦٧٣.

(3) ابن واصل، مفرج ، ج٢، ص٤١٩. النويري، الأرب، ج ٢٨، ص ٢٩٣..

(4) ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١٠٤. ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ٢. ابن خلدون، تاريخ، ، ج ٥، ص ٣٨٣. وانظر: الطيبي، وقعتا حطين والأرك، ص٥١-٦٤. زيادة، يوم حطين، ص٣٦-٤٦. عاشور، حطين، ص٤٢- ٤٥. زنيبر، معركة حطين، ص١٦٥-١٧٦. الجنحاني، حطين، ص١٦٥-١٧٦. محمود، العلاقة، ص١٥٥-١٦٠. الموسوعة الفلسطينية ج1، ص505. بردج، تاريخ ، ص١٩٧. عبد القادر، سياسة ، ص٢٩٦. وانظر: Grousset, II, pp. 793-798; Stevenson,The Crusaders, pp 243-248

(5) أبو الحسن علي، الملقب الملك الأفضل نور الدين، ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، واليه كانت ولاية العهد بعده، استقل بمملكة دمشق ، توفي فجأة في قلعة سميساط عن عمر٥٧ سنة، ونقل إلى حلب، ودفن فيها عام (٦٢٢هـ/١٢٢٥م). ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٥٥ . وانظر: ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٤٤٥. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٤١٩-٤٢١. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٤.

(6) بعلبك، من أعمال دمشق. وهي إحدى مدن الشام ، وبها بنيان عجيب بالحجارة وبها عين عجيبة يخرج منها نهر عظيم وداخل المدينة الأجنة والبساتين. اليعقوبي، البلدان، ص١٦٣. ياقوت، معجم، ج١، ص٤٥٣-٤٥٥.

وصرخد(١)، وتبنين(٢)، وبصرى(٣)، إلى الداروم(٤)(دير البلح) حتى حدود مصر(٥).

ب- الملك العزيز عماد الدين عثمان صاحب مصر(ت: ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)([٦]). وأوردت المصادر ما يشبه تلك الصفات بأنه " كَانَ سُلْطَاناً جواداً، حَلِيمًا ، مليح الصُّورَة، حسن السِّيرَة"([٧]). " معتقدا في أرباب الخير والصلاح " " ديناً صالحاً ، حسن الأخلاق "([٨])." واستقامت الأمور فى أيّامه، وعدل فى الرعيّة "([٩]). و" سار سيرة حسنة بعفة عن الفرج والأموال "([١٠]). ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا ابن إياس الحنفي(٨٥٢ه-٩٢٩هـ/ ١٤٤٨م-١٥٢٣م): فذكر بأنه كان " طائش العقل مخلوعاً، أخطأت فيه فراسة والده الناصر بما كان يرجوه منه ...فلما تولى أمر مصر، أعاد المكوس التي كان أبطلها والده، وزاد في شناعتها؛ وتجاهر بالمعاصي، حتى غلا سعر العنب في أيامه لكثرة من يعصره؛ وحميت بيوت المزارة والحانات، وأماكن الحشيش، وأباحوا ذلك أرباب الأمر والنهي؛ وأقيمت على هذه الأماكن الضرائب الثقيلة ، وقرر عليها في كل يوم ستة عشر ديناراً، حماية للسلطان، وصار طاحون الحشيش عمالة كل يوم في حارة المصامدة، وكذلك بيوت المزار، التي في الكبش، عند الغور؛ وكان القاضي عبد الرحيم الفاضل ، وزير أبيه ، ينهاه عن ذلك فلم ينته؛ ووقع في أيامه الغلاء بمصر، والقمح في الجرون، واضطربت أحوال الديار المصرية في أيامه"([١١]). ومما هو معلوم أن ابن إياس ، مؤرخ متأخر نسبيا ولا نعلم من أين استقى تلك المعلومات التي لم ترد في أي من المصادر. وقد تملك المنصور من بعد أبيه

---

(1) صرخد، موضع بالشام وهي بلد ملاصقة لبلاد حوران ، من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة وواسعة. البكري، معجم، ج٣، ص٨٣١. ياقوت، معجم، ج٣، ص٤٠١.

(2) تبنين، بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلدة بانياس بين دمشق وصور. ياقوت، معجم، ج٢، ص١٤.

(3) بصرى، بليدة بحوران وهي قصبة الكورة من أعمال دمشق وهي مشهورة عند العرب قديما وحديثا وبها كان بحيرا الراهب الذي بشر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبها مبرك ناقته قد بني عليه مسجد عظيم. البكري، معجم ، ج١، ص٢٥٣. ياقوت، معجم، ج٢، ص٥٠٠. ابن بطوطة، رحلة، ج١، ص١٢٨.

(٤) الداروم، قلعة بين غزة ومصر يرى الواقف فيها البحر، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل. ابن واصل: مفرج، ج٣، ص٤-٥، ١٠ . ياقوت: معجم، ج٢، ص٤٢٤. ابن الأثير، الكامل ، ج٩، ص٢٢٧ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٠. ابن تغري بردي، النجوم ج٦، ص١٠٣ .

([٦]) الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب(٥٦٧ه-٥٩٥هـ):

كان نائباً عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام، وتوفي أبوه بدمشق، فاستقل بملكتها باتفاق من الأمراء، وكانت ولادة الملك العزيز بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان قد توجه إلى الفيوم، فطرد فرسه وراء صيد فتقطر به فأصابته الحمى من ذلك وحمل إلى القاهرة، فتوفي بها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة، رحمه الله تعالى. دفن بقبة الشافعي .

ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨٣. ابن خلكان، وفيات،ج٣، ص٢٥١. أبو الفداء، المختصر،ج٣، ص٩٥.

([٧]) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨٣. الحموي، التاريخ المنصوري، ج١، ص٧ .

([٨]) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨٣. وانظر: ابن الوكيل ، تحفة ، ص٥٨ .

([٩]) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨٣. وانظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٢٦-١٢٧ .

([١٠]) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨٣. السيوطي، حسن، ج٢، ص٢٢ . مرعي بن يوسف، نزهة الناظرين، مخطوط محقق، ص٤٤، ص٤٦ . وانظر: محمود السيد ، تاريخ القبائل ، ص٢٤ .

([١١]) الحنفي، بدائع ، ج١، ق١، ص٢٥٠-٢٥١.

العزيز، "وخلف العزيز المنصور محمد ، وكان عمره يوم توفى والده تسع سنين و شهوراً"[١]. وأوصى لعزيز بالملك لولده، وأن يكون مدبِّره بهاء الدين قراقوش الأسدي(٢). حتى أن العادل عندما أرسلوا له بوفاة العزيز ، رد قائلاً: " بأن الملك العزيز إن كان قد مات عن غير وصية فليكتب الأعيان خطوطهم له بذلك وشهادتهم له، حتى يرى رأيه؛ وإن كان قد مات عن وصية فلا يعدل عنها، ولا ينبغي له التعرض إلى ديار مصر"(٣) . وقد أوصى العزيز لابنه المنصور : " إقامة الملك، وقيام بهاء الدين قراقوش بأتابكيته؛ فأجلسوا المنصور في مرتبة أبيه، وترتب بين يديه قراقوش، وحلفت الأمراء كلهم للمنصور، وامتنع عمّاه: الملك المؤيد، والملك المعز من الحلف إلا بشرط أن تكون الأتابكية لهما، وجرت بينهما منازعة ومشاقة كثيرة، وأجابا بعد ذلك إلى الحلف، وحلفا"(٤).

ج- الملك الظاهر غياث الدين غازي(٥)، استولى على حلب ، وجميع أعمالها وشمال سوريا كحارم وتل باشر(٦) واعزاز(٧) ومنبج (٨).

د- الملك المفضل قطب الدين موسى الذي لقب فيما بعد بالمظفر(٩).

ه- الملك الظافر مظفر الدين خضر(١٠)، حيث تولي الملك الظافر خضر بن صلاح الدين بصرى من قبل أخيه الملك الأفضل(١١).

و- الملك الأعز شرف الدين يعقوب ،حدث الحرمين ودمشق، وكان متواضعاً كثير التلاوة، توفي بحلب سنة(٦٢٤هـ/١٢٤٤م)(١٢).

---

(1) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨٧ . ابن تغرى بردي، مورد ، ج٢، ص٩ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٤٨. ابن خلكان، وفيات ، ج٤، ص٩١ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٩٢-٩٣ .

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص ٨٩ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ١٥٧-١٥٨ .

(5) غياث الدين غازي الملقب أبو منصور، ولد بالقاهرة في منتصف (رمضان سنة ٥٦٨ه، أبريل/١١٧٣م)، أنشأ المدرسة الظاهرية، توفي بحلب في (العشرين من جمادى الآخرة سنة ٦١٣هـ/ الرابع من اكتوبر ١٢١٦م). ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٤١ . وانظر: أبو شامة، الروضتين، ج ٤، ص ٤٠٦.

(٦) تل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، بينها وبين حلب يومان، وأهلها نصارى أرمن، ولها ربض ، وأسواق، وهي عامرة آهلة . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص47 .

(7) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧١ .

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٤١ . وانظر: الخطيب، القدس ، ص٣٠.

(9) الملك المفضل قطب الدين موسى ، ولد سنة (٥٧٣هـ/١١٧٧م)، لقب فيما بعد بالمظفر، وهو شقيق الملك الأفضل لامه وأبيه، توفي سنة(٦٣١هـ/١٢٣٤م). ابن واصل، مفرج،ج٣، ص٦٧. الذهبي، سير، ج٢٣، ص١٨. ابن كثير، البداية،ج١٣، ص٤. ابن تغري بردى، النجوم،ج٦، ص٦٢. النعيمي،الدارس، ج٢، ص ١٤٦.

(10) الملك الظاهر مظفر الدين أبو العباس خضر بن السلطان صلاح الدين، وهو شقيق الأفضل لأمه وأبيه، كنيته أبو الدوام وأبو العباس، ولد في القاهرة في (الخامس من شعبان سنة ٥٦٨هـ/الحادي والعشرين من مارس سنة ١١٧٣م) ، توفى في حران عند عمه الملك الأشرف موسى في(جمادى الأولى سنة ٦٢٧هـ/مارس١٢٣٠م) . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. الأصفهاني، البرق، ج ٣، ص ٧٧. أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٤٧٥. ابن خلكان، وفيات، ج ٧، ص ٢٠٥. ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ٤.

(١١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. الصفدي، الوافي، ج١٣، ص٢٠٤. النعيمي، الدارس،ج ٢، ص ١٤٥.

(12) هو المعز بن صلاح الدين يعقوب، ويقال: الأعز أبو يوسف يعقوب شرف الدين، ولد بمصر في (ربيع الآخر سنة ٥٧٢هـ/اكتوبرسنة١١٧٦م). ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٤. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٧. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٤٧٦. الذهبي، تاريخ، ج٤٥، ص ٧٨ وج٤٥، ص٣٠٠. الصفدي، الوافي، ج٢٨، ص١١٣ و ج٢٩، ص١١٣.

ز- الملك الزاهر مجير الدين داوود ، تولى البيرة عند تولي أخيه الظاهر غياث الدين غـازي لحلـب، وعهد إليه بالملك بعده قبل أن يولد له ولد (١).

ح- الملك المؤيد نجم الدين مسعود(٢).

ط- الملك المعز فتح الدين اسحق، كان فاضلاً ، حسن المذاكرة . نزل بحلب عند أخيه، وقع عن فرسـه في الصّيد ، فمات في ذي الحجّة ، وله ستٌّ وخمسون سنة (٣).

ي- الملك الجواد أبو سعيد ركن الدين أيوب(٤).

ك- الملك الأشرف نصير الدين محمد(٥).

وجدير ذكره أن هذا الملك لم ينجب ولداً ؛ و إنما أنجب بنتاً واحدة ، فعندما تـوفى فـي سـنة (٦٣٥هـ/١٢٣٨م)، ولى الملك الأشرف ولاية عهده لأخيه الملك الصالح (عماد الدين إسماعيل)([٦]).

ل- الملك المحسن يمين الدين أحمد(٧).

م- الملك المُعَظِّمْ فخر الدين تورانشاه ، صار كبير البيت الأيوبي، وذلك في السنة التي دخل فيها التتار، وأخرب مدينة حلب وغيرها، وهو آخر أبناء صلاح الدين وفاةً(٨).

---

(1) هو الزاهر أبو سليمان داوود مجير الدين، ولد في (الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٧٣هـ/الخامس والعشرين من إبريل سـنة ١١٧٨م)، كان أشبه الناس بوالده شكلاً، توفي بالبيرة في(التاسع من صفر سنة ٦٣٢هـ/ الثالث من نـوفمبر سـنة ١٢٣٤م). ابـن واصـل، مفـرج ، ج٢، ص٤٢٤. الأصفهاني، البرق، ج ٣، ص ٧٧. ابن العديم، زبدة، ج ١، ص ٤٨٤. أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٤٧٦. ابن خلكان، وفيـات، ج ٢، ص ٢٥٧. النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٩٥. الذهبي، تاريخ، ج ٤٥، ص ٧٨.

(2) هو الملك المؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود ابن الملك الناصر صلاح الدين، ولد في (شهر ربيع الأول سنة ٥٧١هـ/ سبتمبر سـنة ١١٧٥م)، وتوفي (سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) في رأس عين مختنقاً ببخار منقل نار أشعله مع أصحابه بعد خروجه من عند عمه الملك العادل، وقيـل أنـه سـم، وحمل إلى حلب ودفن فيها. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٤؛ ج٣، ص١٩٨ . الأصفهاني، البرق، ج ٣، ص ٧٧. أبو شامة، الروضـتين، ج ٢، ص ٤٧٥. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٣٨٧. الذهبي، تاريخ، ج ٤٥، ص ٧٨. ابن الوردي، تاريخ ، ج ٢، ص ٣٨٧. الـصفدي، الـوافي، ج ٢٩، ص ٣٨٧. المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٢٨٩.

(3) هو الملك المعز أبو يعقوب فتح الدين اسحق ابن السّلطان صلاح الدّين يوسف بن أيـوب، مولـده بمـصر فـي (شـهر ربيـع الأول سـنة ٥٧٠هـ/سبتمبر سنة ١١٧٦م). ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٥. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٧. أبو شـامة، الروضـتين، ج ٢، ص ٤٧٥. الذهبي، تاريخ، ج٤٥، ص ٢٢٢. الصفدي، الوافي، ج ٨، ص ٢٨٠. الذهبي، تاريخ، ج٤٥، ص ٢٢٢.

(4) هو الملك الجواد أبو سعيد ركن الدين أيوب، ولد في (ربيع الأول ٥٧٨هـ/يوليو ١١٨٢م)، وهو شقيق المعـز. ابـن واصـل، مفـرج، ج٢، ص٤٢٥. وانظر: الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٨. أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٤٧٧. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٤. النعيمي، الـدارس، ج٢، ص١٤٦.

(5) هو الأشرف أبو عبد الله محمد عز الدين بن السلطان الناصر صلاح الدين، ولد بالشام سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م). ابـن واصـل، مفـرج، ج٢، ص٤٢٥. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٨. أبو شامة ، الروضتين، ج ٢، ص ٤٧٦.

([٦]) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٤٧. اليافعي،مرآة، ج٤،ص٦٩. ابن تغري بردي،النجوم، ج٦، ص٣٠٠ .

(7) أحمد بن يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان أبو العباس الملقب بالملك المحسن يمين الدين بن الملك الناصر صلاح الدين، ولد بمصر سـنة (٥٧٧هـ/١١٨١م)، أوكل إليه أخيه الظاهر قرية في حلب يقال لها قذاران، توفي في (محرم سنة ٦٣٤هـ/سبتمبر ١٢٣٦م) عن سـبعة وخمـسين سنة. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٥. ابن العديم، بغيـة، ج٣، ص١٢٥٨. الـذهبي، سـير، ج٢٣، ص١٢٥٨ و ج٢٣، ص١٨؛ تـذكرة، ج٤، ص١٤١٩؛ تاريخ، ج٤٦، ص١٧٩.

(8) وهو الملك المُعَظِّمْ فخر الدين أبو منصور تورانشاه، ولد بمصر في شـهر (ربيـع الأول سـنة ٥٧٧هـ/ يوليـو ١١٨١م)، تـوفي سـنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) . ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٥. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٩٣. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٤. ابـن تغـري بـردي، النجوم، ج٧، ص٩٠.

ن- الملك الغالب أبو الفتح ملكشاه(١).

س- الملك المنصور(٢).

ع- نصرة الدين مروان، وعماد الدين شاذي، أما البنت فهي مؤنسة خاتون(٣).

وقد حكم الأقاليم والولايات الأخرى كلٌ من:

أ- الملك العادل سيف الدين أبو بكر شقيق صلاح الدين(٤)أخذ الكرك، والشوبك(٥) ، والبلاد الشرقية(٦) . وكانت هذه المنطقة لا تتناسب مع مكانته وقدراته (٧).

ب- احتفظ سيف الإسلام طغتكين أخو صلاح الدين باليمن وجزيرة العرب (٨). وفي عام(٥٩٣هـ /١١٩٦م) توفي سيف الإسلام أخو السلطان صلاح الدين وكان قد جمع أموالاً جزيلة جّداً وكان يسبك الذَّهب مثل الطواحين ويدَّخره كذلك وكان ملكاً جواداً ممُدَّحاً (٩). وقام في الملك بعده ولده إسماعيل وكان أهوج قليل التدبير، فحمله جهلهُ على أن أدَّعى أنه قرشي أمويٌ وتلقب بالهادي، فكتب إليه عمه العادل ينهاه عن ذلك ويتهدده بسبب ذلك، فلم يقبل منه ولا التفتَ إليه، بل تمادى في ذلك وأساء إلى الأمراء والرَّعيّة، فقُتِل وتولّى بعده مملوك من مماليك أبيه(١٠).

ج- الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه(١١)أخذ بعلبك وأعمالها(ت: ٦٢٧هـ/١٢٢٩م).

---

(1) الملك الغالب أبو الفتح ملكشاه ولد بالشام في (رجب سنة ٥٧٨هـ/نوفمبر١١٨٢م). ابن واصل، مفرج،ج٢، ص٤٢٥.

(2) الملك المنصور، ولد بحران بعد وفاة والده السلطان صلاح الدين. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٥. أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٤٧٧.

(3) مؤنسة خاتون، تزوجها ابن عمها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وماتت عنده. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٥. أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص٤٧٨. تغري، النجوم، ج٦، ص٦٢. النعيمي، الدارس، ج٢، ص ١٤٦.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٧٠ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٦. الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٢، ص١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠ .

(5) الشوبك قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك . ياقوت، معجم، ج٣، ص٣٧٠. ابن بطوطة، رحلة، ج١، ص١٢٩.

(٦) البلاد الشرقية تضم: حران، الرها، سميساط، الرقة، قلعة جبر، وديار بكر. خسرو، سفرنامه ، ج١، ص٤٤، ص١٥٧. البكري: معجم، ج٢، ص٦٦٦. الإدريسي، نزهة، ج٢، ص٦٤٩، ص٦٥١، ص٦٦٣. ياقوت ، معجم، ج٢، ص١٤٢، ص٢٣٥، ص٤٩٤. ج٣، ص٥٩ . ج٣، ص١٠٦ . ج٣، ص٢٥٨ .

(٧) ابن واصل، مفرج ، ج٢، ص٣٧٨ . ابن الأثير، الكامل، ص١٤٠-١٤١. الذهبي، سير، ج١٦، ص١٢٠ . ابن الوردي، تاريخ ، ج٢، ص١٣٣ . الخطيب، القدس، ص٣٠.

(8) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣. ابن القلانسي، ذيل، ص١٣٠-١٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٩٦، ج٩، ٢٤٨،٧٤. ابن العديم، زبدة، ج٢، ص١٢٠-١٢١، ١٥٠. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص١٦٤. القلقشندي، صبح، ج٣، ص٤٨٣. العصامي، سمط، ج٤، ص١١. الباشا، الألقاب، ص١٥٦-١٥٧.

(٩) ابن العماد ، شذرات، ج١٦، ص٦٧٧.

(١٠) ابن خلكان، وفيات ، ج٢، ص٥٢٤-٥٢٥ . أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص١٠٢. اليافعي، مرآة ، ج٣، ص٣٧٤. ابن كثير، البداية ، ج١٦، ص٦٧٨ . ابن العماد، شذرات ، ج٦، ص٥٤٥.

(١١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٨٤ . ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٥٣ ــ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٤٣ . صلاح الدين، فوات ، ج١، ص٢٢٦. الصفدي ، أعيان، ج٤، ص٤١٠ . الصفدي، الوافي ، ج١٠، ص١٩٠ . المقريزي، السلوك ، ج١، ص٣٦١ . الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين ، ص١٦.

د- استمر الملك المنصور الأول محمد بن تقي الدين عمر(١) في حمـــاة، وسَـــلَمِيَّة(٢)، والمعـــرَّة(٣) ، ومَنْبِجْ(٤)، وقلعة نجم (٥) .

ه- وكان ثمة بعض البلدان والحصون بأيدي جماعة من أمراء الدولة فاحتفظ كل بولاية:

- إذ استمر عز الدين مسعود الأول الزنكي في حكم الموصل(٦).

- احتفظ أخوه عماد الدين زنكي الثاني في حكم سنجار(٧). وقد كان من خيار الملوك وأحـــسنهم شـــكلاً وسيرة، وأجودهم طوية وسريرة وكان شديد المحبة للعلماء ولاسيما الحنفية وقد ابتنى لهم مدرسة بسنجار وشرط لهم طعاماً يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم، وهذا نظر حسنٌ، والفقيه أولى بهذه الحـــسنة مـــن الفقير، لاشتغال الفقيه بتكراره ومُطالعته عن الفكر فيما يُقِيته، فغدا علـــى أولاده ابـــنُ عمِّـــه صـــاحب الموصل، فأخذ الملك منهم، فاستغاث بنوه بالملك العادل، فَردَّ فيهم الملك، ودرأ عنهم الضَّيْمَ واســـتقرت المملكة لولده قطب الدين محمد، ثم سار العادل إلى ماردين، فحاصَرها في شهر رمضان فاستولى علـــى رَبَضِها ومُعَامَلَتِها وأعجزته قلعتها، فصاف عليها وشتا وما ظن أحدُ أنه تَملكَّها، حتى هنَّته الشعراء بذلك؛ لأن ذلك لم يكُن مثبوتاً ولا مقدَّرا (٨).

- حكم قطب الدين سقمان الثاني الأرتقي حصن حصن كيفا(٩) وآمد(١٠).

---

(١) صاحب حماة الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي الحموي . كانت دولته خمـــسا وعشرين سنة . تملك بعد أخيه خمسة عشر عاما وأشهرا ، وكان بطلا شجاعا إلى الغاية ، وكان فطنا قوي الفراسة ، طيب المفاكهة ، وكان ناقص الحظ مع جيرانه الملوك ، وحرص جدا على قيام ملك الملك الصالح نجم الدين ، وخطب له بحماة ، ثم تعلل طويلا أزيد من سنتين ، وفُلِـــجَ ، ثـــم مرض بحمى ، ومات ، وقامت بالأمور زوجته أخت الملك الصالح ، وحزن الصالح لموته كثيرا ، وجـــلس للعزاء ثلاثة ،عاش ثلاثا وأربعين سنة. (٥٩٩هـ-٦٤٢هـ/١٢٠٢-١٢٤٤م)، فتملك بعده ابنه المنصور محمد ، وله عشر سنين وأيام . ابن واصل ، مفرج، ج٥، ص٣٤٢-٣٤٣. الـــذهبي، العبر، ج٥، ٣٤٥- ٣٤٦. المقريزي، السلوك، ج٣، ص٧٢٥. العماد، شذرات ، ج١، ص٦٧٠.

(٢) سَلَمِيَّة: من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص. ياقوت، معجم، ج٣، ص٢٤٠.

(3) معرة النعمان: على مسافة ثمانية أميال إلى الشرق من البارة وهي مدينة كبيرة قديمة من أعمال حمص بين حلب وحماة. الإدريسي، نزهـــة ، ج٢، ص٦٥٢. ياقوت، معجم، ج٥ ، ص١٥٦. وانظر: ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص١٦٤.

(4) منبج: تقع إلى الشمال الشرقي من حلب عاى بعد ١٢كم من نهر الساجور الذى يمر إلى الشمال منها، وعلى بعد نحو ٣كم من نهـــر الفـــرات الذى يجرى إلى الشرق منها. ابن حوقل، صورة، ص١٦٦. البكري البكري، معجم، ج٤، ص١٢٦٥. الإدريسي، نزهـــة، ج٢، ص٦٥١. يـــاقوت، معجم، ج٥، ص٢٠٥.

(٥) قلعة نجم على شاطئ نهر الفرات. قلعة سورية أثرية تقع بالقرب من مدينة منبج السورية في منطقة زراعية خصبة فوق تل بجوار نهرالفرات ، ١١٥ كم شمال شرق مدينة حلب. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. ابن العديم، زبدة ، ص٤٤٤. وانظر: محمد علو، قلعة نجم الحصن المتين، ولؤلؤة الفرات الأروع، موقع حلب، الرابط:

http://www.esyria.sy/ealeppo/index.

(٦) ابن واصل، مفرج،ج٣، ص٢٠. الأصبهاني، البرق،ج٥،ص٨١. أبو المعالي، مضمار،ج١، ص٤٣ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٧٨. ابن الأثير، الكامل، ج٩ ، ص٢٤٣.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨٠ . ابن كثير، البداية ج١٦، ص٦٨١.

(٩) قلعة حصينة منيعة ذات شعب مدفونة بين الجبال سوى جانبها المشرف على نهر الدجلة من الجانب الغربيّ عن الدجلة، وهي في تركيـــا. ابـــن حوقـــل، صـــورة الأرض، ج١، ص٢٢٤. صـــفي الـــدين، مراصـــد الاطـــلاع، ج١، ص٤٠٧. وانظـــر: موقـــع ويكيبيـــديا، الـــرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki

(١٠) آمد فهى على دجلة من شرقيّها وسورها فى غاية الحصانة. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨٠. الاصطرخي(الكرخي)، المـــسالك والممالـــك، ص٧٥. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٦ . وانظر: الخطيب، القدس، ص٣١.

– تولى ناصر الدين منكوريوس منطقة صهيون في القدس(١).

٢– النزاع بين خلفاء صلاح الدين: عندما توفى صلاح الدين حضر العادل، وشارك في تقبل التعازي مع أبناء أخيه، وكان صلاح الدين قد قدم ابنه الملك الأفضل لتولي السلطنة من بعده، وبعد انتهاء العزاء طلب الأفضل من بعض الأمراء والمماليك أن يجددوا مبايعته، ويحلفوا له يمين الولاء والطاعة(٢).

وقد أجمع المؤرخون على خلافة الملك الأفضل لأبيه ، وهذا مما يشير إلى حكم وراثي ، طال الدولة الأيوبية، وكان من عوامل ضعفها (٣) .

وقد استند ابن واصل على دلائل لإقرار الملك للأفضل، منها أنه:

أ– كان أكبر أبناء صلاح الدين، حيث قسم الناصر صلاح الدين الشام بين أبنائه: " والملك الأفضل هو الأكبر من أولاد السلطان، والمعهود إليه بالسلطنة... "(٤). وهذا يعني أن السلطان صلاح الدين أوصى بالسلطنة من بعده للأفضل نور الدين أكبر أبنائه السبعة عشر الذين تركهم وراءه، بعد أن كان قسم بلاد الشام بين أبنائه وأقربائه، وذلك لصعوبة وضع بلاد الشام تحت حكم مركزي موحد في ظل وجود قبائل عربية لها قوتها، ويصعب السيطرة عليها(٥).

ب– تسمية كل واحد من أولاد صلاح الدين بالملك، أو السلطان، وعدم الحياض عن هذا اللفظ طوال حديثه عن خلفاء صلاح الدين ، سواء كان من أولاده ، أو إخوانه؛ لأن ابن واصل كان قريباً من البيت الأيوبي في الشام، وكان يعتز بهم ، وقد اشتغل مع خلفاء البيت الأيوبي كثيراً في الشام، حيث كان يأمل منهم ، العمل، والجد ، والاجتهاد ، وأن يحذوا حذو السلطان الناصر صلاح الدين، الذي أطلق عليه ذلك(٦). ويبدو أن صلاح الدين الأيوبي – مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام– لم يتخذ لقب سلطان، ولا يوجد دليل يشير إلى أنه اتخذ هذا اللقب ونعت به نفسه، وإنما الغالب أن معاصريه – من المؤرخين وغير المؤرخين– مثل: ابن واصل، هم الذين لقبوه بلقب سلطان تعظيمًا له، واعترافًا بمكانته، وتقديرًا لدوره الخالد في الجهاد، وبعد ذلك تمسَّك خلفاء صلاح الدين بلقب سلطان، حتى غدا اللقب الرسمي للحاكم الأعلى للدولة طوال عصري الأيوبيين والمماليك(٧).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٦٣ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٣. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٨٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٠ . ابن شداد، النوادر ، ص٣٦١ . أبو شامة ، الروضتين، ج٤، ص٣٥٩ . الذهبي، تاريخ ، ج٤١، ص٩٥. ابن الوردي، تاريخ ، ج٢، ص١١٣ . ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٥، ص١٢ . ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢١ . العصامي، سمط، ج٤، ص١٠–١١ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣. ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص١٢٠ . ابن شداد، النوادر ، ج١، ص٣٦٥ . أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤٠٦. أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٨٦ . الذهبي، تاريخ ، ج٤١، ص٩٥ . ابن كثير، البداية ط إحياء التراث، ج١٣، ص١٢.

(5) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ج٤، ج٥، ج٦، صفحات متفرقة. عاشور، نظم ، ج١، ص٢٤٦ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٤ ومابعدها.

ج- تمت البيعة للملك الأفضل من خلال حض العساكر لمبايعته مدة حياته(١)، وكان له ذلك، فكانت له الولاية على دمشق، وبيت المقدس، ونابلس، وبصرى، وصرخد، والساحل، وبعلبك، وبانياس(٢)، وهونين(٣)، وتبنين، وجميع الضياع الممتدة جنوباً إلى الداروم قرب الحدود المصرية.

وممن امتنع عن البيعة للملك الأفضل الملك العادل(٤)، وإن تظاهر بالبيعة للأفضل؛ ولكن حنقه وغضبه مما حدث، في تولية الملك الأفضل، وإسناد البيعة للملك الأفضل، حيث اعتبر نفسه الأحق من الملك الأفضل، وخاصة وأنه أخٌ لصلاح الدين، والعقل المدبر للدولة الصلاحية في عهد صلاح الدين، والقادر على إتمام ما كان يفكر فيه الناصر صلاح الدين: نشر الإسلام، ومحاربة الفرنج، وإخضاعهم لدولة الإسلام، لينتشر في بقاع الأرض (٥).

وقد امتنع قسم من الأمراء والمماليك عن البيعة ، فمنهم من قال: أنا ليس لي خبز (إقطاع) فعلى أي شيء أحلف ؟(٦). وأشار ابن شداد إلى أن البيعة التي دعا إليها الملك الأفضل القادة والأمراء في دمشق، لا تصح؛ بينما كان أبوه يعاني سكرات الموت: معتذراً بأن المرض قد اشتد وما يعلم ما يكون، وما يفعل هذا إلا احتياطاً على جاري عادة الملوك(٧).

واغتنم الفرنج وفاة صلاح الدين وانشغال الأيوبيين بالعزاء فقاموا بخطوة استطلاعية جريئة للتعرف على مدى قدرة خلفاء صلاح الدين على الاحتفاظ بوحدتهم واستولوا على مدينة جبيل وقلعتها عام ٥٩٠هـ/١١٩٤م ، وخرج الملك الأفضل وخيم على البقاع ليستخلصه فتعذر ذلك عليه، فقالت الأمراء للملك العزيز: توانيت، فطُرقت البلاد واستولى عليها الفرنج، فحينئذ صمم على الحركة وخرج بمضاربه وجحافله لقصد الشام (٨)، وانتهز صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود زنكي فرصة موت صلاح الدين، فتحرك لاحتلال البلاد الشرقية، وعندما علم الملك العادل بذلك اتجه إلى الشرق، وأقام في قلعة جعبر(٩)، لشل أي حركة يحاول صاحب الموصل القيام بها، مثل: تقسيم أقاليم الدولة(١٠).

---

(1)ابن واصل، مفرج ، مع الجزء والصفحة. ابن شداد، النوادر ، ص٣٦١.

(2) بانياس، من مدن دمشق، صغيرة ولها قلعة يستدير تحتها نهر يفضي إلى احد أبوابها ، كانت بيد الإفرنج واسترجعها نور الدين رحمه الله. المقدسي، أحسن التقاسيم، ج١، ص١٤٢. ابن جبير، رحلة، ج١، ص٢١٠.

(3) هونين، بلد في جبال عاملة مطلة على نواحي مصر، وكان بها قلعة حصينة للفرنج. ياقوت، معجم، ج٥، ص٤٢٠. أبو شامة ، الروضتين، ج٢، ص٢٤. وانظر: نصار، المقدسي، رسالة ماجستير غير منشورة،ص١٤٢.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤١٨-٤٢٠ . ج٣، ص١٦ .

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٤١٨-٤٢٠ . ج٣، ص١٦ .

(٦) ابن واصل، ج٢، ص٤١٨-٤٢٠ . ج٣، ص١٦ . وانظر: علي، خطط، ج٢، ص٧٣ .

(٧) ابن شداد ، النوادر ، ص١٤٨ .

(٨) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٦ .

(٩) قلعة جعبر: على الفرات بين بالس والرّقة، قرب صفّين، كانت قديما تسمّى دوسر، فملكها رجل من بنى قشير أعمى يقال له جعبر، فنسبت إليه. ياقوت، معجم، ج٢، ص١٤٢. صفي الدين، مراصد، ج١، ص٣٣٥.

(١٠) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٦ . ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٢٢٩. وانظر: الخطيب، القدس، ص٣٢.

٣- النزاع بين الأخوين الأفضل والعزيز:

قام الملك الأفضل بعد توليه الحكم بأمور عديدة أدت إلى حدوث نزاع بينه وبين العزيز، ومنها أنه: خالف نهج والده صلاح الدين في الحكم، فأقصى أمراء والده ومستشاريه بتأثير الوزير ضياء الدين ابن الأثير أخ المؤرخ المشهور، فهربوا إلى القاهرة مستنجدين بالعزيز عثمان الذي رفعهم وأعزهم، فالتقوا من حوله، واعترفوا به زعيماً على الأيوبيين وزينوا له الاستيلاء على دمشق، و اختياره ضياء الدين ابن الأثير وزيراً، وتركه يسيء التصرف في أمور الرعية، مما أثار سخط الأمراء بسوء تصرفاته ومضايقاته لهم، كما زين للأفضل التنازل عن بيت المقدس لأخيه العزيز عثمان بذلك وشكر للأفضل علي، ولكن الأمراء ولاة القدس خشوا من محاسبة العزيز لهم، فاتفقوا مع الأفضل علي على بقاء القدس بأيديهم دون الحاجة إلى أمواله، فوافق وكتب إلى أخيه بذلك، فتغير لذلك الملك العزيز عثمان وتكدَّر باطنه وبدأت العلاقة تسوء بين الأخوين، ومن هذه الأمور أيضا: عجز "الأفضل علي" عن مجابهة الصليبيين الذين أخذوا جبيل (١). ويبدو أن الأفضل ساءت سيرته، وضعفت إرادته وأصبح غير قاد على تولى السلطنة بعد والده إذ أقبل على اللعب وسماع الأغاني وتظاهر بلذاته، "وأصبح يوماً تائباً من غير سبب يُعلم" ، و أشار ابن واصل إلى بعض أخلاقه، وصفاته الحسنة بعد وفاته(٦٢٢هـ/١٢٢٥م) (٢). واستاء الملك العزيز لسوء تصرف الملك الأفضل وتركه أمر الدولة في يد وزيره، وهم بانتزاع الشام منه إثر تشجيع الأمراء الصلاحية له، وعندما علم الملك الأفضل بذلك هم بمراسلة أخيه العزيز يستعطفه فمنعه وزيره ضياء الدين ابن الأثير وحسن له محاربته، فمال الأفضل لرأي وزيره ، وزادة الوحشة بين الأخوين(٣). وقَصَدَ الملك العزيز الشام عام(٥٩٠هـ/١١٩٤م) ، فنزل بالقصير من الغور ثم حاصر دمشق، وضيق الخناق عليها، فاستنجد الملك الأفضل بعمه الملك العادل (٤). والواضح أن هذا الأخير لم يكن راضياً عن وضعه، ولاسيما وأن نصيبه من الإرث الصلاحي لم يتناسب مع أهمية الدور الذي أدّاه في خدمة الدولة الأيوبية، كما لم يشأ أن يتعجَّل الأحداث عقب وفاة أخيه صلاح الدين، بإعادة توحيد الدولة الأيوبية تحت حكمه، وهو الهدف الذي وضعه نصب عينيه، لذلك اتجه بتمهل إلى تحقيق هذا الهدف، وأخذ يتصرف بأناة ريثما تتضح الأمور، وفعلاً أتيحت له الفرصة باستغاثة الأفضل علي، فاستجاب لنداء الاستغاثة(٥). وساند الأفضل علي كلٌ من الظاهر غازي صاحب حلب، وناصر الدين محمد، صاحب حماة، وأسد الدين شيركوه الثاني، صاحب حمص، والأمجد، صاحب بعلبك، واتفق الجميع على منع العزيز عثمان من الاستيلاء على دمشق؛ علماً منهم أن العزيز عثمان إن ملكها أخذ بلادهم (٦).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٥، ٢٦.

(٢) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤٠ ؛ ج٤، ص١٥٥. المقريزي، السلوك ، ج١، ص٣٦.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٧ . أبوشامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٧.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٩-٣٠ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٤٢. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٩ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٩-٣٠ .

ويبدو هنا تكّون حِلْف أيوبي مناهض لحركة التمرد التي قادها العزيز عثمان انطلاقاً من مصر، عندئذ أدرك العزيز عثمان أنه لا قِبَلَ له بمواجهة قوى التحالف فمال إلى التفاهم، واجتمع بعمه العادل في صحراء المزة غربي دمشق في(٢٤ شعبان سنة ٥٩٠هـ/١٥ آب عام ١١٩٤م)، وقد نصحه عمه بالعودة إلى مصر قائلاً له: "لا تخرِّب البيت وتُدخل الآفة، والعدوّ وراءنا من كل جانب، وقد أخذوا جَبَلة، فارجع إلى مصر، واحفظ عهد أبيك، وأيضاً فلا تكسر حرمة دمشق وتطمع فيها كل أحد"(١).

وعاد الملك العادل عنه إلى دمشق، وأقام في منزلته، وبعث العادل إلى العزيز في منزلته، وقدمت العساكر على الأفضل وبعث العادل إلى العزيز يقول له: إرْحل إلى مرج الصُّفَّرة، فرحل وهو مريض وكان قصد العادل أن يبُعده عن البلد... واشتد مرض العزيز فاحتاج إلى المصالحة، ولولا المرض ما صالح، فأرسل الملك العزيز كبراء دولته فخر الدين إياز جَهَاركس(٢) وغيره يحلّف الملوك وطلب مصاهرة عمّه العادل فزوَّجه ابنته الخاتون، ورجع كل واحد إلى بلده، وذلك في شعبان سنة تسع وثمانين، وقال العماد الكاتب الأصفهاني : "خرج الملوك لتوديع الملك العزيز إلى مرج الصُّفَّر واحد بعد واحد وأوّل من خرج إليه أخوه الملك الظاهر غازي صاحب حلب، فبات عنده ليلة وعاد، فخرج إليه أخوه الأفضل صاحب الواقعة، فقام إليه واعتنقا وبكيا، وأقام عنده أيضاً يوماً وكان قد فارقه منذ تسع سنين"(٣). وقد تقرر وضع ترتيب جديد لحكم الأسرة الأيوبية ويقضي بأن:

- يحتفظ الأفضل علي بدمشق وطبريه وأعمال الغور.
- يتخلى الأفضل علي عن بيت المقدس وما جاوره لأخيه العزيز عثمان.
- يتخلىَّ الأفضل علي عن جبلة واللاذقية لأخيه الظاهر غازي.
- يعترف العزيز عثمان بسيادة الأفضل علي.

ولم يحظ العادل من الصفقة بشيء سوى ما جازه من مكانة بأن أصبح الحكم بين أفراد الأسرة الأيوبية (٤). ولما انفصل العساكر عن دمشق شرع الأفضل على عادته في اللهو واللعب، فاحتجب عن الرعية فسُمِّّى "الملك النّوام" وفّوض الأمر إلى وزيره ضياء الدين الجَزّرِي وحاجبه الجمال محاسن بن العجميّ، فأفسد عليه الأحوال، وكانا سببا لزوال دولته وهذا الأمر من الآفات التي تصيب بعض الملوك، واستمر الملك العزيز هذا بمصر وأمره ينمو ويزداد إلى سنة تسعين (٥). وعاد الاختلاف

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٣٥. ابن تغري بردي،النجوم،ج٦، ص١٢٢ . قاسم، الأيوبيون ، ص٨٥ .

(٢) أبو المنصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين؛ كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية، وكان كريما نبيل القدر عالي الهمة، بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه، قالت جماعة من التجار: لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمها وإحكام بنائها، وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا؛ وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق، ودفن في جبل الصالحية، وتربته مشهورة هناك، رحمه الله تعالى. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١. ابن خلكان، وفيات ، ج١، ص٣٨١ . الصفدي، الوافي ، ج١١، ص١٥٨ . ابن الوردي، تاريخ ، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣٥-٣٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٢٢.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٥٤-٥٥ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٣٧-١٣٨ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٥٥. ابن تغري بردي ، النجوم، ج٦، ص١٢٢.

من جديد، وسببه إغراء الجند والوسائط، وكان أكبر المحرضين الأمير عز الدين أسامه(١) – صاحب عجلون وكوكب – الذي فارق الأفضل وانضمّ للعزيز ، فإنه لما رأى من الأحوال مالا يعجبه فارق الأفضل وتوجه إلى العزيز، ففرح بوصوله إليه وأكرمه، ولما استقر عز الدين أسامه عند الملك العزيز أخذ في تحريضه على الملك الأفضل، وتقوية عزمه على قصده وأخذ دمشق منه قال له: إن لم تَنصر الدولة الصلاحية خُذلت، وإن لم تصُنها ابتذلت، وأخوك (الملك الأفضل) قد غُلب على اختياره وحكم عليه وزيره الضياء الجزري، وقد أفسد أحوال الدولة، فهو يتصرف فيها برأية الفاسد، ويحمل أخاك على مقاطعتك ومباينتك، فإن أغفيت أُغفلت، وإن أمهلت أهملت، وإن لنت غلظوا، وإن نمت تيقظوا ولا تلتزم باليمين فإن من شرطها صفو الوداد وصحة النيَّة، ولم يوجد ذلك، فحنثهم في أيمانهم قد تحقق وبَرِئت أنت من العهدة، فاقصد البلاد فإنها في يدك قبل أن يحصل للدولة من الفساد مالا يمكن تلافيه ، ثم فارق الملك الأفضل الأمير شمس الدين ابن السلار وهو من أكابر الدولة الصلاحية(٢). وتوجَّه إلى الملك العزيز، فساعد عز الدين أسامة على التحريض على الملك الأفضل، وتقوية عزم الملك العزيز على قصده، ثم وصل إلى الملك العزيز القاضي محي الدين بن الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون، فاحترمه الملك العزيز وولاه القضاء بالديار المصرية، وضم إليه النظر في أوقافها (٣)، وحث القاضي بن أبي عصرون العزيز على ضم دمشق وقال له: لا تسلم يوم القيامة. وبلغ الأفضل قول أسامة وابن أبي عصرون، فأقلع عمّا كان عليه وتاب وندم على تفريطه وعاشر العلماء والصلحاء، وشرع يكتب مصحفاً بخطّه وخطّه في النهاية، فلم يُغن عنه ذلك وتحرّك العزيز يقصده، فسار الأفضل إلى عمه العادل(٤).

٤– تآمر الملك العادل على الأفضل:

بين ابن واصل تآمر الملك العادل على الأفضل بالقول: " ...خرج الملك العزيز إلى الشام بعساكره الكثيرة المتوافرة من الصلاحية والأسدية والأكراد، فوصل إلى الفوَّار(٥)... وخيَّم به، فكاتب الملك العادل الأمراء الذين مع الملك العزيز ووعدهم الوعود الجميلة وأخذ في إفسادهم عليه وتنفير قلوبهم منه"(٦). استغل العادل هذه الفرصة للتدخل في شؤون أبناء أخيه، لتعزيز وضعه على الأرض، فغادر قلعة جعبر إلى دمشق ودخلها قبل عودة الأفضل علي من حلب وبما عُرف عنه من مكر ودهاء راح يبذر بذور الشقاق بين صاحب مصر وأمرائه من الأكراد والأسدية الذين كانوا على جفاء معه بسبب ميله إلى

---

(1) آخر الملوك الصلاحية، صاحب عجلون وكوكب، قبض عليه الملك المُعَظِّمْ عيسى بن الملك العادل سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م)، بأمر أبيه الملك العادل، وحبسه في الكرك إلى أن مات بها، وحاصر القلعتين المذكورتين وتسلمهما من غلمان أسامة، وأمر الملك العادل بتخريب كوكب وإزالة أثرها، فخربت وبقيت خراباً، وأبقى عجلون. ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٣٩ . أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٣٨٨.

(٢) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٣٩.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣ ، ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣ ، ص٤٠. ابن تغري بردي، النجوم ج٦، ص١٢٣.

(٥) الفوار: من أرض السواد من بلاد دمشق.ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤٦. العمري، مسالك،ج٢٧،١٧٧.

(٦) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤٦ .

الصلاحية، واتفق معهم على نبذ طاعته والدخول في طاعة حكام بلاد الشام (١). وكاتب الملك العزيز سراً يخوفه من الأسدية ويغريه بإبعادهم، وكاتب الأسدية بالتنفير من الملك العزيز وتخويفهم منه واستمالهم إليه، فاستوحش الملك العزيز من الأسدية واستوحشوا منه، فكانوا إذا لقوه عرفوا في وجهه التنكر، وعرف في وجوههم بمثله وتمادى الأمر إلى أن تمكن الخوف منه في قلوبهم والخوف منهم في قلبه، ولما تمكن الاستيحاش منهم، عزموا على مفارقته وحسَّنوا ذلك للأكراد المهرانية فوافقوهم عليه (٢)، فلما علم الملك العزيز بذلك، فما تحلل ولا تزعزع من مكانه، ولا أظهر أرتياعاً لما وقع من هذه الحادثة، بل ثبت مكانه، فقالت الأمراء : الصلاحية دعنا نتبعهم ونقاتلهم ونتركهم عبرة للمعتبر (٣). فقال لهم الملك العزيز: لا تُرهبُوهم واتركوهم يذهبوا أين شاءوا لعلنا نصفو من كدرهم، وهذا ليل، ولا يُؤمَنُ فيه الاختلاط، ولا يَعرف الإنسان فيه صديقه من عدوه والأولى الأخذ بالحزم والاحتياط (٤). وكان المفارقون للملك العزيز معظم العسكر وثبت الملك العزيز في معسكره بالفَّوار ومعه خواص أصحابه على الخطر وبات تلك الليلة ثابت الجأش والجَنان، وما أظهر أسفاً على فراق مَن فارقه من عسكره، واستدعى رُسل الملوك الذي عنده وأجاب كُلاًّ منهم عن رسالته وخلع عليهم وسَّرحهم (٥) وأصبح الملك العزيز راحلاً بمن بقي معه من عساكر إلى الديار المصرية وسار إليها على تيقظ وتحفظ – وحذر – وسلك طريق اللجون(٦) والرملة، وخاف من الأسدية المقيمين بالقاهرة، أن يوافقوا أصحابهم الغادرين ويسلكوا سيرتهم في الغَدر به، فقدم بين يديه أمراء على النُجُب وكان نائبه بالقاهرة الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي فبقى على الصفاء للملك العزيز وخلوص النيّة وتبعه على ذلك من بقى من الأسدية، ووصل الملك العزيز إلى البلاد وأمّن كلَّ من وجده من مُخلفَّي الخارجين عليه وطيب قلوبهم وأكرمهم وأحسن إليهم وأستقر في كرسي مُلكْهَ (٧).

أ- رحيل الملك العادل والأفضل إلى مصر:

قال ابن واصل: "وأمضيا العادل والأفضل في خطتهما القاضية في الاستيلاء على مصر، واتفقا على أن يملك الأفضل في مصر ويتخلىَّ عن دمشق إلى عمه العادل، وهذا مطمح طالماً تطلع العادل إلى تحقيقه؛ لأن دمشق كانت آنذاك قلب الدولة الأيوبية، ومحور العلاقات العامة في الشرق الأدنى الإسلامي، فاستوليا على بيت المقدس، وتابعا زحفهما إلى مصر بمن معهما من الأكراد والأسدية، فوصلا إلى

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩١. ابن الأثير، الكامل ج٩، ص٤٩٢.

(٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٤٧.

(٣) المصدر نفسه ، ج٣، ص٤٨ .

(٤) المصدر نفسه . نفس الصفحة والجزء.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٨.

(٦) اللجون : بلد بالأردنّ، وبينه وبين طبرية عشرون ميلا، وإلى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلا. ياقوت، معجم،ج٥، ص١٣ . الإدريسي، نزهة، ج١، ص٣٧٧.

(٧) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤٩.

بلبيس([1]) وحاصرها" (٢). وهنا توضحت نوايا العادل بشكل جليٍّ، فهو الذي شجع الصراعات بين ولدي أخيه، ويبدو أنه خشي في هذا الدور أن يأخذ الأفضل علي مصر ولا يسلمّه دمشق وفقاً لبنود الاتفاق المُبرم بينهما وبخاصة أنه كان يشك في نواياه، لذلك أرسل إلى العزيز عثمان سراً يشجعه على الثبات في موقفه، ويتعهد بأن يمنع الأفضل علي من مصر ولا يسلمّه دمشق وفقاً لبنود الاتفاق المبُرم بينهما وبخاصة أنه كان يشك في نواياه، ولذلك أرسل إلى العزيز عثمان سراً يشجعه على الثبات في موقفه، ويتعهد بأن يمنع الأفضل علي من دخول مصر ، وتنفيذاً لهذا التوجه السياسي رفض العادل ما عرضه عليه الأفضل علي من مقاتلة الأمراء الصلاحية في بلبيس، أو تركهم والرحيل إلى مصر للاستيلاء عليها متذرعاً بأنه قد ينتج عن ذلك تشتيت القوى الإسلامية وإضعافها، فيطمع فيها الأعداء، ثم تدخل القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني في التوفيق بين الأخوين بإيعاز من العادل(٣). " وعرف الملك العادل أن المصلحة الشاملة في الصلح وانتظام الشمل، فبعث يستدعي القاضي الفاضل ليتفق معه على ما فيه من صلاح ذات البين" ([4]).

ب- التحالف بين الملك العادل والعزيز:

جعل العادل من نفسه حكماً بين الأخوين المتنازعين ، ممّا ممكنه من فرض كلمته عليهما ليصبح سيد الموقف (٥). ونزل الملك العادل بأحدى قصور القاهرة وأمر ونهي وحكم وتصرف في كبير الأمور وحقيرها وعزل القاضي محي الدين ابن أبي عصرون عن قضاء الديار المصرية، وولى القضاء زين الدين يوسف الدمشقي (٦) . "ولزم الأفضل الزهد والقناعة، وأقبل على العبادة؛ والأمور كلها بقيت مفوضة إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري. وقد اختلت الأحوال به غاية الاختلال، وكثر شاكوه وقل شاكروه"(٧)، وبلغ ذلك الملك العادل فأنكره وتقرر بينه وبين الملك العزيز الخروج إلى الشام لتمهيد العزيز الملك بمصر، وعيَّن الإقطاعات وثمن الارتفاعات وعمَّر الأعمال ووفَّر الأموال (٨).

وكان الملك العادل يؤثر مسير الملك العزيز ليتمكن من أغراضه؛ ولأن العساكر مع اختلافها تجتمع مع الملك العزيز لعلو همته، وسمو قدره، وسماحة يده وسعة صدره، فاجتمع الملك العادل والملك العزيز وأشار عليه أن يسافر بنفسه وقال له ما معناه : إن الدولة الصلاحية بإدارتك صلاحها، وبفلاحك فلاحها، وبنهضتك ينهض جناحها، وبسعدك يسعد نجاحها، وإن لم تجتمع الكلمة عليك لم تجتمع كلمة الإسلام، ولم تستقر العصمة من الكفر بالشام، وفي كل بلد من إخوتك سلطان، ما منه لأمرك إذعان،

([1]) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسيخ على طريق الشام . ياقوت، معجم البلدان ، ج١، ص٤٧٩ .

(٢) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٥٢.

(٣) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٥١ -٥٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٩، ص٤٩٣.

(٤) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ٥١ -٥٢ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٥٤.

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٥٥.

(٧) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٥٥.

(٨) المصدر نفسه،مفرج، ج٣، ص٥٥.

وغداً عند الحاجة إلى الاستنفار والاستنفار، وكلٌّ منهم على سِمَةِ النفار، تنزل النوازل والدوائر بالديار، فاستخر الله تعالى، وانشط ولدولتك احتَط، وسر مستقبل النصر سارّا، وللجحفل المجرّ جارّا وللدولة الناصرية ناصراً، ولأيدي المتعدي عنها قاصراً، وأنت سلطاناً ونحن الأتباع، والأنصار والأشياع (١).

وسار الملكان: العادل والعزيز إلى دمشق فنازلاها ولم يحدث قتالاً، والملك العادل مظهر أنه على عهده وميثاقه، لم يتغير عنه ولم يَحُلْ، وأنه ليس مقصوده إلا إصلاح ذات البين وانتظام الشمل وكتب الأمراء بدمشق والأكابر متواصلة إلى الملك العادل والملك العزيز، لأن بعضهم كانت قد حصلت عنده نفرة من الملك الأفضل لأسباب وقعت منه ومن وزيره توجب الاستيحاش وبعضهم كوتبوا من جهة الملك العادل والملك العزيز بما طيَّب به قلوبهم وبسط في آمالهم، فكتبوا يحثونهما على معالجة الزحف إلى البلد وانتهاز الفرصة ويعدون من أنفسهم المساعدة وفتح الأبواب لهم(٢).

ج- استيلاء الملك العزيز على دمشق: ولما جرى ما ذكرناه من المخابرة، من الأمراء المقيمين بدمشق وتوثق منهم الملك العزيز والملك العادل ولم يشعر الملك الأفضل إلا وقد دخل الملك العزيز وعمه داخل المدينة، فاضطر إلى قبول ما فرضه عمه وأخوه عليه بحيث:

- يأخذ الأفضل صرخد الواقعة شرقي بصرى. ويملك العادل دمشق وأواسط الشام(٣). ويتولى الملك العزيز السلطنة ويذكر اسمه في الخطبة وينقش على السكة وتبقى له مصر وبيت المقدس(٤). وتحايل الملك العادل على العزيز عثمان، فأخلى له دمشق وأواسط الشام مقابل :

- حصوله على لقب سلطان بني أيوب، أن يستمر في حكمه في مصر وبيت المقدس، وأن يذكر اسمه في الخطبة في البلاد الواقعة تحت سيطرة العادل، وينقش اسمه على السكة(٥).

كان قرار الملك العادل مع الملك العزيز أن يقيم الملك العزيز بدمشق، وأن يكون الملك العادل نائباً عنه بمصر، ويفوّض تدبيرها إليه، فلما ملك العزيز دمشق، وظهرت الأمور وانكشف المستور ندم على ما كان قررَّه مع عمه، فبعث إلى أخيه الملك الأفضل في السر وقال: إذا طلبناك فاثبت على الامتناع، ولا تبذل الرضى لنا إلا بإقامة الخطبة والسكَّة ولا تنزل عن رتبتك، فإني لك الرضا وأفعل ما تريد ويكون امتناعك عذراً عند عمي (٦) . وأظهر الأفضل الرسالة إلى نصحائه المختصين؛ فقالوا : لا تنخدع بهذا القول، فربما كان هذا خديعة من أخيك .. وهلا كان هذا القول منه قَبلُ في أول الأمر؛ والمصلحة أن تطلع عمّك الملك العادل على هذا السر؛ فإنه كأبيك في الشَفقة، وعلى كل حال لا يترك

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٥٥..

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٢. المقريزي، السلوك، ج١، ص١٦٦.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٢. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٢٦.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٠، ٦١. ابن خلكان ، وفيات ، ج٥، ص٣٩٠ . الذهبي، سير ، ج١٦، ص٣٢٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٨٠. الصفدي، الوافي ،ج١٢، ص٢١٣ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٦ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦٦ .

برِّك، فإذا استشرته أشار عليك بالمصلحة، وقد جاء لك من السعادة مالم يكن لك في حساب؛ فإن الملك العادل يحصل له بإطلاعه على هذا الارتياب في الملك العزيز، وتتأكد نفاره منه(١) .

فأرسل الملك الأفضل الحاجب جمال الدين محاسن بن عجم الموصلي إلى الملك العادل، فأعاد عليه ما ذكره الملك العزيز، غضب غضباً شديداً، واجتمع بالملك العزيز، وعاتبه أشَّد العتب وقرَّعه التقريع، وقال: " أنا أبني وأنت تهدم، وذكر له ما أنهى إليه، فأنكر الملك العزيز ذلك، وحقَّق عند عمه بطلان هذا القول، وأنه لم يرسل إلى الملك الأفضل، ولم يقل له من هذا القول حرفاً، وانحرف عن أخيه الملك الأفضل، وبعث إليه من أزعجه وأحرجه وإلى صَرْخَد أحوجه، وأخذ من الملك الظافر بُصْرى – وكانت بيده – فرحل إلى حلب، فأقبل إليه الملك الظاهر وأحسن إليه، وسار الملك الأفضل إلى صَرْخَد بأهله وحريمه (٢) ، ومعه أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى فتسلموها واستوطنوها، وعندما دخل الملك العزيز دمشق، أظهر العدل وأبطل المكوس، وأزال المظالم، واعتقد الناس أن مقامه عندهم يطول، وفرحوا به لما كانوا يعرفونه به من الكرم والبذل، وإقامة منار العدل، ولم يشعروا به إلا وقد تقدم بالتبريز وأجمع على الرحيل إلى الديار المصرية(٣). وكان الملك الأفضل عندما خرج من دمشق بأهله وأصحابه أخرج معه وزيره ضياء الدين بن الأثير مختفياً في صندوق من بعض صناديقه، خوفاً عليه من القتل، وكان قد ترقبه أقوام ليقتلوه فلم يظفروا به (٤). قال ابن واصل: " ومن العجب أن الملك الأفضل مع علمه بشؤم وزيره وأن كل ما هو فيه من النقص بادباره وسوء تدبيره، ضمه إليه وترفرف بجناحه عليه، فأخرجه في قماشه، وسّرحه بريشه ورياشه، وكان ادعى عليه بمال فأقَّر الملك الأفضل بوصوله إلى خزانته، وبرّأه من حسابه وخيانته، وانفصل إلى الموصل بمال دمشق وأعمالها ثلاث سنين، وجمع آلافا مؤلفة ولم يُفرقّ الأفضل منها مائين. وقال: وعهدي بقوم دخلوا عليّ متأسفين على سلامته واستقامة أمره في ظعنه وإقامته، فقلت: إنما سألنا الله تعالى كفاية شره وسوءه لا سواه فقد أبعده الله فلا قرَّب نواه(٥).

د- رجوع العزيز إلى مصر: سلّم الملك العزيز دمشق إلى عمِّه الملك العادل، ورجل من دمشق عشية يوم الاثنين تاسع شعبان من هذه السنة، (٥٩٢هـ) فنزل بمسجد القدم ثم ارتحل إلى الكسوة (٦)، وسافر بالعساكر إلى الديار المصرية وخرج الملك العادل لوداع الملك العزيز ولما عاد من وداعه أمر فقرئ منشوره بالجامع بتفويض دمشق وأعمالها إليه وكانت مدة مقام الملك العزيز بدمشق بعد أخذها أربعة

---

(١) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٦ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج،ج٣، ص٦٧.

(٣) المصدر نفسه، مفرج،ج٣، ص٦٧.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٤.

(٥) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ص٦٥.

(٦) الكسوة: قرية هي أول منازل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. ويقال إنما سميت بذلك لأن غسان قتلت بها رسل ملك الروم إليه لأخذ الجزية منهم واقتسمت كسوتهم. ابن منظور، مختصر، ج١، ص٤٩.

عشر يوماً، وكانت مدة مُلك الأفضل لها ثلاث سنين وأشهراً، وأبقى الملك العادل السكة بدمشق والخطبة للملك العزيز وأشاع أنه نائبه(١).

ه- تحالف الأخوين الأفضل والظاهر ضد العادل:

يبدو أن الملك الظاهر غازي صاحب حلب أدرك أهداف عمه الملك العادل في إبقاء الخلاف بين أخويه الملك الأفضل والملك العزيز، فقرر معاندة عمه، ومحاولة التخلص منه، ولذلك غضب الظاهر غازي على أخيه الأفضل؛ لأنه كتب لعمه أنه وصل مصر، ولن يخرج عن أمره، فكتب إلى الأفضل يقول: أخرج عمنا من بيننا، فإنه لا يجيء علينا منه خير وأنا أعرف به منك، وأقرب إليه، فإنه عمي كما هو عمك، وأنا زوج ابنته، ولو علمت أنه يريد لنا خيراً لكنت أولى به منك(٢). وأشار عليه بقصد دمشق وأخذها من عمه العادل، وأن ينتهز الفرصة لإنشغال عمه بحصار ماردين(٣)، وارتاح الملك الأفضل لرسالة أخيه السابقة، واتفق الأخوان على القضاء على سيادة عمهما الملك العادل (٤) .

وتعاون معهما أسد الدين شيركوه بن محمد صاحب حمص، واغتنم الأفضل بُعد عمهما عن دمشق، وانشغاله في محاصرة ماردين، فسار بعساكر مصر إلى الشام، بعد ما استناب بمصر الأمير سيف الدين أركش، وحاصر دمشق، وسرعان ما وصلت عساكر حلب لدعم جند مصر، فضيقوا الخناق على المدينة؛ ولكنهم لم يحاولوا اقتحامها، وعندما علم الملك العادل بالأمر، ترك ابنه الملك الكامل على حصار ماردين، واندفع مسرعاً إلى دمشق، وأخذ يبذر بذور الشك والخوف بين الأخوين، فأرسل إلى الملك الظاهر غازي وقال له: أنا أسلم إليك دمشق وأنت السلطان فطمع الظاهر واختلف الأخوان ورحل الملك الأفضل إلى مصر (٥). والظاهر إلى حلب بعد ما حرقوا ما عجزوا عن حمله (٦).

و- عزل الملك الأفضل: بين ابن واصل أنه لما سافر الملك الأفضل راجعاً إلى مصر لحقه عمّه الملك العادل، حيث وصلها الملك العادل، وضرب مع الملك الأفضل مصافاً فانكسر عسكر الملك الأفضل وولوا منهزمين لا يلوون على شيء ثم سار الملك العادل بالعساكر ونزل بركة الجُبّ، وسيَّر إلى الملك الأفضل يقول له: أنا لا أحب أن أكسر ناموس القاهرة، لأنها أعظم معاقل الإسلام ولا تحوجني إلى أخذها بالسيف، وأذهب إلى صرخد وأنت آمن على نفسك، فأستشار الملك الأفضل الأمراء فرأى منهم تخاذلا، فأرسل إلى عمه يطلب منه أن يعوِّضه عن الديار المصرية بالشام فامتنع من ذلك، فطلب أن أن يعوَّضه

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ٩٩-١٠١ . ابن تغري بردي، النجوم ، ج٦، ص١٤٧.

(3) ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين من ديار ربيعة. ياقوت، معجم، ج٥، ص٣٩. البكري، معجم ج٢، ص٥٦٨. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٦٢.

(٤) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٩٨-٩٩. أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٩٧.

(٥) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص ١٠٦. المقريزي، السلوك ، ج١، ص٨١ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص ١٠٨. ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص١٥٩ .

حرّان والرُّها([1]) فامتنع، فطلب منه حاني([2]) وجبل حور، وميَّافارقين([3]) وسميساط([4]) فأجابه إلى ذلك وتسلم القاهرة منه([5]).

٥- استقلال الملك العادل بالسلطنة الأيوبية: أصبح الملك العادل أتابكاً لابن الملك العزيز، المنصور، ولكنه بعد مدة قصيرة كان قد أحضر جماعة من الفقهاء والقُضاء والولاة وقال لهم قول المستفتي المستثير: هل تصح ولاية الصغير؟ فقالوا: هذا مولىً عليه فلا يلي، وغيابات الحوادث بنظره لا تنجاب ولا تنجلي، فقال فهل يجوز للمولّى الكبير أن ينوب عنه إلى أن يكبر، ويرتب الأمور بحكم النّيابة ويدبر؟ فقالوا: إذا كانت الولاية غير صحيحة فلا تصح النيابة، ومن رآه صواباً أخطأ به الإصابة لاسيما في السلطنة التي هي خلافة الخليفة، فلا حق منها إلا للكبير الذي يعيَّنُ على الحقيقة([6]).

وجرى منهم في هذا المعنى الإمعان فلما عرف الشرع أحضر الأمراء، والتمس منهم الطاعة والسمع، وخاطبهم في اليمين له والميثاق وألزمهم بالوفاء والوفاق ... وقال لهم: قد علمتم ما هو الواجب من التظافر على حفظ ثغور الإسلام وتدبير الممالك بمصر والشام وما هذا أمر يناط بالصبيان أو يُحاط بغير ذي القدرة والسلطان، فأذعنوا وأطاعوا وحصل الإئتلاف ورفع الخلاف([7]).

وقد اتفق ابن واصل مع ابن الأثير، على رفض الملك العادل أن يكون أتابكاً للملك المنصور ابن الملك العزيز بعد وفاته (ت: ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) :" السبب في ذلك أن الملك العادل أحضر جماعة من الأمراء ممن يعلم مَيْلَهم إليه، وقال: " إنه قبيح بي أن أكون أتابكاً لصبي مع الشيخوخة والتقدم، مع أن المُلْكَ ليس هو بالميراث وإنما هو لمن غلب، ولقد كان يجب أن أكون بعد أخي السلطان الملك الناصر – رحمه الله – صاحبَ الأمر، غير أني تركتُ ذلك إكراماً لأخي ورعاية لحقه... وأنا أرى أن هذا الصبي يمضي إلى الكتُّاب، وأقيم له من يؤدبه، ويعلمّه؛ فإذا بلغ أشده نظرت في أمره وقمت بمصالحه"(٨).

([1]) الرها مدينة رومية عظيمة، فيها آثار عجيبة وهي بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشرقي الشمالي عن الفرات مدينة في بقعة تتصل بحران والرها وسطة من المدن والغالب على أهلها النصارى وبها أكثر من مائتي بيعة ودير ومواضع بها رهبانهم وبها بيعة ليس للنصارى أعظم منها وبها مياه وزروع وكان بها منديل للسيد المسيح فأخذه ملك الروم منهم. انظر: المهلبي العزيزي، المسالك، ص١١٠. الإدريسي، نزهة، ج٢، ص٦٦٣.

([2]) حاني: اسم مدينة معروفة بديار بكر. انظر: ياقوت، معجم، ج٢، ص٢٠٨.

(٣) ميَّافارقين: بلد معروف بديار بكر(تركيا)، وميافارقين مدينة من مدن أرمينية الصغرى ، مدينة حولها سور تقع على الحد بين أرمينية وجزيرة الروم ، وميافارقين محاطة بسور عَظِيم وعَلى بعد كل خمسين ذرَاعا من هَذَا السُّور برج عَظِيم ، وَفِي أَعْلَاهُ شرفات وَهِي من الدقة . بهَا مَسْجِد الْجُمُعَة. وخارج هَذِه الْمَدِينَة فِي الربض أسواق وحمامات وَمَسْجِد وجامع آخر يصلونَ فِيهِ الْجُمُعَة أيضاً. انظر: ابن خرداذبة، المسالك، ج١، ص٢١٥. ابن حوقل، صورة الأرض، ج٢، ص٣٥٣. خسرو، سفر نامة، ج١، ص٤١،٤٤. البكري، معجم ج٤، ص١٢٨٦. الإدريسي، نزهة المشتاق،ج٢، ص٨١٤. الهروي، الإشارات، ج١، ص٥٩ .

([4]) سميساط: مدينة على الفرات من الجانب الشأميّ ستة فراسخ. ابن خرداذبة، المسالك، ص٢١٦. الإصطخري، مسالك، ص٦٢. ابن حوقل، صورة الأرض، ج١،ص١٨١. البكري، معجم، ج٣، ٧٥٧.

([5]) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠٧-١٠٨. أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٩٧.

(٦) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٨٨ . ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ١٥٧ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٨٨ .

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١١. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٦٩-١٧٠ .

وأشار ابن واصل لما استقر المُلْك بمصر للملك العادل استدعى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمداً من الشرق وجعله نائباً عنه بالديار المصرية، ولم يزل الملك الكامل ينوب عن أبيه بالديار المصرية إلى أن توفي أبوه، وذلك قريب من عشرين سنة، واستقل بالملك بعده عشرين سنة وكسراً ، فملكها نائباً ومستقلاً قريباً من أربعين سنة (١).

٦- دخول الملك المنصور صاحب حماة تحت سيادة العادل:

أرسل الملك المنصور – صاحب حماة – إلى عمه الملك العادل يعتذر إليه من مساعدته الأفضل والظاهر ويطلب رضاه عنه، وكان رسوله إليه زين الدين المعروف "بالمهيطليّة" فلما قدم عليه تلقاه بالترحيب والإكرام وخلع عليه وأحسن إليه، وأظهر الرضى عن الملك المنصور، ثم حلف الملك المنصور، ووقعت الوُصلة بعد ذلك بين الملك المنصور وعمه الملك العادل، فتزوج ابنته عصمة الدين ملكة خاتون والدة الملك المظفر رحمه الله[٢]، وفي هذه السنة(٥٩٦هـ / ١٢٠٠م) وصل إلى مصر الأمير شمس الدين محمد بن قِلِج، ونظام الدين محمد بن الحسين الأصفهاني – وزير الملك الظاهر – رسولين منه إلى الملك العادل في أن يحلف للملك الظاهر على مابيده من البلاد ويقيم الملك الظاهرُ على ما بيده من البلاد ويقيم الملك الظاهرُ للملك العادل بحلب الخطبة والسكَّةِ، فركب الملك العادل إلى لقائهما وأكرمهما إكراماً تاماً، وقررَّ الملك العادل للملك الظاهر على ما بيده وحلف له عليه وألزمه خمسمائة فارس تكون في خدمة الملك العادل في كل سنة من خيار عسكر حلب فرجع الرسولان إلى الملك الظاهر، فأقيمت الخطبة والسِكّة بحلب وبلادها للملك العادل(٣).

٧- الصراع بين الأيوبيين عقب وفاة العزيز عثمان(٥٩٥هـ/١١٩٨م):

أظهر ابن واصل، النزاع الذي حدث عقب وفاة العزيز عثمان، فبعد وفاته، واختيار الأمراء الصلاحية العادل، والأمراء الأسدية والكردية الأفضل، وكان سببه، ميل الأمراء الصلاحية تولية العادل على مصر، وميل الأمراء الأسدية والكردية تولية الأفضل على مصر، وفضلوا إحضار الأفضل من صرخد ، وتوليته مقاليد الأمور بمصر ، وبالفعل تم إحضار الأفضل وتولى حكم مصر. وقد بين ابن واصل أن الملك الأفضل صاحب مصر، والملك الظاهر صاحب حلب، والملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص على عمهما الملك العادل، واتفقوا على المسير إلى دمشق ، وانتزاعها منه عام (٥٩٠هـ/١١٩٤م)، ولما علم بذلك العادل ، حيث كان خارج دمشق، عاد إليها مسرعاً قبل وصول الأفضل وحلفائه، واستعد لصد هجوم أبناء أخيه، واستعان بولده الملك الكامل، وبعد أن وصل الأفضل وحلفائه إلى دمشق ، فرضوا عليها الحصار، واستمروا محاصرين لها، إلى أن دخلت الشتاء ، فرفعوا عنها الحصار، وعادوا لبلادهم(٤).

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١١٣.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١٤.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١١٥.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩١. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٢٢ . الحموي، التاريخ المنصوري، ج١، ص٨-١١ . ابن شداد، النوادر ، ج١، ص٧٦-٧٧ . ابن العديم، زبدة، ج١، ص٤٣٧. أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤٤٤. الذهبي، العبر ، ج٣، ص١١١. ابن كثير، البداية ، ج١٣، ص٢٥ .

وفي تلك الأثناء راسل العادل أمراء مصر ، واتفق معهم على تسليمه مصر، لذلك سارع بالتوجه إليها عقب رحيل الأفضل عن دمشق، وأنزل بجيوش الأفضل الهزيمة، ودخل مصر في نفس العام (٥٩٠هـ/١١٩٤م)، في حين فضل الأفضل الرحيل إلى صرخد([1]) .

وأبرز ابن واصل عدم ثقة الملك الظاهر غازي صاحب حلب في عمه الملك العادل في إبقاء الخلاف بين أخويه الملك الأفضل والملك العزيز فقرر الملك الظاهر معاندة عمه ومحاولة التخلص منه، ولذلك غضب الظاهر غازي على أخيه الأفضل؛ لأنه كتب لعمه أنه وصل مصر، ولن يخرج عن أمره، فكتب إلى الأفضل يقول: أخرج عمنا من بيننا؛ فإنه لا يجيء علينا منه خير، وأنا أعرف به منك، وأقرب إليه، فإنه عمي كما هو عمك، وأنا زوج ابنته، ولو علمت أنه يريد لنا خيراً لكنت أولى به منك (٢)، وأشار عليه بقصد دمشق وأخذها من عمه العادل، وأن ينتهز الفرصة لانشغال عمه بحصار ماردين، وارتاح الملك الأفضل لرسالة أخيه السابقة، واتفق الأخوان على القضاء على سيادة عمهما الملك العادل (٣) ، وتعاون معهما أسد الدين شيركوه بن محمد صاحب حمص، واغتنم الأفضل بُعد عمهما عن دمشق، وانشغاله في محاصرة ماردين، فسار بعساكر مصر إلى الشام، بعد ما استناب بمصر الأمير سيف الدين أركش، وحاصر دمشق وسرعان ما وصلت عساكر حلب لدعم جند مصر، فضيقوا الخناق على المدينة؛ ولكنهم لم يحاولوا اقتحامها، وعندما علم الملك العادل بالأمر، ترك ابنه الملك الكامل على حصار ماردين، واندفع مسرعاً إلى دمشق، وأخذ يبذر بذور الشك والخوف بين الأخوين، فأرسل إلى الملك الظاهر غازي وقال له: أنا أسلم إليك دمشق وأنت السلطان، فطمع الظاهر، واختلف الأخوان، ورحل الملك الأفضل إلى مصر (٤). والظاهر إلى حلب بعد ما حرقوا ما عجزوا عن حمله (٥).

٨- الخلاف بين الملكين : الملك الأفضل والملك الظاهر:

انتقد ابن واصل ما آل إليه البيت الأيوبي من فعل الموبقات، وارتكاب الكبائر، والفواحش، وذلك لكثرة المخامرة، والنفاق فيه ، ومفاسد قبيحة أخرى، " ولما استقر الملك الكامل وعسكره عند أبيه ظهر الوهن في عسكر الملك الأفضل، وكثرت المخامرة والنفاق فيه، وانحلت بذلك العزائم، ووقع من المفاسد القبيحة أن الملك الظاهر كان له مملوك خاص يؤثره، ويميل إليه جداً، يقال له: أيبك، فقد في عسكره، فاغتنم الملك الظاهر لفقده وعظم عليه ذهابه، وظن أنه دخل إلى دمشق، فأنفذ إلى دمشق من يكشف خبره منها، واطلع الملك العادل على هذه الواقعة، فأرسل إلى الملك الظاهر يقول له: " إن محمود بن الشكري

([1]) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩١. أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤٤٤. الذهبي، العبر ، ج٣، ص١١١. ابن كثير، البداية ، ج١٣، ص٢٥ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ج١، ص٣٢٢ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ٩٩-١٠١ . تغري، النجوم ، ج٦، ص١٤٧. الخطيب، القدس ، ص٣٩.

(٣) أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٩٧. وانظر: الخطيب، القدس ، ص٣٩.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩٥، ص١٠٥. المقريزي، السلوك ، ج١، ص٨١ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٠٨. ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص١٥٩. وانظر:الخطيب، القدس، ص٤٠.

أفسد غلامك، وحمله إلى أخيك الأفضل"([1]). فقبض الملك الظاهر على ابن الشكري، فظهر المملوك عنده، فنفر قلب الملك الظاهر من أخيه الملك الأفضل، وامتنع من لقائه مدة، وتقاعد عن الحرب"([2]) . ولما وقعت النَفْرةُ عند الملك الظاهر من أخيه، واشتد البرد، وكثرت الأمطار، ورحل الملكان: الأفضل والظاهر إلى سطح الكسوة، وعزم الملك الأفضل على المقام هناك، ثم تغيَّر هذا العزم، فرحل هو والظاهر إلى مرج الصُفَّر([3]). فأقاما به إلى أواخر صفر من هذه السنة-٥٩٦هـ- ، ثم سارا إلى رأس الماء، وعزما على المُقام به إلى أن ينسلخ الشتاء، فاشتد البرد وتواترت الأمطار، وغلت الأسعار جداً، فاجتمع الملك الأفضل بأخيه الملك الظاهر، ووقع اتفاقهما على الرحيل، وتأخير حصار دمشق إلى وقت انصرام الشتاء، ودخول الربيع، ووافقهما الأمراء على ذلك، فسار الملك الظاهر على القريتين، وسار الملك الأفضل قاصدا ديار مصر، وأحرقوا عند رحيلهم ما لم يتمكنوا من حمله من الأثقال، والخيم، والغلات، وأحرق الملك الأفضل خيمة أهداها له الملك الظاهر كانت ثلاثين حملاً، وهلك للملك الظاهر جماعةٌ من مماليكه، ونفقت له دواب كثيرة بسبب فرط البرد، وعدم الأقوات والعلوفات، ووصل إلى حلب سادس شهر ربيع الأول([4]). ولما وصل الملك الأفضل إلى أوائل الديار المصرية فارقه معظم العسكر، وتفرقوا في البلاد لإخراج دوابهم إلى الربيع، ودخل الملك الأفضل إلى القاهرة في جمع قليل([5]). فأدركه عمه العادل، فخرج الأفضل بمن بقي عنده من العسكر، وحدثت بينهما معركة، أسفرت عن هزيمة الأفضل، وانسحابه إلى القاهرة، فحاصر العادل القاهرة ثمانية أيام، " فأجاب الأفضل إلى تسليمها، على أن يعوض عنها ميافارقين وحاني وسميساط، فأجابه العادل إلى ذلك، ولم يف له به، وكان دخول العادل إلى القاهرة في الحادي والعشرين من ربيع الآخر من سنة ست وتسعين وخمسمائة، وقال ابن الأثير: كان دخول العادل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الأخر "([6]). ويلاحظ على ما سبق الآتي:

١- إن من يتولى حكم مصر في زمن الأيوبيين ، حينئذ يتلقب بالسلطان ، وهذا ما سعى له السلطان الملك العادل، واستطاع ذلك عندما كان أتابكاً للملك المنصور، وبعدها ملكاً على مصر، بعد عزل المنصور، عنها، حيث كان يسعى للوحدة الأيوبية([7]).

٢- إن أمر بني أيوب كان مستقيماً في عهد صلاح الدين حتى أفضى أمرهم إلى أبنائه، فوقع بعضهم في

([1])ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٠٦ .

([2]) المصدر نفسه . ج٣، ص١٠٦ .

([3]) مرج الصُفَّر -: مَوْضِعٌ بالشام قُربَ غوطة دمشق، إِلَيْهِ يُنْسَبُ مرج الصفر، كانت به وقعة للمسلمين، وله ذكر في الفتوح. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠٧ . ياقوت ، معجم، ج٣، ص٤١٣ . الهمداني، زين الدين ، الأماكن ، ج١، ص٦٠٣ . صفي الدين، مراصد،ج١، ص٣٠٥، ج٢، ص٨٤٤ . الحِميري، الروض ، ج١، ص٥٣٥ . بن زوير البلادي ، معجم، ج١، ص٢٨٨ . شراب، المعالم،ج١، ص٢٤٨ .

([4]) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠٧.

([5]) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص ١٠٨.

([6]) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٠٧-١٠٨. أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٩٧.

([7]) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١١١. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٦٩. وانظر: ماجد، الدولة، ص١٣٧ .

الترف، وأثاروا الشهوات، وأقبلوا على اللذات، والدخول في المعاصي، والتعرض لسخط الله"، والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها ما كان في هذه الحادثة([1]).

وهكذا كان النزاع الداخلي في الأسرة الأيوبية من أسباب ضعفها واضمحلالها، فمن سنة الله تعالى في الشعوب والأمم وأسباب زوالها وهلاكها الاختلاف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا، وفي رواية "فأهلكوا" (٢) . وعند ابن حيان عن ابن مسعود رضي الله عنه: "فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف" (٣) .

ثانياً: موقف ابن واصل من أسباب النزاع بين خلفاء صلاح الدين:

رجح ابن واصل ، وعدد من المؤرخين ، من أمثال: ابن الجوزي، ابن الأثير، ابن تغري بردي، أن أهم أسباب النزاعات التي قامت بين ملوك بني أيوب، من أبناء صلاح الدين، ترجع إلى:

١- ضعف الحكومة المركزية: قضى صلاح الدين أكثر سنين حكمه في ميادين القتال يمارس سياسة التخطيط، والتنفيذ، والإشراف، وتوجيه سياسة الدولة العليا، ثم يترك حرية التنفيذ في الأمور المحلية في الاستعداد، والدفاع للولاة وفقاً لظروف وإمكانات كل إقليم، وهو ما يُعبَّر عنه في مفهومنا الحديث: اللامركزية الإدارية . والحقيقة أن صلاح الدين وزع السلطات، حيث جعل من كل سلطة رقيبة على السلطة الأخرى، وقبيل وفاته قسمّ دولته كما يُقسمَّ الإرث، بين أبنائه وأخوته وبني عمومته على نحو ما كان مألوفاً هي تلك العصور، وكان طبيعياً أن تعود المنطقة إلى الوراء مرة أخرى نتيجة المنازعات، والتشرذم السياسي الناجم عن الخلاف بين ورثة صلاح الدين([4]).

وقد اتسعت شقة الخلاف بين أبناء صلاح الدين الأيوبي على السلطة، وتدخل بينهم أصحاب الرأي والمشورة لإصلاح ذات البين، واستقر الأمر في البداية على تقسيم الأقاليم (٥) .

وكان ثمة بعض البلدان والحصون بأيدي جماعة من أمراء الدولة، فاحتفظ كل بولاية إذ استمر عز الدين مسعود الأول الزنكي في حكم الموصل(٦)، كما احتفظ أخوه عماد الدين زنكي الثاني في حكم سنجار(٧)، وقطب الدين سقمان الثاني الأرتقي في حكم حصن كيفا وآمد على نهر دجلة(٨)، وكذلك تولى

([1]) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠٦.

(٢) البخاري، صحيح، ج٩، ص١٠١ ، ١٠٢.

(٣) المصدر نفسه ، ج٩، ص١٠٢. وانظر: الصلابي، الدولة الأموية ، ج٢، ص٥٨٢.

([4]) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤ . ابن الجوزي، مرآة ، ج٨، ص٢٧٩ . ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٢٢٧. ابن تغري بردي، النجوم ج٦، ص١٠٣. الخطيب، القدس، ص٣٠. قاسم، الأيوبيون ، ص٨٣ .

(5) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٥. أبو شامة، الروضتين، ج ٤، ص ٤٠٦. ابن خلكان، ج٣، ص٤١٩-٤٢١. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٤. أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٣٧٥. الذهبي، سير، ج ٢١، ص ٣٧٥. ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١١١. الخطيب ، القدس، ص٣٠.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٠ . ابن الأثير، الكامل ، ج٩، ص٢٤٣.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٧٨. ابن الأثير، الكامل ، ج٩، ص٢٤٣.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨٠. الاصطرخي(الكرخي)، المسالك والممالك، ص٧٥. ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٢٢٤. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٦ . صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج١، ص٤٠٧. وانظر: الخطيب، القدس، ص٣١. وانظر: موقع ويكيبيديا، الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki

ناصر الدين منكوريوس منطقة صهيون في القدس (١). ووقعت الخلافات بين خلفاء صلاح الدين ، حيث وثب بعضهم على بعض ، ولم يقنع أحدهم بما في يده ، فكونوا ممالك وإمارات من حكامها، جعل له أتابكاً ، أي وصيًّاً على أبنائه ، وذلك على الطريقة السلجوقية السائدة في عصرهم ، فكان الأتابكة بدورهم يسعون إلى التنافس . واستمر هذا الوضع في المنازعات والمشاحنات ، والدسائس بين أفراد الأسرة الأيوبية طوال الفترة التي حكموا فيها مصر ، وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة(٢). وتفككت عُرى الدولة الإقليمية الكبرى التي جاهدت ثلاثة أجيال في إقامتها بمنطقة العراق والشام ومصر، عماد الدين زنكي(٣)، نور الدين محمود(٤)، وصلاح الدين الأيوبي(٥).ولقد كان تقسيم الدولة كتقسيم التركات الخاصة سبباً في انهيار الوحدة السياسية للمنطقة، وإطالة عمر الكيان الصليبي من ناحية أخرى، فتفتت دوله صلاح الدين، وضعفت الحكومة المركزية بعد وفاته، وقامت الحروب بين خلفاء صلاح الدين بدافع التملك والتوسع.

٢- غياب العلماء الربانيين عن القرار السياسي:

مع مجيء الملك الأفضل لحكم الدولة الأيوبية تغيرت بعض الوسائل الإستراتيجية التي كان يعتمد عليها صلاح الدين بعد الله تعالى في إدارة الحكم والجهاد في سبيل الله ، وهي اعتماده على العلماء الربانيين، فأبعد الملك الأفضل القاضي الفاضل وأقصى أمراء والده ومستشاريه، بتأثير الوزير ضياء الدين ابن الأثير أخو المؤرخ المشهور ابن الأثير على إدارة الدولة في عهد الملك الأفضل، " ولما رأى القاضي الفاضل من الملك الأفضل ووزيره ضياء الدين بن الأثير ما لا يعجبه ، عزم على مفارقة الملك الأفضل والتوجه للديار المصرية ، واستأذن الملك الأفضل في ذلك فأذن له "(٦).

وهنا لفتة يجب الإشارة إليها، لم يبينها ابن واصل، وهذا ما يؤخذ عليه : أن القاضي الفاضل ، قادر على أن يغادر دمشق، إلى الديار المصرية ، دون إذن من الأفضل؛ ولكن إكراماً لوالد الأفضل

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤. أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٦٣ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣. وانظر: ماجد، الدولة الأيوبية ، ص١٣٧ .

(٣) ابن الأثير، الباهر، ص ٣، ٢٦، ٥٥، ٥٦، ٦٦، ٧٤ – ٨٤. ابن العديم، بغية ، ج٨، ص٣٨٤٥-٣٨٥٥. ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٣٠. ابن كثير: البداية، ج١٢، ص٢٢١. ابن العماد: شذرات، ج ٤، ص ١٢٨.

(٤) ابن الأثير، الباهر، ص٣٨ . أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٣٢. ابن عساكر، تاريخ، ج ٥٧، ص١١٨. ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٢٧. ابن العديم، بغية، ج٨، ص٣٨٤٥-٣٨٥٥ . الذهبي ، تاريخ، ج ٣٩، ص ٣٧١.

(٥) ابن القلانسي ، ذيل ، ص٤٠٧. ابن منقذ، الاعتبار، ص١٤٦. ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٨، ص١١٢. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٥٤. أبو المعالي، مضمار ، ج١، ص٩٣. ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص١٢٠ . ابن شداد، النوادر ، ج١، ص٢٠٣. ابن العديم، زبدة، ج١، ص٣٥١. أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٣٦٩. ابن العبري، مختصر ، ص٢٢٣. أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٨٦. الذهبي، العبر ، ج٣، ص٩٦؛ تاريخ ، ج٣٩، ص١٧. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٨٢. اليافعي، مرآة ، ج٣، ص٣٣٣. ابن كثير، البداية ، ج١٢، ص٣١٩. ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٣٥٥ . تغري، النجوم، ج٦، ص٣. ابن العماد ، شذرات ، ج٦، ص٤٨٨ . العصامي، سمط ، ج٤، ص١١.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١ .

الناصر صلاح الدين ، أخذ الإذن، وكذلك الاستئذان من الآداب الإسلامية، والفاضل رجل علم وديـــن ، فكان لزاماً عليه الاستئذان.

وممن فارق الملك الأفضل؛ القاضي بهاء الدين بن شداد، وجمال الدين أبو غالب عبد الواحد بن الحصين: " وكان القاضي بهاء الدين بن شداد قد فارق الملك الأفضل قبل ذلك...وصـــار إلـــى الملـــك الظاهر، وكذلك فارقه جمال الدين أبو غالب عبد الواحد بن الحصين(١)، واتصل بخدمة الملـــك الظـــاهر وتقدم عنده"(٢). وهذا ما أكده بهاء الدين بالقول: " استوزر الملك الأفضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير مصنف المثل السائر ... فحسن الملك الأفضل طرد أمراء أبيه ، ففارقوه إلى أخويـــه العزيـــز والظاهر. وقال: اجتمعت أكابر الأمراء بمصر، وحسنوا للملك العزيز الانفراد بالسلطنة، ووقعوا في أخيه الأفضل، فمال إلى ذلك، وحصلت الوحشة بين الأخوين الأفضل والعزيز "(٣).

والملاحظ أن بهاء الدين ابن شداد كان حانقاً على الأفضل ، والدليل مغادرته دون الحديث معـــه، وهذا أيضاً لم يبينه ابن واصل. ونقل ابن واصل عن العماد القول : " فقلت للملك الأفضل :" لِمَ تركـــت القاضي الفاضل يرحل، والمُلك بتحوله يتحوَّل؟" . فقال: " ما الذي كنت أفعله وهو لا يقبل مني؟" . قال: " نعرف الصواب" ولم يرد الجواب" (٤). ويبدو أن ابن واصل قد تبنـــى رأي الأصـــفهاني ، لمعاصـــرته الأحداث ، وقربه الكبير من البيت الصلاحي ، حيث عمل في خدمة السلطان صلاح الـــدين، وخلفائـــه، وكان من كتاب عصره المشهورين(٥)، ولم نجد لابن الأثير ذكر لهذه الحادثة في كتابه . لم يكن الملك الأفضل موفقاً أبداً، في إبعاده للقاضي الفاضل ؛ بل جرّ البلاء والسخط على الملك الأفـــضل، وأصـــبح القاضي من المبعدين عن القرار السياسي، بالرغم من مكانته الكبيرة لدى الناصر صلاح الدين. ويبدو أن الأفضل ساءت سيرته، وضعفت إرادته وأصبح غير قاد على تولى السلطنة بعد والده إذ أقبل على اللعب وسماع الأغاني وتظاهر بلذاته، "وأصبح يوماً تائباً من غير سبب يُعلم" ، و أشار ابن واصل إلى بعـــض أخلاقه، وصفاته الحسنة بعد وفاته(٦٢٢هـــ/١٢٢٥م) (٦). والسبب في ذلك أنه: فوّض الأمر إلى وزيره ضياء الدين الجزريّ، وحاجبه الجمال محاسن بن العجميّ، فأفسدا عليه الأحوال، وكانا سببا لزوال دولته. وكثرت شكوى الأمراء منه(٧). ووجد العادل فرصته، فاتفق مع العزيز عثمان على انتزاع دمشق من يد الأفضل، وإبعاده إلى صرخد، وأن يتولى حكمها العادل نفسه، وأن تكون السلطة العليا في الدولة الأيوبية

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٢ . ابن العديم ، زبدة ، ج١، ص٤٤٤ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٢ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٢ . ابن شداد، النوادر ، مقدمة الكتاب، (بدون صفحة).

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٢ .

(5) المصدر نفسه، مفرج، ج٥،ص٢٤٣. وانظر: الأصفهاني، الفتح ، ص ٨٨-٨٩، ١٤٢، ٢٠٩. سعداوي، المؤرخون، ص١٩-٢٨.

(٦) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤٠ ؛ ج٤، ص١٥٥. المقريزي، السلوك ، ج١، ص٣٦.

(٧) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٠؛ ج٥، ص١٥٦ .

للعزيز عثمان، ويحتفظ كذلك بلقب السلطنة(١). فكثيراً ما ذكر ابن واصل العادل، فكل حدث كان يحدث لأولاد الناصر صلاح الدين، يكون للعادل دورٌ فيه، أو مشاركٌ فيه ، ولعل ابن واصل أراد أن يبين لنا أن العادل هو المستحق بالسلطنة من بعد أخيه، وليس أولاده، حيث كان صلاح الدين يميل لأبنائه دون إخوانه، وهذا شأن الحياة. وخسر الأيوبيون الكثير بإبعاد القاضي الفاضل ومن على شاكلته من دائرة القرار السياسي.

وقد قال أبو شامة عن القاضي الفاضل : " كان ذا رأي سديد، وعقل رشيد ومعظماً عند السلطان صلاح الدين يأخذ برأيه ويستشيره في الملمات والسلطان له مطيع وما فتح السلطان الأقاليم إلا بأقليد آرائه وكان كتائبه كتائب النصر"(٢) . ونقل ابن واصل عن العماد ما جرى للملك الأفضل ، ولم ينقل عن غيره ، حيث تبنى رأيه لمعايشته الحدث؛ بل كان في قلب الحدث، وبالرغم من نقل ابن واصل عن العماد ، فإنه كان يستبعد ذكر بعض الأحداث عنه ، ويقول: " والله تعالى أعلم بصحته"(٣)، وهذا يبين لنا مناقشة ابن واصل لآراء المؤرخين ، وعدم اقتناعه بتلك الآراء .

٣- **ضعف الوازع الديني عند بعض الأمراء الأيوبيين**، والأنانية، وحب الذات والتكالب على المصالح الدنيوية، والتناحر من أجلها، والحرص على السلطة والجاه والمنصب، وتحكيم بعض السلاطين ، والملوك، والأمراء الأيوبيين أهواءهم في الأمور، فلقد كان في ابتعاد سلاطين الأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين عن تحكيم الشرع والعقل الذي يقود إليه في نزعاتهم وخلافاتهم آثار على أفراد البيت الأيوبي والأمراء والملوك والدولة(٤). فقد أصيبوا بالقلق، ونزع منهم الأمن، وأصبحوا في ضنك من الحياة . فالأسباب السابقة كما بين ابن واصل كانت وقوداً للمنازعات، والخلافات التي وقعت بين أفراد البيت الأيوبي، فكانت من أكبر معاول الهدم، وأسباب الضعف، وتلاشي الدولة(٥). وبدأ الخلاف المؤثر في الأسرة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين، وسرعان ما انغمس الأيوبيون في صراعاتهم الداخلية، فلم يحترم الأخ أخيه، والعم بني أخيه، واستغل الملك العادل الأيوبي الجهل والطيش الذي اتسم به أبناء صلاح الدين، إذ أنه استخدم علاقاته القديمة، ومكانته لتحقيق هزيمة سياسية وعسكرية لجيش الملك العزيز قبل أن يستل جندي واحد سيفه من غمده، إذ كانت المنافسة قائمة بين الأمراء الصلاحية ، أمراء صلاح الدين

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٦٠، ٦١. ابن خلكان ، وفيات ، ج٥، ص٣٩٠ . الذهبي، سير ، ج١٦، ص٣٢٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٨٠ . الصفدي، الوافي ،ج١٢، ص٢١٣ .

(٢) أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤٧٢ .

(٣) ابن واصل ، ج٣، ص٦١-٦٧ .

(4) المصدر نفسه ، مفرج، ج٢، ص٤١٩. ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٢٤. ابن العديم الحنبلي، زبدة، ج ١، ص ٤٢٧. الخزرجي، الأنباء، ج ١، ص ٦٧٣. النويري، الأرب، ج ٢٨، ص ٢٩٣. ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١٠٤. ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ٢. ابن خلدون، تاريخ، ج ٥، ص ٣٨٣.

(5) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤١٩. النويري، الأرب، ج ٢٨، ص ٢٩٣. ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ١٠٤. ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ٢. ابن خلدون، تاريخ، ج ٥، ص ٣٨٣.

، والأمراء الأسدية، أمراء أسد الدين شيركوه؛ الذين ورثهم صلاح الدين في جيشه، ونجح العادل في الإيقاع بين الفريقين([1]).

ووصف القاضي الفاضل الخلاف في البيت الأيوبي بقوله: "أما هذا البيت فإن الآباء منه اتفقوا فملكوا ، وإن الأبناء منهم اختلفوا فهلكوا، وإذا غرب نجم، فما الحيلة في تشريقه، وإذا بدأ تخريق في ثوب فما يليه إلا تمزيقه، وهيهات أن يسد على طريقه، وقد قدر طروقه، وإذا كان مع خصم على خصم فمن كان معه فمن يطيقه"([2]). وقد ذم ابن واصل تصرفات بعض ملوك الأيوبيين ، مثل: الأفضل، لكثرة المخامرة([3])، والنفاق فيه ، في معسكره ، وكذلك وجود مملوك للملك الظاهر يؤثره . وهذا يفسر لنا بأن ابن واصل يحمل شخصية إسلامية ، صاحبة كيان إسلامي، عالم في الفقه، والأحكام الفقهية، لا يرضى بفعل الموبقات، والمفاسد؛ وبالرغم من ذلك لم يظهر في كتابه"مفرج الكروب" إلا القليل من الآيات قرآنية، أو الأحاديث نبوية، كابن الأثير صاحب الكامل، الذي امتلأ كتابه بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، تحكم على الأحداث بصورة شرعية ، وفقهية، وهذا ما يؤخذ على ابن واصل.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات، من دلائل الإيمان، أما الاهتمام بالتنعم والترف والانغماس في الشهوات والتطلع إلى الزعامة والحفاظ عليها، والسعي لها وطلب أسباب العيش الهنيء[4]، هذا ما قال عنه رب العزة: " وكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فلمّا أحسُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونْ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ"(الأنبياء:١١– ١٣). ومن سنة الله تعالى هلاك الأمة بفسق مترفيها قال تعالى:" وإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا "(الإسراء: ١٦).

وبين ابن واصل في حديثه عن حصار الأفضل والظاهر لدمشق ، التبذير ، والإسراف، وعدم الاهتمام بالنفس الإنسانية، والاستهتار، والأنانية، وحب الذات، والتكالب على المصالح الدنيوية، والتناحر من أجلها، والحرص على السلطة والجاه والمنصب، الذي لحق بالأفضل، والظاهر، وهذا ناجم عن قلة الوازع الديني لديهما، " وعزما على المُقام به إلى أن ينسلخ الشتاء، فاشتد البرد وتواترت الأمطار، وغلت الأسعار جداً، فاجتمع الملك الأفضل بأخيه الملك الظاهر، ووقع اتفاقهما على الرحيل، وتأخير حصار دمشق إلى وقت انصرام الشتاء، ودخول الربيع، ووافقهما الأمراء على ذلك، فسار الملك الظاهر على القريتين، وسار الملك الأفضل قاصدا ديار مصر، وأحرقوا عند رحيلهم ما لم يتمكنوا من حمله من الأثقال والخيم والغلات، وأحرق الملك الأفضل خيمة أهداها له الملك الظاهر كانت ثلاثين حملاً، وهلك

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦٠، ٦١. الذهبي، سير ، ج١٦، ص٣٢٣.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤٣٤ . ابن حلكان، وفيات، ج٣، ص٤٢٠.الذهبي، تاريخ ،ج٤١، ص٣٥٤ .

(٣) عَن ابْن الْأَعرَابِي _ قَالَ: الْمُخَامَرَةُ: أَن يَبِيع الرجل غُلَاما حُرّاً على أَنه عبدُهُ. وجاء في معناها: الْمُخَالَطَةُ لِأَنَّ فِيهَا اسْتِتَارًا. وَ (اسْتَخْمَرَهُ) اسْتَعْبَدَهُ. نكري، دستور ، ج١، ص١١١. الهروي، تهذيب ، ج٧، ص١٦٢. ابن الأثير، النهاية ، ج٢، ص٧٨ . المطرزي، المغرب ، ج١، ص١٥٤. الرازي، الصحاح ، ص٩٧. ابن منظور، لسان ، ج٤، ص٢٥٩. مرتضى الزبيدي، تاج ، ج١١، ص٢١٧ .

(٤) زيدان، السنن، ص ١٨٦.

للملك الظاهر جماعةٌ من مماليكه، ونفقت لـــه دواب كثيـــرة بـــسبب فـــرط البـــرد، وعـــدم الأقـــوات والعلوفات..."([1]).

فهذه الأسباب كانت وقوداً للمنازعات والخلافات التي وقعت بين أفراد البيت الأيوبي، فكانت من أكبر معاول الهدم، وأسباب الضعف، وتلاشي الدولة، وقصر عمرها.

وقد استقرأ هذه الحقيقة المؤرخون حيث ذكروا:

١- أن من آثار الهـــرم في الـــدولة انقسامها وأن التنازع بين القرابة يقلص نطاقها كما يؤدي إلى قسمتها ثم اضمحلالها (٢).

٢- إن حوادث الخلاف والمنازعات الداخلية بين أبناء البيت الأيوبي – حول تقسيم التركة التـــي خلفهـــا صلاح الدين – لتملأ معظم تاريخ الدولة الأيوبية، ويرجع ذلك إلى تطبيق مبدأ اعتبار المملكة إرثا خاصاً يقسم أنصبة متساوية وغير متساوية بين أبناء البيت المالك، كما يرجع إلى صلاح الدين نفسه، الذي فضل أبناءه، وأثرهم على أخيه العادل على الرغم من أنه أقدر القادرين على امتلاك ناصية الدولة بعده، فبينما حرص صلاح الدين على أن تكون أهم أقاليم المملكة لأبنائه، عين أخاه العادل على أطراف مبعثرة مثل: الكرك والشوبك، على أن عوامل الانقسام والشقاق ما لبثت أن دبت بين أبناء صلاح الدين أنفسهم كمـــا رأينا([3]).

ولقد انتهز العادل تلك الفرصة ورأى أن يجمع هذا الشتات تحت إمرته، فلم يتردد فـــي فـــرض سلطانه على مصر إلى جانب أملاكه في الشام، وهكذا لم يمضِ على وفاة صـــلاح الدين ســـوى ســـبع سنوات حتى طوى العادل معظم أولئك الأبناء، فحل محلهم في دولة موحدة (٤).

وقد سلك العادل في سبيل تحقيق هذا الهدف الطرق المشروعة وغير المـــشروعة، ولـــم يعـــدم وسيلة إلا اتخذها، مادمت توصله إلى مأربه، وتظهر لنا سياسته بوضوح في تصريحه الخطير الذي ألقاه على من حوله من أمراء الدولة الأيوبية بمصر، مبرراً خلعه الملك منصور بن العزيز بن صلاح الدين : إنه قبيـــح بي أن أكـــون أتابك صبي مـــع الشيخوخة ، والتقـــدم والملك ليس هو بالإرث وإنما هو لمن غلب (٥).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠٧.

(٢) الذهبي، العبر، ج١، ص٥١٧. حمد بن صالح السحيباني ، الضعف ، ص ١١٨.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣-٥ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١٢-١١٣ . وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٦٩ . الحموي، التاريخ، ج١، ص١١. ابن العديم، زبـــدة، ج١، ص٤٤٠ . أحمد العبادي، دولة المماليك ، ص٨٨.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١١١. وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٦٩-١٧٠ . المقريزي، الـــسلوك ، ج١، ص١٥٥. الـــصيّاد ، المغول، ص٨٧ .

الفصل الثالث

الدولة الأيوبية وإعادة توحيدها في عهد الملك العادل

أولاً : موقف ابن واصل من الملك العادل وتوليه الحكم:

١- شخصية الملك العادل وتوليه الحكم:

أ- مولده:

أشار ابن واصل وعدد من المؤرخين إلى ولادة الملك العادل : " ...وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة"(١). " في المحرم"(٢)، ببعلبك حال ولاية أبيه عليها "(٣)، وقد اختلف في مولده: فقيل: بأن مولده في سنة ثمان وثلاثين(٤). أو سنة أَربع وثلاثين(٥)، أو سنة أربع وستين وخمسمائة ، وكان أصغر من أخيه صلاح الدين يوسف"(٦).

ب- اسمه و نسبه، ولقبه:

هو " السلطان الكبير الملك العادل سيف الدين أبو الملوك وأخو الملوك أبو بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني الأصل، التكريتي"(٧) ، وقد: " لقب بالعادل فِي أَيَّام أَخِيه صَلَاح الدّين قبل سلطنته على عَادَة مُلُوك الأكراد، وَملك عدَّة بِلَاد"(٨).

ج- أسرته ونشأته:

لم يذكر ابن واصل شيئاً عن حياة العادل الأسرية، والمعروف أن والدته هي: " خاتون وَالِدَة السُّلْطَان الْملك الْعَادِل سيف الدّين أبي بكر بن أيّوب توفيت بِدِمَشْق بدارها الْمَعْرُوفَة بدار العقيقي الَّتِي صَارَت تربة الْملك الظَّاهِر توفيت سنة ثَلَاث وَتِسْعين وَخمْس مائَة"(٩). " وكان والده أيوب بن شاذي رحمه الله تعالى والياً بها-تكريت- ... ثم اتفق له الانتقال من تكريت إلى الموصل المحروسة "(١٠). وكان أصلهم من الأكراد، وكانوا من بلد يقال له دوين(١١)، من أرض أذربيجان من جهة حرّان وبلاد الكرج، ودخلا بغداد، وخدما مجاهد الدين بهروز" (١٢). ولذا أطلق على دولته دولة الأكراد. وقد تعني كلمة كرد : الذئب، وهي بذلك تدل على طبيعة بلاد الأكراد الجبلية ، التي كانت مأوى للذئاب . وقد

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠ . ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٢٦.

(٣) المصدر نفسه، مفرج،ج٣،ص٢٧٠. الذهبي، العبر،ج٣، ص١٦٧.ابن العماد، شذرات،ج٧، ص١١٧.

(٤) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠ . الذهبي، سير،ج١٦، ص١٢٠.

(٥) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠. الصفدي، الوافي، ج٢، ص١٦٨.

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠. ابن إياس، بدائع، ج١، ق١، ص٢٥٣. الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص١٤٨-١٥٢. جاكسون، معركة حطين، ص٨٦-١١٠. يوسف، معركة حطين، ص٢٣٥-٢٥١.

(٧) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠. الذهبي، سير،ج١٦، ص١٢٠.

(٨) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠. ابن تغري بردي، مورد، ج٢، ص١٠.

(٩) الصفدي، الوافي، ج١٣، ص١٤٣.

(١٠) ابن شداد، النوادر، ج١، ص٣١.

(١١) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢٦٠ . الذهبي، سير، ج٢٢، ص١١٥ . اليافعي ، مرآة ، ج٣، ص٣٣٣. ابن العماد، شذرات، ج٦، ص٣١١ . وانظر: الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، ص٢١١ .

(١٢) المقريزي، المواعظ، ج٣، ص٤٠٨ . تغري، النجوم، ج٦، ص٣-٤. ماجد ، الدولة الأيوبية ، ص٧٥ .

اعتنقوا الدين الإسلامي منذ وقت مبكر، وهناك ملاحظة من قبل المؤرخين: أن الكرد خلائق لا تحصى، وأمم لا تحصر، ولولا سيف الفتنة يستحصدهم ، ولا يجعلهم يفيضون على البلاد ؛ إذ رموا دائماً بشقاق الرأي، وتفرق الكلمة(١).

ورجع ابن واصل في القول عن أصل صلاح الدين ، إلى ابن الأثير. وذكر بعض الأقوال التي ترجح نسبهم، إلى غير الأكراد : " أنكر جماعة من ملوك بني أمية النسب إلى الأكراد ، وقال: " إنما نحن عرب ، نزلنا عند الأكراد ، وتزوجنا منهم " . وادعى بعضهم النسب إلى بني أمية(٢). أما عن نشأته، فإن ابن واصل لم يظهر شيئا حول نشأة العادل، والمعروف أنه نشأ " في خدمة نور الدين مع أبيه وإخوته؛ وحضر مع أخيه صلاح الدين فتوحاته وقام أحسن قيام فى الهدنة مع الأنكلتير ملك الفرنج بعد أخذهم عكّا(٣) ، وكان صلاح الدين يعوّل عليه كثيراً، واستنابه بمصر مدّة، ثم أعطاه حلب، ثم أخذها منه وأعطاها لولده الظاهر، وأعطاه الكرك عوضها، ثم حرّان"(٤).

د- صفاته:

بين ابن واصل ، بعضاً من صفات العادل فقال: " كان الملك العادل- رحمه الله- حازماً، متيقظاً، غزير العقل، سديد الآراء، ذا مكر شديد وخديعة، صبوراً، حليماً، ذا أناة وتؤدة، يسمع ما يكره، ويُغضي عنه كأنه لم يسمعه، كثير البذل والحرج عند الحاجة، لا يقف في شيء، وأما في غير وقت الحاجة فلا، عظمت هيبته في القلوب، واتسع ملكه، وواتته السعادة، وكثر أولاده، ورأى فيهم ما يحب من اتساع الممالك، والظفر بالأعداء..." (٥). وكان ملكًا جليلاً طويل العمر، عميق الفكر، بعيد الغور، جماعًا للمال، ذا حلم وسؤدد، وله نصيب من صوم وصلاة، وكان يضرب به المثل في كثرة أكله، ولم يكن محببًا إلى الرعية لمجيئه بعد الدولتين النورية والصلاحية(٦). " صبورا على الأذى، كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه حضر معه مواقفه كلها، أو أكثرها في مقاتلة الفرنج، وكانت له في ذلك اليد البيضاء، وكان ماسك اليد ". كما كان كثير الصدقة لا يؤثر مصلحته على مصلحة الرعية فـ" قد أنفق في عام الغلاء بمصر أموالا كثيرة على الفقراء، وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئا كثيراً جداً، ثم إنه كفن في العام الثاني من بعد عام الغلاء في الفناء مائة ألف إنسان من الغرباء والفقراء، وكان كثير الصدقة في أيام

---

(١) المقريزي، المواعظ، ج٣، ص٤٠٨ . تغري، النجوم، ج٦، ص٣-٤. ماجد ، الدولة الأيوبية ، ص٧٥.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج١، ص٢-٣ .

(٣) عكا: مدينة كبيرة، من ثغور الشام واسعة بينها وبين طبرية يومان؛ أربعة وعشرون ميلا. انظر: المهلبي العزيزي، المسالك، ص١٠١. الحميري، الروض، ص٤١٠.

(٤) الذهبي، العبر ، ج٣، ص١٦٧؛ سير، ج١٦، ص١٢٠ . الصفدي، الوافي، ج٢، ص١٦٨.

(٥) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧١. ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٢٧ . ابن الوردي، تاريخ ، ج٢، ص١٣٣. اليافعي، مرآة ، ج٤، ص٢٥ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧١ . اليافعي، مرآة ، ج٤، ص٢٥ .

مرضه حتى كان يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه، وكان كثير الأكل ممتعا بصحة وعافية مع كثرة صيامه(١)" .

ه- أولاده: بلغ عدد أولاد الملك العادل حسب ما أورد ابن واصل: " ستة عشر ولداً ذكراً، سوى البنات: الملك الأوحد نجم الدين أيوب(٢)، صاحب خلاط(٣)، توفى في حياة والده، وكان قصيراً جداً، شهماً، مقداماً، سفاكاً للدماء. الملك المغيث عمر، وتوفى أيضاً في حياة أبيه، وخلف المغيث ولداً صغيراً ، وهو الملك المغيث شهاب الدين محمود، ورثاه عمه الملك صاحب دمشق، وكان جميل الصورة جداً، ومات في سنة ثلاثين وستمائة(٤). والملك الجواد شمس الدين مودود، وتوفى في حياة أبيه، وخلف ولده الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود، وكان في خدمة عمه الملك الكامل...، وكان جواداً إلى الغاية ، شجاعاً (٥). والملك الكامل ناصر الدين محمد، صاحب الديار المصرية، وصاحب الخطبة والسكة في جميع الممالك الأيوبية(٦). والملك المُعَظِّمْ شرف الدين أبو العزائم عيسى، صاحب دمشق وبلادها إلى عريش مصر(٧). وشقيقاه: الملك العزيز عماد عثمان(٨)، صاحب بانياس ، وعدة مواضع كانت بيد فخر الدين جهاركس، وكان جواداً شهماً. والملك الأمجد مجد الدين حسن، وتوفى في حياة والده، ودُفن بالقدس الشريف في مدرسة بنيت له، ثم نقل بعد ذلك إلى الكرك، فدفن جوار الشهداء بِمُوتَة(٩) . والملك الأشرف مظفر الدين موسى(١٠)، صاحب البلاد الشرقية ، وخلاط بعد أخيه الملك الأوحد . والملك المظفر شهاب الدين غازي، صاحب ميافارقين(١١). وشقيقاه: والملك المعز مجير الدين

---

(١) ابن واصل، مفرج،ج٣، ص٢٧٣. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩٤.

(٢) اسمه : أَيُّوب بن أبي بكر بن أَيُّوب الأوحد نجم الدّين صَاحب خلاط ابْتُلِيَ بأمراض مزمنة، وكَانَ يتَمَنَّى الْمَوْت مَعهَا . صفاته: قال عنه ابن واصل: " كان قصيراً جداً، شهماً، مقداماً، سفاكاً للدماء"، "كان ظلوماً سفاكًا لدماء الأمراء"، "وأساء السيرة فقصف الله عمره" . وفاته : أشار ابن واصل أن الأوحد: " توفى في حياة والده سنة (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١٦، ص١٢٦، ص٢٠٨، ص٢٧٣ . الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج١، ص٧٠٥-٧٠٦ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٤، ٢٤٧-٢٤٨، ٢٦١، ٢٦٤. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٠٨ .

(٣) خلاط: على الْحُدُود مَا بَين بِلَاد الْمُسلمين والأرمن وَبَينهَا، وَبَين بركري تِسْعَة عشر فرسخا وَعَلَيْهَا أَمِير اسْمه نصر الدولة نَيف على الْمِائَة وَله أَبنَاء كَثِيرُونَ أعْطى كلا مِنْهُم ولَايَة ويتكلمون بهَا ثَلَاث لُغَات الْعَرَبيَّة والفارسية والأرمنية وأظن أَنَّهَا سميت أخلاط لهَذَا السَّبَب والمعاملة هُنَاكَ بالنقود النحاسية ورطلهم ثَلَاثمِائَة درْهَم. انظر: خسرو، سفر نامة، ج١، ص٣٩-٤٠ . الذهبي، تاريخ ، ج٤٣، ص١٨ . ابن أعثم، الفتوح ، ج٢، ص٣٤٦ .

(٤) أبو شامة، عيون الروضتين، ج٤، ص١٤٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٧٢ .

(٥) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧٤ . الذهبي، سير ، ج١٦، ص٣٨٥ . الكتبي، فوات ، ج٤، ص٣٩٦ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١١٦، ٢٧٤ . ابن خلكان، وفيات ، ج٥، ص١٩-٩١.

(٧) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١١٦، ٢٧٤ .ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤١٨، ٤٢٥.

(٨) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧٥ . ابن خلكان ، وفيات ، ج٢، ص٥٢٤، ج٣، ص٢٥١.

(٩) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧٥ . ابن خلكان، وفيات ، ج٢، ص٤٥٣ ــ الذهبي، سير ، ج١٦، ص٢٤٣ .

(١٠) ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص٢٧٥ . ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٣٠، ص٣٣٣. الذهبي، سير،ج١٦، ص١٢٤.ج٢٣، ص١٦٤. السبكي، طبقات،ج١، ص٨٤٤. المقريزي، السلوك،ج١، ص٢٨٤.

(١١) هو السلطان المظفر شهاب الدين غازي ابن العادل أبي بكر ابن أيوب صاحب خلاط وميافارقين وحصن منصور وغير ذلك. وكان ملكا جوادا، حازما، شهما، شجاعا، مهيبا، حلو المحاضرة، حسن الجملة، كبير الشأن، وقد حج في تجمل زائد على درب العراق. مات في رجب، سنة خمس وأربعين وست مائة، وقد شاخ، فتملك بعده ابنه الكامل ناصر الدين محمد بن غازي الشهيد. انظر: ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٥-٣٤٦ . الذهبي، سير، ج١٦، ص١٣٠، ص٣٩٤. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٣٥ . الزركلي، الأعلام، ج٥، ص١١٢.

يعقوب(١). وتاج الملوك إسحاق(٢). والملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وكانت له من أبيه بُصرى، وملك بعد ذلك دمشق وبعلبك. والملك المفضل قطب الدين(٣)، وتوفى بمصر في أيام الملك الكامل. والملك الفائز إبراهيم(٤). والملك الأمجد تقي الدين عباس، وهو أصغرهم، مولده سنة ثلاث وستمائة، وهو آخرهم موتاً، توفى بدمشق في سنة تسع وستين وستمائة، والملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه(٥).

و- وفاته: ذكر ابن واصل أن الملك العادل ومرض واشتد مرضه، ثم توفى رحمة الله تعالى (٧ جمادى الآخرة من سنة ٦١٥هـ/ ٣٠ أغسطس ١٢١٨م). فكان عمره (٧٥) سنة. وكان ملكه لدمشق سنة (٥٩٢هـ/١١٩٦م)،وكانت مدة ملكه لها ثلاثاً وعشرين سنة. وملك مصر سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م)،فكانت مدة ملكه لها نحو (١٩) سنة،"وحمل إلى دمشق. فدفن بالتربة التي له بها "(٦).

٢- المناصب التي تولاها العادل حتى وفاته:

تولى الملك العادل العديد من المناصب بعد وفاة الناصر صلاح الدين الأيوبي، حيث حكم عدة بلاد، هي: الكرك، و الشوبك، والبلاد الشرقية، وهي: حران، والرها، وسميساط، والرقة(٧)، وقلعة جعبر، وديار بكر(٨)، وسروج(٩)، حيث تم فتحها في (٨ رجب سنة ٥٨٩هـ/٩ يوليو سنة ١١٩٣م)(١٠)، و الخابور ونصيبين(١١)، و في سنة (اثنتين وتسعين وخمسمائة/ ست وتسعون وألف ومائة) تم تفويض دمشق وأعمالها إليه(١٢)، فكانت مدة ملكه فيها ثلاثاً وعشرين سنة(١٣). وقد جعل الملك العادل ابنه الملك

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧٥ . ابن العديم، بغية، ج٧، ص٣٤٥٥. ابن العبري، مختصر، ص٢٤٦ . الصفدي، الوافي، ج٢٨، ص١١٨.المقريزي، السلوك، ج١، ص ٢٨٩، ٣١١، ٣٩٧ .

(٢) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧٥ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣١١ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧٥. الصفدي، الوافي،ج٧، ص٢٣٦.

(٤) هو غياث الدين إبراهيم بن العادل، كان قد انتظم له الأمر في بعد أبيه على الديار المصرية ، وقد كان الفائز بحرّان وهي من البلاد الشرقية عندما حدث الصراع بين ملوك بني أيوب وأمرائهم ، مات بين سنجاب والموصل، وقد ذكر أنه سم فرد إلى سنجاب، فدفن بها رحمه الله تعالى . انظر: ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤، ص١١٦، ص١٢٧، ص١٣١ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٥٢، ص٣٠٦ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٨٧ . ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٧٩ . ابن كثير، البداية ، ج١٣، ص٩٢ .

(٥) ابن واصل، مفرج،ج٣، ص٢٧٥. اليونيني، ذيل،ج١، ص٣٩؛ ج٤، ص٢٦٨ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج،ج٣،ص٢٧٠. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٦ .

(٧) الرقة : مدينة بالعراق مما يلي الجزيرة، وكل أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء عند المد فهي رقة، وبه سميت المدينة. الهروي، الإشارات، ص٥٨. ياقوت، معجم، ج٣، ص٥٩. الحميري، الروض، ص٢٧٠.

(٨) ديار بكر: ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق، قصبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات. هى بلاد كثيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل؛ وحدّها ما عرّب من دجلة من بلاد الجبل المطلّ على نصّيبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين. القزويني، آثار، ص٣٦٨. صفي الدين، مراصد، ج٢، ص٥٤٧.

(٩) سروج: وهي بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر،بينها وبين البيرة مرحلة فى الجبال. ياقوت، معجم، ج٣، ص٢١٦. صفي الدين، مراصد، ج٢، ص٧١٠.

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٩ .الحموي، التاريخ ، ج١، ص٢ . ابن العديم، زبدة، ج١، ص٤٢٩ .

(١١) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٠. ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص١٥٢ .

(١٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٨ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٩١.

(١٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٧٠. ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص١٤٠ .

المُعَظِّمْ شرف الدين عيسى سنة(٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، نائباً عنه في دمشق بعد أن تملكها ، وطرد الملك الأفضل منها(١). أما في مصر، فإن العادل أخذ يأمر وينهى ، ويحكم ويتصرف في كثير من أمورها ، بالرغم من وجود ملك الديار المصرية الملك العزيز ، وذلك سنة (إحدى وتسعين وخمسمائة/ خمس وتسعون وألف ومائة)(٢). وفي سنة (خمسمائة وست وتسعون/ ألف ومائة وتسع وتسعون)، استقل الملك العادل بالسلطة داخل مصر، وعزل الملك المنصور بن الملك العزيز، وجعل الملك الكامل ابنه نائباً عنه حتى وفاته(٣)، وكان مدة ملكه فيها نحو تسع عشرة سنة(٤). وفي سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م) أقيمت الخطبة والسكة بحلب وبلادها للملك العادل(٥). وما أن حل عام (٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) حتى انتظمت الممالك الشامية والشرقية، والديار المصرية كلها في سلك ملكه، وخُطب له على منابرها كلها، وضربت السكة فيها باسمه(٦). وفي سنة (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) استولى الملك الأوحد نجم الدين أيوب بن الملك العادل على خلاط وبلادها، وأصبحت تحت حكم الملك العادل ، " وهي تقارب الديار المصرية في المنزلة، وتشمل نحو سبعين بلداً، ويعرف إقليمها بأرمينية "(٧). و في سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) قبض الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب مصر والشام، على أمير اسمه أسامة، كان له إقطاع كثير من جملته حصن كوكب من أعمال الأردن بالشام، وأخذ منه حصن كوكب وخربه، وعفى أثره، ومن بعده بنى حصنا بالقرب من عكا على جبل يسمى الطور، وهو معروف هناك، وشحنه بالرجال والذخائر والسلاح، وذلك (٨). وَدَخَلَتْ اليمن تحت حكم الملك العادل ، وذلك سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م)(٩).

٣- علاقات الملك العادل مع القوى الإسلامية المحيطة:

أ- **العلاقات الأيوبية والسلجوقية:** بعد وفاة صلاح الدين، كان يلوح في أفق الشام أن ابنه الظاهر غازي صاحب حلب سيشكل أكبر قوّة أيوبية في الشمال، وفي عهده تطابقت السياستان الحلبية، والسلجوقية، وغلب على علاقتهما التحالف والتعاون، خاصة بعدما هدَّد ليون ملك الأرمن أمن مملكة السلاجقة بقوته العسكرية وحصونه المنيعة(١٠). وجدير ذكره أن الظّاهر غازي قدم نجدة عسكرية قويّة فيها عدد من كبار أمراء حلب دعمت الجيش السلجوقي في هجومه على مملكة الأرمن ، وإزاء هذا التحالف سارع

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١١٦ . ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص١٢٤، ٢٤٧-٢٤٨ . القرشي، الجواهر ، ج٢، ص٦٨٣. ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٢٩١ . ابن طولون، القلائد ، ص٢١٩-٢٢٠ . ابن العماد، شذرات ، ج٧، ص٢٠١ . الغساني، العسجد، ص١. النعيمي، الدارس، ج١، ص٤٤٥. الزبيدي، ترويح، ص٥١.

(٢) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٥٤ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٩١.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١١٢-١١٣ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٦٩ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٧٠.

(٥) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص١١٤.

(٦) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص١٣٣.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٧٥.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢١٥-٢١٦ .ابن الأثير، ج١٠، ص٢٨٤ .

(٩) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٢٧.

(١٠) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٨٧.

ليون ملك الأرمن – الذي لم يكن غريباً عن معرفة توزع القوى السياسية في المنطقة وتناقصاتها، فاتَّصل بالملك العادل صاحب القُوَّة الأيوبية الأكبر، فوجد العادل بهذا الطلب إقرار بقوتَّه وبفاعليَّتِها على مختلف الساحات فأجابه، وراسل كيخسرو، الذي لبّى طلب العادل، وعقد صلح مع ليون بشروط يستفيد منها كل الأطراف (١).

وقد هاجم طغرل شاه أملاك عز الدين كيكاوس في سيواس(٢)، ورحَّب العادل بطلب المساعدة، ولما اقترب من حدود سيواس، خشي طغرل شاه، واضطر إلى فك الحصار عن المدينة (٣). وفي عام (٦١٠هـ/١٢١٣م) تنازع ولداه عز الدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ بعد مصرع والدهما غياث الدين كخسرو في معركة الآشهر ضد تيودور لاسكاريس إمبراطور نيقية(٤)، فتنازع ولداه عز الدين كيكاوس وعلاء الدين كيقباذ، فيمن يخلفه، فاستنجد الأول بالعادل، لمساعدته ضد أخيه، وضد عمه طغرل شاه الذي دخل في غمرة الصراع على العرش(٥).

وبعد استقرار عز الدين كيكاوس في الحكم حاول التوسع في منطقة كيلكية، فاصطدم بليون الثاني صاحب أرمينية الصغرى وحتى يقّوي موقفه جدَّد الحلف السابق، وإذ لا زالت أسباب التحالف مع الأيوبيين قائمة عرض الظاهر غازي، القيام بعمل مشترك ضد ليون الثاني، وانتزاع أنطاكية منه وكان هذا قد نجح في الاستيلاء على أنطاكية في عام(٦١٣هـ/١٢١٦م)، ونصَّب ريموند روبين، حفيد بوهيموند الثالث، أميراً عليها، واتصل ببوهيموند الرابع صاحب طرابلس لتقديم يد العون على أن يأخذ أنطاكية ، واتفق الحلفاء على أن يدخل عز الدين كيكاوس إلى بلاد الأرمن من ناحية مرعش، ويدخل الظاهر غازي من جهة درساك، أما بوهيموند الرابع فيهاجم أنطاكية ومعه قوات من دمشق وحماة، وحمص لإغلاق الممرات الجبلية على قواته (٦). وأخذ الملك الظاهر غازي يستعد للحملة وأرسل في الوقت نفسه رسالة جوابية إلى عز الدين كيكاوس حملها عبدالرحمن المنجي، فأدى الرسالة وحرّف فيها وزاد فيها شروطاً تضر الملك الظاهر وتوافق عز الدين لعدم كفايته، فسير الملك الظاهر، إلى الملك العادل يستشيره في ذلك، فهجَّن عليه الملك العادل رأيه، وأشار إليه بأن لا يجتمع إليه أصلاً، وعرّفه ما في ذلك من

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٨٧، ص٢١٧ .

(٢) سيواس: مدينة بأرض الروم مشهورة حصينة كثيرة الأهل والخيرات والثمرات. وهي من بلاد ملك العراق. القزويني، آثار، ص٥٣٧. صفي الدين، مراصد، ج٢، ص٧٦٨. ابن بطوطة، رحلة، ج٢، ص١٧٩.

(٣) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢١٧ .

(٤) قال ابن الهروي: إنها من أعمال استنبول في تركيا. اجتمع بها آباء ملّة النصارى الثلاثمائة والثمانية عشر، وهو أول مجمع لملّتهم، وأظهروا لهم الأمانة التى هى أصل دينهم واعتقادهم، وصورهم وصور كراسيهم بهذه المدينة فى بيعتها، ولهم فيها اعتقاد عظيم. وفى الطريق من هذه المدينة من بلاد الروم الشمالية قبر أبى محمد البطال على رأس تلّ. انظر: ابن خرداذبة، المسالك، ج١، ص١٠٦. ياقوت، معجم، ج٥، ص٣٣٣. القزويني، آثار، ج١، ص٦٠٨.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢١٩، ٢٢٥.

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٣٤ .

المفاسد(١). ووقع الملك الظاهر في حيرة عظيمة، بين أن يغدر بما وعد به عز الدين، وبين أن يخالف عمَّه الملك العادل، وترددت الرسل من عز الدين تستحثه على سرعة الحركة، ووصل رسول ابن لاون إلى الملك الظاهر برسالة مضمونها: " إني مملوك السلطان...أطلب منه إنقاذي من هذه الورطة- التحالف ضده لأخذ أنطاكية- ، وأكون مملوكه ما عشتُ وقد حفظت بلاد السلطان غير مرة وخدمته، ومنها: أن السلطان لما حاصر دمشق المرة الأولى وبقيت البلاد شاغرة من العساكر، ما شغلتُ قلبه، ولا أذيت بلده؛ بل ساعدته وعاونته بمالي ورجالي ، وكذلك لما حاصر دمشق المرة الثانية، وقد بُذلت لي الأموال كلها لأشغل قلبه، ويفتر عن الحصار، فلم أفعل، وإن كان الإبرنس قد خدم السلطان، فخدمتي أكثر من خدمته، وسوف يبصر السلطان خدمتي وملازمتي بابه الشريف، وقد أوصيت ابن أختي الذي نصبته بأنطاكية بملازمة خدمته . وبعث ابن لاون مع هذه الرسالة هدية عظيمة فاخرة، فمال الملك الظاهر، إلى قوله، وبقي متردداً "(٢). وأبطأ الظاهر غازي في الخروج من حلب، وأرسل إليه كيكاوس قاضياً آخراً يحثه على الإسراع بالخروج، وفي الوقت الذي كان فيه القاضي مجتمعاً به، وصلت إليه أخبار بأن القوات السلجوقية المعسكرة في مرعش، أغارت على البلاط وهي من أعمال حلب، وقتلت جماعة من الأرمن، وأسرت جماعة أخرى، فأدرك عندئذ نصيحة عمه العادل، فانسحب من الحلف وامتنع عن مساعدة السلاجقة(٣)، وقال للرسول: " أول الدية دُرْديّ ؟ (٤) لعجب أنكم تطلبون منا المعاونة وتخربون بلادنا "(٥) . واهتم الملك الظاهر بتقوية علاقاته مع عمه الملك العادل، حيث سير في سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) القاضي بهاء الدين بن شداد – إلى السلطان الملك العادل، وكان قبل ذلك قد أرسل القاضي نجم الدين بن الحجاج – نائب القاضي بهاء الدين في الحكم بحلب – ، فوجد من الملك العادل قبولاً عظيماً، طيَّب قلبَ الملك الظاهر، وبسط أمله، فأنفذ الملك الظاهر القاضي بهاء الدين شاكراً لإنعامه، وطلب منه أموراً ثلاثة(٦):

أحدها : أن يكون الملك العزيز محمد ولده ولىَّ عهد أبيه، وقائماً بمُلك حلب وبلادها بعده.

ثانيها: أن يزوَّج الملك العزيز ابنة الملك الكامل.

ثالثها: أن يكون صُلح الملك الظاهر وصُلح الملك العادل مع الفرنج واحداً، ونكثهما معهم واحداً (٧).

ونقل ابن واصل عن القاضي بهاء الدين قوله : فتوجهت إلى الديار المصرية، فأنهيت إلى السلطان العادل هذه الفصول، فأجاب إلى تولية الملك العزيز عهد أبيه، وإلى الموافقة في الصلح والنكث مع الفرنج، وأما

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٣٥ .

(٢) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٣٥.

(٣) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٣٥.

(٤) الدردي : هو السم. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٣٦ .هامش رقم(١).

(٥) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٣٦ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٣٦ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٣٧ .

فصل الترويج فقال: " هذا لا يتعلق بي، فاجتمع بالكامل، وتحدث معه فيه". قال: "فاجتمعت بالسلطان الكامل، وخاطبته فيه، فأجابني إليه وأخذت يده على ذلك" (١).

ب- العلاقات بين الخوارزميين والأيوبيين:

تنسب الدولة الخوارزمية إلى نوشتكين أحد الأتراك في بلاط ملكشاه السلجوقي، ثم اشتهر ولده محمد الذي عين حاكم على خوارزم(٢)، ولقب خوارزم شاة، وبدأت هذه الدولة في التوسع، وقد كانت بداية العلاقات السياسية بين الدولتين الخوازمية والأيوبية في سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) قبل وفاة العادل، ففي هذه السنة وصل رسول خوارزم شاه علاء الدين محمد(٣) إلى الملك العادل، وهو بمرج الصفر، وقد كانت غايته على الأرجح إقامة علاقة ودية بين الجانبين؛ لأن الملك العادل بعث بالجواب إلى خوازم شاه، فأوفد إليه جمال الدين محمد الدولعي الشافعي خطيب جامع دمشق، ونجم الدين خليل بن علي الحنفي قاضي العسكر (٤). وكان خوارزم شاه آنذاك في همذان، وعندما وصل الرسولان إليهما لم يلتقيا به بسبب مغادرته المدينة إلى بخاري(٥) لمجابهة الخطا(٦) والمغول(٧)، ومع هذا فإنهما اجتمعا بولده جلال الدين؛ الذي أبلغهما بوفاة الملك العادل، فرجعا إلى دمشق دون أن تتحقق مهمة لقائهما بخوارزم شاه علاء الدين محمد ، ومات الملك العادل في سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) فشغل خوارزم شاه بمشاكله، وفي مقدمتها الغزو المغولي، وكان لذلك أثره في عدم تطور العلاقات بين الخوارزميين والأيوبيين في عهد خوازم شاه علاء الدين محمد (٨). وفي الحقيقة أن ابن واصل لم يعرج على علاقة العادل بالخوارزميين، ولم يذكر ما يشير إلى لعلاقة.

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٣٧ .

(٢) خوارزم: من بلاد خراسان وهي بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وخوارزم مدينة عظيمة على شاطىء نهر جيحون؛ وأهل خوارزم يسمّونها بلسانهم كركانج، ويقال لمدينة خوارزم قديما: فيل، ثم قيل لها المنصورة ، وطباع أهل خوارزم مثل طبع البربر.انظر: ياقوت، معجم، ج٢، ص٣٥٠، ٣٩٧. صفي الدين، مراصد، ج١، ص٣٢٣.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٦٣؛ ج٥، ص١٣٣-١٣٥ . ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص٣٤٣-٣٤٤ . ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٩٤ . وانظر: الحسيني، زبدة التواريخ، ص٣١١-٣١٤. حافظ أحمد ، الدولة الخوارزمية والمغول ، ص١٧-٣٣ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٦٣؛ ج٥، ص١٣٣-١٣٥ . ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠، ص٣٤٣-٣٤٤ .

(٥) بُخارى بالضم: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، يعبر إليها من آمل الشّطّ، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية . انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٥٣ .

(٦) الخُطَا مجموعة من القبائل المغولية وغيرها كونوا لهم دولة في تركستان سنة(٥١٩ هـ/١١٢٥م) قضى عليهم جنكيزخان سنة(٦١٥هـ/١٢١٨م) ، وكانت دولة وثنية، وكان يدعى ملكهم: خان خانان الصيني. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٣٨ . ابن الأثير، الكامل،ج٩، ص١١٥، ٣١٥ . القلقشندي، صبح،ج٤، ص٤٨٣.

(٧) التتار أو المغول : قبائل متفرقة لا تستقر في مكان محدد، بل كانت ظروف البلاد التي يعيشون فيها [ما بين الأراضي الصينية الحارة والباردة في سيبيريا] ، قادهم (جنكيزخان) وكان ذلك سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٦م). فهو ملك التتار وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد وأفنى العباد، واستولى على الممالك، وليس للتتار ذكر قبله، إنما كانت طوائف المغول بادية بأراضي الصين فقدموه عليهم . ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٣٦. الذهبي، سير ، ج١٦، ص١٩٢ . الصفدي، الوافي ، ج١١، ص١٥٢-١٥٣. الكتبي، فوات ، ج١، ص٣٠١-٣٠٢ . ابن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج١، ص٦٠٤ . العودة، التتار، ص١٥ .

(٨) ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص١٨٠-١٨٢ . المقريزي، السلوك ، ج١، ص٣٠٨ . نافع العبود ، الدولة الخوارزمية ، ص١٤٦-١٤٧. العلاقات الدولية،ج١، ص٣٠٧ . صلاح الدين المنجد، النظم ، ص٥٩ .

ج- العلاقات مع الخلافة العباسية:

١- تجديد الولاء للخلفاء العباسيين: كان لملوك بني أيوب دورٌ في تجديد الولاء للخُلفاء العباسيين عبر أداء قسم الولاء أو ما كان يعرف بالتحليف ، ولم تنقطع الرّسل بين ملوك بني أيوب وبين ديوان الخلافة، فكان يندر أن يخلو عام من رُسُل تتردَّد برسائل وغيرها منذ أيَّام الملك العادل، فقد أرسل العادل إلى الخليفة الناصر عام(٦١٤هـ/١٢١٧م)، وعاد جوابها مع الشيخ صدر الدين بن حموية . وكان رسول الخليفة – في ذهابه، وإيابه في أداء مهمته يقابل الملوك الواقعين على طريقه، فعندما مّر شهاب الدين السهروردي رسول الخليفة الناصر بحلب عام(٦٠١هـ/١٢٠٥م) يحمل التشريفات للملك العادل استُقبل فيها استقبالاً عظيماً، وجلس في مسجدها الجامع للوعظ، وحضر مجلسه كبار رجال حلب، ولابد أن الاستقبال نفسه كان له في حماة وحمص ، ولم تكن سفارات الخليفة إلى بني أيوب لأمور تتعلق بالخلافة ودولتها فقط؛ بل كان قسم كبير من هذه السفارات يتعلق بأمور داخل البيت الأيوبي، أو يتعلق بأمور بين الأيوبيِّن وملوك آخرين(١). فعندما كان الملك العادل يُحاصر سنجار عام(٦٠٦هـ /١٢١٠م) قِدم هبة الله بن المبارك بن الضحاك رسولاً من الخليفة الناصر يطلب منه ترك حصار سنجار، ويشفع في صاحبها، فوافق العادل وانسحب، وفي الحقيقة، كانت استجابته لطلب الخليفة تغطية لانسحابه من حصار فاشل (٢) ، ومع انقسام دولة الخلافة العبّاسية الفعلي وسيطرة ملوك وأمراء وقادة وزعماء وشيوخ وغيرهم على مناطق مُتعددَّة من جسم الدولة، منها ما كان يشكل دول كبيرة جداً، ومنها إمارات صغيرة وأحيانا، قلعة أو بلدة لها حاكمها الخاص، وهو يتصرَّف بكل الشُّؤُون السياسية والعسكرية والداخلية باستقلالية تامة، ومع كل هذا الانقسام بقيت هناك سلطةٍ اسمية للخليفة على كل الدولة والدويلات المستقلة، انطلاقاً من أن الخلافة هي منصب ديني(٣).

والخليفة هو إمام المسلمين ومرجعهم الأعلى دينياً وسياسياً؛ لأن البلاد بكاملها كانت لدولة الخلافة، وكل سيطرة على أيّ منطقة منها ليست شرعية، وصاحبها لا يملك الحق الشرعي في الحكم، لذلك كان كل منهم مُضطرّاً – بشكل أو بآخر – أن يُقرَّ سلطة اسمية للخليفة في بلاده، وكان خلفاء بني العبّاس المتأخرِّون يرضون بهذه السيطرة الاسمية التي لا تتعدَّى ذكر اسمهم في خطبة الجمعة على منابر المساجد، بحيث يسبقه اسم الملك المحلي، ونقش اسمهم على العملة التي يسكّها هذا الملك، أو ذاك، ضمن أراضي البلاد، التي كانت – فيما مضى – تسُمَّى أراضي الخلافة العبَّاسية، وكان هناك شكل رسمي بُروتوكُولي لموافقة الخليفة التي كانت مضمونة دائماً على أن يشمل بشرعية حكم الملوك المنفُذّين في أطراف الدولة (٤).

---

(١) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ١٨٠-١٨٢ . المقريزي، السلوك ، ج١، ص٢٨٩ ، ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ١٨٠-١٨٢.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ١٨٠-١٨٢ .

(٤) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ١٨٠-١٨٢.

٢- مراسم العباسيين لحكام البلاد- الأيوبيون- :

أ-التقليد: ويعني التولية، وهي من قلَّدتُهُ أمر كذا؛ أي وليُتهُ عليه، فالتقليّد هو مرسوم سياسي يصدر من ديوان الخلافة لتكليف شخصي ما بالحكم في بلد، أو بلاد مُعينَّة (١). وحرص الملوك الأيوبيون حرصاً كبيراً على أن يتولىَّ كُلُّ منهم عمله بمباركة من الخليفة تتجليّ بمنحه التقليد(٢).

ففي عام (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) عندما سيطر العادل على مملكة مصر، وعلى دمشق والبلاد الجزرية، أرسل أستاذ داره ألدكز العادلي، والقاضي نجم الدين خليل بن المصمودي الحنفي الحموي - قاضي العسكر- رسولين إلى الديوان العزيز ، يطلب التشريف والتقليد على مصر ، والشام، والبلاد الجزرية ، وخلاط، فأُكرما، وأُحسن إليهما، وأُجيبا إلى مطلوبهما. حيث خوطب الملك العادل فيه: " بشاهان شاه ، ملك الملوك خليل أمير المؤمنين ". وأُرسل من الديوان إلى الملك العادل الشيخ الإمام قدوة العارفين الشيخ شهاب الدين السهروردي، ومعه التشريف الإمامي(٣) .

وقرأ صفي الدِّين بن شكر(٤) وزير العادل التَقليد الذي أرسله الخليفة على كرسي نُصب له ، مما يوضح لنا بأن التقليد هو مرسوم سياسي إداري ديني يصدره الخليفة بتولية جُزء من أراضي الخلافة إلى شخُص يذكر اسمه في التقليد مقروناً بصفات التقدير والتعظيم (٥).

ب- التشريف: أو خلعة التشريف، وهو جُبَّة أو عباءة بلون أسود، لذلك قد يُسمى التشريف الأسود (٦) ، والسواد هو شعار بني العبّاس (٧) ، وتكون خلعة التشريف مُذهَّبة عادة، وتسمَّى التشريف الإمامي ، فهي تشريف من الإمام، الخليفة العَّباسي للشخص المُرسَل إليه(٨). وبين ابن واصل أن رسول الخليفة كان يقوم بوضع التشريف على أكتاف الملك المُرسَل إليه، بعد قراءة التقليد فيلبسه، ويسير به في شوارع بلده، أو بين خواصَّه (٩)، وأشار ابن واصل أنه في عام (٦٠٤هـ / ١٢٠٨م)، وصل تشريف من الخليفة النّاصر إلى السُّلطان العادل، وإلى أولاده ووزيره ، فركب العادل وولداه ووزيره بالتشريفات إلى ظاهر البلد، ثُمَّ عادوا إلى القلعة(١٠).

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ١٨٠-١٨٢.

(٢) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ١٨٠-١٨٢ . الدواداري، الدر المطلوب، ج٧، ص٢٨٠-٢٨١.

(٣) المصدر نفسه . مفرج، ج٣، ص١٨٠-١٨٢.

(٤) هو الصاحب صفي الدين أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الحسين بن عبد الخالق الشيبي الدينوري المالكي. ولد بمصر سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م)، كان خليقا بالوزارة ولم يتولها بعده مثله. كان وزيرا للعادل، وظهر له منه فساد ، فنفاه عن مصر والشام، فلما مات العادل سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) عاد ابن شكر إلى مصر ووزر للكامل ثم عمي، وتوفى صفي الدين عام (٦٢٢هـ/١٢٢٤م). ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ١٩٩-٢٠٠. ابن الجوزي، مرآة ، ج٨، ص٦٧٧ .الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٧ . الحموي، التاريخ المنصوري،ج١، ص٦٠ . ابن المستوفي، تاريخ، ج٢، ص٢٧٥ .أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١١٢ . أبوشامة، الروضتين، ص١١٥ .

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٠-١٨٢.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٠-١٨٢. المقريزي، السلوك ،ج١، ص٤٢٥.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٨٠-١٨٢. الصابيء ، رسوم دار الخلافة، ص ٩٣ .

(٨) المصدر نفسه، مفرج ، ج٥، ص٣٥٠.

(٩) المصدر نفسه ، مفرج ، ج٣، ص١٨٠.

(١٠) المصدر نفسه ، مفرج ، ج٣، ص١٨٢.

ج- الخلعة:

بين ابن واصل أن الخلعة هي ما يخلعه الخليفة، أو الملك على أحد من الناس، وكان خلفاء بني العبّاس كثيراً ما يهبون الخلع لأتباعهم، وأنواع الخلع التي كانت تُرسل إلى ملوك بني أيوب كانت – غالباً – ما ترافق التقليد، وتكمل التشريف وهي: خلع أصحاب الجيوش، وولاة الحروب(١). وأشار ابن واصل أن مُلوكَ بني أيوب كانوا وُلاة دار الحرب في مواجهة الفرنج منذ أن قامت دولتهم والخلعة – في كثير من الأحيان – كانت تعني موافقة الخليفة على تقليد الملك في بلاده، وهي عادة – تتكون من عمامة سوداء، ورداء فضفاض – عباءة – أسود مُبطَّن، مُوشَّى بالذهب، وسيف مُحلىَّ بالفضَّة والذهب، له حمائل مُوشَّاة أيضاً. ثم يأتي الحملان، وهو حصان، سرج مُزيَّن، وكانت هُناك زيادة على هذه الخلع المتعارف عليها تُزاد لأصحاب الفتوح من القُوَّاد، وهي طوق وسوارين من الذهب . وقد أُعطيت لقَّواد دولة الخلافة، ولم تُرسل مع الخلع إلى ملوك بني أيُّوب إلا نادراً، ففي عام (٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، أرسل الخليفة الخلعَ إلى الملك العادل، وأولاده فلبسوها، ولم يُذكر أنها تضمُّ الطَّوف والسوارَين(٢). وفي عام(٦٠٥هـ/١٢٠٨م)، فقد وصل إلى بغداد من دمشق قاضي عسكر الشَّام ابن المعمودي ، رسولاً من الملك العادل، وتسلَّم الخلع للعادل وأولاده، وكان في خلعة العادل الطَّوق والسوارات ، وأرسل معهم الخليفة الشيخ شهاب الدِّين السهروردي رسولاً لحمل الخلعة، واهتَّم العادل كثيراً بهذه الخلعة، فقد أرسل العسكر للقاء الرسول، فتلقوه في الغسولة، وهي قرية في دمشق. ولقيه من القصر الملك العادل، وولداه: الملك الأشرف، والملك المُعَظِّمْ، وغُلِّقت الأسواق، وخرج الناس كلُّهم ، وكان يوماً مشهوداً. وجلس الملك العادل...في دار الرضوان، بقلعة دمشق، ودخل القاضي بهاء الدين، ورسولا صاحبي حماة وحمص، وأفيضت على الملك العادل : " جبة أطلس أسود بطراز مذهب، وعمامة سوداء بطراز مذهب، وعمامة سوداء بطراز مذهب، وطُوِّق بطوق ذهب مجوهر ثقيل. وأشار ابن واصل بأن الملك العادل قُلِّد بسيف محلَّى جميع قرابه بذهب ، وركب حصاناً أشهب بمركب ذهب، ونشر على رأسه علمٌ أسود مكتوب عليه بالبياض ألقاب الخليفة(٣). وعند لبسه الخلعة نثر القاضي بهاء الدين ، ورسولا صاحبي حماة وحمص عليه الذهب، وقدم له القاضي بهاء الدين خمسين قطعة من أفخر القماش، ونثر عليه رسل سائر الملوك الذهب. ثم خلع رسول الخليفة على كلِّ واحدٍ من الملك الأشرف، والملك المُعَظِّمْ، عمامةً سوداء، وثوباً أسود واسع الكم ، وخُلع على الصاحبِ صفيِّ الدين ابن شكر كذلك(٤).

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٨١ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٨١-١٨٢ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨١-١٨٢ . ابن تغري بردي، النجوم ، ج٦، ص٣٤٨.

(٤) المصدر نفسه . مفرج، ج٣، ص١٨١-١٨٢.

ثانياً: دور العادل في توحيد الدولة الأيوبية:

١- علاقة الملك العادل بأولاد أخيه:

بين ابن واصل، الرؤية الوحدوية للملك العادل سيف الدين، وحرصه على لم الشمل الأيوبي مرة أخرى، والذكاء والفطنة التي تمتع بها، فعندما تولى الأفضل ملك مصر، والسلطنة استشار الملك الأفضل أصحابه ، حيث أشار عليه وزيره ضياء الدين ابن الأثير بإعطاء أخاه العزيز بيت المقدس، وما يتبعها من أعمال رغبةً في استجلاب مودته. " فأعطه لأخيك واستجلب بذلك مودته "(١)، فوافق الملك الأفضل، وكتب إلى أخيه العزيز عثمان بالأمر، فوافق العزيز عثمان " فسر الملك العزيز بذلك وقبله"(٢)؛ لكن عمال الملك الأفضل على القدس خافوا من محاسبة العزيز لهم، فكتبوا إلى الأفضل يطرحون عليه ألا يدفع للقدس أي وقف من ماله، فوافق ورجع عما اتفق عليه مع أخيه العزيز عثمان "(٣)، فتغير الملك العزيز لذلك وتكدر باطنه(٤). وقد زاد التكدر ، والفرقة ، ما حدث من استيلاء الصليبيين على ثغر جبيل(٥)، ولم يتحرك الأفضل لمواجهتهم(٦). فخرج العزيز بجيشه من مصر متجهاً إلى دمشق عام (٥٩٠هـ/١١٩٤م)، فتم حصار الأفضل(٧). ورأى الأفضل مصالحة أخيه؛ لكن البطانة الفاسدة منعته من ذلك ، وأشاروا عليه الاستعانة بعمه الملك العادل ضد أخيه العزيز ، وبالفعل استعان بالملك العادل، وبأخيه الملك الظاهر، وابن عمه الملك المنصور(٦١٧هـ/١٢٢٠م) صاحب حماه، وحققوا المصالحة بين الأخوين في (أوائل شعبان سنة ٥٩٠هـ/ أواخر يونيو ١١٩٤م)، وعاد كل منهما إلى بلده(٨). وهذا يوضح عدة أمور:

- أن الشخصية السياسية عند الملك الأفضل كانت ضعيفة، وكذلك الإدارية ، فهو لم يكن الشخص المرغوب فيه ، وخاصة في مرحلة حساسة من التاريخ الإسلامي(٩).

- بداية دور مهم للملك العادل في لم الشمل الأيوبي، واقتناعه أنه هو القادر على ذلك ، بسبب استعانة أبناء أخيه صلاح الدين به(١٠). وأسند الأفضل أمور الدولة إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير، فساءت أمور الدولة، مما جعل العزيز يتخذ قراراً بمهاجمة دمشق مرة أخرى ، وانتزاعها منه، وقد شجعه على

---

(1)ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٥. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٣١-٢٣٢.

(2) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٥.

(3) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٥. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٢٨٠.

(4) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٥. المقريزي، السلوك ، ج١، ق١، ص١١٥.

(٥) أحد الثغور الساحلية ، ويقع شرقي بيروت. ياقوت، معجم، ج٢، ص١٠٩. القلقشندي، صبح،ج٤، ص١١١.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٦. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٨ .

(٧) ابن واصل، مفرج،ج٣، ص٢٩-٣٠. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٢١-١٢٢.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٣٠-٣٧. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٨-٢٢٩. أبو الفداء ، المختصر، ج٣، ص٩٠. برجاوي، الحروب الصليبية، ص٤٤٢ .

(٩) ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص٣٨-٤٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص١١٨.

(١٠) المصدر نفسه ، مفرج ، ج٣، ص٣٨-٤٠.

ذلك الأمراء، والقواد، والعلماء الذين فروا من ظلم الأفضل لهم، حيث أوضحوا للعزيز تدهور دولة الأفضل ، وسوء سياسة ابن الأثير، والخوف من ضياع دولة صلاح الدين(١). وصادف ذلك أيضاً هوىً في نفس العزيز فوجد أن الفرصة سانحة لضم دمشق إلى أملاكه من أجل وحدة الشرق الإسلامي، فخرج من مصر إلى دمشق(٥٩١هـ/١١٩٤م) ، ولم يتمكن من إكمال المسير، لحدوث تمرد من بعض جيشه، وهم من الأسدية، فاضطر للعودة إلى مصر بمن معه من العسكر(٢). وقد استنجد الملك الأفضل بعمه العادل ، بعد استشارة رجاله. فجاء الملك العادل إلى دمشق في (جمادى الآخرة ٥٩١هـ/١١٩٥م)(٣). واتفق الاثنان على اللحاق بالعزيز إلى مصر ومعهم العساكر الأسدية والأكراد ، ونازلوا بلبيس، وبها العساكر الصلاحية؛ ولكن فيضان النيل منع ذلك ، واشتد الحال بهم، وعرف الملك العادل أن المصلحة الشاملة في الصلح ، وانتظام الشمل، فبعث يستدعي القاضي الفاضل ليتفق معه على ما فيه صلاح ذات البين، وتم الصلح بفضل القاضي الفاضل ، وعاد الأفضل إلى دمشق ، وبقي العادل بمصر، وعفا العزيز عن الأسدية(٤).

ومما سبق ندرك حرص الملك العادل على لم الشمل الأيوبي، بعكس الآراء التي ترى أنه كان يعمل لمصلحته الخاصة، وللتفرد بالسلطة ، وإلا لما استدعى القاضي الفاضل لإصلاح ذات البين(٥)، وذلك مصداقا لقوله تعالى : " وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"(الحجرات: ٩).

ومن الدلائل على حرص العادل على وحدة البيت الأيوبي، ما ورد من أن العادل عندما التقى العزيز عثمان قال له: " لا تخرب البيت وتدخل عليه الآفة، والعدو وراءنا من كل جانب ، فقد أخذوا جبلة فارجع إلى مصر واحتفظ بملك أبيك" (٦). ويبدو أن هذا الصلح كان هشاً؛ لأن الملك الأفضل لم يتعلم من أخطائه السابقة، والانصراف عن مصالح الرعية ، وفوض أمر مملكته إلى وزيره ابن الأثير(٧). وهذا الرأي لم يشر إليه ابن واصل؛ لأنه يبدو أنه كان من مناصري البيت الأيوبي في دمشق، وكان رأيه في

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٣٨-٤٠.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٤٦ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٠ . ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص ١٢٣ . ابن الفرات، تاريخ، ج٤ ، ق٢، ص١١٢-١١٤ . ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ، ص٣٨٥ . شحاته، العلاقات، ص١٨٦. فايد عاشور، الجهاد، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤١-٤٢ . أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٩.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٥٢-٥٤ . الذهبي، العبر، ج٤، ص٢٧٦. ابن الوردي، تتمة المختصر ، ج٢، ص١٦٦-١٦٧. اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٤٧٣ .

(٥) ابن واصل، ج٣، ص٥٢ . وانظر: عمران الحملة الخامسة، ص٨٨ . شاهين ، الملك المُعَظِّمْ عيسى، ص٦٤.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٠ . ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٢١.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٠ .

الأفضل مغايرا لآراء غيره من المؤرخين، حيث وصفه بالزهد والقناعة مما جعله يقبل " على العبادة " و يعزو سبب فساد دولته إلى أن " الأمور كلها مفوضة إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري، وقد اختلت الأحوال به غاية الاختلال، وكثر شاكوه وقل شاكروه "(١). فالعبادة والزهد حسب رأي ابن واصل وهو رأي ضعيف هي التي جعلته يفوض الأمور إلى ابن الأثير، لا اللهو وشرب الخمر والنوم. وهذا يدل على القصور السياسي والإداري الذي كان يوصف به أبناء صلاح الدين، وخاصة الملك الأفضل. فكتب أعيان الشام إلى العادل يشكون ابن الأثير، فأرسل العادل إلى الأفضل بصرفه، فلم يستجب لذلك، مما حدا بالعادل والعزيز بالسير إلى الشام، لإنقاذ ما أصابهم من مفاسد وزيرها ابن الأثير(٢)، " ثم سار الملكان: العادل والعزيز إلى دمشق فنازلاهما في (رجب ٥٩٢هـ/ يونيو ١١٩٦م)، ولم يحدثا قتالاً، والملك العادل مُظْهِرٌ أنه على عهده وميثاقه، لم يتغير عنه ولم يحل، وأنه ليس مقصوده إلا إصلاح ذات البين وانتظام الشمل ". ولم يصمد الأفضل أمام الحصار، ولا سيما أن أهل دمشق ساعدوا العادل والعزيز على دخول دمشق، وفتحوا لهم الأبواب، وذلك الأربعاء (٤ شعبان٥٩٢هـ/٢ يوليو١١٩٦م)،" فما صدهم أحد "(٣). وبين ابن واصل استيلاء العادل على دمشق وأعمالها فقال: " سلّم الملك العزيز دمشق إلى عمِّه الملك العادل، ورحل من دمشق عشية يوم الاثنين (تاسع شعبان ٥٩٢هـ/سابع يوليو١١٩٦م) فنزل بمسجد القدم(٤) ثم ارتحل إلى الكسوة ، وسافر بالعساكر إلى الديار المصرية "(٥) .

وبقيت السكة والخطبة للعزيز، وظل العادل نائباً للعزيز، حيث أعلن العزيز نفسه سلطاناً على مصر والشام، وعين عمه العادل نائباً عنه في دمشق ، وتقبل العادل هذا التعيين " وأبقى الملك العادل السكة بدمشق والخطبة للملك العزيز، وأشاع أنه نائبه" (٦).

ودب الصراع بين أبناء البيت الأيوبي بعد وفاة العزيز عثمان عام (٢٧ محرم ٥٩٥هـ/٢٨ نوفمبر ١١٩٨م)(٧). فبعد أن قرر الأمراء الصلاحية تولية العادل مصر، إلا أن هناك من الأمراء رفض ذلك، وأيد إحضار الأفضل من صرخد ، وتوليته مصر، وبالفعل تم ذلك؛ إلا أن الأفضل لم يستطع المحافظة على سياسة التوازن بين الأسدية والصلاحية ، فمال إلى الأسدية ، وبدأ في الاعتماد عليهم،

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٥٥ . المقريزي، السلوك ، ج١، ص١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٥٦. ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٨، ص٤٤١ .

(٣) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٦٢ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٢-٢٤٣ .

(٤) مسجد القدم بقرب عالية وعويلية ، قديم، جدده أبو البركات محمد بن الحسن بن طاهر ، وفيه قبر جد أبيه لأمه أبي الحسن بن الواعظ الزاهد، له منارة ووقف، ويقال إن قبر موسى عليه السلام فيه، وفيه بئر، وعلى بابه بئر . والقدم قرية تقع جنوبي دمشق بعد حي الميدان. انظر: ابن عساكر، تاريخ ، ج٢، ص٣٣٩ . النعيمي، الدارس ، ج٢، ص٢٧٨ . عبد الهادي، ثمار ، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٥) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٦٨ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٨-٧١. ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٤٣. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٣١ . المقريزي، السلوك، ج١، ص١٣٦.أبو الفداء، المختصر،ج٣، ص٩٢ . أحمد، مصر،ص١٦٣ .

(٧) ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص٨٢-٨٣ . أبو الفداء ، مختصر ، ج٣، ص٩٥ . العريني ، المغول، ص٨٩ . غنيم، الدولة الأيوبية والصليبيون، ص٦٠ . حمدي ، تاريخ ، ص٩٨. شاهين، المُعَظِّمْ ، ص٦٨ .

الأمر الذي أغضب زعماء الصلاحية، فخرجوا من مصر ، واستولوا على القدس، وراسلوا الملك العادل ، وطالبوه بالقدوم ، ووعدوه بالمساعدة على انتزاع مصر من الأفضل(١). واتفق الأفضل مع أخيه الملك الظاهر صاحب حلب ، والملك أسد الدين شيركوه صاحب حمص على استرداد دمشق من الملك العادل ، وعندما بلغ الملك العادل ذلك، حيث كان خارج دمشق، عاد إليها قبل وصول الأفضل وحلفائه ، وذلك في (١٣ شعبان ٥٩٥هـ/ ٨ يونيو ١٠٩٩م) واستعد لصد الهجوم، واستعان بولده الكامل(٢). وحاصر الأفضل دمشق ، وفرض وحلفاؤه حصاراً دام ستة أشهر ، دون التفكير باقتحامها، حتى أوشك العادل على الاستسلام (٣) . وحالت بعض الأمور دون سقوط دمشق: منها أن العادل استغل ذكاءه ، ودهاءه لبذر بذور الخلاف بين الأفضل وحلفائه(٤) ، إلى جانب استمالته أمراء الأفضل والظاهر، فانضموا إلى جانب العادل، وانتهى الأمر برفعهما الحصار عن دمشق ، والعودة إلى بلادهما(٥)، وعلاوة على ذلك وصول الكامل ابن العادل نجدة لأبيه، وحلول فصل الشتاء، وهطول الأمطار والثلوج وشدة البرد، بحيث أصبح من المتعذر على الجيوش المحاصرة الاستمرار في حصارها، فقرر الأفضل، العودة إلى مصر، بينما عاد الظاهر ملك حلب إلى حلب ، وذلك في (صفر ٥٩٩هـ/ ديسمبر ١٢٠٢م)، بعد أن هلك لهما الكثير من الأموال والرجال (٦)، وطارد العادل الأفضل حتى مصر ، وأوقع به هزيمة كبيرة بالقرب من بلبيس، ثم لحق به إلى القاهرة ، وأجبره على التخلي عن حكم مصر، واتفق مع أمراء مصر على تسليمه مصر، ودخلها العادل عام (٥٩٠هـ/١١٩٤م)، في حين فضل الأفضل الرحيل إلى صرخد(٧). وقد ارتكب الملك العادل خطأً حين قسم دولته بين أبنائه، واحتفظ لنفسه بنوع من السيادة العليا(٨)، وكان يتردد بينهم، وينتقل من مملكة إلى أخرى، وله الحرية المطلقة في تصريف الأمور، فضلاً عن الإشراف العام على باقي الأمراء الأيوبيين(٩).

وهكذا استطاع الملك العادل توحيد الجبهة الإسلامية مرة أخرى، بعد أن فرقها الصراع والانقسام، وأصبحت دولته تمتد من بلاد الجزيرة شرقاً مروراً بالشام ومصر، وخطب له على منابرها،

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٩٠-٩٢ . وانظر: ابن الأثير، الكامل، ١٥٧-١٥٩. الحموي، التاريخ المنصوري، ج١، ص٧. أبوشامة، الروضتين ، ج٤، ص٤٤٣-٤٤٦ . ابن الفرات، تاريخ، ج٤، ق٢، ص١٥٤.

(2) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٩٥ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٥٧ . أبو شامة ، الروضتين، ج٢، ص٢٣٥ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٩٥ .

(٣) ابن واصل، مفرج،ج٣،ص١٠٠. أبو شامة،الروضتين،ج٢، ص٢٣٦. المقريزي،السلوك،ج١، ص١٤٩ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٩١. ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٤٦٣ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٠٠. ابن الفرات، تاريخ، ج٤، ق٢، ص١٦٢-١٦٣ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٠٦. ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٢٥٨ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٩١. أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤٤٤. الذهبي، العبر ، ج٣، ص١١١.

(٨) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١١٦، ص٢٧٣-٢٧٥ . ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٠٦، ص٤١٨.

(٩) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٧٠ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣١٢.

وضربت السكة فيها باسمه . والملك العادل على إضفاء الصبغة الشرعية على سلطنته، حيث أرسل لـه الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) ، الخلع والتقليد إليه وإلى أولاده، كما بينا(١).

٢- القضاء على الأحلاف السياسية ضد الدولة الأيوبية في الجزيرة:

بعد وفاة السلطان صلاح الدين انتقض الأمراء والملوك المعاهدين في الجزيرة، وكان أوّلهم بكتمر صاحب خِلاط(٢)، ثم أيَّده صاحب ماردين وراسلوا أتابكة(٣) الموصل، وسنجار، وتحالفوا ، وأصبحت المناطق الأيوبية مهَّددة من الشمال، ومن الشَّرق، وتحركت الجيوش صوبها، وأرسلوا للعادل: أن أخرُج من بلادنا(٤).

وباتت السيطرة الأيوبية في الجزيرة مهّددة تماماً، وكان امتحاناً يتعَّرض له العادل؛ بل الدولة الأيُّوبيَّة بكاملها بعد موت – صلاح الدين الأيوبي–، لكن الإرادة الإلهية أوّلا، وعزيمة العادل، والتفاف الأيوبيين حوله ثانياً، حوّل كل ذلك إلى نصر كبير للأيوبين، وتأكيد على إحكام قبضتها في الجزيرة(٥).

أ- سيطرة العادل على خلاط: أشار ابن واصل ، وجمع من المؤرخين بأن الضربة الأولى التي وجُهَّت للحلفاء المناوئين للعادل هي مقتل بكتمر صاحب خلاط(٦). ويُقال إن بكتمر هُو مَن شَكَّل الحلف ضدّ الأيوبية ولكن قتله المفاجئ عام(٥٨٩هـ /١١٩٣م) بعد شهرين من وفاة صلاح الدين بأيدي الإسماعيليةَّ، أنهى كُلَّ خطر كان يشكله بكتمر على الأيوبيِّن (٧) ، وملك خِلاط بعده مملوكه آق سنقر ولقبه هزاز دينارى، وتسمَّى: بالملك بدر الدِّين، لكنه لم يعش طويلاً بعدها فقد توفي عام سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية(٥٩٤هـ)(٨). وجدير ذكره أن أهل خلاط ملكَّوا سيف الدِّين بلبان، وكان مملوكاً لشاه أرمن وتسلم خلاط ، فكتب جماعة ابن بكتمر للأوحد ابن العادل صاحب مَيَّا فارقين يستدعونه إلى خِلاط، فسار إليه. وأشار ابن واصل " إلى طلب الأوحد النجدة من أبيه العادل، فأرسل له جيشاً كبيراً ، وتمكّن

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١١٢-١١٣ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٠٨-١٠٩ . ابن الوردي، تتمة المختصر ، ج٢، ص١٧٨،١٨٥. المقريزي، السلوك، ج١، ص١٥٢، ص١٦٧-١٦٨ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٦ . ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٩٣، ١٢٣، ٤٤٣.

(3) أتابك: لقب يتكون من لفظين، أتا بمعنى أب، وبك بمعنى أمير، أي الأمير الوالد الذي يعتبر مسؤولاً عن تربية ابن الأمير وتلقينه أصول الحكم والإدارة. انظر: ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٦٥. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨. وانظر: الباشا، الألقاب، ص١٢٢-١٢٣. العريني، الشرق، ص٢٠-٢١. وانظر:

.Gibb, The Damascus. P. 24-25.

(٤) أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤١٢. ابن العبري، مختصر، ص٢٢٤. ابن الوردي، تاريخ ،ج٢، ص١٠٧ .

(٥) ابن خلدون، تاريخ ، ج٥، ص٤٠٠. النعيمي، الدارس، ج١، ص١٦٣ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٧٥ . ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٩٣، ١٢٤،١٢٣، ٢٤٧، ٤٤٣ . أبو شامة، عيون الروضتين، ج٤، ص٤١٢. ابن العبري، مختصر، ص٢٢٤.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٧٥. ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٩٣، ٤٤٣،١٢٣ . أبو شامة، الروضتين ، ج٤، ص٤١٢ . ابن العبري، مختصر، ص٢٢٤ . الذهبي، سير ، ج١٥، ص٤١٠ . ابن الوردي ، تاريخ ،ج٢، ص١٠٧ . الصفدي، الوافي ، ج١٠، ص٢٠. ابن كثير،البداية ،ج١٣،ص٩-١٠ .

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٣. ابن العبري، مختصر، ص٢٢٤ .

بواسطته الأوحد من هزيمة بلبان بعد أن لقي هزيمة سابقة من بلبان" (١). وتمكن الأوحد من البلاد ، وازداد طمعه فيها ؛ " واعتصم بلبان بخلاط، وبعث إلى مغيث الدِّين طغرل شاه بن قلج أرسلان السلجوقي(٢) صاحب أرزن الروم(٣). يستغيث به، ويستنجد به على الأوحد " (٤). وحضر مغيث الدين حضر بنفسه ومعه عسكره، فاجتمعا وصافا الملك الأوحد ، فانهزم الملك الأوحد. وحصرا حصن موش حتى أشرف على أن يُملك، فغدر مُغيثُ الدين ببلبان، فقتله طمعاً في بلاده ، وسار إلى خلاط ليملكها ، فمنعه أهلها، فسار إلى ملاذ كرد(٥)، فردَّ أهلها أيضاً ، فعاد إلى بلده "(٦) . فعاد إلى ميَّافارقين وطمع طغرل شاه بأخلاط، وغدر بلبان، فقتله، ليملك خلاط، لكنّ أهلها لم يُسلّموها له، وقاوموه، فعاد إلى بلادَه(٧). وقد استدعى أهل خلاط الملك الأوحد ليملكوه، فحضر إليهم فملكوه إياها في سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، وملك بلادها إلا اليسير منها، وكره المجاورون له ملكه [تلك البلاد] خوفاً من أبيه الملك العادل ، وكذلك خافه الكُرْج(٨) ، وكرهوه، فتابعوا الغارات على أعمال خلاط وبلادها، والملك الأوحد مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها" (٩)." واعتزل جماعةٌ من عسكر خلاط ، واستولوا على حصن "وان"، وهو من أعظم الحصون، وعصوا على الملك الأوحد، واجتمع منهم جمع كثير ، واستولوا على مدينة أرجيش "(١٠). فكتب الملك الأوحد إلى أبيه الملك العادل يعلمه الحال، فسيَّر إليه أخاه الملك الأشرف موسى في عسكر كثيف، وحصروا قلعة وان، فسلموها صلحاً ، وخرجوا منها. فرجع الملك الأشرف إلى بلاده (١١). وتعتبر خلاط " من أعظم الممالك، وذُكر أنها تقارب الديار المصرية في المنزلة، وأنها تشتمل على نحو سبعين بلداً، ويُعرف إقليمها بأرمينية، وإنما خُرِّبت هي وغيرها من البلاد

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ١٧٥-١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٧٦. ابن فندمة، بيهق، ج١، ص١٨١ .

(٣) أرزن: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاي، مدينة مشهورة قرب خلاط، لها قلعة حصينة، وكانت من أعمر نواحي أرمينية. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٥٠ .

(٤) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٧٦.

(٥) مدينة ملاذكرد : ويقال فيها: ملازكرد- باللام- كما هو معروف. وأهله يقولون منازكرد، بالكاف: بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يعدّ في أرمينية وأهله أرمن وروم. انظر: ياقوت، معجم البلدان ، ج٥، ص٢٠٢ . صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣١٤ .

(٦) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٧٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠، ص٢٦١.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٧٦ .

(٨) الكرج وبلادهم مجاورة لبلاد خلاط، آخذة إلى الخليج القسطنطيني، وممتدة إلى نحو الشمال، ولهم جبال منيعة، والكرج خلق كثير، وفد عليهم دين النصارى، ولهم قلاع حصينة وبلاد متسعة، وبيت الملك عندهم محفوظ متوارث، يليه الرجال والنساء من ذلك البيت. والغالب عليهم دين النصارى. ومنها الروس ولهم بلاد في شمالي بحر نيطش، وهم من ولد يافث، وقد غلب عليهم دين النصارى. ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٦١ . ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص١٧٦. وانظر:أبو الفداء، المختصر ، ج١، ص٩٢ .

(٩) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٧٦. ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٦٣.

(١٠) مدينة أرجيش من أعمال خلاط من بلاد أرمينية. ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٧٦ . وانظر: الإدريسي، نزهة ، ج٢، ص٨٢٦ . ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٤٤٩ .

(١١) ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص١٧٦. ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٢٦١.

لما ملكها التتر"(١) . و "لما ملك الملك الأوحد خلاط سار عنها إلى ملاذ كرد ليقرر قواعدها، فلما فارق خلاط وثب أهلها على من بها من عسكر الملك الأوحد، فأخرجوهم من عندهم، وحصروا القلعة وبها أصحاب الأوحد، ونادوا بشعار شاهر من ، وإن كان قد مات قبل ذلك بزمان، وإنما يعنون بذلك ردَّ المُلْكِ إلى ممالكيه "(٢). وبلغ الخبر الملك الأوحد، فعاد إليها ، وقد وافاه عسكر من عند أخيه الملك الأشرف، وحصر خلاط، فملكها، وبذل السيف في أهلها، فقتل منهم خلقاً عظيماً، وأسر جماعة من الأعيان، وسيَّرهم إلى ميا فارقين، وكان كل يومٍ يرسل إليهم من يقتل منهم جماعة، فلم يسلم من أهلها إلا القليل. وكان الملك الأوحد شهماً مقداماً على القتل، فذلَّ بهذا الفعل أهل خلاط، وتفرقت كلمة الفتيان بها. وكان الحكم لهم يُمَلِّكون كلَّ يوم ملكاً ويقتلون آخراً "(٣).

ب- منازلة الملك العادل ماردين: نازل الملك العادل ماردين وأخذ ربضها (٥٩٤هـ/١١٩٨م)، ورحل عنها سنة (٥٩٥هـ/١١٩٩م) (٤). وورد للملك العادل كتاب من صاحب مملكة ماردين حسام الدين يولق أرسلان بن إيلغازي بن ألبي الأرتقي يستدعيه ليسلم إليه ماردين ، والمفاجأة لما وصل العادل البلاد لم يفِ بوعوده ، فبعث العادل إلى ابني أخيه : الملك العزيز ، والملك الظاهر ، يستنجد بهما " فوصله عسكر من مصر وهم ألفا فارسٍ، ووصله عسكر من حلب، عدتهم خمسمائة فارس..."(٥). وجدَّ في حصارها، ومضايقتها، فعُدمت بها الأقوات، وأصاب أجنادها مرض عظيم، وملك العادل الربض، ونهبه، وبقي محاصراً للقلعة "(٦). وهنا لفتة لغوية توضح مدى شدة العادل في منازلة ماردين، في كلمة "نهبه"(٧)، أي أنه أخذ كل شيء ، سواء من الأخضر أو اليابس، و لم يبق شيئاً على هذه الأرض ، وأخذه عنوة، وقهراً ، وهذا يدل على مدى الانتقام الشديد من ماردين وأهلها ، وحكامها . وهذا ما أكده قول ابن الأثير: " ولما حصر العادل ماردين ودام عليها سلم إليه بعض أهلها الربض بمخامرة بينهم، فنهب العسكر أهله نهبا قبيحا، وفعلوا بهم أفعالا عظيمة لم يسمع بمثلها، فلما تسلم الربض تمكن من حصر القلعة، وقطع الميرة عنها، وبقي عليها إلى أن رحل عنها سنة خمس وتسعين وخمسمائة"(٨). وجدير ذكره أنه وقع بين الملك الظاهر وبين عمِّه إثر وفاة العزيز، وأيده جماعة من المؤرخين ، حيث تحرّك الظاهر

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٧٦- ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٧٦- ١٧٧ .

(٣) المصدر نفسه. مفرج ، ج٣، ص١٧٦- ١٧٧.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨٠. ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص١٥٦ . الحموي، التاريخ، ج١، ص٨ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٩٥.

(٥) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٨٠ . ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص١٥٢-١٥٦ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٠٨٠ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٥٦ .

(٧) نهب: النَّهْبُ: الغَنيمةُ، والانتهابُ: أخذُه مَنْ شاء. والإنهابَ: إباحته لَمنْ شاء. والنُّهْبَي: أسمٌ لما انتهبته. والنهاب: جمَعْ النَّهْب. وفي الحديث: فأتي بنهب أي بغنيمة . ونهب الشَّيْء نهبا أخذه قهرا. الخليل، العين، ج٤، ص٥٩. الأزدي، جمهرة، ج١، ص٢٨٣. الجواهري، الصحاح،ج١، ص٢٢٩. ابن منظور،لسان،ج١، ص٧٧٣. مصطفى، المعجم، ج٢، ص٩٥٦.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٥٦ .

مع أخيه الأفضل لأخذ دمشق، دعم الظاهر تحالف أتابكة سنجار والموصل، فهزموا جيش العادل، وأجلوه عن ماردين(١).

وبعد فشل خُطَّة الظَّاهر بأخذ دمشق من عمِّه العادل، وإفشال التحالف بين الظاهر والأفضل بأن راسل العادل الأفضل لأخذ البلاد الشرقية ، وعندما عاد العادل للهُجُوم على ماردين عام (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، كان الأفضل معهم (٢). ويبدو أن العادل كان يُدرك تماماً ما يفعل، فقد وضع الأفضل في الجزيرة، ليبعده أولاً عن مراكز القوى في دمشق ومصر، وليضعه تحت إشراف ومراقبة ولده الأشرف صاحب إقطاع الجزيرة، وكانت لدى العادل مخططات أخرى تتعلَّق بالأفضل، ربَّما لم يطلع عليها سوى ابنه الأشرف صاحب إقطاع الجزيرة الذي سُينفذها لاحقاً، ففي عام(٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، طلب الأشرف من الأفضل القدوم بعساكره للتوجه معه في الحملة ضدَّ ماردين وبالفعل وصل الأفضل إلى حّران ورافقه الأشرف الذي كان يظهر الود والاحترام للأفضل، حتى إنَّه عندما استولى على رأس عين الخابور سلمها له(٣). وقد تم الصلح بين العادل وبين أهل ماردين ، ودخل في الصلح الملك الظاهر ، وأرسل إلى الملك العادل في ذلك ، فأجاب إلى الصلح، على أن يحمل إليه صاحب ماردين مائة ألف وخمسين ألف دينار، ويخطب له ببلاده ، وتضرب السكة باسمه، ويكون عسكره في خدمته متى طلبه، فأجيب "إلى ذلك، وحصل للملك الظاهر بطريق هذه الوساطة عشرة آلاف دينار، وضيعة تسمى القرادى من أعمال شبختان، فرحل الملك الأشرف عنهم ، وتفرقت العساكر(٤). وبعد الصلح مع ماردين والعودة إلى حرّان بلغ كرم الأشرف غايته مع ابن عمه، حيث أعطاه بلدين، جملين (٥)، إلا أن الملك العادل أرسل عسكره ونوابه واستعاد جملين من الأفضل، وانتزع منه سروج وشبختان والموزر والسن (٦)، ثم تابع الملك العادل وابنه الأشرف تنفيذ مخططهما ضدّ الأفضل ، فأخذوا رأس عين الخابور من الملك الأفضل، وكذلك جملين بكذبه كذبوها عليه لاستعادة البلاد منه، ولم يبُقوا عليه سوى سُمَيساط (٧)، كانت محاولة الأفضل الأخيرة، قبل أن يفقد كُلَّ أمل له ضمن أسرته الأيوبيَّة، هي التذلُّل لعَمِّه العادل، واستعطافه، "أرسل والدته إلى الملك المنصور – صاحب حماة–، وسأل أن يشفع له إلى الملك العادل، وأن يرسل معها رسولاً إليه. فلما وصلت إلى حماة أرسل معها القاضي زين الدين بن هندي المعروف بقاضي

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٠٢-١٠٣ . الأثير، الكامل ، ج١٠، ص١٦٤-١٦٥ . أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٤٤٨- ٤٥٠ . الحموي، التاريخ ، ج١، ص٨ . ابن خلدون ، تاريخ ،ج٥ ، ص٥٨٨.

(٢) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٣٩. وانظر: منذر الحايك، العلاقات الدولية، ج١، ص٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٣٩. الحموي، التاريخ ، ص ٣٨.

(٤) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٣٩ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٨٨ . الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢١٣ . منذر الحايك، العلاقات الدولية، ج١، ص٢٢٠. عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية، ص١٦٤.

(٥) الحموي، التاريخ ، ص ٣٨. منذر الحايك ، العلاقات الدولية، ج١، ص٢٢٦.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٥٠. وانظر: منذر الحايك ، العلاقات الدولية ، ج١، ص٢٢٦.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٥٠. أبو الفداء ، المختصر ، ج٣، ص١٠٤.

حمص. فمضت والدة الملك الأفضل إلى الملك العادل ومعها القاضي، فلم تقع الإجابة إلى ما طلبت، ورجعت خائبة" (١).

ج- **قصد الملك العادل سنجار وحصارها:** أرسل الملك الأوحد للملك العادل العديد من الكتب يستصرخه على الكُرْجْ، وكتب إلى البلاد يطلب العساكر، وأظهر أنه يريد الكُرْجْ(٢). ويبدو أن الأمر مُبيَّت، وأساس جمع الجيوش هو سنجار، وعلى الغالب، فإن تحُّرك الكرج جاء عَرضَاَ فأحسن العادل استغلاله، وأعلن العادل أنه سيتوجهَّ لمعاقبة صاحب سنجار، وأرسل إليه يطلب تسليم سنجار مقابل عوض، فرفض ذلك، وفي عام(٦٠٥هـ/١٢٠٨م) كان العادل يتحرك صوب سنجار، وفي طريقه أخذ نصيبين والخابور، ثم نصب المجانيق، وقاتل سنجار وأشرف على أخذها عنوة (٣) . وأرسل صاحبها قطب الدين نساءه، وحرمه يضرعن إليه ويسألنه إبقاء المدينة عليهن، فلما وصلن عنده أمر باعتقالهن إلا بتسليم سنجار، فاضطر قطب الدين إلى إلقاء المقاليد إليه، وأجاب على تسليم البلد على أن يعوض عنها الرقة، وسروج، وضياع من بلد حّران ، وأطلق الملك العادل النسوة؛ "وأمر بإدخال علمه إلى البلد، فلما دخلت النسوة بالبلد، ودخل عَلَمُ الملك العادل أمر قطب الدين بكسر العلم، وعُلقّ على الباب واستعد للحصار، وأرسل إلى الملك العادل يقول له: غدرة بغدرة والبادي أظلم". " فجّد الملك العادل في مضايقة البلد ومحاصرته، واصطلى أهلُ سنجار الحرب بأنفسهم، وصبروا أحسن صبر، وأمر الملك العادل بقطع ما على البلد من البساتين والجواسيق، ونصب على البلد عدة مجانيق، وأخذ قطب الدين في مكاتبة الملوك، والاستنجاد بالخليفة الناصر لدين الله"(٤).

وعزم صاحب الموصل نور الدين على " تسيير عسكر نجدة للملك العادل مع ولده الملك الظاهر عز الدين مسعود ، وإذ برسول مظفَّر الدين كوكبوري صاحب إربل، قد جاء يبذل له المساعدة والمعاضدة ، ومنع العادل عن سنجار" ، وتفاجأ صاحب الموصل بموقف صاحب إربل؛ لأنه كان في صف الملك العادل" وكان السبب في الذي فعله مظفر الدين أن قطب الدين صاحب سنجار أرسل ولده إلى مظفر الدين يستشفع به إلى الملك العادل، ليبقي عليه سنجار"(٥) ، وكان مظفر الدين يظن أن العادل سيلبي طلبه لما بينهما من مصاهرة(٦)، وعلاقة وطيدة؛ ولكن رد الملك العادل كان الرفض " فلم يقبل شفاعته فيه ، ظناً منه أنه بعد اتفاقه مع نور الدين لا يبالي بمظفر الدين". وغضب مظفر الدين لعدم موافقة الملك العادل، فبعث وزيره إلى صاحب الموصل ليقف معه في وجه الملك العادل ، وضد أطماعه

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٥١ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٩٠.

(٣) المصدر نفسه ، مفرج ، ج٣، ص١٩٣ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٩٣ .

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٩٤.

(٦) كانت زوجته هي: ربيعة خاتون بنت أيوب، أخت الملك العادل. انظر: ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٩٧.

في ممالكهم" فأجاب نور الدين إلى ما طلب من الموافقة، وحلف على ذلك، وعاد وزير مظفر الدين من ليلته، فأبلغ مظفر الدين الجواب"(١).

وكانت موافقة نور الدين صاحب الموصل لمظفر الدين من خوفه ما بعد سيطرة العادل على سنجار، " وراسلا الملك الظاهر...يدعوانه إلى الاتفاق على الملك العادل ...ولما وصلت رسالتهما إلى الملك الظاهر أجابهما ، ونقض ما كان بينه وبين العادل" (٢) .

وأدان ابن واصل نقض ما كان بين الظاهر وبين العادل، "وكانت للملك الظاهر في عمل ماردين ضيعة يقال لها القرادي أعطاه إياها صاحب ماردين لما أصلح بينه وبين الملك العادل، فصارت في يد الملك الظاهر يستغلها"(٣). فلما كانت سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) والملك العادل على سنجار "أقطعها الملك العادل للملك الصالح محمود الأرتقي – صاحب آمد، فجعل الملك الظاهر ذلك حجة في نقض ما بينه وبين الملك العادل". وأتى بفقهاء حلب عنده، وقال: " ما تقولون في رجل حلف لرجل يميناً على أشياء، فخان أحد الرجلين في بعض تلك الأشياء، أينحل عقد تلك اليمين ويبطل حكمها، فأظهر لهم صورة الحال، فأفتوه بأن اليمين قد بطلت، ولا يلزمه إذا نقض ما بينه وبينه حنث، وأجابهما سلطان الروم وأخوه إلى ذلك ". وكان الملك الظاهر لديه شك دائم بنوايا عمّه، خاصة بعدما فعله بأخويه الأفضل والعزيز، وراسل الحلفاء الخليفة ليشفع لدى العادل بصاحب سنجار، وما ذلك إلا لزيادة الضغط على العادل، وعزله سياسياً (٤) . وأرسل الملك الظاهر نظام الدين محمد بن الحسين وأخاه الملك المؤيد نجم الدين مسعود إلى الملك العادل، وأنفذ معهما تحفاً وهدايا، " وكان مضمون الرسالة الشفاعة في صاحب سنجار" . وأشار الملك الظاهر إلى الرسولين أن يقولا للملك العادل: " إن لم يقبل الشفاعة فأعلماه أني خارج إلى بلاده...وإن لم يقبل الشفاعة أن يأمرا من عنده من عسكر حلب ، وكانوا خمسمائة فارس ، أن يفارقوه إلى الموصل أو إلى حلب" (٥). فامتنع الملك العادل عن القبول في شفاعتهما لصاحب سنجار، وأغلظ لهما في القول، " فأمر الملك المؤيد ونظام الدين العسكر الحلبي بمفارقته، ففارقوه. ودسا في الباطن إلى أصحاب الملك العادل دسائس أوجبت فساد أحوال الملك العادل...". وفسدت نيات عسكر الملك العادل عن مناصحته بالقتال معه، وهذه طريقة للتعامل كانت شائعة جداً، فمعظم الجند جاهز للاتّفاق مع من يدفع أكثر، واستمر حصار العادل لسنجار حتى عام(٦٠٦هـ – ١٢٠٩م) (٦).

وهنا أوجد ابن واصل مبرراً لعسكر الملك العادل لعدم مناصحته، والقتال معه ، وذلك لحب المال ، وشراء الأنفس، وهذا غير مقبول، وذلك لقوله تعالى: " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ

---

(١) ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص١٩٤.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٩٤–١٩٥. وانظر: ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص٢٧٣ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٩٥.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٩٥.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٩٦.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٩٧.

الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً " (الكهف: ٦) . فكان يجب طاعة الملك العادل ، وحثه على عمل الخير، وعمل ما فيه مصلحة للمسلمين، وإرجاع الأمر لكتاب الله ورسوله . قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً " (النساء: ٥٩). وفي هذه الأثناء، أرسل الخليفة الناصر رسوله، أبو نصر هبة الله بن المبارك بن الضّحاك وهو أستاذ داره، والأمير آقباش ، وهو من خواصِّ مماليك الخليفة، للشفاعة بصاحب سنجار، وترك حصارها. فلاحت فرصة الخلاص من هذا المأزق للعادل، فأظهر قبول وساطة الخليفة ووافق شريطة احتفاظه بنصيبين والخابور(١).

٣- موقف الملك العادل من الصليبيين:

لم يبين ابن واصل ما حدث لبلاد الشام ومصر والجزيرة من ردة فعل الصليبيين، عندما أعلن الملك العادل سلطنته عليها، وإنما كان مجرد إشارات متفرقة هنا وهناك، وذلك لاهتمامه في سرد الأحداث التي تهم البيت الأيوبي. وكانت أبرز الأمور التي تشير إلى علاقة الصليبيين بالعادل قبل توليه السلطنة هي أن: في سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) " تحركت الفرنج لقصد بلاد الإسلام ، فخرج الملك العادل بالعساكر ، فخيَّم بالقصبة، وهي قريب من صور(٢)، وجهَّز إلى بيروت جماعة من العسكر، ومعهم الحجارون والنقابون، وأمرهم بهدم ربض بيروت ففعلوا، وحصَّن عز الدين أسامة القلعة، وترك فيها جماعة من الأجناد ليحفظوها"(٣)؛ ولكن الهزيمة لحقت بهم، لخوفهم من الفرنج، " فلعن الناس أسامة لتفريطه فيها". وقد طلب الملك العادل النجدة " وسير إلى الملك العزيز يطلب منه النجدة، فوصلت إليه العساكر من مصر، ووصل إليه سنقر الكبير(٤) صاحب القدس، وميمون القصري(٥) صاحب نابلس، ونزل بهم على تل العجول بالقرب من غزة..." (٦). وفي (٥٩٤هـ/١١٩٨م) " قصد الملك العادل يافا ، وفتحها ، وكان هذا الفتح ثالث فتح لها بعد أول الفتوح، والفتح الناصري، حيث هجمها العادل بالسيف وملكها، وقتل الرجال المقاتلة "(٧). وعظم على الفرنج فتح يافا ، فأرادوا رد ذلك ، "فقصدوا تِبْنين،

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٩٧.

(2) صور: مدينة مشهورة وهي مشرفة على بحر الشام ، مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها وهي حصينة جدا ركينة لا سبيل إليها. انظر: الإدريسي، نزهة، ج١، ص٣٦٥. ابن جبير، الرحلة، ص٢١٢. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٣.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧١.

(٤) سنقر الأمير شمس الدين، الجمالي، مملوك الأمير جمال الدين آقوش الأفرم. كان في جملة البريدية، وكان في خدمة الأمير سيف الدين تنكز. نقل شمس الدين سنقر إلى طرابلس، فأقام بها ضعيفاً تقدير شهرين أو أكثر. ثم إنه قضى، ومر شخصه وانقضى. وتوفى في أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١. الصفدي، أعيان،ج٢، ص٤٧٧ .

(٥) الأمير فارس الدين أبي سعيد ميمون بن عبد الله القصري ، كان خازندار الملك الناصر صلاح الدين ، ومن كبار أمرائه ، ومستشاريه المقربين ، توفي بحلب سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١، ص٢٢٠ . الأصفهاني ، الفتح ، ص٥٨٦. أبو الفداء ، المختصر ، ج٢ ، ص٢٠٨.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧٤.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٧٥. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٩٣.

وكانت بيد حسام الدين بشارة، فنازلوها بفارسهم وراجلهم، وأحدقوا بها وضايقوها". وبعث العادل إلى العزيز يحثه على الخروج إليه من مصر بنفسه، "فتقدم العزيز إلى من عنده من العساكر بالخروج وسار في آخرهم لا يلوي على شيء حتى وصل إلى تِبْنين واجتمع بعمه العادل على مناجزتهم ساعة وصوله، فمنعه من ذلك عمّه الملك العادل"، ورحل الفرنج عن تبنين ليلاً عائدين إلى صور، "وسار في أثرهم الملك العزيز والملك العادل بالعساكر يلتقطون من ظفروا به منهم فغنموا المسلمون شيئاً كثيراً من عسكرهم، وأمر الملك العزيز بنقل الغلال إلى تبنين وإصلاح ما تهدم بالمنجنيقات من أسوارها"(١) . وبين ابن واصل جهود الملك العادل لإفشال المخطط الصليبي " خرج إلى الطور لمحاربة الفرنج ، حيث اجتمعوا بعكا ، وجاءوا من كل فج، وعزموا عل استعادة بيت المقدس ، وذلك من خلال الاستيلاء على مصر، وأخذوا بالإغارة على عكا، ونهبوا كثيراً من البلاد، وسبوا، وقتلوا في المسلمين (٢). وخرج الملك العادل من دمشق بعساكره ، واستنفاره " سائر البلاد يستدعي النجدة ، فجاءته النجدة من كل ناحية، فنزل بالقرب من الطور، ليصدهم ويردهم من البلاد، وخرج الفرنج بمجموعهم ، فعسكروا بمرج عكا وأغاروا على كفر كنا(٣) ، وأخذوا كل من بها "(٤).

تلك كانت الحملة الصليبية الرابعة، إلا أن هذه الحملة انحرفت عن مسارها التي كان يقودها البابا أنوسنت الثالث(٥)، واتجهت إلى القسطنطينية سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٢م) ، ولم تصل إلى مصر أو الشام(٦). وفي سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٢م) أيضاً شنَّ الصليبيون هجوماً ضئيل الأثر على ثغر رشيد ومدينة فوه، "وأقاموا خمسة أيام ينهبون ويسْبون، وعساكر مصر تقاتلهم، وليس وصول إليهم؛ لأنه لم يكن هناك أسطول..."(٧). وظل الصليبيون على حالهم بمرج عكا، " والسلطان العادل في قبالتهم مرابط لهم، والرسل مترددة بينهم وبينه في الصلح ، حتى تقررت بينهم وبينه الهدنة مدة اتفق عليها، وشرطوا أن تكون يافا لهم، واستنزلوه عن مناصفات لد ورملة. فأجابهم على ذلك، وعقد الهدنة بينهم وبينه"(٨).

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٧٦.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣ ، ص١٥٩ .

(3) كفر كنّا: بفتح الكاف وتشديد النون. بلد بفلسطين وبكفر كنا مقام ليونس النبي عليه السلام وقبر لأبيه، ينظر:الحموي،معجم، ج٤، ص٤٧٠. كانت ضمن أراضي مملكة صفد في العهد المملوكي .

(٤) ابن واصل، مفرج ج٣ ، ص١٥٩ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٠ .

(٥) البابا أنوسنت الثالث: اعتلى العرش البابوي منذ فترة وجيزة. وكان تواقاً إلى تأسيس سلطة دينية قوية؛ ولكن في الوقت نفسه كان ذكياً ، بعيد النظر صافي الذهن، فقد كان قبل بابويته رجل قانون يحب أن يوفر الأسس القانونية لمشروعاته كما كان سياسياً على استعداد لأن يستخدم أية وسيلة ممكنة للوصول إلى هدفه. انظر: قاسم، الأيوبيون والمماليك، ص٨٩. عاشور، أوربا، ج١، ص٣٩١. عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢، ص٧٣٣ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٦٠ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٦١ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٣. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٠٦. المقريزي، السلوك، ج١، ١٦٣ .

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٦٢ .

ويبدو أن الهُدَن التي كان يعقدها الملك العادل مع الصليبيين تعد تخطيطاً هاماً لمواجهة فئات أخرى منهم، ففي سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٧) " تواترت الأخبار إلى السلطان الملك العادل بتطرق الفرنج بلاد المسلمين، وإغارة أهل حصن الأكراد وطرابلس على بلاد حمص خرج مبرزاً إلى العباسة، وأغذَّ السير إلى الشام، ونازل في طريقه عكا، فصالحه أهلها على إطلاق جميع من في أيديهم من أسرى المسلمين"(١). ثم رحل إلى دمشق على نية الجهاد، ثم إلى حمص، حيث نزل على بحيرة قُدسْ(٢) ، فاستدعى الملوك من أهل بيته والعساكر، فجاءوه من كل ناحية..." (٣). فاجتمع عنده نحو عشرة آلاف فارس، وعسكروا معه على البحيرة. وأشاع قصد اطرابلس. وأقام على بحيرة قُدْس طوال (شهر رمضان سنة ٦٠٣هـ/شهر أبريل سنة ١٢٠٧م)، وذلك ليباغت من كان في حصن الأكراد من الفرنج ، فنازله، وقاتل أهله أشدَّ قتال، وفتح برجاً قريباً منه، يسمى أعنار، وأخذ منه خمسمائة رجل، وأموالاً وسلاحاً كثيراً . ثم توجه إلى قلعة قريبة من أطرابلس، ونصب عليها المجانيق، حتى افتتحها، وحصل على جميع ما كان فيها" (٤). وبالرغم من ذلك لم تهدأ الحملات الصليبية ، "ففي سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م) تحركت الفرنج إلى جهة الساحل ، واجتمع منهم بعكا جمع كثير، فخرج الملك العادل من دمشق، وترددت بينهم الرسل، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة. وأمر ولده المُعَظِّمْ ببناء قلعة الطور، وهو حصن عالٍ قريب من عكا"(٥). ورأى ابن واصل أن بناء قلعة على جبل الطور " لم يكن بناؤه مصلحة ؛ فإن الفرنج بعد ذلك قصدوه وكادوا يملكونه، ولو ملكوه تعذر انتزاعه منهم، وتمكنوا به من بلاد الإسلام ، وقطعت غاراتهم الطريق عن الديار المصرية . وكان على هذا الجبل قلعة من أيام الفرنج ، ومُلكت في الفتوح الصلاحية، ثم خربه المسلمون لما ملكوا عكا وعفوا أثرها..." (٦). وفي سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م) وجه البابا إنوسنت الثالث إنذاراً للسلطان العادل بقرب وصول الحملة التي تم إعدادها للاستيلاء على مصر، إذا لم ينقذ نفسه بتسليم مدينة بيت المقدس في هدوء، ومات البابا ، ونفذ الحملة الصليبية الخامسة خليفته على العرش البابوي، حيث بدأت قوات الحملة في الوصول إلى عكا سنة(٦١٤هـ/ ١٢١٧م)(٧).

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٧٢ .

(2) بحيرة قدس تقع بالقرب من حمص وطولها (١٢ميل= ٢٢.١٧٦كم) وعرضه (٤ أميال= ٧.٣٩٢كم) وهي بين حمص وجبل لبنان، حيث تصب فيها مياه تلك الجبال لتكون نهر العاصي. ياقوت، معجم، ج١ص٣٥٢؛ ج٤، ص٦٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٧٥. وانظر: عبيدات، أهمية غور الأردن، ص٢٣.

(٣) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ص١٧٢-١٧٣ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٠٧-١٠٨. الدواداري، الدر المطلوب، ص١٦٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص١٦٦. العيني، عقد، ج١٣، لوحة ٢٩١-٢٩٢.

(٤) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ص١٧٢-١٧٣ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٠٧-١٠٨. الدواداري، الدر المطلوب، ص١٦٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص١٦٦. العيني، عقد، ج١٣، لوحة ٢٩١-٢٩٢.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٠١-٢٠٢ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢١٥.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٥٤-٢٥٦ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٤ . ابن الفرات ، تاريخ ، ج٥، ق١، ص٢٢١-٢٢٢. المقريزي ، السلوك، ج١، ص١٨٦-١٨٧.

وعندما سمع الملك العادل باجتماع الصليبيين، ومجيئهم إلى فلسطين، لم يخطر على باله بأن يقوموا بهجوم سريع، ومن ناحية أخرى كانت قوات الصليبيين تفوق جيشه عدداً ، ولذا فإنه تقهقر أمام الصليبيين عندما تقدموا نحو بيسان ، وأرسل ابنه المُعَظِّمْ لحماية مدينة بيت المقدس، على حين بقي هو بجيشه في عجلون استعداداً لصد أي هجوم صليبي على دمشق ؛ ولكن مخاوفه تبددت بفضل الفوضى التي ضربت أطنابها في الجيش الصليبي، بسبب تنازعهم على قيادة الحملة الصليبية الخامسة (١).

وقد تجاوزت غارات الصليبيين غور الأردن إلى الجولان، ومحاولتهم مهاجمة قلعة الطور، فقد " صعدوا إلى جبلها، حتى وصلوا إلى سور القلعة ، وكادوا يملكونها ، فاتفق أن بعض ملوكهم قُتل، فعادوا عن القلعة وتركوها "، في (٦ رمضان ٦١٤هـ/٧ ديسمبر ١٢١٧م) قاصدين عكا(٢).

ولعب المدافعون عن الحصن دوراً هاماً، مما أدى إلى استشهاد بعض أبطال المسلمين، ولقد ترتب على صمودهم انسحاب الصليبيين، فجاء المُعَظِّمْ عيسى ، وصعد إلى القلعة، وحيا أهلها، وخلع على المدافعين ، وكافأهم على حسن جهادهم، وبذلك فشل الصليبيون في الاستيلاء على حصن الطور الذي كان بناؤه من الأسباب المباشرة للحملة الخامسة الصليبية. ولما كانت مصر بحاجة إلى عدد كبير من القوات للوقوف في وجه الصليبيين، فإن العادل قد أرسل للملك المُعَظِّمْ بهدم القلعة ، وإرسال حاميتها إلى دمياط لمساعدة المسلمين ، ونقل أسلحتها وذخائرها إلى القدس والكرك وعجلون ودمشق. وقد تم هدم القلعة ، ويدل هذا على الموقف المعتدل المتبصر لدى الملك العادل، وهو يمثل موقف العقلاء الكبار في رعاية مصالح الأمة، والحرص عليها من الأعداء(٣).

وقد كانت فكرة الاستيلاء على بيت المقدس من الأيوبيين ما تزال تشغل بال الأوربيين. وذلك أن استرداد صلاح الدين الأيوبي للمدينة المقدسة خلق شعوراً بالدهشة والمرارة في الغرب الأوربي، في وقت كانت الفكرة الصليبية فيه ما تزال حية نابضة، فأخذت وفود الفرنج تأتي إلى عكا ؛ وتجتمع للمشورة في ماذا يبدءون بقصده وذلك في سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)، فأشار عقلاؤهم بقصد الديار المصرية أولاً ، وقالوا : " إن الملك الناصر صلاح الدين إنما استولى على الممالك، وأخرج القدس والساحل من أيدي الفرنج بملكه ديار مصر، وتقويته برجالها، فالمصلحة أن نقصد أولاً مصر ونملكها، وحينئذٍ فلا يبقى لنا مانع عن أخذ القدس وغيره من البلاد"(٤). فقصدوا مصر، حيث ستكون الانطلاقة منها إلى بيت المقدس، " فوصلوها في شهر(صفر سنة ٦١٥هـ/ مايو ١٢١٨م)؛ ونزلوا على بر الجيزة،

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٥٤-٢٥٦ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٤ . ابن الفرات ، تاريخ ، ج٥، ق١، ص٢٢١-٢٢٢. المقريزي ، السلوك، ج١، ص١٨٦-١٨٧. شاهين ، الملك المُعَظِّمْ عيسى، ص١٠٨.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٥٧. الدواداري، الدر، ج٧، ص١٩٢ . ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٨٥ . أبو شامة، ذيل، ص١٠٢-١٠٣ . ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٨٤ . المقريزي، السلوك، ج١، ص١٨٧ . عمران، الحملة، ص١٧٣-١٧٤.

(٣) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ص٢٦٣-٢٦٤. اليافعي، مرآة ، ج٤، ص٢٧ . دحلان، الفتوحات، ص٨٠.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٥٨.

وبينهم وبين ثغر دمياط بحر النيل، ومراكبهم لا يمكنها الدخول في بحر النيل بسبب السلسلة الممتدة من برج السلسلة إلى دمياط، فبنوا عليهم خندقاً وسوراً، وشرعوا في قتال أهل دمياط، فلم يظفروا بشيء..." (١). وكان الملك العادل لا يأمن شر أولاد أخيه صلاح الدين، لأنهم عندما أراد مهاجمة الصليبيين، ومهاجمة حصونهم، هاجموه، وأخذوا البلاد التابعة له ، " ولولا الاختلاف بين هؤلاء الملوك، وتصارعهم فيما بينهم على الممالك لأحدث عملهم حرجاً للعادل والمسلمين"(٢). وفي السنة نفسها (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، " ولما سارت الفرنج إلى الديار المصرية ، ونازلوا ثغر دمياط...تقدم الملك العادل إلى ولده الأشرف أن يدخل إلى بلاد الفرنج، ويغار إليها. فرحل في عساكره إلى حمص، ودخل إلى بلاد الفرنج ليشغلهم عن محاصرة دمياط، فدخل إلى صافيثا(٣)، فَخرَّب رَبَضَهَا(٤) ، ونهب رستاقها(٥)، وهدم ما حولها من الحصون، ودخل إلى ربض حصن الأكراد ، ونهبه، وحاصر القلعة حتى أشرفت على الأخذ، ثم نزل على بحيرة قدس في مقابلة الفرنج" (٦). وحرص السلطان الملك العادل على حماية بلاد المسلمين، وخاصة مصر انه وحتى قبيل وفاته كان يتابع أمور البلاد، فلما " بلغه نزول الفرنج بديار مصر، ومحاصرتهم ثغر دمياط، خاف على مصر خوفاً شديداً، وأرسل العساكر أولاً فأولاً إلى مصر، وكان نازلاً بمرج الصُّفَّر، ثم رحل منها إلى عالقين(٧)، فنزل بها، وهناك أصابه ومرض واشتد مرضه، ثم توفى إلى رحمة الله تعالى(٧ جمادى الآخرة ٦١٥هـ/٣٠ أغسطس١٢١٨م)(٨).ودافع ابن واصل عن العادل في مصالحته وإقامته للعلاقات الدبلوماسية مع الصليبيين؛ لأن ذلك من أجل مصلحة المسلمين، ويبدو ذلك جلياً من خلال رده على المنصور في أوائل (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) عندما أرسل يستشيره في عقد صلح مع الاستبارية بعد أن انتصر عليهم ، فكان رد العادل أن لديه من التقارير ما يؤكد ضعف الصليبيين في بلاد الشام، وترك العادل المنصور يتصرف بحرية في عقد صلح مع الاستبارية إذا كان في ذلك مصلحة المسلمين(٩).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٥٨-٢٦١.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٦٣-٢٦٤ . ابن العديم ، زبدة، ج٣، ص١٨٠-١٨١.

(٣) صافيثا: من أعمال طرابلس. انظر: بن تغري بردي، المنهل ، ج٣، ص٢٥٧ .

(4) الرّبضُ: هو الفضاء حول المدينة. انظر: ابن منظور، لسان ، ج٧، ص١٥٢. الرازي، مختار ، ص٩٧.

(5) الرستاق: لفظ فارسي معرب، يجمع على رساتيق وهي السواد من القرى، وهو يقابل الريف في المفهوم المعاصر. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٢٢. الزبيدي، تاج العروس، ج٢٥، ص٣٣٥.

(6) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص ٢٦٥ .

(٧) عالقين: عند عقبة فيق، قرية ظاهر دمشق. العمري،مسالك،ج٢٧، ص٢٣١. العليمي، الأنس، ج١، ص٤٠١.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٧٠ .

(٩) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٥٢-١٥٣. ابن الفرات، تاريخ، ج٤، ق٢، ص٢٦٠. شاهين،الملك المُعَظِّمْ، ص٨٤-٨٥. إبراهيم ، الأخوة الملوك، ص١٤٣-١٤٤ .

الفصل الرابع

الدولة الأيوبية
في عهد خلفاء العادل

كان للملك العادل عدة أولاد، ذكوراً وإناثاً، " ستة عشر ولداً ذكراً، سوى البنات...، حيث سلطن الذكور، وزوّج بناته بملوك الأطراف"(١). وسنذكر أبناء الملك العادل الذين ساعدوا أباهم في الحكم، وكان لهم دور كبير في الدولة الأيوبية بالترتيب حسب تقدم الوفاة وفق موضوعات الفصل .

١- **الملك الأوحد (ت: ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م).** وقد كان للملك الأوحد دورٌ هام في حياة أبيه خاصة مع المناوئين من البلاد الشرقية (٢).

٢- **الملك الفائز إبراهيم بن العادل (ت: ٦١٧هـ/١٢٢٠م).**

٣- **الملك المُعَظِّمْ عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م).**

٤- **الملك الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م).**

٥- **الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م).**

٦- **الملك المظفر شهاب الدين غازي (ت: ٦٤٢هـ/١٢٤٥م).**

وقد كان لهؤلاء الملوك دورٌ هام في الوقوف في وجه المناوئين، خارج البيت الأيوبي، وخاصة البيت العادلي بعد وفاة والدهم الملك العادل، وخاصة للملك المُعَظِّمْ(٣)، والملك الأشرف (٤)، والملك الكامل(٥)، والملك المظفر(٦).

أولاً : موقف ابن واصل من التحالف والتنافر بين خلفاء العادل:

١- الملك المُعَظِّمْ عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م):

شهدت حياة خلفاء العادل من أولاده الكثير من التحالف والتنافر، وأكثرها تنافر بعد وفاة والدهم الملك العادل(٧)، حيث بين ابن واصل أن هذا التنافر كان سببه حب التملك والسيطرة على العديد من البلاد التي كانت تحت حكم الملك العادل، وكانت البداية من وحشة الملك المُعَظِّمْ من أخويه الأشرف والكامل سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، فقد كانت رغبة المُعَظِّمْ في الاستيلاء على حماة، وكانت أطماعه قد تعلقت بالاستيلاء على حماة، وبلادها وإضافتها إلى ممالكه؛ ولكن ذلك لم يتحقق؛ لأن أخواه الأشرف

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧٤ . ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص ٧٤-٧٨. الذهبي، سير، ج١٦، ص١٢٠-١٢٢، ص٣٨٥ . الصفدي، الوافي، ج٢، ص١٦٨-١٧٠ ، ج٢٩، ص١٨٧ . الكتبي، فوات، ج٤، ص٣٩٦ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٣٩، ٣٨٢ . ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج٢، ص١٠-١١ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦، ص١٧٥. ص١٧٦، ١٨٣، ص٢٠١، ٢٠٨. ابن فندمة، تاريخ بيهق، ج١، ص١٨١ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦١، ص٢٦٣. ابن العبري، مختصر، ص٢٢٨ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٩٤، ص١٠٨. الذهبي، العبر، ج٣، ص١٣٦ . ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١١١. اليافعي، مرآة، ج٤، ص٥. ابن تغري بردي، النجوم ، ج٦، ص٢٥٨ . ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٥٠.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٨٧، ١١٧، ص١١٩-١٢٠، ص١٢٦ . الحموي، التاريخ المنصوري، ص٩٤. ابن العديم ، زبدة الحلب، ج٣، ص١٩٢-١٩٣. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٢٦. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٠٧ . الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٩٧. ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٢٨٠-٢٨١ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٧١-٧٤ . ص١٠٥ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٢٧، ج٤، ص١٢١، ص١٢٥. ج٥، ص١٥٣. ص١٧٨-١٧٩ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٨٩-٩٠، ص٣٠١-٣٠٢ .

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٧٥-٢٧٦ .

والكامل طلبا منه الانسحاب من حماة " فتقررت قواعد الصلح بين المُعَظِّمْ وابن أخته الناصر- صلاح الدين ملك حماة- على دخن. ورحل المُعَظِّمْ عن سلمية- من أعمال حماة- مغضباً محنقاً على أخويه سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م)(١). ويبدو أن الأشرف قد تحالف سراً مع الكامل ضد المُعَظِّمْ، والدليل استجابة الكامل للأشرف بتهديد المُعَظِّمْ، بالرغم من عدم ميل الكامل للناصر صاحب حماة؛ وإنما جمعه مع الأشرف هدف واحد وهو التضييق على المُعَظِّمْ (٢). ومن الدلائل أيضاً، ما ذكره ابن الجوزي: " فغير الله القلوب وصارا متصادقين على المُعَظِّمْ" (٣). وزادت الشكوك لدى المُعَظِّمْ من أخويه، وتحالفهما سراً من الإقامة الطويلة للملك الأشرف في مصر، مما جعل المُعَظِّمْ يستوحش لذلك(٤).

وأشار ابن واصل إلى أن المُعَظِّمْ حرض أخاه المظفر شهاب الدين غازي على العصيان أمام أخيه الأشرف، " واتفق المُعَظِّمْ والمظفر وصاحب إربل على محاربة الأشرف، ثم رحل المُعَظِّمْ في عساكره من دمشق، ونزل القطنة في البرية على نية قصد الشرق"(٥)؛ ولكن هذا الأمر لم يتم له، لخوفه من الكامل، ورجع إلى بلاده. ولم يستسلم المُعَظِّمْ لأول إخفاقه، فعاد وأرسل في أواخر سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) ولده الناصر صلاح الدين داوود إلى إربلا ليكون عند عمته ربيعة خاتون زوجة مظفر الدين، وقصد بذلك توفيق الحال، وأن يكونا يداً واحدة، وذلك لما استحكم من الوحشة بين المُعَظِّمْ وأخويه الكامل والأشرف(٦).

وفي سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)، تحرك الحلفاء الثلاثة، صاحب إربل، وجلال الدين الخوارزمي، و المُعَظِّمْ ضد الأشرف، إذ كان الأمر مبيتاً لذلك، وتوجه كل واحد إلى منطقة تخص الأشرف، فقصد المُعَظِّمْ حمص وحماة وحلب، إذ كان أصحاب هذه الإمارات ضده مع الأشرف(٧)، وركز المُعَظِّمْ هجومه على أعمال حمص، وجلال الدين الخوارزمي هاجم خلاط عاصمة الأشرف، وشن صاحب إربل الحرب على الموصل المحالفة للأشرف(٨)، وتمكن الملك المُعَظِّمْ بذكائه من تحييد أخاه الكامل صاحب مصر، " وأوهمه المُعَظِّمْ أنه إن خرج من مصر أخذه بعسكره(٩)، فلم يجسر على الحركة من مصر. فصمم المُعَظِّمْ على قصد حمص وحماة، ورأى البداية بحمص" (١٠).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٢٧-١٢٨. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٣٣. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٣٢. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢١٤. الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٩٧.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص -١٢٨-١٢٩.

(٣) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٦٢١-٦٢٢ . أبو شامة، الروضتين، ص١٣٠ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٣٧. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٠٣.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٣٨. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٦٨.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٣٩-١٤٢؛ ج٤، ص١٤٢. الحموي، التاريخ المنصوري، ص١١٠.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٧٦-١٧٧ .

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٧٦. ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٦٢. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٢٠ .

(٩) المصدر نفسه ، مفرج،ج٤، ص١٧٧. المقريزي،السلوك، ج١، ص٣٤٥. العروسي، الحروب، ص١١٤-١١٥.

(١٠) المصدر نفسه ، مفرج، ج٤، ص١٧٧ .

وقد بين ابن واصل أن المُعَظِّمْ ألحق بقرى حمص ومزارعها الخراب " وأخرب المُعَظِّمْ قرايا(قرى) حمص ومزارعها، وامتدت غاراته إلى سلمية، وهي يومئذ للمظفر بن المنصور، وهو عند خاله الكامل بمصر. وطال مقام المُعَظِّمْ على حمص، ولم ينل من قلعتها ومدينتها غرضاً. ووقع الفناء في عسكره، وماتت دوابهم وكثر المرض فيهم"(١)، وكان قدوم الأشرف إلى المُعَظِّمْ، وذلك في رمضان٦٢٣هـ/سبتمبر١٢٢٦م) " قصداً لقطع مادة الشر، فالتقاه أخوه المُعَظِّمْ، وأظهر السرور بمقدمه، وضربت البشائر بدمشق، وزين البلد، ونصبت القباب، وأظهر المُعَظِّمْ الابتهاج العظيم به، وحاله في الباطن بخلاف ما أظهر..."(٢). ويبدو من موقف الملك المُعَظِّمْ هذا الاستفراد بالسلطة ، وتنحية أخويه الأشرف والكامل عن السلطة.

وكان هناك اتفاق بين المُعَظِّمْ والأشرف، حيث كان هذا الاتفاق كُرهاً، ومُرْغماً عليه الأشرف؛ لأنه" عند أخيه المُعَظِّمْ بمنزلة الأسير..."(٣). ونص الاتفاق :أن يترك جلال الدين خلاط – حيث نازلها وهو موجود عند المُعَظِّمْ كالأسير– مقابل اتفاق الأشرف مع المُعَظِّمْ على الكامل وصاحب حمص وحماة. وأن يتعهد الأشرف بمساعدة المُعَظِّمْ على الكامل. وأن لا يعقد الأشرف هدنة مع أحد الملوك إلا بموافقة المُعَظِّمْ(٤). ويبدو أن الملك المُعَظِّمْ أراد أن يظهر للملك الأشرف قوته ومهابته ، وأنه مهما تعرض للضغط، والرضوخ، حتى لو بالقوة ، سيظل فتيًّا، عصيًّا عن الانهيار.

ولما رجع الأشرف إلى بلاده رجع عن جميع ما تقرر بينه وبين المُعَظِّمْ؛ لأنه كان مكرهاً عليها، وأنه تحقق أنه لا ينجيه منه إلا موافقته على مراده. وندم المُعَظِّمْ من تمكينه من الانفصال عنه، وسير العرب إلى بلد حمص وحماة فعاثوا فيها(٥). ولما بلغ المُعَظِّمْ ما حصل بين الكامل والإمبراطور فردريك " كاتب أخاه الأشرف ولاطفه، فأرسل يطلب موافقته، فامتنع. وفي خضم التناوئ ، والتنافر بين ملوك أيوب، وافت المنية المُعَظِّمْ عيسى في ذي القعدة من سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، " وكان عمره سبع وأربعون سنة"(٦). " وترتب في ممالكه بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود" وكانت ما بين حمص وعريش مصر(٧). وفي سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، سلم الملك الكامل القدس للفرنج " ولما ورد الخبر إلى دمشق بتسليم القدس إلى الفرنج أخذ الناصر في التشنيع على عمه الكامل ... ، فجلس شمس الدين يوسف سبط (ابن الجوزي) للوعظ كما أُمِر، وحضر الناس لاستماع وعظه، وكان يوماً مشهوداً ،

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص١٧٩ . الحموي، التاريخ المنصوري، ص٩٤، ١١٣. ابن العديم، زبدة، ج٣، ص١٩٨. أبو الفداء ، المختصر، ج٣، ص١٣٦. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢١٥. قساطلي، الروضة الغناء، ص٥٨ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٧٩. الحموي، التاريخ، ص١٢٦، ١٢٧. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٨٠–١٨١ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠٥ . ابن العديم ، زبدة، ج٣، ص٢٠١. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٣٧.

(٥) المصدر نفسه، مفرج،ج٤، ص٢٠٥ –٢٠٦. أبو الفداء، المختصر،ج٣، ص١٣٧.الصفدي، أمراء، ص١٥١.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠٧–٢٠٨.

(٧) المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٢٤–٢٢٥.

وعلا يومئذٍ ضجيج الناس وبكاؤهم، وعويلهم. وحضرت أنا – ابن واصل– هذا المجلس..."(١). وتجددت الأحداث إثر موت الأشرف، وموت الكامل، وصرف النظر عن تولية الناصر داود ابن المُعَظِّمْ دمشق، مضى إلى بلاده ، واستولى على غزة والسواحل التي كانت بيد الكامل، وأضافها إلى ملكه، واستخدم عسكراً كثيراً، وأقام بغزة. وكاتب ابن عمه العادل لأخذ دمشق ليكون نائباً عنه في دمشق، فلم تقع الإجابة لذلك. فأرسل إليه ثانيةً يقول: " إن أباك السلطان الكامل التزم لي أنه يعيد إليَّ مملكة والدي، وأنا قد وليت على البلاد الساحلية؛ لأنها من جملتها، فتساعدني على تسليم دمشق وباقي البلاد، وأكون من قبلك وفي طاعتك، كما كنت مع أبيك" (٢). وقد حدث المصاف بين الناصر داود وبين ابن عمه الجواد بن مودود صاحب دمشق على مكان يقال له ظهر حمارٍ بين نابلس وجينين، وانكسر الناصر كسرة قبيحة، واحتوى الجواد على خزائنه وأثقاله، ثم مضى الجواد إلى نابلس فنزل بها في دار المُعَظِّمْ داخل البلد، واحتوى على ما فيها، وولَّى فيها وفي أعمال القدس والأغوار من قِبَلِه...ولما بلغ العادل هذه الكسرة ، أمر الجواد بالعودة، ورد ما أخذه من الناصر إليه، ففعل وعاد...وعزم العادل على صرف الجواد عن نيابته لدمشق(٣). وجدير ذكره أن الجواد خشي على نفسه، وعلى ضياع دمشق منه، فأرسل إلى الصالح نجم الدين لتسليمه دمشق، وإعطائه بلاداً عوضاً عنها، فتم ذلك، فرحل إلى سنجار والبلاد التي عينت له (٤). وقدم الصالح نجم الدين أيوب إلى دمشق، واستقر فيها (٦٣٦هـ/١٢٣٩م)، فأرسل ابن عمه الناصر داود ابن المُعَظِّمْ إلى نجم الدين يعاضده على العادل، وأخذ مصر له، وطلب منه تسليم دمشق إليه، وجميع البلاد التي كانت بيد أبيه. فوعده الصالح بذلك إذا ملك مصر، فأبى الناصر إلا أن يُنجز له ذلك فلم يتفق بينهما أمر(٥). ويبدو لجوء الناصر بن المُعَظِّمْ إلى العادل الثاني وهو في مصر لجوء مصلحة، لرد ما أُخذ من بلاد أبيه إليه، وخاصة دمشق. وفي سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) حصل عند العادل وحشة من الناصر، وتغير عليه، فغادر الناصر مصر متوجهاً إلى نابلس، حيث علم بقدوم الصالح إليها، " أشار عليه أن ينتقل إلى الدار التي كان نازلاً بها، وهي دار المُعَظِّمْ، فانتقل إليها، وأذن له أن يبعث ولاته إلى غزة والسواحل"(٦). وكانت هذه إشارة إلى حيلة وخداع نجم الدين، " ثم قدم الناصر في عسكره إلى نابلس" . وأمر في إحدى الليالي بضرب البوق " فضربوا البوق، وأشاعوا أن هنا هجوماً من الصليبيين، فركب مماليك الصالح، ورحلوا جميعاً إلى سبسطية، وأمر " الناصر حينئذ بتسيير الصالح إلى الكرك، وكان ذلك ليلاً" ، ولم يكن مع الصالح نجم الدين سوى الأمير

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٢٤٥-٢٤٦ .

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٧٥ .

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٩٢-١٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٢٠٢-٢٠٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٢٠٧ .

(٦) ابن واصل ، مفرج، ج٥، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

ركن الدين بيبرس، وزوجته شجر الدر أم ولده خليل(١). وقد أحسن الناصر داود معاملة الصالح نجم الدين، وبعث يقول له: " إنما فعلت هذا احتياطياً عليك لئلا يصل إليك مكروه من أخيك، ولا من عمك، ولو لم أسيِّرك إلى الكرك لقصداك وأهلكاك" . وأمر الناصر شهاب الدين ونجم الدين ابني شيخ الإسلام بملازمة خدمة الصالح، وتأنيسه، كما كان في خدمة الصالح نجم الدين أولاد الناصر داود، ويحضرون له كل ما يشتهيه من الطعام والشراب، والملبس، فكان لا يفتقد إلا الملك(٢). ويبدو أن حب الملك والسلطان متجذراً في أولاد وأحفاد الملك العادل؛ لأن شهية التملك انقطعت عنهم منذ السلطان الناصر صلاح الدين. وأما عن رجال الصالح نجم الدين الذين ظلوا معه ، ورافقوه إلى بلاد الناصر داود، فقد خيرهم الناصر داود إما يقيموا عنده، ويجري عليهم من الإحسان والإنعام ما كان جارياً عليهم في أيام مخدوهم، وإما أن يسافروا حيث شاءوا، ووعدهم أن يطلق سراح نجم الدين، ويقوم بنصرته إذا أمكنه ذلك، فانقسم مماليك الصالح، منهم من فضل السفر إلى دمشق، مثل: حسام الدين الهذباني، وزين الدين، وفضل الآخرون البقاء مع الصالح نجم الدين، ومنهم: بهاء الدين زهير، وشهاب الدين بن سعد الدين(٣). وبين ابن واصل قدوم حسام الدين الهذباني، وزين الدين لدمشق، حيث كان معايشاً لتلك الأحداث، وسوء ما تعرضا له كل من حسام الدين، وزين الدين، حيث حُبس حسام الدين في حبس الخياله، وكان ابن واصل يجتمع به : " وكنت أصعد إلى القلعة وأجتمع به في الحبس في أكثر الأوقات" (٤). وعَلِمَ العادل بما جرى لأخيه الصالح نجم الدين، وضياع دمشق منه سر كثيراً، وقد عبر عن سعادته جهراً ، وظن العادل أنه قد أمن؛ ولكنه لم يقنع بسجن أخيه، فأرسل إلى الناصر داود يطلب منه تسليمه الصالح نجم الدين، وأن يرسله في قفص من حديد، ووعده مقابل ذلك أن يعطيه مبلغاً كبيراً من المال؛ ولكن الناصر داود رفض ذلك الطلب، فهدده العادل الثاني بأن يقصد بلاده، ويأخذها منه "فلم يلتفت الناصر داود إلى تهديده ووعيده" (٥). ويبدو رفض الناصر داود طلب العادل يعود إلى شعوره بأهمية الصالح نجم الدين، كما أن الناصر داود رأى أن العادل الثاني لم يكن كفؤاً لتحمل المسئولية . وتجددت الأحداث بإفراج الملك الناصر داود عن الصالح نجم الدين، في رمضان عام (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م)، بعد أن ظل في السجن سبعة أشهر. وكانت هناك تحركات من صاحب حماة، ومن رسل الخليفة في سبيل ذلك، والأمر الذي ساعد في خروج الصالح نجم الدين وعود العادل الثاني للناصر على إعطائه دمشق إذا فُتِحَت، وتراجعه عن

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص ٢٤٠ . ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٢٦-٧٢٧ . ابن العميد ، أخبار، ص٢٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٢٩. حمد، إقطاعية بيسان، ص١٢٥. قاسم، الأيوبيين، ص١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص ٢٤٠-٢٤٢ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٩٨ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٤٢ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٩٨ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٤٣ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٩٨ .

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٤٤-٢٤٥ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠١. ابن كثير، البداية ، ج١٣، ص١٢٩. المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٩٨ . ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٧٥.

ذلك(١). وتوجه الصالح نجم الدين إلى نابلس بعد إطلاق سراحه بناءً على رغبة الناصر، وضرب له دهليز السلطنة، واجتمع مع مماليكه، وأصحابه الذين كانوا عند الناصر داود، كذلك أمر الناصر داود خطيب نابلس بقطع الخطبة للعادل الثاني، وأن يجعلها للصالح نجم الدين، ثم توجه الناصر داود والصالح نجم الدين إلى القدس، حيث اجتمعا عند الصخرة المقدسة، وأقسما أن يفي كل منهما لصاحبه. فيملك الصالح نجم الدين مصر، والناصر داود دمشق، وحمص، وحماة، وحلب، وبلاد الجزيرة، وديار بكر، والموصل، ونصف ما في الخزائن من الأموال، والجواهر، والخيل، والثياب، وغيرها(٢). ورأى ابن واصل أن " الصالح كان يتأول بعد ملكه مصر أنه حلف مكرهاً إذ كان في الحقيقة في حكم الناصر داود" (٣).

٢- الملك الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م):

ظَهَرت همة الملك الأشرف عند وفاة أبيه العادل (٦١٥هـ/١٢١٨م)، حيث كان في مهمة تطهير حلب من كيد الأعداء من عز الدين كيكاوس ملك الروم، حيث أراد القضاء على كيكاوس وأتباعه، إلا أن وفاة والده العادل منعته من ذلك " وقد كان عازماً على قصد عز الدين، وأتباعه إلى بلاده، فلما وردت عليه وفاة والده لم يمكنه ذلك، مع علمه بحلول الفرنج بالديار المصرية، وشدة طمعهم فيها سيما وقد مات سلطان البلاد. فنزل الأشرف بباقوسا، وجلس في خيمته للعزاء"(٤). وأقام الأشرف عند الكامل في مصر سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، "مجتمعان على مسراتهما ومتنزهاتهما وأخوهما المُعَظِّمْ مقيم بسلمية مستولٍ عليها، وعلى المعرة من أعمال حماة، مصمم العزم على حصار حماة"(٥). و لما وصلت الأخبار الملك الأشرف " بما فعله أخوه المُعَظِّمْ ب الناصر "، بين الكامل خطورة هذا التصرف، ذلك محاولة المُعَظِّمْ لضم حماة يجعله يطمع بالبلاد كلها" إن تركنا المُعَظِّمْ يحاصر حماة ويأخذها، تعدى ذلك إلى غيرها، وأطمعته نفسه بالاستيلاء على البلاد كلها"(٦). فأرسل كل منهما الأشرف والكامل رسالة للمعظم يطلبان منه ترك حماة، " فقال: السمع والطاعة"(٧). وقد تحالف شهاب الدين غازي، والمُعَظِّمْ، ومظفر الدين كوكبوري ضد الأشرف في (٦٢١هـ/١٢٢٤م)، فأرسل الأشرف إلى أخيه الكامل يعرفه الحال، فأرسل الكامل إلى أخيه المُعَظِّمْ، " إن تحركت من بلدك سرت إليه وأخذته منك، فلما وصلت إلى المُعَظِّمْ

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٤٩، ص٢٥٧. ابن العميد، أخبار، ص٢٩ .أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠١. ابن كثير، البداية،ج١٣، ص١٢٩. المقريزي،السلوك،ج١، ص٤٠٠ . ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٨٠.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ٢٥٩. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠٢. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٠٠ -٤٠١. ابن تغري بردي، النجوم،ج٦، ص٢٧٥.الحنبلي، شفاء، ص٣٣٤.عاشور،الجهاد، ص٣٤٤.صيدم، جهاد، ص٣٣ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٥٩، ص٢٥٧. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٢٨. ابن كثير، البداية ، ج١٣، ص١٣٩. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٧٥. الحنبلي، شفاء ، ص٣٣٤ . صيدم، جهاد، ص٣٣ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٢٦. ابن الجوزي، مرآة ، ج٨، ص٦٢١. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٣٠ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٢٧. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٣٢ . المقريزي، السلوك، ج١، ص١٤ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٢٧. الحموي،التاريخ المنصوري، ص٩٤. ابن العديم، زبدة ، ج٣، ص١٩٣.

رسالة أخيه عاد إلى دمشق"([1]). كما فشل مظفر الدين كوكبوري في الاستيلاء على الموصل، وإشغال الأشرف، ومنعه من محاربة أخيه المُعَظِّمْ؛ لأنه قد وجدها محصنة، " وكان سبب رحيله عنها ما رآه من قوتها، وما بلغه من استيلاء الأشرف على خلاط، فرحل مظفر الدين عائداً إلى بلده وأقام بالزاب" ([2]). واستطاع الأشرف بما تجمع لديه من جيوش أن يستعيد خلاط من أخيه"([3]). وقدم الأشرف إلى المُعَظِّمْ، وأقام عنده عشرة أشهر منذ (أول رمضان ٦٢٣هـ/سبتمبر ١٢٢٦م) .

وقد تميز البيت الأيوبي "على من تقدمهم من الملوك، وهو أن يجتمع ملكان عظيمان كل منهما مالك إقليم عظيم، ويصير أحدهما في قبضة الآخر، وليس معه جند ولا عسكر، ويكون بينهما في الباطن غاية التعادي والتنافس، ثم لا يعدو القاهر منهما على المقهور؛ بل يطلقه ليمضي إلى بلاده، وإظهار المودة والبر الذي ما فوقه مزيد"([4]). وكانت هذه سمة البيت الأيوبي، حيث ساد الحب والوئام بينهم، لا يتعدى الواحد منهم على ملك أخيه وإن كانت هناك عداوة.

ومكث الأشرف عند المُعَظِّمْ كالأسير، ولم يخلص من ذلك إلا بموافقة الأشرف على كل ما طلبه المُعَظِّمْ منه كرهاً، وبعدها غادر دمشق راجعاً لبلاده، وعندما راسل الكامل الامبراطور فريدريك لأخذ القدس، وعلم بذلك المُعَظِّمْ، فراسل الأشرف، " فعنفه على أفعاله التي عامله بها، وقرَّعه على ما اعتمده في حقه وحق أهله"([5]).

وكان اجتماع الأشرف بالملك الناصر داود ليقنعه بما اتفق عليه مع الكامل، وذلك لاستيحاش الكامل منه، وهو عاقد العزم على حصار دمشق، وتم حصارها، وسارع صاحب حماة لنجدة الناصر؛ ولكن رجع مرة أخرى لبلده حماة، فظن الدائرة ستدور عليه"([6]) .

وقد حاصر الأشرف دمشق بترتيبات جديدة، واشترك في الحصار الكامل، إلى أن سلمها الناصر داود للكامل، وبدوره سلمها للأشرف حسب الاتفاقات المبرمة بينهما، ورحل كل ملك إلى بلاده([7]). وطمع الأشرف ببعلبك، حيث طلب من الكامل استضافتها إلى مُلك دمشق، ولم يمكن الكامل مشاقته في ذلك، فحاصرها عسكر دمشق وضايقوها، ونصبوا عليها المجانيق([8]). " ولما طالت مدة الحصار على بعلبك، وكانت قريباً من عشرة أشهر، واشتدت مضايقة العسكر الدمشقي لها، أذعن صاحبها الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهان شاه بن أيوب إلى تسليم بعلبك وأعمالها إلى ابن عمه الأشرف، وأقطعه

---

(١)ا بن واصل، مفرج ، ج٤، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، مفرج،ج٤،ص١٣٩-١٤٠. ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص٤٦٢. أبو الفداء،المختصر،ج٣، ص١٣٤.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٤٠ . الدواداري، الدر المطلوب، ج٧، ص٢٦٥-٢٦٦ . أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٤٢. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١١٢ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٨١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٠٧ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٣٧-٢٤٠.

(٧) المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٥٢ -٢٥٣؛ ص٢٥٦-٢٥٧ .

(٨) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٨٠ .

الأشرف قُصير دمشق الذي تنزل فيه القوافل والزَّبداني ومواضع أخرى ..." (١). ويبدو أن الحروب والقتال بين جيوش الأيوبيين فيما بينهم كانت بعيدة، للمبادئ التي تعلموها سابقاً من الناصر صلاح الدين الأيوبي، فالقتال دائماً يكون ضد العدو في العقيدة، وليس ضد الأخ والشقيق والصديق.

وقد ضاق الملك الأشرف من أفعال الملك الكامل، من ذلك " أخذ منه بلاده الشرقية حين أعطاه مدينة دمشق، ولم ينصره في استرداد ولو جزء من مملكة خلاط، وما كان في نية الكامل من أخذ بلاد الشام من ملوك الأيوبيين، وتعويضهم شيئاً من مملكة الروم إذا تم الاستيلاء عليها، فراسل الأشرف أخته الصاحبة بحلب، والجماعة على أن تكون كلمتهم واحدة على الكامل، كذلك انضم إليهم المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص، ومال إليهم المظفر صاحب حماة، الذي عينه فيها الكامل، حيث خاف على مملكته منهم، وهو في الباطن مع الكامل، وسيروا رسلاً إلى سلطان الروم ليستميلوه، ويقف بجانبهم أمام الكامل؛ لكن وفاة سلطان الروم حالت دون ذلك في أول شوال من سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، وتم تحليف ابنه غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ في ذي القعدة من سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، وراسل الأشرف ابن أخيه الناصر داود ابن المُعَظِّمْ للانضمام إليهم، فكان خياره الانضمام إلى الكامل"(٢). وقد بعث الأشرف إلى الكامل ومن معه برسالة ، مفادها: " إنا قد اتفقت كلمتنا، ونطلب منك إنك لا تعود تخرج من مصر، ولا تنزل إلى الشام، وتحلف لنا على ذلك" . فلما سمع رسالتهم، قال الكامل لهم: " أنتم قد اتفقتم، فما تطلبون من يميني؟ احلفوا لي أنتم أيضاً أن لا تقصدوا بلادي، ولا تتعرضوا لشيء مما في يدي، وأنا أوافقكم على ما تطلبون" ، وذكر ابن واصل "أنه عرض الأشرف مرض ولحقه ذرب، فكان لا يستقر الطعام في معدته، وطال مرضه واتصل..." (٣). وتوفى الأشرف رحمه الله في (٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م)، وقد صارت دمشق من بعده إلى الصالح عماد الدين إسماعيل، ثم سيطر عليها الكامل، فتولى دمشق العادل ابن الكامل، حيث كان نائباً عنه في دمشق ابن عمه الجواد بن مودود في السلطنة... وقام الجواد بالأمر مظهراً أنه نائب عن العادل ابن عمه الكامل، وقوي طمعه في دمشق، والاستبداد بملكها. وكان يذكر اسمه في الخطبة بعد ابن عمه العادل ابن الكامل (٤).

٣- الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م):

بعد وفاة الملك العادل، ظهرت المناوءات بين الإخوة، حيث عَلِمَ الكامل بعلاقة المُعَظِّمْ وانتمائه إلى سلطان العجم، فخاف من زوال الدولة الأيوبية، وخاصة مصر" وعلم الكامل انتماءه إلى سلطان العجم جلال الدين بن خوارزم شاه، خاف أن يكون اتفاقهما سبباً لزوال الدولة، فأرسل الأمير فخر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ إلى الإمبراطور فردريك صاحب بلاد انبوليه، وجزيرة صقلية – من أعمال إيطاليا– يطلب منه القدوم إلى عكا، ووعده أن يعطيه البيت المقدس، وبعض الفتوح الناصري، وقصد

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٢٨٤ .

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١٢١-١٢٦ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٢٧-١٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢-١٧٥ .

بذلك إشغال سر أخيه المُعَظِّمْ ليحتاج إلى موافقته، والدخول في طاعته، فتجهز الإمبرطور لقصد الساحل، وبلغ ذلك المُعَظِّمْ..." (١)؛ ولكن المنية وافت المُعَظِّمْ عيسى في ذي القعدة من سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، وأخذ المملكة من بعده ولده الناصر داود، وطلب الكامل منه أن يسمح له من بلاده بقلعة الشوبك فقط ، آملاً منه أن يجعلها خزانة؛ ولكن الناصر داود لم يجب عمه لذلك. ورأى الكامل منه إعراضاً عنه وجفاء، فكان ذلك سبباً لوقوع الوحشة بين الكامل وابن أخيه. وأدى ذلك إلى تصميم عزم الكامل على الخروج إلى الشام ، وأخذ دمشق وغيرها منه(٢). وعين الكامل ابنه الصالح نجم الدين أيوب ولاية عهده في سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م)، وأركبه بالقاهرة، وحملت الأمراء الغاشية(٣) بين يديه بالنوبة، وجعله نائباً عنه في الديار المصرية، وأنزله بدار الوزارة، وعمره يومئذ اثنتان وعشرون سنة(٤) ؛ لأن مولده سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وكانت وفاته في عام (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) (٥). وسار الكامل من مصر في شهر رمضان من سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م). ولما وصل غزة نزل بها مخيماً بتل العجول، وبعث ولاته إلى نابلس والقدس والخليل وغيرها من الأعمال، فانزعج الناصر لذلك، وخاف منه خوفاً شديداً(٦). واستنجد الملك الناصر بعمه الأشرف(٧). وقد تم محاصرة الناصر داود من قِبَلِ الأشرف ومن معه من أصحابه ، وعسكر حلب، وتأخر الكامل عن الحصار، فأرسل إليه الأشرف يستعجله، فأرسل إليه الكامل بعد فراغه من صلح الفرنج لتعديل الاتفاق على أن تكون البلاد الشرقية للكامل ، ويكون للأشرف دمشق، والناصر يعوض "بما يقع الاتفاق عليه إذا فتحت دمشق من البلاد التي ما بين عقبة فيق وغزة، وما يبقى منها يكون الكامل" ، وقدم الكامل على دمشق، وتم التشديد في حصار دمشق، وضُيِّق على البلد، فيقول ابن واصل الذي عايش الحدث: " وكنت في أكثر الأوقات أصعد مع جماعة على منارة دمشق، ونشاهد القتال، فكان ربما كر الدمشقيون على العسكر المصري، وطاردوهم، وأنكوا فيهم. وأحرقت مواضع للبلد، وطالت المدة إلى آخر رجب من سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، فاشتد ذلك على أهل دمشق لإقبال الصيف..." (٨). وضاق الناصر بالحصار ذرعاً، ولم يطقه، وانفلت العزم لديه، وخرج

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٠٦-٢٠٧ . أبو شامة ، الروضتين، ج١، ص١٥١. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٣٨. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٤٨. ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٣٥١. ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٢٩٠ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٢٤-٢٢٥ .

(٣) هي السرج أو الغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس فوق البردعة، وكان سلاطين الأيوبيين والمماليك بعدهم يخرجون في المواكب وبين أيديهم غاشية، وهي سرج من أديم مخرزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٢٦ . وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٧.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٢٦ . ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٢٦. المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٤٩.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٢٥-٢٢٦ . وانظر: ابن خلدون ، تاريخ، ج٥، ص١٩٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٣١٩. الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٣٠. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٢٦٩؛ جواهر السلوك، ص١٠٥ . القرماني، أخبار الدول، مج ٢، ص٢٦١ . الجزار، النظام ، ص٢١ . بيبرس المنصوري، تاريخ ، ص٧ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٢٦ -٢٢٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٢٩-٢٣١ .

(٨) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٥٢-٢٥٣ .

للقاء عمه الكامل ليلاً " في نفر يسير من أصحابه" ، وتم الاتفاق والتحالف على أن يأخذ الناصر الكرك، والشوبك وأعمالهما، والصلت والبلقاء والأغوار جميعها، ونابلس، وأعمال القدس، وبيت جبريل، فنزل الناصر عن الشوبك ، وسأل السلطان قبولها، فقبلها. وبقي للسلطان الكامل مع الشوبك الخليل وغزة، وطبرية وعسقلان والرملة ، ولُد وسائر الساحل الذي بأيدي المسلمين. وفتحت أبواب البلد في مستهل شعبان سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وأوضح ذلك ابن واصل حيث كان في قلب الحدث: " ولقد كنت عند باب القلعة ذلك اليوم، وقد دخل العسكر المصري من جميع الأبواب، وامتلأت المدينة منهم، وكان إلى جانبي إنسان من أهل دمشق، فلما رأى ذلك بكى بكاءً عالياً، وأعلن بالعويل. وما رأيت يومئذ أحداً من الدمشقيين إلا ورأيته في صورة من فُجِعَ بموت ولد أو أب"(١) . وبين ابن واصل تسليم دمشق للملك الكامل، ومن ثمَّ للملك الأشرف، " بعد الاتفاق معه على بعث نوابه إلى البلاد الشرقية التي كانت عينت للناصر، فبعث الكامل نوابه إليها، وتسلموها، وسافر الناصر إلى البلاد التي أعطيت له... ويبدو أن شهية الكامل ازدادت، حيث أمر التبريز جهة حماة لأخذها من صاحبها الناصر قلج أرسلان بن المنصور، حيث وعد الكامل ابن أخته الآخر بحماة سابقاً، وهو: المظفر تقي الدين محمود بن المنصور. وفي النهاية تولى المظفر حماة في سنة(٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، " فوض الأمور كلها صغيرها وكبيرها إلى الأمير سيف الدين علي بن أبي علي، فبقيت أمور الدولة كلها معدوقة به(٢). ورجع الكامل إلى الديار المصرية(٣) ، حيث تغير الكامل على ابنه الصالح تغيراً كثيراً ، حيث خلعه من ولاية العهد، وعهد إلى ابنه العادل، وكان في الحادية عشر من عمره، وكان شديد الميل إليه وإلى والدته، وأنعم على الصالح نجم الدين بحصن كيفا وسيره إليه، ويُعتقد أن الكامل أراد أن يبعد ابنه عن مصر ليخلو بذلك الجو له ولولده العادل(٤). ورحل الصالح إلى الشرق، حيث جعله الكامل " ولي عهده في الشرق، والمتصرف في الشرق نيابة عن الكامل الأمير شمس الدين صواب العادلي" (٥). وجَدَّت أمور أخرى حيث حصل استيحاش من الكامل من ابن أخيه المُعَظِّمْ ، قال ابن واصل: " وحكى لي بعض أولاد الناصر أن ذلك كان بسبب اتفاقه مع الملوك لما كانوا داخلين من جهة الدربند...". ويبدو هذا الاستيحاش نابع مما حدث من ملوك بني أيوب حيث تخاذلوا وتناصحوا ، حيث نبى إليهم أن الكامل أراد أخذ ملوك الأيوبيين معه لغزو بلاد الروم، وإذا نجح في ذلك وزع هذه البلاد عليهم، واستفرد بملك الشام والديار المصرية، وكان من هؤلاء الملوك الناصر ابن المُعَظِّمْ . فما كان من الناصر إلا الذهاب إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله ليستنجد به، ووافقه الخليفة، وتم الإصلاح بينهما، فبقي الناصر في الكرك آمناً مطمئناً(٦). وفي سنة

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٢٥٦-٢٥٧ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٥٨-٢٥٩ ، ص٢٧٢-٢٧٣ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٧٨ . وانظر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٧٧ . الخطيب، القدس ، ص ٧٨-٨٩.

(٤) المصدر نفسه ، مفرج، ج٤، ص٢٧٨-٢٧٩ . وانظر: ابن خلكان، وفيات،ج٤، ص١٧٨. الخطيب، القدس، ص٧٨.

(٥) المصدر نفسه ، مفرج، ج٥، ص١٧. ص٢٨-٢٩، ص٣٤، ٧٢ ، ص٨٢-٨٣ .

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص١١٠-١١٢ .

(٦٣٤هـ/١٢٣٦م) راسل الكامل الناصر داود للانضمام إليه في وجه الأشرف(١). وفي سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) وافت المنية الأشرف ، وتولى مكانه أخوه الصالح عماد الدين إسماعيل، فلم يكن للملك الأشرف ولداً، ولم يكن بيد الصالح إسماعيل غير بُصرى من أيام أبيه العادل(٢). و" لما بلغ السلطان الكامل وفاة أخيه، سار إلى دمشق في عساكر مصر، ومعه الناصر داود، ظاناً من عمه الصالح إسماعيل أنه سيسلمه دمشق بعد أخذها، وعند وصول الكامل دمشق، حاصرها، وبالغ في حصارها، وزحف الناصر جهة العقيبة وباب توما، فكاد يملك البلد، فلم يعجب الكامل ذلك، فبعث من يرده، وبعدها خرج الصالح إسماعيل إلى العقيبة، فأحرقها، وما فيها من الخانات، والأسواق، والدور حتى جعلها قاعاً صفصفا"(٣). وحاول صاحب حمص نجدة دمشق بخمسين رجلاً ؛ ولكن دون جدوى ، فظفر بهم الكامل، وشنقهم جميعاً على غير العادة، حيث كان مُحرجاً على صاحب حمص ذلك(٤). وكان الحصار على دمشق في جمادى الأولى من سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) في قوة الشتاء والبرد، ولما اشتد الحصار على دمشق، اضطر صاحبها تسليمها للملك الكامل، وعُوِّضَ عنها: بعلبك، والبقاع، مضافاً إلى بُصرى والسواد(٥). وفي سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) ، وافت المنية الكامل، واستقل العادل الثاني بملك الديار المصرية، وأخذ العادل في الإسراف واللهو، وأبعد عنه أصحاب الرأي والمشورة ، ومن كان يعتمد عليه أبوه في أموره، وكان ذلك سبب اختلال أموره وزوال ملكه. وجدير ذكره أن العادل قد حُلِفَ له في دمشق بعد وفاة أبيه الكامل، وعُيِّن نائباً له الجواد مظفر الدين بن مودود بن العادل، وأخذ هذا يسرف في أموال دمشق، وكاد أن يملكها، ومالت إليه العساكر، ووقعت بينه وبين الناصر داود مصاف، وانتصر على الناصر، فأمر العادل الجواد بالرجوع إلى دمشق، ورد البلاد التي أخذها من الناصر، وعزم العادل على صرفه عن النيابة (٦). ولما تحقق العادل من نية الجواد بالاستقلال بدمشق، والعبث فيها، بعث إليه العادل برسالة عن طريق عماد الدين بن الشيخ الذي وصل دمشق، وأنزله الجواد في القلعة، مفاد الرسالة: " إن لم يسلم دمشق إليه نزلت العساكر المصرية إليه، وملكوها منه عنوة، وقبض عليه واعتقل. وإن سلمها قبل أن تنزل العساكر إليه أُعطي عوضاً عنها خبزاً جيداً بالديار المصرية، وأُحسن إليه، فأجابه الجواد بجواب ممغلط(٧)"(٨). وقصد الجواد من ذلك عدم رضاه، وأخذ يغالط في الكلام المطروح سابقا إليه. وأدرك الجواد أن دمشق ستذهب عنه دون تعويضه إلا خبزاً قليلاً من الديار المصرية،

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص١٢٧-١٢٨.

(٢) المصدر نفسه ، مفرج، ج٥، ص١٤٥، ص١٤٧. وانظر: ابن أبي أصيبعة، عيون ، ج١، ص٦٤٧ . ابن خلكان، وفيات ، ج٥، ص٨٤. السبكي، طبقات ، ج١٠، ص١٢٥ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٧٩ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٥٠-١٥١.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٥٠-١٥١.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٤-١٧٥ . ص١٩٢-١٩٣.

(٧) والمغلطة والأغلوطة: الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به . ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٦٣ . مادة غلط.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٩٩. أبو الفداء، المختصر،ج٣، ص١٦٣. المقريزي،السلوك،ج١، ص٣٩٠ .

فأرسل الصالح نجم الدين، وعرض عليه أن يسلمه دمشق مقابل أن يعوضه عنها سنجار، والرقة، وعانة. "فأجاب الصالح لذلك، وحلف لابن عمه الجواد على العوض المذكور، وزاده الجديدة- قلعة بين نصيبين والموصل- "(١). وقدم الصالح نجم الدين إلى الديار المشقية ومعه المظفر صاحب حماة برفقة الجواد في جمادى الآخرة سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٩م)، " ولما استقر الصالح بقلعة دمشق ندم الجواد على ما فعل، وخاف أن لا يفي الصالح بما شرطه له"؛ ولكن الصالح نجم الدين وفى له بما وعده من البلاد(٢). " وسار إلى الشرق وتسلم سنجار والبلاد التي عينت له " (٣). وبين ابن واصل: " وانزعج العادل، وأمه وخواصه بقدوم الصالح إلى دمشق وملكه لها، وعلموا أنه لابد أن يقصدهم لما يتحققونه من ميل عسكر مصر إليه؛ لأنه أكبر منه، وأحسن سيرة، وأعظم هيبة، وأجدر بالقيام بأعباء الدولة، وخافوا منه خوفاً شديداً"(٤). وجاء الرسل والقصاد إلى الصالح نجم الدين يطالبونه بالقدوم إلى حمص، وتارة إلى مصر" ثم إنه رأى أن البداية بمصر أولى، وأنه إذا ملكها سهل عليه ما بعدها" (٥). واضطربت عساكر مصر بوصول الصالح إلى نابلس، حيث توقف هناك "خوفاً أن لا يكون لما كاتبوه به حقيقة، وعلم أن عسكره لا يقوم بحرب عسكر مصر... وقد اعتقل العادل فخر الدين بن شيخ الشيوخ لمراسلته الصالح نجم الدين في قلعة الجبل"(٦). ورأى ابن واصل أن الصالح نجم الدين بعث إلى عمه الصالح إسماعيل صاحب بعلبك " أن يصل إليه بنفسه ليمضي معه إلى الديار المصرية، فتعلل واعتذر، وسير ولده المنصور نور الدين محمود نائباً عنه في الخدمة، ووعد الوصول إلى خدمته بعد ذلك، وهو في الباطن يعمل على السعي في انتزاع دمشق منه(٧). وتم ما أراده الصالح إسماعيل حيث سيطر على دمشق سيطرة تامة(٨). وفشل الصالح في تدارك الأمر قبل سقوط دمشق في يد الصالح إسماعيل، وتغير عليه عسكره، ووردت إليهم مكاتبات من الصالح إسماعيل تستميلهم، حتى فسدت نياتهم، وعزموا على مفارقة الصالح نجم الدين؛ لوجود أهاليهم بدمشق، وليأسهم من أن تقوم للصالح نجم الدين بعد ذلك قائمة، وأن أمره قد تلاشى بالكلية، كما أرسل الملوك والأمراء الذين كانوا بصحبة الصالح نجم الدين يقولون-ومنهم ابن واصل- : " إننا لا يمكننا المقام معك هاهنا فإن أهلنا وأولادنا بدمشق فأذن لنا في الرحيل إلى دمشق". وكان له خادم يقال له شهاب الدين فاخر، وهو من أقرب الخدام إليه، نهب شيئاً كثيراً من قماشه، وخزائنه، واستصحب

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٢٠٠. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٧١. الحموي، معجم، ج٢، ص١١٥ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٠٣-٢٠٤. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٦٣. الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٤١. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٣٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٦٩. عاشور، الجهاد، ص٣٤١.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٠٣-٢٠٤. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٦٣. صيدم، جهاد، ص٢٢.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٠٧. وانظر: صيدم، جهاد، ص٢٢.

(٥) المصدر السابق، مفرج، ج٥، ص٢٠٩-٢١٠. ، ص٢١٤. الحموي، معجم، ج٢، ص٤٤٧. ابن نظيف الحموي، التاريخ، ج١، ص١٣٦. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٩٢ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢١٤-٢١٥. أبو الفداء، المختصر،ج٣،ص٢٠٠.المقريزي،السلوك، ج١، ص٣٩٢.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢١٦. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٢٨ . صيدم، جهاد، ص٢٤.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٢٩. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠١. الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٤١. ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص١٨٣. صيدم، جهاد، ص٢٦. عاشور، الأيوبيون ، ص١١٧.

جماعة من مماليكه الأصاغر، وغلمانه، وهرب مع العسكر بهم([1]). وظلت جماعة قليلة مع الصالح نجم الدين، فمنهم من أشار عليه بالتوجه إلى حصن كيفا، وهو حصن منيع، وقلعة الهيثم وغيرها من معاقل آمد. فخاف الصالح من الغدر، وقال: " ما أرى إلا التوجه إلى نابلس وألتجئ إلى ابن عمي الناصر، فتوجه إلى نابلس. واعترضهم جماعة من العربان وغيرهم ، وحاربوهم، فقاتلهم الصالح نجم الدين أيوب وأصحابه، فانتصر عليهم، ومضى إلى نابلس فنزل بظاهرها بالمنزلة التي يقال لها بلاطة([2]). وقد كان الغدر ينتظره، فغدر به الناصر، وحبسه مدة سبعة أشهر، ثم أُطلق سراحه في رمضان (٦٣٧هـ/١٢٤٠م) ([3]).

وقد تولى الصالح نجم الدين حكم مصر، وأن هناك عوامل ساعدته على ذلك: اتفق الناصر و الصالح نجم الدين، حيث ظنا " أنهما إذا نزلا غزة كاتبتهما أمراء مصر، فلما لم يريا لذلك أثراً، ورأيا كثرة العساكر الطالبة لهما، خافا، فرجعا إلى نابلس، فأقاما بها، وهما في غاية من الخوف والفزع، وعزما على التوجه إلى الكرك؛ للاحتماء به، ورأى ابن واصل أن الناصر اختلفت نيته، وعزم على رد الصالح إلى سجن الكرك، ومصالحة العادل الثاني، والصالح إسماعيل، فعلم الصالح بذلك " وأخذه فيما بعد به، ولم يجازه على إحسانه..."([4]). واستغلت المماليك الأشرفية، والأمراء الكاملية خروج العادل إلى بلبيس للقبض على الصالح نجم الدين بعد إطلاق سراحه، وتحالفه مع الناصر داود، فركبوا ليلاً وأحاطوا بدهليز العادل الثاني وقبضوا عليه ليلة الجمعة ٨ ذي القعدة سنة(٦٣٧هـ/١٢٤٠م).

وقد حاول بعض الأكراد تخليص العادل؛ لكنهم هُزموا وعادوا إلى القاهرة ، ووصلت الرسل إلى الصالح نجم الدين، والناصر تستدعيهما لاستلام الحكم بعد أن تأكدوا من القبض على العادل الثاني، وتسلم الصالح نجم الدين أخاه العادل الثاني، وسار في قبضته، ثم سار إلى القاهرة، ودخل قلعة الجبل سنة(٦٣٧هـ/١٢٤٠م)، وقد زينت القاهرة وظواهرها، وقلعة الجبل زينة عظيمة، "وفرح الناس بقدومه لنجابته، وشهامته، واستحقاقه "([5]). أما الناصر داود فنزل بدار الوزارة، ووصلت إلى القاهرة الخلع الخليفية، فلبسها الصالح نجم الدين، وأصبح صاحب الحكم الشرعي في البلاد، في حين بقي العادل الثاني

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٣٠-٢٣٣. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠١. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٦٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٣٨.ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٧٣. الحنبلي، شفاء، ص٣٣٣.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٣٥-٢٣٦. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٢٧ . ابن العميد، أخبار، ص٢٩ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٩٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٧٣. وانظر: صيدم، جهاد، ص٢٧-٢٨ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٥٧. ابن العميد، أخبار، ص٢٩ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٠٠-٤٠١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٧٥. صيدم، جهاد، ص٣٢-٣٣.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٦٠-٢٦١. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠٢. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٠١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٧٦. عاشور، الجهاد، ص٣٤٤. صيدم، جهاد، ص٣٢-٣٣.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٦٦. أبو الفداء، المختصر،ج٣، ص٢٠٢. عاشور،الجهاد، ص٣٤٥.

في سجنه. ودانت مصر إلى الصالح نجم الدين بعد صراع طويل، حيث أثمرت جهوده، وجهود المخلصين معه على حكم مصر، ومن ثَمَّ العالم الإسلامي(١).

وظهرت جهود الصالح نجم الدين الأيوبي في تثبيت حكمه في مصر والشام، حيث لم تتوقف الخلافات بين الأسرة الأيوبية، فقد اشتد الصراع، والنزاع بين الصالح نجم الدين صاحب مصر، وبين الصالح إسماعيل صاحب دمشق، ولم يقف باقي ملوك الأيوبيين موقف الحياد؛ بل انقسموا بين معارضٍ ومؤيد لأحد الرجلين. ولم ينس الصالح الناصر الذي يجري وراء مصلحته كلما سنحت له الفرصة، من ذلك أنه "طلب من الصالح أن يسلم إليه قلعة الشوبك، فلم يفعل" الصالح، وكذلك رفض الوعود التي قطعها على نفسه في القدس تحت الصخرة الشريفة؛ " إنما كان مكرهاً؛ لأنه كان في قبضته"(٢). ولم يكتف الصالح على عدم الوفاء باتفاقاته مع الناصر، حيث " بلغ الناصر داود أن الصالح قد عزم على قبضه واعتقاله، فطلب دستوراً من الصالح...فرحل راجعاً إلى بلاده، وهو بين الطائع والعاصي"(٣). وفي سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م) قام الصالح نجم الدين بمهاجمة الناصر داود، حيث أرسل إليه جيشاً " وقدم عليهم عماد الدين بن شيخ الشيوخ، وذلك لانحرافه عنه"، والتقى الجيشان في القدس؛ ولكن الناصر استطاع تحقيق النصر على جيش الصالح نجم الدين، وتم أسر الكثير من رجاله، حتى أن قائد الجيش بن شيخ الشيوخ كان من بين الأسرى؛ ولكن الناصر داود أطلق سراحه فيما بعد، ومن أسروا معه أعادهم إلى مصر، وقد توفى بن شيخ الشيوخ بعد عودته بقليل(٤).

وذكر ابن واصل الخُلف الذي حصل بين الملك الصالح نجم الدين، وعمه الصالح إسماعيل، واستنجاد الصالح إسماعيل بالفرنج؛ ولكن الصالح نجم الدين أيوب حاول تهدئة الموقف المتأزم مع الصالح إسماعيل وحلفائه، ولو إلى حين، وإيقاع الفرقة بين ذلك الحلف، فَجَرَت المفاوضات بينهم في عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م، وترددت الرسل بين الصالح نجم الدين، وعمه الصالح إسماعيل، وتم الاتفاق بينهما، على أن تكون دمشق وبلادها للصالح إسماعيل، ويكون للصالح نجم الدين مصر وبلادها، وأن يكون لكل من صاحب حمص وحماة وحلب ما بيده من البلاد، وعلى أن تكون الخطبة والسكة في جميع البلاد الصالح نجم الدين، كما تقرر أن يفرج الصالح إسماعيل عن المغيث بن الصالح نجم الدين المعتقل في دمشق ومن معه، " وتكون بعض بلاد الناصر داود الصالح إسماعيل ، وبعضها لصاحب مصر، ويخرج البلاد كلها من يده" (٥). وسرعان ما نقض الصالح إسماعيل هذا الاتفاق لوقوع كتاب في يد الصالح إسماعيل من الصالح نجم الدين كان موجها إلى الخوارزمية يطلب فيه منهم مساعدته ضد الصالح

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٢٦٧. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٠٣. عاشور،الجهاد، ص٣٤٥.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٦٩-٢٧١. ابن الوردي، تاريخ، ج٦، ص١٦٩. الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٣٥. علي، دراسات، ص١٦٨. طقوش، تاريخ، ص٣٥٧-٣٥٨.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٧١. أبو الفداء،المختصر،ج٣، ص٢٠٣.ابن تغري بردي، النجوم،ج٦، ص٢٨٣. طقوش، تاريخ، ص٣٥٨. علي، دراسات، ص١٦٩. غوانمة، إمارة، ص٢٦٢ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٠٠-٣٠١ . وانظر: صيدم، جهاد، ص٤٠ . طقوش، تاريخ، ص٣٥٨.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٢٧-٣٢٨ . الذهبي، دول، ج٢، ص١٤٤. صيدم، جهاد، ص٤٢ .

إسماعيل، وجاء في الكتاب أنه صالح عمه الصالح إسماعيل "ليخلص ابنه المغيث من يده، وأنه باق على عداوته، ولابد من قصده وأخذ دمشق منه"([1]).

وقال ابن واصل: " وردَّ الملك الصالح إسماعيل الملك المغيث إلى الاعتقال، وأبطل الخطبة، ورجع الأمر إلى ما كان عليه من الاختلاف"([2]).

وتطورت أمور الدولة الأيوبية بعد أن دانت كل الممالك إلى الصالح نجم الدين، حيث حارب الصالح نجم الدين المناوئين له من الأيوبيين أمثال: الملك المنصور صاحب حمص، والملك الناصر داود، والملك الصالح إسماعيل، وأنصارهم من الفرنج، وحقق النصر الساحق على الفرنج في ظاهر غزة([3])، وكذلك النصر في طبرية وعسقلان([4])، كذلك تم الاستيلاء على دمشق مرة ثانية، حيث استغاث الصالح إسماعيل بالخليفة المستعصم دون إجابة([5])، فطلب الأمان، على أن يأخذ الصالح إسماعيل بعلبك وبصرى وأعمالها وجميع بلاد السواد، وللمنصور إبراهيم حمص، وتدمر، والرحبة([6]) .

وقد تم استيلاء السلطان الصالح نجم الدين على بعلبك([7])، وتم استيلاء الملك الصالح نجم الدين على أملاك الناصر داود، حيث طلب بعدها الأمان([8])، مما جعل صاحب حمص يطلب الأمان، ويدخل في طاعة الصالح نجم الدين([9]).

وبدأت الدولة الأيوبية تأخذ طريقها نحو الوحدة تحت سلطنة الصالح نجم الدين، وخاصة بعد وصول الناصر داود إلى دمشق، ودخوله في طاعة الصالح نجم الدين(١٠).

ثانياً: موقف ابن واصل من السياسة الخارجية لخلفاء العادل:

١- علاقتهم مع الدولة العباسية:

بين ابن واصل أن ملوك بني أيوب كانوا يقومون بُكل واجباتهم المعنوية تجاه منصب الخليفة، وكان ملوك بني أيوب يُجدِّدون الولاء للخُلفاء العباسيين عبر أداء قسم الولاء أو ما كان يعرف بالتحليف(١١)، ولم تنقطع الرّسل بين ملوك بني أيوب وبين ديوان الخلافة، فكان يندر أن يخلو عام من

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٣٣١. ابن تغري بردي،النجوم، ج٦، ص٢٨٤. وانظر: صيدم، جهاد، ص٤٤ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٣١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٨٥. وانظر: صيدم، جهاد، ص٤٤ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٣٨-٣٣٩. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٤٦ . ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٤٨. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٠.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٠، ص٣٧٨ . ابن العميد، أخبار، ص٣٦. ابن شداد الحلبي، الأعلاق، ج٢، ص١٣٤. العريني، مصر، ص١٣٨. الدويكات، إقطاعية، ص٢٤٥. عبد الهادي، عسقلان، ص٣٤٧.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤١. أبو الفداء،المختصر،ج٣، ص٢١١.ابن تغري بردي، النجوم،ج٦، ص٣٠٧.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٤٨. ابن العميد، أخبار، ص٣٣. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢١١. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٣. عاشور، الحركة، ج٢، ص٨٢٧.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٦١ .

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٦٤. ابن العميد، أخبار، ص٣٥. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٨.

(٩) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٦٤. ابن العميد، أخبار، ص٣٥. المقريزي، السلوك، ةج١، ص٤٢٨.

(١٠) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٨٠؛ ج٥، ص٣٥٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٧.

(١١) المصدر نفسه، مفرج، ج٣،ص١٨٠؛ج٥، ص٣٥٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٨٤.

رُسُل تتردَّد برسائل وغيرها منذ أيَّام العادل، فقد أرسل العادل إلى الخليفة الناصر عام(٦١٤هـ/١٢١٧م)، وعاد جوابها مع الشيخ صدر الدين بن حموية(١) . ومن ذلك التشريف أو خلعة التشريف، وهو جُبَّة أو عباءة بلون أسود، لذلك قد يُسمى التشريف الأسود، والسواد هو شعار بني العبّاس . وكانت "خلعة التشريف مُذهَّبة عادة، وتسمَّى التشريف الإمامي، ... فهي تشريف من الإمام، أيْ الخليفة العَّباسي للشخص المُرسَل إليه. وكان رسول الخليفة يقوم بوضع التشريف على أكتاف المُرسَل إليه، بعد قراءة التقليد فيلبسه، ويسير به في شوارع بلده أو بين خواصَّه(٢)، وفي عام (٦٠٤هـ / ١٢٠٨م)، وصل تشريف من الخليفة النّاصر إلى السُّلطان العادل، وإلى أولاده ووزيره، " ولما قارب الشيخ شهاب الدين دمشق تقدم العادل إلى العساكر. بلقائه، فلقيه أول العسكر بالغسولة، ولقيه من القصر العادل، وولداه : الأشرف، والمُعَظِّمْ، وغلقت الأسواق، وكان يوماً مشهوداً..."(٣).

أ- الملك المُعَظِّمْ عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م):

أشار ابن واصل أن بعد وفاة الخليفة الناصر(٦٢٤هـ/١٢٢٦) ولي الخلافة من بعده ابنه عدة الدين أبي نصر محمد، الملقب الظاهر بأمر الله (١٤ رجب سنة ٦٢٣هـ/ ١١ يوليه سنة ١٢٢٦م)، حيث توجه رسول الخليفة الجديد محيي الدين إلى دمشق وألبس المُعَظِّمْ خلعة الخلافة. وقد أرسل معه رسالة للمُعَظِّمْ، يطلب منه فيها الرجوع عن موالاته لجلال الدين الخوارزمي باعتباره خارجاً عن الطاعة بتهديده الخلافة العباسية في بغداد. واعتذر المُعَظِّمْ عن ذلك للخوف من أخويه، ولعدم قدرة الخلافة تقديم المساعدة الفعالة لحمايته(٤). ويبدو من سياسة المُعَظِّمْ هذه إحداث نوع من التوازن السياسي في الخارج والذي يمثله الخليفة العباسي، والتوازن الداخلي، والذي يمثله شئون دولته، والحفاظ على أركانها؛ لأن المُعَظِّمْ لا يعول على مساعدة الخلافة كثيراً، لوجود ضعف عسكري واقتصادي، يصعب تقديم الدعم للمُعَظِّمْ وقت الضرورة والحاجة(٥). وبعد وفاة المُعَظِّمْ(٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) ولي الحكم من بعده ابنه الناصر داود، وفي عهده جرى استيحاش من عمه الكامل له، إثر تخاذله في نصرته لبلاد الروم، أمر الكامل بتطليق زوجته منه، وهي عاشوراء ابنة الكامل، وحصل التطليق؛ فلجأ الناصر إلى الخليفة العباسي، وتم مراده في الإصلاح بينه وبين عمه الكامل، وتم إنشاء عقد جديد للزواج من ابنته عاشوراء(٦). وكان ابن واصل معاصراً لتلك الأحداث، حيث كان ملازماً الناصر داود: " وسافرت أنا

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٨٠؛ ج٥، ص٣٥٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٠٨ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج،ج٣، ص١٨٠؛ج٥، ص٣٥٠. المقريزي، السلوك،ج١، ص٤٢٥. وانظر: الصابيء، رسوم، ص٩٣ . الحايك، العلاقات ، ج١، ص٣١٥ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨١. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٨٤.عاشور، ظل الخلافة، ص٦٩-٧٤ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٧٥-١٧٦ . الدواداري، الدر المطلوب، ج٧، ص٢٨٠-٢٨١. أبو شامة ، الروضتين، ج١، ص١٤٧-١٤٨. ابن كثير ، البداية، ج١٣، ص١٢١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٣٤ . وانظر: كاهن، تاريخ العرب، ص١٤٢-١٤٥ . محمد الخضري بك، الدولة العباسية، ص٤٣٦، ٤٤٥.

(٥) ابن واصل ، مفرج، ج٤، ص١٧٥-١٧٦ . كاهن، تاريخ العرب، ص١٤٢-٤٥ . شاهين، المُعَظِّمْ، ص١٣٧ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٢٥-١٢٧-١٧٦ .

من حماة لأهنئ الناصر بقدومه فاجتمعت به، وهو داخل من قصره إلى خدمة عمه الكامل، ولازمت خدمته إلى أن سافر إلى الكرك فسافرت معه، وأقمت عنده بالكرك إلى أن دخلت سنة – (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)– ثم سافرت من خدمته ورجعت إلى حماة. وكان رحمه الله يؤثر مقامي عنده؛ لكني آثرت المقام بالوطن"([1]). وأشار ابن واصل أن الخليفة لَقَّبَ الناصر "الولي المهاجر"، وأمر الناصر خطباء بلاده أن يذكروا في الدعاء له اللقب الذي شرفه الخليفة به. ولما سافر الناصر للكرك سافر رسول الخليفة معه ليلبسه الخلعة، ويتأكد بذلك أمره. وضُربت البشائر بالكرك سروراً بذلك. ثم خلع على رسول الخليفة وأعطاه شيئاً كثيراً، ورجع إلى بغداد، وأقام الناصر بالكرك مطمئناً آمناً لانتسابه إلى الخليفة"([2]). وفي عهد الخليفة المستنصر بالله حاول الإصلاح بين الصالح إسماعيل، والناصر داود، والعادل الثاني، حيث كان هؤلاء هم أرباب الحكم في ذلك الوقت(٦٣٧هـ/١٢٤٠م)؛ ولكن محاولاته فشلت؛ " لأن الناصر كان لا يرضيه إلا أن ترد دمشق إليه"([3]).

ب- الملك الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م):

وفي عهد الخليفة الناصر لدين الله (٦٢٤هـ/١٢٢٦) بلغ المغول والتتار مبلغهم، وخرجوا إلى البلاد الإسلامية، ووصلوا إربل في سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م)؛ ولكنهم هابوا الهجوم عليها، لخوفهم أن تجتمع الجنود عليهم من العراق وغيرها، وأشار إلى ذلك ابن واصل: " فإنهم ربما عدلوا عن جبال إربل لصعوبتها إلى هذه الناحية...وأرسل الخليفة إلى الأشرف يأمره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر"([4]). وورد كتاب من الخليفة الإمام الناصر لدين الله إلى الأشرف وهو بالرقة، بعدما أتى من الديار المصرية، حيث تم تحرير دمياط من الفرنج، "يأمر فيه بإقامة الخطبة بولاية العهد لابنه عدة الدين أبي نصر محمد، وهو الذي ولي الخلافة بعده ولقب الظاهر بأمر الله"([5])، وهذه المرة الثانية التي يأمر فيها للظاهر بولاية العهد، حيث تم عزله سابقاً، وتولية ولده الأصغر أبي الحسن علي لميل الخليفة لأهله؛ ولكن الأجل جاءه في سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م)، وألجأت الضرورة لتعيين الظاهر مرة أخرى، "وتقدم إلى الملوك بإعادة الخطبة له بولاية العهد"([6]). وبعث الخليفة العباسي الجديد الظاهر بأمر الله ، مبعوثاً عنه، وهو: محيي الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي،

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص١١٠-١١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، مفرج، ج٥، ص١١٢-١١٣ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٤٨ ، ٢٥٣. وانظر: علي، دراسات، ص١٦٤. صيدم، جهاد، ص٣١ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٤٩. وانظر: محمد الخضري بك، الدولة العباسية، ص٤٤٢ .

(٥) بويع بالخلافة بعد أبيه، واستمر خليفة إلى (١٤ رجب سنة ٦٢٣هـ/ ١١ يوليو ١٢٢٦م). فكانت خلافته تسعة أشهر و١٤ يوماً. انظر: ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٧١، ص١٩١ .الخضري، الدولة العباسية، ص٤٤٥ .

(٦) ابن واصل ، مفرج، ج٤، ص١٠٦. وانظر: الخضري ، الدولة العباسية، ص٤٤٥ -٤٤٦.

ومعه التشريفات لملوك بني أيوب، " فوصل أولاً إلى الأشرف وأفاض عليه الخلع الأمامية الظاهرية ... "([1]).

ج- الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/ ١٠ مارس ١٢٣٧م):

في عهد الخليفة الناصر لدين الله(٦٢٤هـ/١٢٢٦) تم إكرام الملك العادل وولديه الأشرف والمُعَظِّمْ من قبل رسول الخليفة، وتوجه رسول الخليفة إلى مصر: " فخلع على الكامل ناصر الدين محمد بن العادل، وجرى بمصر نظير ما جرى بدمشق من الزينة وإعظام رسول الخليفة، وركوب الكامل بالتشريف الأمامي" ([2]). وفي سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م)، اعتذر الملك الكامل من الخليفة، وذلك لسوء تصرف بدر من ابنه المسعود عندما حج، وخاصة في يوم عرفة، حيث رفع أعلام والده الكامل، ومنع أعلام الخليفة أن ترفع، فراسل الخليفة الكامل فوقع الاعتذار عنه، فقبل الخليفة العذر"([3]) . وبعد وفاة الخليفة الناصر، ولي من بعده الخليفة الظاهر بأمر الله، حيث بعث مبعوثاً عنه، وهو: ابن الجوزي، فألبس الكامل خلعة الخلافة المكملة أيضاً بالطوق الذهب، والمركوب السني، وركب بذلك ثم رجع محيي الدين بن الجوزي إلى العراق"([4]). واستمرت علاقة الخلافة العباسية بأحفاد العادل، وذلك إثر الاستياء الذي بدر من الكامل من ابن أخيه المُعَظِّمْ الناصر، وأمره الكامل بتطليق ابنته عاشوراء من الناصر، وذلك مما بدر من الناصر في تخاذله وتناصحه في غزو بلاد الروم، وفشل حينها الكامل من دخول بلاد الروم([5]). فحدا ب الناصر داود ابن المُعَظِّمْ اللجوء إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله رحمه الله([6]). وكان مع الناصر قضاة، وشيوخ، وبعض خواصه من مماليكه، وألزامه، ولما قرب من بغداد أمر الخليفة المستنصر بالله بتلقيه وإكرامه ([7]). وتجددت الأحداث، حيث توفى الكامل(٦٣٥هـ/١٢٣٧م)، وولي خلفاً له العادل الصغير، وولي الصالح نجم الدين البلاد الشرقية، وتطورت الأمور، حيث أخذ الصالح نجم الدين دمشق، فقامت النزاعات بينهما، ومعهم الناصر داود، فحاول الخليفة العباسي المستنصر بالله الإصلاح بين الأخوين؛ العادل الثاني والصالح نجم الدين، وأرسل الخليفة العباسي المستنصر بالله من أجل تلك المهمة محيي الدين ابن الجوزي رسولاً إلى الصالح نجم الدين، حيث حاول الخليفة العباسي إرضاء جميع الأطراف على أساس أن تكون دمشق وبلادها التي كانت مضافة إليها زمن الأشرف بن العادل إلى الصالح نجم الدين، ويرد إلى الناصر داود ما أخذ منه من البلاد، وتكون الديار المصرية للعادل الثاني، وكادت المصالحة أن تتم لولا تطور الأحداث، والتي تسبب بها الصالح إسماعيل صاحب

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص١٧٥-١٧٦ . الدواداري، الدر المطلوب، ج٧، ص٢٨٠-٢٨١. أبو شامة ، الروضتين، ج١، ص١٤٧-١٤٨. ابن كثير ، البداية، ج١٣، ص١٢١. كاهن، تاريخ العرب، ص١٤٢-١٤٥ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٢. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٨٤ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٢٤-١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٧٥-١٧٦ . وانظر: كاهن، تاريخ العرب، ص١٤٢-١٤٥ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٨٢-٨٣، ص٨٧.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٩٧-١٩٩؛ج٥، ص١٠٠. وانظر: محمد الخضري بك،الدولة العباسية، ص٤٤٧.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٠٠-١١٢ .

بعلبك الطامع قي دمشق([1]). ووافت المنية الخليفة المستنصر بالله في(٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، وولي الخلافة من بعده ولده المستعصم بالله، "واستبد بتدبير الخلافة أرباب دولتـــــــــــــــه"، وكان المستعصم متديناً متمسكاً بمذهب السنة والجماعة، على ما كان عليه أبوه وجده الظاهر رحمهم الله أجمعين([2]). وقد وصل التقليد والتشريف من الخليفة المستعصم بالله إلى الصالح نجم الدين أيوب، حيث أرسل الصالح نجم الدين "يلتمس التقليد بالديار المصرية والشام والشرق، والتشريف الأمامي"، وهو مخيم بالعباسة، حيث كان ابن واصل حاضراً المشهد: " وحضر الرسول في الدهليز السلطاني، وكنت يومئذ حاضراً فقرئ التقليد على الناس. ثم لبس السلطان –الصالح نجم الدين– التشريف الأسود المذهب، والعمامة، والجبة، والطوق الذهب. وركب المركوب الذي قدم له بالحلية الذهب، وكان يوماً مشهودا"([3]).

٢- علاقتهم مع الدولة الخوارزمية : أشرنا سابقاً إلى علاقة الأيوبيين بالخوارزميين([4]).

يرجع تاريخ العلاقة بين الدولة الأيوبية والدولة الخوارزمية إلى (٦١٥هـ/١٢٢٨م)، لوصول رسول خوارزم شاه إلى العادل وهو بمرج الصفر، وانشغل الطرفان: الأيوبي، والخوارزمي بشئونه الداخلية، وبصد المغول من جانب الخوارزمية([5]).

أ- المُعَظِّمْ عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م):

أراد المُعَظِّمْ عيسى أن يقف في وجه أخويه الكامل، والأشرف من خلال الاستعانة بالخوارزميين ، ففي سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) عرض المُعَظِّمْ على جلال الدين الخوارزمي التحالف معه على الأشرف، ووافق على ذلك([6]). ولتوثيق أواصر العلاقة بشكل قوي، عزم المُعَظِّمْ على تزويج ابنته الكبرى من جلال الدين الخوارزمي([7]).

وقد أثار تحالف المُعَظِّمْ مع الخوارزميين مخاوف أخويه، فاتجه الأشرف سنة(٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، إلى المُعَظِّمْ، على أساس مغادرة الخوارزمي من خلاط، فاستجاب له بعد حصار أربعين يوماً (٨).

ولم يكن هذا التحالف مطلقاً، وهذا ما لوحظ عندما أرسل الخوارزمي للمعظم يطلب منه مساعدته في محاربة الخليفة العباسي، متهماً الخليفة بأنه هو الذي حرض المغول على مهاجمة الدولة الخوارزمية،

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢١٦-٢١٩ . وانظر: أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠٠ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣١٥، ٣٢١ . وانظر: محمد الخضري بك، الدولة العباسية، ص٤٤٩ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٥١-٣٥٢ . وانظر: الذهبي، دول، ج٢، ص١٤٩.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٦٣، ص٢٤٠ ؛ ج٥، ص١٣٣-١٣٥ . ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٥٩٣. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٠٩- ١١٠. العبود، الدولة الخوارزمية، ص١٥٢. التكريتي، الأيوبيون، ص٢٨٨ .

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٦٣، ص٢٤٠ ؛ ج٥، ص١٣٣-١٣٥ . ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٥٩٣.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠٤ . ابن الجوزي، مرآة ، ج٨، ص٦٢٣ . زيان، الصراع، ص١١٥، ص١١٧.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠٤ . وانظر: ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٦٢٣ . الدواداري، الدر المطلوب،ج٧،، ص٢٦٦-٢٦٧، ص٢٨١ . حسين، أربيل، ص٧١.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٨٠. وانظر: الدواداري، الدر المطلوب، ص٢٨١. الحموي، التاريخ المنصوري، ص١٢٦-٢٧ . ابن العديم، زبدة، ج٣، ص١٩٨-١٩٩. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٣٦ .

فما كان من المُعَظِّمْ أن رفض ذلك في حزم قائلاً: " أنا معك على كل أحد إلا الخليفة فإنه إمام المسلمين" (١)، وفي هذا دلالة على حرص المُعَظِّمْ على الدين الإسلامي، والمسلمين، بحيث اعتبر مهاجمة الخليفة من المحرمات، وهذا مقياس الصلاح والخير اللذين جبل عليهما المُعَظِّمْ(٢).

وبعد وفاة المُعَظِّمْ في سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) تولى خلفاً له الناصر داود، فقد أصبحت أطماع الكامل والأشرف في السيطرة على دمشق، فما كان من الناصر إلى أن سير" الشيخ شمس الدين الخسرو شاهي رسولاً إلى السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه، يعلمه أن أعمامه إنما قصدوه لانتمائه هو وأبيه إليه، ويحثه بمعاجلة النزول على خلاط ومضايقتها، ليشتغل سر الأشرف وليندفع عنه سره. فلما وصل شمس الدين إلى جلال الدين بهذه الرسالة اهتم لقصد خلاط ، وحصارها"(٣).

ب- الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م):

حاصر جلال الدين الخوارزمي خلاط التابعة للأشرف في سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، فقدم الأشرف مودته للمعظم، وقال له:" نحن مماليكك ومن أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أنت"، فكتب المُعَظِّمْ إلى الخوارزمي رفع الحصار عن خلاط، التي أقام عليها أربعين يوماً، فأجابه الخوارزمي إلى طلبه"(٤). واستولت عساكر الأشرف على بعض بلاد جلال الدين الخوارزمي، حيث " كانت ابنة السلطان طغرل مزوجة بمظفر الدين أزبك بن البهلوان، وكانت في أيام أزبك متحكمة في البلاد، وليس له معها حكم(٥). فلما تزوجها جلال الدين، أعرض عنها، ولم يلتفت إليها، فخافته مع ما فاتها من الحكم في البلاد، ونفوذ الكلمة، فأرسلت هي وأهل خُوى إلى الأمير حسام الدين على الحاجب، نائب الأشرف بخلاط، يستدعونه ليسلموا البلاد إليه، فسار في عساكر خلاط، واستولى على مدينة خوى، وسلماس، ومرند، وكاتبه أهل نقجوان، فمضى إليهم فسلموها إليه، وقويت شوكتهم بتلك البلاد، فلو أنهم أقاموا بها لاستمر ملكهم لها؛ لكنهم عادوا إلى خلاط، واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل. فلما رجعوا استرجع جلال الدين البلاد التي أُخذت منه، وأقامت زوجة جلال الدين بمدينة خلاط مكرمة محترمة"(٦).

ج- الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م):

بين ابن واصل علاقة الكامل بالخوارزمية، وذلك عندما اتجه إلى الشرق لفتح آمد، " تقدم إلى ولده الصالح بالمضي إلى الشرق، ليكون نائبه، وولي عهده في مملكتها، وترتب في الشرق نائباً عن أبيه

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٧٥-١٧٦.

(٢) الدواداري، الدر المطلوب، ص٢٦٩. ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٨، ص٦٣٤ . أبو شامة، الروضتين،ج١، ص١٤٤ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٤٠ . الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٩٤. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٣١ . علي، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، ص١٦٤ . بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص١٤٠-١٤١.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٨٠. الدواداري، الدر المطلوب، ص٢٨١.الحموي، التاريخ ، ص١٢٦-٢٧ . ابن العديم، زبدة، ج٣، ص١٩٨-١٩٩. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٤٨ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٣٦ .

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠٧-٢٠٨ . المقريزي، السلوك، ج١، ص١٤٦-١٤٨، ص٣٣٩، ص٣٦٠، ص٣٦٣، ص٣٩٠. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٢٦. صبرة، التاريخ السياسي، ص٣٠١-٣٠٤. العريني، المغول، ص٨٣، ، ص٩٢، ص١٢٧.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠٧-٢٠٨ . المقريزي، السلوك، ج١، ص١٤٦-١٤٨، ص٣٣٩، ص٣٦٠، ص٣٦٣، ص٣٩٠. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٢٦. صبرة، التاريخ السياسي، ص٣٠١-٣٠٤. العريني، المغول، ص٨٣، ، ص٩٢، ص١٢٧.

، ومعه الطواشي شمس الدين صواب العادلي، وبعد وفاة شمس الدين، سلمه أبوه حصن كيفا، وجعل له الحكم في البلاد. وجدير ذكره أن السلطان جلال الدين بن علاء الدين خوارزم شاه بعد كبس التتر له بالقرب من آمد، تفرقت وتشتت عساكره، فقصدوا جهة بلاد الروم ، فخدموا السلطان علاء الدين كيقباذ، حيث كانت عدتهم تزيد على اثنى عشر ألف فارس، وبعد وفاة كيقباذ، تولى الحكم بعده غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ، فقبض على بركة خان، وكان أكبر المقدمين فيهم، فهربت الخوارزمية من الروم، ونهبوا ما في طريقهم من بلاد الروم، وما قدروا عليه، وعبروا الفرات، فاستمالهم السلطان الصالح نجم الدين، بعد أخذ الإذن من والده، فاستخدمهم، وأقطعهم مواضع بالجزيرة، وتقوى بهم"(١). وعندما علمت الخوارزمية بوفاة الكامل (٦٣٥هـ/١٢٣٧م)، تمردت على نجم الدين صالح، وخرجوا عن طاعته، وحاولوا القبض عليه إلا أنه هرب إلى سنجار، واحتمى بها، وترك خزائنه وأثقاله، فانتهبها الخوارزمية، وتحكموا في البلاد الجزرية(٢).

وقد تعرض الصالح نجم الدين أيوب وهو بسنجار إلى محاصرة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فبعث الصالح نجم الدين القاضي بدر الدين السنجاري، قاضي سنجار إلى الخوارزمية، حيث استطاع القاضي بدر الدين من استمالة الخوارزمية من جديد إلى الصالح نجم الدين، بعد أن وعدهم بالعطاء، وأطمعهم في صاحب الموصل لقلة رجاله، وكثرة أمواله وخيوله، كذلك التزم الصالح نجم الدين بأن يعطيهم سنجار، وحران، والرها، فوافق الخوارزمية، وحلفوا للصالح نجم الدين، وتوجهوا إلى سنجار تحت قيادة ابنه المغيث، حيث استطاعوا إجلاء قوات الموصل عنها، وهزموا بدر الدين لؤلؤ، الذي هرب بمفرده على فرس سابق، ثم لحق به عسكره، "واحتوت الخوارزمية على أثقاله وخيمه وخيم العسكر، وجميع أثقالهم، ونهبوا منهم ما لا يحصى كثرة". وقد قام الصالح نجم الدين بتسيير الخوارزمية إلى آمد لمساندة ابنه توران شاه، الذي كان محاصراً من قبل قوات غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم، حيث استطاعوا هزيمة هذه القوات وإجلائها عن آمد(٣).

وقد عمل على الارتباط بالخوارزمية برباط قوي، ألا وهو رباط المصاهرة، فزوج أخته من أمه لمقدمهم الأمير حسام الدين بركة خان، كما أعطاه حران والرها ونصيبين(٤).

واستعان الملك الصالح نجم الدين مرة أخرى بالخوارزمية " يحثهم على القدوم إلى البلاد المصرية لنصرته على عمه" ، فهجموا على القدس، وقضوا على الفرنج ، ووصلوا غزة ، وكاتبوا الملك الصالح نجم الدين بقدومهم، فبعث إليهم عسكراً يتقدمهم ركن الدين بيبرس، وتجهز الطرف الآخر الصالح

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٣٤-١٣٥ . ابن العميد، أخبار، ص٢٢. المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٧٨. العريني، المماليك، ص٤٤. قاسم، الأيوبيين والمماليك، ص١٢٢ . عثامنة، فلسطين ، ص١٥٠ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٧٨-١٧٩. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٢٧. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٩٨. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٦٦ . ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٣٥ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٨٠، ص٣٨٤. العريني، المماليك، ص٤٤. قاسم، الأيوبيين والمماليك، ص١٢٢.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٨٦-١٩٠. ابن كثير، البداية،ج١٣، ص١٣٥.المقريزي،السلوك، ج١، ص٣٨٥.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٩٧ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٩١. صيدم، جهاد، ص٦١.

إسماعيل، والناصر داود، والمنصور صاحب حمص، والفرنج، " ووقع المصاف بين الفريقين بظاهر غزة، فكُسر الملك المنصور ومن معه كسرة عظيمة"(١). وخرجت الخوارزمية عن طوع الملك الصالح نجم، وذلك لعدم إجزال العطاء لهم فيما قدموه للملك الصالح نجم الدين، " فاعتقدوا ...أنهم قد استحقوا أن يقاسمهم البلاد، ويمكنهم من الاستيلاء على أكثرها، وأنه يكون لهم أخباز عظيمة بالديار المصرية". ويبدو الصالح نجم الدين لم يف بوعوده للخوارزمية؛ لأنه يعرفهم جيداً، ومن سوء سلوكهم، وأعمالهم التخريبية في البلاد، كل ذلك دفع الصالح نجم الدين في أن يعيد النظر في مكافأتهم؛ بل عمل على كبح جماحهم(٢).

واتفقت الخوارزمية مع الصالح عماد الدين ضد الملك الصالح نجم الدين، فنازلوا دمشق، وحاصروها مدة ثلاثة شهور،" واشتد بها الغلاء اشتداداً لم يعهد في الأعمار مثله، حتى أنه بلغ سعر الغرارة من القمح ألف درهم وستمائة درهم، وهذا سعر لم يسمع بنظيره في عصر من العصور في بلد من البلاد. وهلك عالم من أهل دمشق بالجوع والوباء" ؛ قال ابن واصل: " ومن أعجب ما سمعت أن إنساناً كانت له دار تساوي عشرة آلاف درهم، عرضها للبيع فلم تزد على ألف وخمسمائة درهم، فاشترى بها غرارة واحدة من القمح بعشرة آلاف درهم. ومات شخص في الحبس، فأكل لحمه أهل الحبس، وكان يباع حب الخرنوب بالميزان ويشترى به، ويتقوت به"(٣). ولما وجد الصالح نجم الدين الخطر من حلف الخوارزمية والصالح عماد الدين لجأ إلى الحيلة لتكوين حلف مضاد للقضاء عليهم، فاستمال إليه الحلبيين، واستمال إليه الملك المنصور صاحب حمص، فكان الاستعداد لملاقاة الخوارزمية ومن اتفق معهم" (٤). ولما علمت الخوارزمية بما يدبر، " أفرجت الخوارزمية عن دمشق لما علموا ذلك، ومعهم الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وتقدموا إلى جهة الملك المنصور ومن معه من العساكر"، وفي أول سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)،" وقع المصاف بين الملك المنصور صاحب حمص وعسكر حلب، وبين الخوارزمية على القصب، وهي منزلة قبلي حمص على مرحلة منها، فانهزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تبدد شملهم، وانقطع دابرهم، فلم تقم لهم بعدها قائمة "(٥). وهكذا تمكن الصالح نجم الدين من إعادة الوحدة السياسية مرة أخرى للدولة الأيوبية في مصر والشام.

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٣٣٦-٣٣٨ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠٩. رنسيمان، تاريخ، ج٣، ص٣٩٤-٣٩٥. الدباغ، الموجز، ص١٢. وانظر: صيدم، جهاد، ص٦٦-٦٧.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٥٠ . ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٨٧. جنيدي، الثورات، ص١٥٠. بيطار، تاريخ، ص١٩٥. وانظر: صيدم، جهاد، ص٦٨ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٥٢-٣٥٣ . ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٥٠. الحنبلي، شفاء، ص٣٣٨. وانظر: حسين، تاريخ، ص١٢٤. عاشور، الحركة، ج٢، ص٨٢٨. عثامنة، فلسطين، ص١٥٢. جنيدي، الثورات، ١٥١.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٥٣-٣٥٤. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٦٠. الذهبي، دول، ج٢، ص١٥٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٤-٤٢٥ . عاشور، الحركة، ج٢، ص٨٢٨؛ الأيوبيون، ص١٣٦.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٥٨-٣٥٩. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢١٢. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٥١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٨٨. المقريزي، السلوك،ج١، ص٤٢٧.غوانمة، إمارة، ص٢٧٢.زيادة، حملة، ص٧٩.

٣- علاقتهم بسلاجقة الروم:

أ- المُعَظِّمْ عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م): تعود جذور العلاقة بين سلاجقة الروم وبين ملوك الأيوبيين إلى زمن الناصر صلاح الدين، حيث كانت علاقة المُعَظِّمْ عيسى بسلطان السلاجقة علاقة حميدة ، وذلك بقيام المُعَظِّمْ بتزويج شقيقته من السلطان علاء الدين كيقباذ " وكان أخوها المُعَظِّمْ صاحب دمشق زوَّجها من علاء الدين كيقباذ"، حيث توطدت العلاقات بين الجانبين(١). وجدير ذكره أن السلطان كيقباذ حاول الإصلاح بين المُعَظِّمْ والأشرف، فقام سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) بإرسال رسائل إلى كل من المُعَظِّمْ عيسى و الكامل، غير أن المُعَظِّمْ رفض مقابلة الرسول الذي أرسله علاء الدين، ويبدو أن هذا الرفض كان من سببه العلاقة الممتازة التي بدأت تنشأ بين المُعَظِّمْ عيسى وجلال الدين الخوارزمي، حيث كان هذا الأخير على علاقة سيئة كيقباذ(٢).

ب- الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م):

كانت للملك الأشرف علاقات مع سلاجقة الروم، فقد استنجد عز الدين كيكاوس بالأشرف على "عمه طغرل شاه بن قلج أرسلان صاحب أرزن الروم، وقد حاصره بسيواس، وضيق عليه، واستعان على حصاره بابن لاون... فخاف صاحب أرزن الروم من الأشرف، ورحل عن سيواس إلى بلاده، فأخرج عن عز الدين ضيق الخناق"(٣). وكان عز الدين كيكاوس لئيماً، حيث تحالف مع الأفضل لأخذ حلب، وقصد " بلاد الشرق التي بيد الأشرف، مثل: حران ، والرها، وغيرها، وخاف الأتابك شهاب الدين طغريل أن يسلم أهل حلب البلد إلى الأفضل لميله إليه، فكتب إلى الأشرف يستدعيه لإنجاد ابن أخته العزيز، ووصله رسول الأتابك، وهو على استعداد لمواجهة الفرنج في دمياط، فسارع إلى النجدة، ووصل إلى حلب فنزل ظاهرها"(٤). " وكان قصد عز الدين نفسه، وإنما جعل الأفضل ذريعة لتحصيل غرضه "(٥). فكانت المنازلة بين الأشرف وكيكاوس، وَهَزَمَهُ شَرَّ هزيمة، " ولما بلغ عز الدين ذلك وهو بمنبج ولَّى منهزماً، وقد ملأ الرعب قلبه، ورحل الأشرف متبعاً له، يتخطف أطراف عسكره، حتى وصل إلى تل باشر، فحاصرها وافتتحها، وكان بها جماعة من عسكر عز الدين، فمن عليهم الأشرف، وأطلقهم، وأما عز الدين فإنه طوى المراحل هارباً لا يلوي على شيء؛ بل مر على وجهه خائفاً يترقب، ولما وصل إلى أطراف بلاده أقام بها. ولما وصل إليه العسكر الذين كانوا بتل باشر جعلهم في دار، وأمر بأن تحرق عليهم، فاحترقوا عن آخرهم، فلم يمهله الله تعالى، وعجَّل عقوبته، وأهلكه لسوء فعلته . وصار بعده إلى أخيه الذي كان في حبسه، وهو علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو" (٦). هكذا جزاء من تجبر وظلم من

---

(١) ابن واصل ، مفرج، ج٥، ص١٨٤. ابن الفرات، تاريخ، ج٦، لوحة ٤٣٤-٤٣٥. شاهين، المُعَظِّمْ، ص١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠٣ . وانظر: الحموي، التاريخ المنصوري، ص١٢١.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢١٧ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٦٣-٢٦٥ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٦٦.

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

الكفار، قال تعالى: " اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّـورِ وَالَّـذِينَ كَفَـرُواْ أَوْلِيَـآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة: ٢٥٧). وفي سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) توجه الأشرف إلى الشرق وكان السبب في ذلك:" أنه بعدما تقرر الصلح بين صاحب إربل، وبدر الدين لؤلؤ، تسلم عماد الدين زنكي قلعة كواشي بتسليم أهلها إليه، فأرسل بدر الدين لؤلؤ إلى مظفر الدين يذكره بالعهود والإيمان، ويطلب منه إعادة كواشي، فلم تقع الإجابة إلى ذلك. فأرسل حينئذ بدر الدين إلى الأشرف وهو بحلب يستنجد به، فلذلك توجه إلى الشرق، وأقام بحران"([1]).

وبين ابن واصل" ولما ملك الأشرف سنجار سار يريد الموصل، ووصلها في (١٩جمادى الأولى من سنة ٦١٧هـ/٢١ يوليو١٢٢٠م)، ووردت رسل الخليفة الناصر لدين الله ومظفر الدين بن زين الدين كوكبوري في الصلح، وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها إلى بدر الدين لؤلؤ ما عدا العمادية، فإنها تبقى في يد عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه، فوقع الاتفاق لأجل التفرغ لمحاربة الفرنج، ودفعهم عن الديار المصرية"([2]). وفي سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) انكسر معسكر الكامل في غزوه لبلاد الروم حيث "استولى سلطان الروم كيقباذ بعد مغادرتهم لبلاد الروم على خلاط وبلادها، وانتزعها من أيدي نواب الأشرف"، رداً على فعلة ملوك الأيوبيين بقيادة الأشرف والكامل ضد بلاده([3]).

ج- الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م): كانت علاقة الملك الكامل وسلاجقة الروم غالبها القتال ، فلما انكسر معسكر الكامل في غزوه لبلاد الروم، توجه مرة أخرى لانتزاعها من صاحبها السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو في سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م)، والسبب في ذلك، أن كيقباذ " قصد ولاية خلاط وتعرض لأخذها، فخرج السلطان الكامل من مصر في عساكره المتوافرة، ثم رحل من دمشق بالعساكر العظيمة قاصداً بلاد الروم، فنزل شمالي سلمية"([4]). وقال ابن واصل: "واجتمعت ب الناصر في تلك المنزلة، فأخذت منه دستوراً لأقيم بوطني، وفارقته في تلك المنزلة على كره منه لذلك. وشاهدت من عظمة العساكر وكثرتها يومئذ ما غلب على ظني أنه لم يجتمع مثله في الأعصار القريبة منا لملك من الملوك. وكان نزول العساكر بسلمية في شهر رمضان من سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م)، ووصلت أنا إلى حماه" ([5]).

وسار مع الكامل عددٌ كبيرٌ من الملوك في قصد بلاد الروم، وانتزاعها من صاحبها عقاباً له، ويبدو أن الكامل كان يرسم مخططاً، وهو إبعاد الملوك عن مناطقهم، وخاصة الشام، للسيطرة عليها، وتوزيع بلاد الروم عليهم في حال أخذها ([6]).

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٣١ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٧٥-٧٦.

(٣) ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، مفرج ، ج٥، ص٧٤ .

(٥) المصدر نفسه ، مفرج ، ج٥، ص٧٤-٧٥ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج ،ج٥، ص٧٥ .

وقد ذكر ابن واصل : " أنه كان في معسكر الكامل ستة عشر دهليزاً لستة عشر ملكاً، لم يجتمع مثلهم لملك قبل الكامل، وبالجملة فكان عسكراً عظيماً في كثرة رجاله وملوكه وتجملهم". وفي المعسكر الآخر: " سير السلطان علاء الدين كيقباذ صاحب بلاد الروم لما تحقق قصد الكامل لبلاد الروم إلى العزيز صاحب حلب بأن لا ينزل إليه، ووافق السلطانان على ذلك([1]) .

وقد واجه السلطان الكامل تحصينات قوية من ملك الروم حالت دون أخذ شبر من الأراضي؛ ونمى للملك الأشرف والمجاهد صاحب حمص أن الكامل ذكر في الباطن إن مَلَكَ بلاد الروم نَقَلَ الملوك من أهل بيته إليها ، وفرقها عليهم، وانفرد هو بملك الشام والديار المصرية. وتم إبلاغ الملوك بما عزم عليه الكامل، فتغيرت نوايا الملوك، وتخاذلوا ولم ينصحوا ([2]).

ولما أحس الكامل بتخاذلهم، وكثر الغلاء، وعزت الأقوات، وامتناع الدربند بمن عليه من الرجال، رحل الكامل بالعساكر إلى بهسنا، وجهز بعض الأمراء إلى حصن منصور فهدموه، ووصل إلى خدمته صاحب خرتبرت([3])، ودخل في طاعته، وأشار إليه بدخول بلاد الروم من جهة خرتبرت. وحاول الكامل من خلال عسكر المظفر صاحب حماة ، والأمير شمس الدين صواب العادلي التوجه صوب خرتبرت، فوصلوا إليها؛ ولكن بدون خيم، وبعدها نشب القتال بين عسكر كيقباذ وعسكر الكامل، وسيطر عليه كيقباذ، وأحدقوا بقلعة خرتبرت، ونصبوا عليها تسعة عشر منجنيقاً، حيث حوصر معسكر الكامل أربعة وعشرين يوماً، فأخرج المظفر الكثير ممن معه، وضاقت الأمور عليهم، وقلت الذخائر، فكانت المصلحة طلب الأمان من سلطان الروم، فأجاب إلى ذلك. ودخل في الأمان صاحب خرتبرت، فأمنهم علاء الدين على أنفسهم، وأموالهم، وأصحابهم، وحلف لهم على ذلك، وعوض كيقباذ صاحب خرتبرت بإقطاعاً يقوم به، " ورحل معه إلى بلده فأقام عنده إلى أن مات"([4]). ورحل المظفر من معسكر كيقباذ وبمن معه من العسكر الكاملي، فوصل السلطان الكامل، وهو نازل بالسويداء، فعظم فرحه، "واشتد سروره بسلامته"([5]). وعاد الكامل لبلاده لخروج الصيف وإقبال فصل الشتاء([6]).

وتملك الغيظ عند الملك الكامل من سلطان الروم الذي استولى على حران والرها، مما دفع الكامل في سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) للتوجه إلى الشرق بعساكره، "ونازلوا الرها، فسلمت إلى الكامل، ثم نزل حران فسلمت إليه، وقبض على أجناد علاء الدين كيقباذ الذين كانوا بحران والرها ونوابه، وأمر بتقييدهم وحملهم على الجمال، وأخذهم أسرى إلى مصر، واستقبح الناس ما فعله السلطان الكامل بهؤلاء؛

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٧٥-٧٦ .

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٧٦ -٨١ .

(٣) هو اسم أرمنيّ: وهو الحصن المعروف بحصن زياد الذي يجيء في أخبار بني حمدان في أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. ياقوت، معجم، ج٢، ص٣٥٥.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٧٧-٨١ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٨٢ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٩٨-٩٩ .

لأن هذه الفعلة لم تحصل من قبل في أهل بيته، وعاد السلطان الكامل إلى دمشق، بعد أن استرد ما فقده من بلاد حران والرها من سلطان الروم، وأقام فيها شهوراً، ورجع أخيراً إلى الديار المصرية"([1]).

وتجددت الأحداث مع سلاجقة الروم، حيث توفى الأشرف، والكامل في سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م)، وولي السلطنة من بعد الكامل الصالح نجم الدين أيوب، وجعل ابنه نائبه في البلاد الشرقية السلطان المُعَظِّمْ غياث الدين، حيث حاصرت عساكر الروم آمد في سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، ثم اتفقوا معه على ترك آمد بيده، ويسلموه حصن كيفا وقلعة الهيثم. ولم يزل ذلك بيده إلى أن مات أبوه الصالح نجم الدين في يوم الإثنين (١٥ من شعبان ٦٤٧هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٢٤٩م)([2]).

٤- علاقة خلفاء العادل بالأراتقة([3]):

أ- **الملك المُعَظِّمْ عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م):** بين ابن واصل أن المصالح الشخصية المعيار الذي حكم العلاقة بين الأراتقة والأيوبيين حتى بعد وفاة المُعَظِّمْ عيسى([4]). ولعل ما حدث سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) خير شاهد على ذلك، حيث مال المسعود الأرتقي صاحب آمد تحت إمرة الأشرف، وبالرغم من ذلك، لم يستطع الأشرف إيقاف غزو سلاجقة الروم لآمد، وبالرغم من موقف الأراتقة المخادع للمعظم، أراد حماية الأراتقة من سلاجقة الروم، وأرسل إلى الأشرف يطلب منه إنهاء القتال، وأنه يعود كل طرف إلى بلده، وأدى هذا لإنقاذ ماردين من خطر محدق بعد أن خربت خراباً كبيراً ([5]) .

ب- الملك الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م):

أشار ابن واصل إلى استيلاء الأشرف على ماردين ، لميل صاحبها إلى مظفر الدين صاحب إربل؛ ولكن ذلك لم يطل، حيث ترددت الرسل بين الأشرف وملك ماردين، فوقع الصلح بين الأشرف وصاحب ماردين، على أن تكون رأس العين للأشرف؛ وكانت قبل ذلك لصاحب ماردين، فأخذها منه الأشرف وأقطعها لابن المشطوب، وعلى أن يكون لصاحب آمد المُوزَّر، ويحمل صاحب ماردين الأشرف ثلاثين ألف دينار"([6]). وجدير ذكره أن الصالح نور الدين محمود بن محمد الأرتقي صاحب كيفا، وآمد، وافته المنية في سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م)، وقام من بعده المسعود([7]).

ج- الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م): كانت أول علاقة للملك الكامل بالأراتقة يوم أن رتبه والده العادل محاصراً لها بدلاً منه بسبب وفاة العزيز ملك الديار المصرية. فرحل الكامل

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٩٨-٩٩ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ٢٩٥-٢٩٦. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٧٤. ابن العميد، أخبار، ص٣٧.

(٣) الأراتقة: يعد أرتق بن سكمان مؤسس الدولة الأرتقية التي حكمت في ماردين، وحصن كيفا، وآمد ، وخرتبرت . ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص١٩٥؛ ج٥، ص١٢-١٣ . وانظر: الذهبي ، سير ، ج١٦، ص٣٠٩ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠٣. وانظر: خليل ، الإمارات، ص١٨١. شاهين، المُعَظِّمْ، ص١٤٣ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٦٥-٤٦٦ . الحموي، التاريخ المنصوري، ص١٢٧ . النسوي، سيرة جلال الدين، ص٣١٠ . خليل ، الإمارات، ص١٨٠. شاهين، المُعَظِّمْ، ص١٤٣ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٧٣ .

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص١٠٧.

ليلاً إلى ميَّافارقين، ثم انهزم إلى حرَّان، حيث اتفقت عليه عساكر الموصل وسنجار والجزيرة لإنقاذ صاحب ماردين(١). كانت علاقة الأراتقة بالأيوبيين مبنية على المصالح الشخصية، كما ورد سابقاً ؛ ولكن لكل مقام مقال، حيث ساءت سيرة المسعود الأرتقي، صاحب آمد، فوردت الشكاوى للملك الكامل عن سوء أخلاق المسعود، فاتفق مع الأشرف على أخذ آمد منه، أيضاً لأنه اتفق مع جلال الدين خوارزم شاه عليهما وذلك في سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)". وجدير ذكره أن أهل آمد كرهوا المسعود لفساده، فتخلوا عنه، وأحبوا زوال ملكه، فأذعن صاحبها بالتسليم، وبقي مع الكامل، حتى اعتقله الكامل لأعماله الردية ، وظل معتقلاً حتى وفاة الكامل، فأطلق سراحه العادل الصغير، وبعد ذلك سافر للشرق " فاتصل بالتتر فقتلوه، وهذا عاقبة البغي والفساد" (٢).

ثالثاً : موقف ابن واصل من خلفاء العادل في تصديهم للصليبيين :

١-الملك المُعَظِّمْ عيسى(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م): أشار ابن واصل أن لخلفاء الملك العادل مواقف جليلة في تصديهم للصليبيين، من ذلك : أغار الصليبيون على حماة: " استدعى المنصور النجدة من المُعَظِّمْ عيسى ابن العادل، وهو بدمشق نائباً عن أبيه، فسير إليه عسكراً، وترددت الرسل بين المنصور والفرنج إلى أن استوثقت الهدنة بينهم إلى مدة معلومة"(٣). وتحرك الفرنج صوب عكا بصورة كثيفة، وسرعان ما كانت الهدنة بين العادل وبينهم سنة (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، " وأمر ولده المُعَظِّمْ ببناء قلعة الطور، وهو حصن عالٍ قريب من عكا"(٤). وفي سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) كانت غارة الفرنج على المسلمين، ووصولهم إلى بيسان، والعودة إلى مرج عكا، ومعهم " الغنائم والسبي ما لا يحصى، سوى ما قتلوا وأحرقوا وأهلكوا، ونهبوا صيدا(٥) والشقيف، ثم عادوا إلى المرج، وأما العادل فإنه توجه إلى مرج الصفر ونزل به". وبين ابن واصل أنه " لما استقل العادل بمرج الصفر سيَّر ولده المُعَظِّمْ إلى نابلس، ومعه قطعة من العسكر ليمنع الفرنج عن البيت المقدس"(٦). وذهب المُعَظِّمْ عيسى للمعسكر الكاملي بعد وفاة أبيه لشد أزر أخيه من المناوئين له من الأكراد الهكارية بقيادة المشطوب، حيث وعده المُعَظِّمْ بإزالة جميع المفاسد" (٧). وكانت قدرة المُعَظِّمْ في شد أزر أخيه كبيرة، حيث " ركب المُعَظِّمْ إلى خيمة عماد الدين المشطوب، فاستدعاه ليركب معه ويسايره، فاستنظره ليلبس خفية وثيابه، فلم ينظره، ولم يمهله،

---

(١)ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص١٠٢. ياقوت، معجم، ج٢، ص٤٤١، ٤٤٨.ابن شداد،النوادر، ج١، ص١١٨.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٢-١٨ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٦٣-١٦٤ .

(٤) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص٢٠٢.

(5) صيدا: مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ. ياقوت: معجم البلدان، ج٣ص٤٣٧. ابن شداد الحلبي: الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق٢، ص٩٨. ابن بطوطة: الرحلة، ج١ص٨١.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣ ص٢٥٤-٢٥٦ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٧ .

فركب معه وسايره إلى أن خرج به من المعسكر، ثم سلمه إلى جماعة من أصحابه، وأمرهم أن لا يفارقوه حتى يخرجوه من الديار المصرية، وينفوه إلى الشام "(١).

وفي سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)، كان خراب أبراج البيت المقدس من المُعَظِّمْ لهدف عسكري، ثم سياسي، فلما علم المُعَظِّمْ من مضايقة الفرنج الشديدة لدمياط، خاف المُعَظِّمْ من وصول أمم الفرنج إلى البيت المقدس، في حال تمكن الفرنج من ثغر دمياط، " فتقدم بخراب أبراج البيت المقدس، وأسواره، فكان كل برج من أبراجه نظير قلعة . فجمع له الحجارين والنقابين، وعلَّق أسواره، وأبراجه فهدمها ما خلا برج داود عليه السلام فإنه أبقاه. ولما هدمت أسواره انتقل عنه أكثر المقيمين به، وكان فيه خلق لا يحصون، فلم يبق فيه إلا القليل من الناس. ثم تقدم المُعَظِّمْ بنقل ما كان فيه من الزرد خاناه وآلات القتال وغير ذلك، فعظم على المسلمين خرابه، وتأسفوا عليه غاية الأسف"(٢). وكانت هناك أسباب عدة لتخريب المُعَظِّمْ بيت المقدس: حتى لا يقع بيت المقدس فريسة سهلة بيد الأعداء إذا قبلوا الصلح فيملكونه وهو عامر، فيصعب بعد ذلك استنقاذه(٣). وخوف المُعَظِّمْ من استغلال الصليبيين لوجوده بمصر بجانب أخيه الكامل، فيقصدون بيت المقدس، لاسيما وأنه قد وصلته أخبار تدل على أن هناك طائفة من الصليبيين تهدف إلى احتلال القدس(٤). وعلاوة على ذلك خوف المُعَظِّمْ على السكان الذين يرفضون مغادرة المدينة؛ فإن الخراب سيجبرهم على تركها دون أن يصابوا بأذى مثلما أصاب إخوانهم عندما دخل عليهم الصليبيون أول مرة(٥). كذلك تم تخريب بيت المقدس لحرمان الصليبيين من الانتفاع بها، وبتحصيناتها، مما يساعد في تعجيل رحيلهم عنه. ويبدو سياسة تخريب المدن انتهجها صلاح الدين الأيوبي، حيث أمر بخراب عسقلان في (٥٨٧هـ/١١٩١م) ليحول بذلك دون توجه الصليبيين إليها(٦). وورث الناصر عن أبيه المُعَظِّمْ ، وعن عم أبيه صلاح الدين تخريب المدن والقلاع التي تقع في يد الفرنج، وأشار ابن واصل إلى " توجه الناصر داود بعسكره، ومن معه من أصحاب الصالح نجم الدين إلى القدس، ونازل القلعة التي بناها الفرنج، ونصب عليها المجانيق، ولم يزل مصابراً لها حتى سلمت إليه بالأمان. ولما سلمت إليه هدمها، وهدم برج داود عليه السلام. واستولى الناصر على القدس الشريف ، وطهره من الفرنج، ومضى من كان فيه من الفرنج إلى بلادهم" وكان ذلك عام (٦٣٧هـ/١٢٤٠م)(٧).

٢- الأشرف مظفر الدين موسى(ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م):

كانت للملك الأشرف مشاركة في منازلة الفرنج، " ولما سارت الفرنج إلى الديار المصرية، ونازلوا ثغر دمياط، تقدم العادل إلى ولده الأشرف أن يدخل إلى بلاد الفرنج، ويغار إليها. فرحل في

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص١٨ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٣٢ . وانظر: شاهين، المُعَظِّمْ، ص١٦٥ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٣٢ . وانظر: شاهين، المُعَظِّمْ، ص١٦٣ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٣٢. ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٦٠١ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٣٢ . وانظر: شاهين، المُعَظِّمْ، ص١٦٣ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٣٢ . الأصفهاني ، الفتح، ص٥٠٠ . أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٨٩ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٤٧ . أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠١. وانظر: صيدم، جهاد، ص٣١ .

عساكره إلى حمص، ودخل إلى بلاد الفرنج ليشغلهم عن محاصرة دمياط، فدخل إلى صافيثا، فَخرَّبَ رَبَضَهَا، ونهب رستاقها، وهدم ما حولها من الحصون، ودخل إلى ربض حصن الأكراد، ونهبه، وحاصر القلعة حتى أشرفت على الأخذ، ثم نزل على بحيرة قدس في مقابلة الفرنج"(١).

وأظهر ابن واصل رسل الكامل إلى أخيه الأشرف؛ لأنه ضاق ذرعاً من الفرنج، "ولما وصلته رسل أخيه تطلب منه إنجاده على الفرنج، اجتمع رأيه على تسيير الأمراء الذين عَلِمَ منهم أنه يُضمرون الغدر به. فسيرهم نجدة للكامل، وهم: مبارز الدين بن خطلخ، ومبارز الدين سنقر الحلبي، وابن كهدان وغيرهم، وسيرهم إلى أخيه الكامل، فأقاموا عنده بالكلية"(٢). ولما كان " الأشرف نازل بظاهر حلب نجدة بسبب منازلة الفرنج بلد دمياط، أراد أن يدخل بلاد الساحل ينهبها، ويخربها، ليعود بعض من بالديار المصرية إلى بلادهم؛ فيخفف الأمر على الكامل صاحب مصر"(٣). وحرص الأشرف على الجهاد، وقتال الفرنج، حيث عندما وصلت كتب الكامل له ولأخيه المُعَظِّمْ بالحث سريعاً على القدوم، " أشار بعض خواصه بإنفاذ العساكر إلى مصر، والعودة إلى بلاده خوفاً من اختلاف يحدث بعده، فلم يقبل قوله، وقال : " قد خرجت بنية الجهاد ولابد من إتمام هذا العزم"(٤).

فالجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، لقوله تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " (الأنفال: ٧٤). ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»(٥).

٣- الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م):

كان للملك الكامل دورٌ في مواجهة الفرنج ففي سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)، " نزل الفرنج بر الجيزة نزل الكامل بعساكره ، ونزل منزلة في بر دمياط تسمى "العادلية"، واتصلت العساكر من عنده إلى دمياط، ليمنع العدو من العبور إلى برها... ولما بلغ السلطان العادل قصد الفرنج الديار المصرية تقدم إلى من عنده من العساكر بالتوجه إلى مصر...واجتمعت العساكر عند الكامل ، وأخذوا في مقاتلة الفرنج ومدافعتهم عن دمياط" (٦). وأوضح ابن واصل عِلم الكامل بوفاة والده، وهو مرابط للفرنج" ولما بلغ الكامل موت والده، وهو بمنزلته المعروفة بالعادلية في بر دمياط، مرابط للفرنج، جلس في العزاء، وعظم عليه موت والده جداً لا سيما في مثل ذلك الوقت الصعب. وخاف أن يتخلى عنه إخوته ولا يطيق دفع

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٦٥ .

(٢) ابن واصل، ج٤، ص ٢٣-٢٤ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٦ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٩٣ .

(٥) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص١٦ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٥٩-٢٦١ .

الفرنج عن الديار المصرية. ولم يزل الفرنج ملازمين حصار برج السلسلة حتى استولوا عليه وملكوه، وقطعوا السلاسل المتصلة لتجوز مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا من البلاد. فنصب الكامل عوض السلاسل جسراً عظيماً ليمنع العدو به من سلوك النيل؛ ولكن الفرنج قطعوه، فأمر السلطان بإغراق عدة من المراكب لتعطيل مراكب الفرنج من سلوك النيل. قصد الفرنج خليج الأزرق كان النيل يجري فيه قديماً، فحفروه وعمقوه، وحاولوا قتال السلطان، لم يفلحوا، وذلك لأن الميرة والإمداد متصلة إليهم"(١). وحاول كبير الأكراد الهكارية عماد الدين المشطوب "خلع الكامل من السلطنة" عندما علم العسكر بوفاة العادل ومنهم المشطوب " وأن يملكوا الديار المصرية أخاه الفائز إبراهيم، ليصير الحكم عليه وعلى البلاد(٢) .

ولما أحس الكامل بذلك غادر المعسكر، وتوجه إلى أُشمون، فركب كل سلطان منهم هواه ، وتركوا كل شيء، ونتيجة ذلك عبر الفرنج إلى بر دمياط، وغنموا كل ما في معسكر المسلمين، وكان شيئاً لا يُحد ولا يوصف"(٣). وعزم الكامل "على ترك البلاد، وتركها بيد الفرنج"، والذهاب إلى اليمن عند ولده المسعود صلاح الدين يوسف؛ ولكن وصول المُعَظِّمْ للمعسكر الكاملي ثبته، " فقوي به قلب أخيه الكامل واشتد به أزره". وكان للملك الكامل ترتيبات لمحاربة الفرنج، منها: أنه أبعد أخاه الفائز إلى حماه" أمر الكامل أخاه الفائز أن يمضي رسولاً لإحضار العساكر بسبب الجهاد ، وكان الغرض إخراجه من البلاد. فمضى الفائز إلى حماه، وحمل إليه المنصور صاحبها شيئاً كثيراً، ثم مضى إلى الشرق فمات به". وبقي الكامل وحده في الذود عن مصر ضد الفرنج بعدما تركه أخوه المُعَظِّمْ عائداً إلى بلاده، " ولما رتب المُعَظِّمْ القواعد بمصر عاد إلى بلاده، واستمر الكامل إلى آخر هذه السنة محارباً للفرنج منازلاً لهم "(٤). وهذه إشارة يجب الوقوف عندها، وهو حرص كل ملك من ملوك الأيوبيين على مملكته، والذود عنها من الأعداء، حتى لو كان هذا العدو من إخوته. بعكس ما كانت عليه الدولة الأيوبية في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، التي كانت تحت لواء واحد في مقاتلة الصليبيين، والانتصار عليهم في عدة معارك حربية، وعلى رأسها معركة حطين(٥). ومنها انطلق الجيش الإسلامي لتحرير المدن الساحلية والداخلية الأخرى وخاصة مدينة القدس(٦). وبين ابن واصل خطر الوصول إلى المعسكر الكاملي في دمياط ، وذلك لوجود "مراكب العدو وشوانيهم" . "وكان عند السلطان جاندار يسمى شمايل من قرى حماه، كان عنده

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٥-١٦ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص ١٦ - ١٧.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص ١٦ - ١٧.

(٤) المصدر نفسه ، مفرج، ج٤، ص ١٧ - ١٨.

(5) المصدر نفسه، مفرج ، ج٢، ص٨٨. ص١٨٨-١٩٤. ، ص١٩٥ ، ص٢٦٥. ابن أيوب، المنتخبات، ص٢٨٩-٢٩٠. البنداري، سنا البرق، ص٢٩١-٢٩٩. الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٤٣.

(6) ابن واصل، مفرج ، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٩. ابن شداد، النوادر، ص٦٤-٨١. البنداري، سنا البرق، ص٣١١. أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص٣٠٨، ٣٣٠. اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٤٥٤. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٣٥. الحيارى، تحرير القدس ، ص٨٥. سلامة، عكا، ص٧٠. عبد القادر، سياسة صلاح الدين، ص٢٩٨-٣٠١.

قوة نفس وشهامة، كان يخاطر بنفسه في ظل وجود مراكب الإفرنج، ويصل دمياط، ويطمئن أهلها ويعدهم وصول النجد لإزاحة العدو عنهم، ثم يأتي السلطان سباحة ويعلمه بأخبار أهلها" ، فنال بذلك حظوة عند السلطان "، وجعله أمير جاندار له، وسيف نقمته، وولاه القاهرة"(١). ولما أحدق الخطر ب الكامل من الفرنج، بعث بالرسل إلى الملوك من إخوته، " وغيرهم من الملوك في طلب النجدة"(٢). واستولى الفرنج على ثغر دمياط، حيث كان الحصار شديداً، فكثر الوباء، واشتد الغلاء، والجوع، ومات أكثرهم، فضعفت همتهم عن المقاومة، والوقوف في وجه الفرنج، " فحينئذ هجم الفرنج البلد على غفلةٍ من أهلها، واستولى الفرنج عليهم، واسترقوهم، وجعلوا الجامع كنيسة. واشتد طمع الفرنج حينئذ في ملك الديار المصرية، والبيت المقدس، وبلاد الشام". ولما جرى ما جرى " ابتنى الكامل مدينة وسماها المنصورة بالقرب من دمياط ، ونزل فيها بعساكره، وبنى عليها سوراً على بحر النيل، وشواني المسلمين في بحر النيل غربي المنصورة . ونفدت كتبه إلى سائر الأقطار يستحث على وصول النجد إليه. وكان تملك الفرنج لثغر دمياط في (١٠ رمضان ٦١٦هـ/ ١٩ نوفمبر(تشرين ثاني) ١٢١٩م (٣). وواصل الكامل كتبه إلى إخوته، وأهل بيته يحثهم على سرعة الحركة، وقدمت الملوك لنجدة الكامل: " ولما بلغ السلطان الكامل قرب أخيه الأشرف منه، توجه إليه ملتقياً له، وفرح به وسر سروراً شديداً، وأيقن بحصول النصر، والظفر بالعدو. ووصل المُعَظِّمْ، والناصر صاحب حماة، وكان خائفاً من الكامل أن يأخذ حماة منه لأخيه المظفر، فطيب قلبه الأشرف، وأصلح له قلب السلطان الكامل. ووصل المجاهد صاحب حمص، والأمجد صاحب بعلبك، وعسكر حلب. وأتت العساكر تتبع بعضها بعضاً، ونزلوا كلهم بالمنصورة في خدمة السلطان الكامل"(٤). " ورأى الفرنج من العساكر الإسلامية ما هالهم وفتَّ في أعضادهم، واشتد القتال بين الفريقين براً وبحراً، وتقدمت شواني المسلمين في بحر النيل، وقاتلت شواني الفرنج، وأخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال، وما فيها من الأموال والسلاح. ففرح المسلمون بذلك واستبشروا به، وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم". وقد طلب الفرنج الصلح: " وهذا يجري ورسل الفرنج مترددة بينهم في تقرير الصلح، وبذل المسلمون لهم البيت المقدس، وعسقلان، وطبرية، واللاذقية وجبلة، وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين من الساحل، ما عدا الكرك والشوبك ليسلموا دمياط ويرحلوا عن الديار المصرية، فلم يرضوا، وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضاً عن الأسوار التي خربت بالقدس ليعمروه بها، وقالوا: لابد من تسليم الكرك والشوبك إليهم، فلم يتم بينهم أمر، واضطر المسلمون إلى قتالهم ومصابرتهم لما يريده الله تعالى من النصرة عليهم، وسلامة القدس والبلاد الساحلية

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ١٩- ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٣ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٣٢-٣٣ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٩٢-٩٥ .

منهم" . وهذه إشارة إلى زعماء اليوم بالحرص على القدس والمسجد الأقصى؛ لأنها أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى النبي عليه الصلاة والسلام([1]). وقد اشتد القتال بين الفرنج والعساكر الإسلامية([2]) .

ولما استفحل الأمر على الفرنج، وأصبحوا محاصرين من جميع الجهات، بالرغم من وصول الإمدادات لهم،" وصل إلى الفرنج مركب عظيم يسمى مرمه وحوله عدة حراقات يحمونه، والجميع مملوء من الميرة والسلاح، وما يحتاجون إليه"، وأشار ابن واصل إلى أن الفرنج " أحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأثقالهم، وأرادوا الزحف إلى المسلمين ومقاتلتهم، لعلهم يقدرون على العود إلى دمياط، والاعتصام بها، فعجزوا عن ذلك ... فذلت نفوسهم، وتنكست صلبانهم، فراسلوا السلطان الكامل، وأخويه الأشرف، و المُعَظِّمْ، يطلبون منهم الأمان لأنفسهم ليسلموا دمياط من غير عوض"([3]).فاستشار الكامل أهل بيته، فأشار بعضهم بأن لا يؤمنهم ويأخذهم أخذاً باليد. وكان الاتفاق على بذل الأمان لهم: " فاتفق رأي الكل على بذل الأمان لهم، وتسلم دمياط منهم، فأجيبوا لما طلبوا على أن يأخذ منهم السلطان الكامل ملوكهم رهائن إلى أن يسلموا دمياط، وطلبوا هم أن يأخذوا ولد السلطان وجماعة من خواصه رهائن إلى أن يرجع ملوكهم إليهم"([4]). ورجعت دمياط إلى حضن الديار المصرية، حيث "سلمت إليهم في (١٩ رجب ٦١٨هـ/٧ سبتمبر ١٢٢١م)"، " وفي اليوم الذي سلمت فيه دمياط، وصل إلى الفرنج نجدة عظيمة من البحر، فلو سبقوا المسلمين إليهم لامتنعوا من تسليمها. ولما دخلها المسلمون رأوها وقد حصنها الفرنج بحيث لا ترام، ورجعت رهائن الفرنج إليهم، ورهائن المسلمين إليهم، وولاها السلطان الأمير شجاع الدين جلدك المظفري التقوى، وكان خيراً شهماً"([5]). وأشار ابن واصل أنه " كان للفرنج بدمياط صوار عظام جداً، فأرادوا أخذها، فمنعهم شجاع الدين، فكتبوا للسلطان الكامل" إن هذه الصواري لنا، وأن مقتضى الصلح أن ترد إلينا" . فكتب الكامل إلى شجاع الدين بردها إليهم؛ ولكن شجاع الدين أصر على الامتناع، وقال: " إن الفرنج أخذوا منبر جامع دمياط وكسروه، وأهدوا كل قطعة منه إلى ملك من ملوكهم ، فيأمرهم السلطان أن يردوا إلينا المنبر لنرد عليهم الصواري". فكتب السلطان إليهم، فامتنعوا عن رد المنبر، وأعرضوا عن ذكر الصواري"([6]). ودارت بين الكامل والفرنج هدنة لمدة معلومة وهي تسليم القدس خراب دون إصلاح سورها، وأن تكون المقدسات للمسلمين ك" الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى، وشعار المسلمين فيه ظاهر، ولا يدخلها الفرنج إلا للزيارة فقط" ، هكذا اشترط الكامل على فردريك، وإن لم يرض بذلك فستكون الحرب لا محالة . فرضي ملك الفرنج بذلك ظاناً أنه قادر على انتزاع القدس متى شاء، كذلك لحفظ ناموسه عند الفرنج([7]). وأشار ابن واصل

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٩٢-٩٥ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٩٢-٩٥.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص ٩٦ -٩٧ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص ٩٧- ٩٨.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص ٩٩-١٠٠ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص ٩٩-١٠٠ .

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٤١-٢٤٣ .

إلى ذلك: " وبلغني أن الأنبراطور قال للأمير فخر الدين – المتردد بين الكامل وملك الفرنج بالرسائل– : " لولا أني أخاف انكسار جاهي عند الفرنج، لما كلفت السلطان شيئاً، وما لي غرض في القدس، ولا غيره؛ وإنما قصدت حفظ ناموسي عندهم" وهي تسليم القدس خراب دون إصلاح سورها، وأن تكون المقدسات للمسلمين ك" الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى، وشعار المسلمين فيه ظاهر، ولا يدخلها الفرنج إلا للزيارة فقط" ، هكذا اشترط الكامل على فردريك، وإن لم يرض بذلك فستكون الحرب لا محالة . فرضي ملك الفرنج بذلك ظاناً أنه قادر على انتزاع القدس متى شاء ، كذلك لحفظ ناموسه عند الفرنج . وأشار ابن واصل إلى ذلك: " وبلغني أن الأنبراطور قال للأمير فخر الدين – المتردد بين الكامل وملك الفرنج بالرسائل– : " لولا أني أخاف انكسار جاهي عند الفرنج، لما كلفت السلطان شيئاً، وما لي غرض في القدس، ولا غيره؛ وإنما قصدت حفظ ناموسي عندهم". وقد سلمت القدس للفرنج ما عدا الحرم الشريف، وسلمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط والاستنكار سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، وبقيت في أيديهم حتى (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) (١). ولما تقررت قواعد الهدنة بين الكامل وملك الفرنج، رجع إلى بلاده، واستمر مصافياً الكامل، والمراسلة بينهما لم تنقطع حتى وفاة الكامل(٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م)، وملك ولده العادل سيف الدين، فصافى الأنبراطور العادل وواده، وراسله. ولما قُبض على العادل وولي أخوه الصالح نجم الدين استمر الأمر على ذلك ...حتى وفاة الأنبراطور سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٤م)(٢). وأشار ابن واصل: " لما وقع الخُلف بين الملك الصالح نجم الدين وعمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، خاف الصالح إسماعيل من الملك الصالح نجم الدين، وبلغ الخوف غايته، لما كان أسلفه في حقه من أخذ دمشق منه بعد أن صالحه ، وحلف له ، وتوثق منه، وما كان من اعتقاله لولده الملك المغيث، حمله ذلك على أن اعتضد بالفرنج عليه، وطلب منهم مساعدته، واشترطوا تسليم الشقيف وصفد إليهم، فسلم إليهم الحصنين. وكانت صفد قد خربت قبل ذلك، فلما تسلمتها الفرنج بنتها، وصار هذان الحصنان جمرتي بلاء، فعظم بذلك الضرر على المسلمين، واشتد إنكارهم لما فعل واستعظموه"(٣). وجرى اتفاق صُلح بين الصالحين، ثم نُقِضَ بسبب مراسلة الصالح نجم الدين للخوارزمية، فعاد الصالح إسماعيل واتفق مع الناصر داود، وانضم إليهما صاحب حلب وحمص الملك المنصور، واتصلوا بالفرنج سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م)، " صالحوا الفرنج واتفقوا معهم على تسليم البيت المقدس إليهم، على أن يكون الحرم بما فيه من المزارات لهم، وعلى تسليم طبرية وعسقلان وكوكب إليهم، وأن يأذنوا إليهم في عمارتها، وضمنوا للفرنج أنهم إذا ملكوا الديار المصرية أن يكون لهم بها نصيب" (٤). ويروي ابن واصل أثناء مروره بمدينة القدس سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م): " فرأيت الرهبان

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٢٤٦-٢٤٧؛ ص٣٣٢-٣٣٧. وانظر: الحنبلي، الأنس، ج١، ص٥٥٥. الدباغ، بلادنا، ص٢١٧. المرعشي، الموسوعة، ج٣، ص٥١٢.المسحال، عسقلان، ص١٩٩.غوانمة، معاهدات، ص٦٨ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٠١-٣٠٢ . المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٠٧.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٣٣. ابن العميد ، أخبار ، ص٣٣ . وانظر:صيدم، جهاد، ص٤٤ .

والقسوس، على الصخرة المقدسة. وعليها قناني الخمر برسم القربان. ودخلت الجامع الأقصى، وفيه جرس معلق. وأُبطل بالحرم الشريف الأذان والإقامة"(١). وأدى هذا التحالف إلى قيام الصالح نجم الدين بحشد قواته، وأخذ ينتظر قدوم الخوارزمية لنصرته، وتمكنت الخوارزمية من الوصول إلى غزة " ومقدموهم حسام الدين بركة خان، وخان بردى، وصاروخان، وكشلوخان، وجمعهم يزيد على عشرة آلاف فارس"(٢). ففر جند الصالح إسماعيل منها، وعادوا إلى دمشق، فأرسلت الخوارزمية إلى الصالح نجم الدين يطلبون منه إرسال عساكره إليهم، ليحاربوا الصالح إسماعيل وحلفاءه. وقد وصلت قوات الصالح نجم الدين إلى غزة بقيادة ركن الدين بيبرس(٣)، وبعث الصالح نجم الدين عسكراً أخرى إلى نابلس بقيادة الأمير حسام الدين الهذباني. وبعث الصالح إسماعيل عسكراً من دمشق، ومعهم عساكر من حمص، حيث تقدمهم الملك المنصور، وفي مروره إلى غزة، قدم عكا، واستعان بالفرنج، وبعث الملك الناصر عسكراً، "واجتمع هؤلاء كلهم لقصد الخوارزمية، ومن معهم من عسكر مصر"(٤). والتقى الفريقان بظاهر غزة في (جمادى الأولى٦٤٢هـ/اكتوبر ١٢٤٤م)، حيث تمكن المصريون بقيادة ركن الدين بيبرس، والخوارزمية من هزيمة التحالف الأيوبي الفرنجي شر هزيمة، وقتل من الفرنج عددٌ كبيرٌ،" ولم يفلت منهم إلا الشارد النادر، وأُسر من عسكر دمشق وعسكر الكرك جماعة مقدمون وغيرهم، ونُهبت جميع أثقال الدمشقيين" (٥).

وقد تم انتزاع كل من طبرية وعسقلان من يد الفرنج اللتان سلمتا إليهم دون عناء(٦). واستطاعت القوات المصرية بقيادة فخر الدين بن الشيخ، من فتح طبرية عنوة في ١٠ صفر ٦٤٥هـ/١٧ يونية ١٢٤٧م(٧)، ومن دخول عسقلان في أواخر جمادي الآخرة ٦٤٥هـ/ منتصف اكتوبر ١٢٤٧م(٨).

وبدأت الحملة الصليبية السابعة على مصر، وبدأ زحفهم على دمياط، ثم القاهرة ، حتى توفى الصالح نجم الدين بالمنصورة في يوم الإثنين ليلة النصف من شعبان ٦٤٧هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٢٤٩م(٩).

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٣٣٣. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٧٤ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٣٦. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤١٩. وانظر: حسين، تاريخ، ص١٢٣.

(٣) هو من مماليك الصالح نجم الدين ، سجن معه في الكرك، وهو غير ركن الدين بيبرس البندقداري الذي انتصر على الفرنج في معركة المنصورة. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٣٧. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠٩.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٣٨-٣٣٩. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٤٦ . ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٤٨. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٠. وانظر: العريني، مصر، ص١٣٧. رنسيمان، تاريخ، ج٣، ص٣٩٥. العسلي، فن، مج ٤، ص٢١٠. عاشور(فايد)، الجهاد، ص٣٥٦. عاشور(سعيد)، الأيوبويين، ص١٢٥.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٣٨-٣٣٩. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٤٦ . ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٤٨. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٠. وانظر: العريني، مصر، ص١٣٧. رنسيمان، تاريخ، ج٣، ص٣٩٥. العسلي، فن، مج ٤، ص٢١٠. عاشور(فايد)، الجهاد، ص٣٥٦. عاشور(سعيد)، الأيوبيون، ص١٢٥.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٠، ص٣٧٨ . ابن الجوزي، مرآة ، ج٨، ص٧٦٦. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٨٠. ابن العميد، أخبار، ص٣٦. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢١٤. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٩.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٠، ص٣٧٨ . ابن العميد، أخبار، ص٣٦. ابن شداد الحلبي، الأعلاق، ج٢، ص١٣٤. العريني، مصر، ص١٣٨. الدويكات، إقطاعية، ص٢٤٥. عبد الهادي، عسقلان، ص٣٤٧.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٧٨ . وانظر: العسلي، فن، مج ٤، ص٢١٢. رنسيمان، تاريخ، ج٣، ص٤٠٠.

(٩) المصدر نفسه، ج٦، ١٠١-١٠٥. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٧٤. ابن العميد، أخبار، ص٣٧، ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٦٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٤١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٩٥ .

وولي الحكم بعد الصالح نجم الدين ابنه المُعَظِّمْ توران شاه، حيث "حاول مقارعة الحملة السابعة للصليبيين بقيادة لويس التاسع" ، إلا أنه قتل على أيدي المماليك في يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ٦٤٨هـ/ ٢ مايو ١٢٥٠م([1]). وتولت الحكم بعد تورانشاه شجرة الدر([2])، "وقامت بحكم البلاد ، حتى تم دحر الحملة الصليبية السابعة ، وفشلها ، ثم شرع الصليبيون في الانسحاب ليلة الأربعاء ٣ محرم سنة ٦٤٨هـ/ ١١ أبريل ١٢٥٠م إلى دمياط"([3])، "وغادر لويس التاسع ومن معه إلى عكا في ٤ صفر ٦٤٨هـ/ ٨ مايو ١٢٥٠م"([4]).

وهكذا باءت الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا بالفشل الذريع، دون تحقيق أي هدف لها، وكذلك انتهت الدولة الأيوبية بعد قيامها بالجهاد ضد أعداء الإسلام، وقامت دولة المماليك لتواصل راية الجهاد ، والقتال ضد أعداء الإسلام والمسلمين.

---

(١) ابن واصل، مفرج،ج٥، ٢٩٦؛ ج٦، ١١١-١١٢. ص١٢٠-١٢١. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٧٩.أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢١٩. وانظر: الدواداري، كنز، ص٧، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٢) هي السلطانة الملكة شجر الدر بنت عبد الله جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وزوجته وأم ولده خليل ، وهي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك، وكانت التواقيع تخرج من قلعة الجبل وعلامتها عليها" والدة خليل " ونقش اسمها على السكة، وخُطب لها على منابر مصر والقاهرة وقتلت عام655 ه / ١٢٥٧م .

انظر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٥٩.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٦، ص١٢٢-١٢٥. ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٧٩. أبو الفداء، المختصر،ج٣، ص٢١٩.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٦، ص١٣٤. وانظر: ابن أيبك، كنز، ج٧،ص٣٨٤.جوزيف،العدوان، ص٨٧.

الفصل الخامس

المظاهر الحضارية للدولة الأيوبية عند ابن واصل

أولاً: المظاهر الإدارية والاقتصادية

ثانياً: المظاهر الاجتماعية

ثالثاً: المظاهر العلمية والثقافية

رابعًا: النظام العسكري

أولاً: المظاهر الإدارية والاقتصادية

١- المظاهر الإدارية:

١- الولاة والحكام :

كانت الدولة الأيوبية في الفترة موضوع الدراسة تدار ضمن مجموعة من التنظيمات الإدارية، وكان على رأسها الولاية، ويسمى المسئول عنها بالوالي، أو الأمير، وكان يسمى أحيانا العامل(١). ومن الملاحظ في هذه المهام أنها تنصب على الجانب الديني والعسكري، دون ذكر للجانب الخدمي الاجتماعي الذي فيه منفعة للرعية، كحفر الآبار والجداول، وتنظيم شبكة الري، وشق الطرق، وبناء الجسور، واستصلاح الأراضي وغيره، وقد نبه إلى هذه المهام أبو يوسف في كتاب الخراج(٢).

ومن الحكام والولاة الذين حكموا الدولة الأيوبية بعد وفاة الناصر صلاح الدين (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)(٣):

- الأفضل نور الدين علي حاكم دمشق، (ت:٦٢٢هـ/١٢٢٥م) (٤) ولي دمشق، والقدس، وبعلبك، وصرخد، وتبنين، وبصرى، إلى الداروم(٥) (دير البلح) حتى حدود مصر(٦).

- الملك العزيز عماد الدين عثمان صاحب مصر(ت: ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، ولي مصر من سنة (٥٨٩-٥٩٥هـ/١١٩٢-١١٩٨م)(٧).

- الملك الظاهر غياث الدين غازي صاحب حلب(ت: ٦١٣هـ/١٢١٦م)، حكم حلب من ٥٨٢-٦١٣ه ، كانت معه في حياة أبيه صلاح الدين(٨).

- الملك المفضل قطب الدين موسى الذي لقب فيما بعد بالمظفر(ت: ٦٣١هـ/١٢٣٤م)(٩).

---

(1) كانت من مهام الوالي أو الأمير: العناية بالجيوش وأرزاقهم، وإقامة الحدود، والإمامة في الجماعات والجمع، وكذلك تسيير الحجيج من ولايته ومن مر بها من غير أهلها، ويعاونه في ذلك العمال على النواحي والمهمات، كما كان من مهامه غزو العدو، وإمداد الخليفة بالجنود إذا احتاج إلى المدد. ابن واصل، مفرج، ج٣، ٣-٥. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٢. الفراء، الأحكام، ص٣٤. السرخسي، شرح السير، ص٢٤١. وانظر:أبو شمالة، فلسطين، ص٧٨.

(2) انظر: الخراج، ص١٠٧.

(3) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٤١٩. ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٢٤. ابن العديم الحنبلي: زبدة، ج ١، ص ٤٢٧. الخزرجي، عيون، ج ١، ص ٦٧٣. النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٩٣. ابن الوردي: تاريخ، ج ٢، ص ١٠٤. ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ٢. الدميري، حياة، ج ١، ص ١٨٣. ابن خلدون، تاريخ، ج ٥، ص ٣٨٣.

(4) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣. الكامل في التاريخ: ج١٠، ص٤٤٥.

(٥) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص١٠. وابن الأثير، الكامل ، ج٩، ص٢٢٧ .

(٦) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص١٠. ابن تغري بردي، النجوم ج٦، ص١٠٣ .

(7) المصدر نفسه، مفرج، ج٢، ص٤٢٤. أبو شامة، الروضتين،ج٤، ص ٤٠٦. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص ٣٧٥.

(8) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص٣. أبو شامة، الروضتين، ج ٤، ص ٤٠٦. ابن شداد: الأعلاق، ج ١، ص ٣٧.

(9) المصدر نفسه ، مفرج،ج٣، ص٦٧. الذهبي، سير، ج٢٣، ص١٨. ابن كثير، البداية،ج١٣، ص٤.

– الملك الظافر مظفر الدين خضر(ت: ٦٢٧هـ/١٢٣٠م)(١)، حيث تولي الملك الظافر خضر بن صلاح الدين بُصرَى في دمشق(٢) من قبل أخيه الملك الأفضل(٣).

– الملك الأعز شرف الدين يعقوب توفي بحلب سنة(٦٢٤هـ/١٢٤٤م) ، حدث الحرمين ودمشق، وكان متواضعاً كثير التلاوة(٤).

– الملك الزاهر مجير الدين داوود (ت: ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، تولى البيرة عند تولي أخيه الظاهر غياث الدين غازي لحلب، وعهد إليه بالملك بعده قبل أن يولد له ولد (٥). والملك المؤيد نجم الدين مسعود، (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، و الملك المعز فتح الدين اسحق، كان فاضلاً، حسن المذاكرة (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، والملك الجواد أبو سعيد ركن الدين أيوب، والملك الأشرف نصير الدين محمد، (ت: ٦٣٥هـ/١٢٣٨م)، والملك المحسن يمين الدين أحمد، (ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٦م)،و الملك المُعَظِّم فخر الدين تورانشاه ، وهو آخر أبناء صلاح الدين وفاةً(ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، والملك الغالب أبو الفتح ملكشاه. والملك المنصور. ونصرة الدين مروان، وعماد الدين شاذي(٦).

وقد حكم الأقاليم والولايات الأخرى كلٌ من:

أ– الملك العادل سيف الدين أبو بكر شقيق صلاح الدين (ت: ٦١٥هـ/١٢١٨م)(٧)أخذ الكرك، والشوبك ، والبلاد الشرقية . وكانت هذه المنطقة لا تتناسب مع مكانته وقدراته (٨).

ب– احتفظ سيف الإسلام طغتكين أخو صلاح الدين باليمن وجزيرة العرب(ت: ٥٩٣هـ /١١٩٦م)(٩). وقام في الملك بعده ولده إسماعيل(١٠)، وتولّى بعده مملوك من مماليك أبيه(١١).

ج– الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه، أخذ بعلبك وأعمالها(ت: ٦٢٧هـ/١٢٢٩م)(١٢) .

د– استمر الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر في حماة، سَلَمِيَّة من مناطق حماة، المعرَّة من أعمال حمص ، ومَنْبِجْ، وقلعة نجم في الشمال الشرقي من حلب (ت: ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)(١٣) .

---

(1) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٧. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٤٧٥.

(2) البكري، معجم ، ج١، ص٢٥٣. ياقوت، معجم، ج٢، ص٥٠٠. ابن بطوطة، رحلة، ج١، ص١٢٨.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. الصفدي، الوافي، ج١٣، ص٢٠٤. النعيمي، الدارس،ج ٢، ص ١٤٥.

(4) المصدر نفسه ، مفرج، ج٢، ص٤٢٤. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٧. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٤٧٦. الذهبي، تاريخ، ج٤٥، ص ٧٨، ص٣٠٠. الصفدي، الوافي، ج٢٨، ص١١٣ و ج٢٩، ص١١٣.

(5) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٢٤، ٤٢٥. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٧–٧٨. ابن العديم، زبدة،ج١، ص٤٨٤.

(6) المصدر نفسه، ، مفرج، ج٢، ص٤٢٥. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٤٧٧.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٧٠ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٦.

(٨) المصدر نفسه، مفرج،ج٢، ص٣٧٨ . ابن الأثير، الكامل، ص١٤٠–١٤١. الذهبي، سير،ج١٦، ص١٢٠.

(9) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٣. ابن القلانسي، ذيل، ص١٣٠–١٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٩٦.

(١٠) ابن خلكان، وفيات ، ج٢، ص٥٢٤–٥٢٥ . أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص١٠٢. اليافعي، مرآة ، ج٣، ص٣٧٤. ابن كثير، البداية ، ج١٦، ص٦٧٨ . ابن العماد، شذرات ، ج٦، ص٥٤٥ .

(١١) ابن واصل، مفرج،ج٣،ص٣. ابن خلكان،وفيات،ج٢، ص٥٢٤–٥٢٥.أبو الفداء،المختصر،ج٣، ص١٠٢.

(١٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٨٤ . ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٥٣ ــ

(١٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤–٥. ابن العديم، زبدة ، ج١، ص٤٤٤.

ه- وكان ثمة بعض البلدان والحصون بأيدي جماعة من أمراء الدولة فاحتفظ كل بولاية:

- إذ استمر عز الدين مسعود الأول الزنكي(ت: ٥٨٩هـ/١١٩٣م) في حكم الموصل في العراق(١).

- احتفظ أخوه عماد الدين زنكي الثاني(ت: ٥٤١هـ/١١٤٦م) في حكم سنجار وهي محافظة نينوى في شمال العراق حالياً (٢).

- حكم قطب الدين سقمان الثاني الأرتقي حصن كيفا وآمد على نهر دجلة(٣).

- تولى ناصر الدين منكوريوس منطقة صهيون في القدس(٤). وحصن بَرْزِيَة(٥). وبدر الدين دُلْدُرم بن بهاء الدين ياروق بيده تل باشر(٦).

- وكان عز الدين أسامة(٧)، بيده كوكب وعجلون من أعمال الأردن بالشام(٨). وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدِّم(٩) بيده بَعْرِين(١٠)، وكفر طاب(١١)، وحصن أفامية(١٢)". ومن الولاة والحكام: الأمير فخر الدين جِهارَكْس، كان من كبراء أمراء الصلاحية(ت: ٦٠٨هـ/ ١٢٠٧م) (١٣).

ومن الولاة والحكام: فارس الدين ميمون القصري، وشمس الدين سنقر الكبير"(١٤)." وتوجه هؤلاء إلى الملك العزيز، فاحترمهم وأحسن إليهم، وولى فخر الدين جهاركس أستاذية داره، وفوَّضَ إلى فارس الدين وشمس الدين سنقر صيدا وأعمالها، وكان ذلك لهما فأقرهما عليه، وزادهما أعمال نابلس وبلادها"(١٥). وممن اتصل بخدمة الملك الظاهر جمال الدين أبو غالب عبد الواحد بن الحصين، وتقدم عنده(١٦)".

---

(١)ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص٢٠. الأصبهاني، البرق،ج٥، ص٨١. أبو المعالي، مضمار،ج١، ص٤٣ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج،ج٣، ص٧٨ -٨٠. ابن الأثير، الكامل، ج٩ ، ص٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨٠. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٨٠. الذهبي، تاريخ، ج٤١، ص١٣١.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٤. وانظر: أبو الفداء، المختصر ، ج٣، ص٦٣ .

(٥) قلعة برزيه وَهِي قلعة حَصِينَة فِي غَايَة القوه والمنعة على السواحل الشامية، وهي على متن جبل شَاهِق يضْرب بهَا الْمثل فِي جَمِيع بِلَاد الفرنج وَالْمُسْلِمين يُحِيط بهَا أوديَة من سَائِر جوانبها. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٨٣. أبو شامة، الروضتين ، ج٤، ص٢٨ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. ابن العديم ، بغية ، ج١، ص ٣٢٢ .

(7) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٣٩ . أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٣٨٨.

(8) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٣٧-٣٩. ابن العديم، زبدة ، ج١، ص٤٥٩ .

(٩) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٤ .

(10) بعرين: مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب،صوبها ياقوت بقوله بارين. ياقوت، معجم،ج١، ص٣٢١.

(١١) مدينة من مدائن الشام، أهلها أخلاط من اليمن. وبينها وبين شيزر اثنا عشر ميلا، وكذلك بينها وبين المعرة «٢٠١» . اليعقوبي، البلدان، ص١٦٢. المهلبي العزيزي، المسالك والممالك، ص١٠٢. الزمخشري، الجبال، ص٢٨٥.

(12) هو حصن منيع على تل مرتفع عال من أحصن القلاع و أمنعها و كان من به من الفرنج يغيرون على أعمال حماة و شيزر و ينهبونها فأهل تلك الأعمال معهم تحت الذل و الصغار. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٢٦٤.

(١٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣-٤ .

(١٤) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١١ .

(١٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١١. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٢٩ .

(١٦) توفاه الله في شعبان سنة سبع وتسعين، وكان في خدمة الناصر صلاح الدين، وبعدها ابنه الظاهر. ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٢ . ابن العديم ، زبدة ، ج١، ص٤٤٤ .

ومن الملاحظ على أسماء الملوك والولاة السابق ذكرهم وجود تنوع في جنسياتهم ، كالأتراك منهم، وذو الأصول العربية .

٢-الوزارة :

ورثت الدولة الأيوبية عن الدولة الصلاحية، والنورية، وعن سلطنة السلاجقة بعض الوظائف الإدارية والمناصب السياسية، كما أحدثت بعضاً منها حسب ما تقتضيه الحاجة، ومن هذه الوظائف والمناصب: الوزارة، وهي وزارة تنفيذ لأوامر السلطان، ومن أبرز من تولى الوزارة في عهد خلفاء صلاح الدين :

- ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير(٥٨٥ - ٦٣٩ هـ/ ١١٨٩ - ١٢٤١ م)(١). واستوزره الملك الأفضل؛ ولكن سيرته ساءت، وهرب ضياء الدين بن الأثير وزير الملك الأفضل وركب نجيبا وهي خيل أصيلة، خوفاً على نفسه من الملك العادل عندما تملك مصر"(٢).

- نظام الدين الكاتب، كان وزير الملك الظاهر في حلب، وبعده كان ابن أبي يعلى وعزل عنها(٣).

- كان القاضي أبو محمد مختار بن أبي محمد بن مختار المعروف بابن قاضي دارا ، وزير الملك الكامل ، وحاكماً في دولته بالديار المصرية، والملك الكامل إذ ذاك ينوب عن والده الملك العادل بها(٤).

- ومما كان وزير الملك العادل صفي الدين بن شكر، كان خليقا بالوزارة ولم يتولها بعده مثله(٥).

- وكان الوزير في حماة زين الدين بن فريج سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م(٦). وفي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م كان في حماه بهاء الدين بن التاج(٧). وفي أوائل سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م غضب السلطان الملك العزيز صاحب حلب على وزيره زين الدين بن حرب، وألزمه داره بقلعة حلب، ورد الوزارة إلى القاضي الأكرم جمال الدين أبا الحسن بن يوسف القفطي. وكان من الوزراء تاج الدين بن الولي المعروف بابن مهاجر، حيث كان وزير الملك الصالح نجم الدين، وكان مقيماً مع ابنه الملك القاهر في قلعة دمشق سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م(٨). وكان وزير الصالح- إسماعيل سامرياً ، فأسلم في صباه، وحسن إسلامه. وكان عمه وزير صاحب بعلبك الملك الأمجد، ومدبر دولته. وقد استوزر الملك الصالح نجم الدين معين الدين الحسن ابن شيخ الشيوخ، ومكنه، وفوض إليه تدبير المملكة. فقام بوزارة الملك الصالح أحسن قيام. وكان من الوزراء مخلص الدين إبراهيم ابن إسماعيل بن قرناص، حيث كان وزيراً للملك الأشرف مظفر الدين

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠؛ ج٤، ص١٩٨. ابن المستوفي، أربل، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٤، ١١٢.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٩٤، ص٢٤٩، ص٢٥١.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٦٧.

(٥) المصدر نفسه، ، مفرج ،ج٣، ص١٦٧، ص ١٩٩-٢٠٠؛ج٥، ص١٥٧. ابن الجوزي، مرآة ،ج٨، ص٦٧٧ .الأصفهاني، البرق،ج٣، ص٧٧ . ابن المستوفي، تاريخ ، ج٢، ص٢٧٥ .أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١١٢ . الذهبي: المشتبه، ص٢٦٧. ابن كثير، تاريخ،ج١٣، ص١٣٦،١٠٩. المقريزي، خطط،ج٤، ص٢٠٥.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٨٦.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٠٧.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١١٤-١١٥، ٢١٣، ٣١٣.

موسى عندما خلف والده الملك المنصور في حمص سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، مدبراً لدولته ووزارته. وظل الوزراء في الدولة الأيوبية حتى سقوطها([١]).

٣- **النائب:**- هو الذي ينوب عن الحاكم في الإقليم، ويكون مسؤولاً عن الشؤون العسكرية والإدارية فيه، ومن صلاحياته توقيع المراسيم والمنشورات، وترشيح أسماء نوابه في المدن الأخرى التابعة للإقليم، والإشراف على تنفيذ القوانين ضمن منطقة مسؤوليته، ويرأس اجتماعات ديوان الجيش في الإقليم وقيادة الفرق العسكرية، الموجودة في الإقليم([٢])، حيث عمل النائب في المنطقة التي عين بها على المساعدة في إدارتها نيابة عن السلطان؛ ومن أشهر النواب في عهد خلفاء صلاح الدين:

- الأمير قراقوش الأسدي(ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م). كان نائباً عن الملك العزيز في القاهرة([٣]).

- مجاهد الدين قايماز([٤]) كان نائب المملكة بالموصل، وتوفى في ٥٩٥هـ/١١٩٨م([٥]).

- " ...ولما استقر المُلْك بمصر للملك العادل استدعى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمداً من الشرق ، وجعله نائباً عنه بالديار المصرية، وجعل خبزه الأعمال الشرقية، وهي التي كانت خبز الملك العادل لما كان نائباً عن أخيه السلطان الملك الناصر بمصر". ولم يزل الملك الكامل ينوب عن أبيه بالديار المصرية إلى أن توفي أبوه وذلك قريب من عشرين سنة واستقل بالملك بعده عشرين سنة وكسراً فملكها نائباً ومستقلاً قريباً من أربعين سنة"([٦]).

- وفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب نائباً عن والده الملك الكامل([٧]).

- وممن كان نائباً جمال الدين يحيى بن مطروح ، حيث جعله الملك الصالح نجم الدين أيوب نائباً له في دمشق سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م. وجعل الملك الصالح نجم الدين أيوب الأمير حسام الدين بن أبي علي نائباً له بسائر الديار المصرية، وأنزله بدار الوزارة، وفوض أمور الملك كلها إليه، وأقامه في ذلك مقام نفسه في٦٤٤هـ/١٢٤٦م([٨]).

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٢٣٦، ٢٧٧، ٣٧١.

(2) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤٨. وانظر: أبو صيني، دور، ص١٧١.

(٣) أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي، الملقب بهاء الدين، كان خادم صلاح الدين، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين، فأعتقه . ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية، وفوض أمورها إليه واعتمد في تدبير أحوالها عليه. كانت وفاة الأمير بهاء الدين قراقوش ، في مستهل رجب سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة ، ودفن في تربته المعروفة به بسفح المقطم ، بقرب البئر والحوض اللذيْن أنشأهما على شفير الخندق. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤٨. ابن خلكان، وفيات،ج٤، ص٩١.

(٤) هو مجاهد الدين قايماز الرومي عتيق زين الدين علي بن بكتكين صاحب اربل، وقد توفي سنة ٥٩٥ هـ. وقد تولى الحكم باربل نيابة عن مولاه ثم انتقل الى الموصل متوليا عليها. ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص١٠٣ . ابن خلكان ، وفيات، ج٤، ص٨٢ . الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج٤٢، ص١٩٥ . ابن تغري بردي، النجوم ، ج٦، ص١٤٤ .

(٥) ابن واصل ، مفرج ، ج٣، ص١٠٣ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١٢- ١١٣ .

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٢٦.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٧٢، ٣٧٣.

٤- القضاء والقضاة:

يعد منصب القضاء من أعلى مراتب الحكم في الدولة، فهي من الوظائف الرئيسة التي لم يستغنِ عنها المجتمع الأيوبي، حيث كانت تناط به مهمات كثيرة، ويلاحظ أن بعض القضاة كان يجمع بين أكثر من وظيفة في آن واحد، حيث كان يتولى القضاء ، ورئاسة مدرسة ، أو الخطابة في المسجد الأقصى، أو يجمع بين القضاء، ووظيفة أخرى، مثل: أن يكون رسول الملك، فقد" أرسل الملك الأفضل القاضي ضياء الدين أبو الفضل القسم بن يحيى بن عبد الله بن الشهرزوري رسولاً إلى الديوان العزيز"(١). ومن القضاة الذين تبوءوا مكانا في الدولة الأيوبية :

- القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني(٥٩٦هـ/١١٩٩م)(٢).

- قاضي القضاة شيخ الإسلام الإمام العلامة الفقيه بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي الحلبي الشافعي، المعروف بابن شداد(٦٣٢هـ/١٢٣٤م) (٣) . وأوضح ابن واصل أن الملك الأفضل اعتمد على القاضي ابن شداد " فلما توفى السلطان اعتمد عليه الملك الأفضل غاية الاعتماد ، واحترمه غاية الاحترام، وكان يشاوره في جليل الأمور ودقيقها"(٤). وقد رحل القاضي بهاء الدين إلى حلب حسب طلب الملك الظاهر " فأعظمه الملك الظاهر، وفوَّض إليه قضاء بلاده...إلى أن توفى الملك الظاهر"(٥). وقد سير الملك الظاهر القاضي ابن شداد " رسولاً إلى الإمام الناصر لدين الله "(٦).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨. وانظر: أبو شلوف، الأوضاع الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص٢٥٦.

(٢) وزر للسلطان الملك الناصر صلاح الدين، رحمه الله تعالى، وتمكن منه غاية التمكن، وبرز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار. وترقي منزلته عنده، وبعد وفاة صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز في المكانة والرفعة ونفاذ الأمر، ولما توفي العزيز وقام ولده الملك المنصور بالملك بتدبير عمه الملك الأفضل نور الدين كان أيضاً على حاله. ولم يزل كذلك إلى أن وصل الملك العادل وأخذ الديار المصرية، وعند دخوله القاهرة توفي القاضي الفاضل، وذلك في ليلة الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة، فجأة ، ودفن في تربته من الغد بسفح المقطم في القرافة الصغرى. ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص١١٠ . وانظر: ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٥٨-١٦٣ . ابن سهل، تاريخ، ج١، ص٢٦٦ . الشنتريني، الذخيرة ، ج٨، ص٦٢٨. ابن نقطة ،إكمال ، ج١، ص٤٣٨ . الصفدي، نكت ، ج١، ص١٤٤ . موفق الدين، مرشد، ج١، ص٦٢٠. السخاوي، التحفة ، ج٢، ص١٦٩ .

(٣) ولد بالموصل سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م ، كان إماماً فاضلاً ، ديناً محسناً للفقهاء وأهل العلم ، اتصل بخدمة صلاح الدين سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م ، وحضر عنده وولاه قضاء العسكر وبيت المقدس ، والنظر على أوقافه ، كما فوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية ، وجعل النظر فيها وفي أوقافها إليه. وبعد وفاة الملك الناصر صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ، رحل ابن شداد من القدس ، وأقام بحلب حتى وفاته سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م. ابن واصل، مفرج ، ج٢ ، ص ٤٠٧؛ ج٥ ، ص٨. أبو الفداء ، المختصر ، ج٢، ص٢٥٧ . الذهبي ، سير ، ج ١٦ ، ص٣٠٧-٣٠٩. ابن الفرات ، تاريخ ، مج٤ ، ق٢ ، ص٨٩. العليمي ، الأنس، ج٢، ص١٧٧-١٧٨. ابن العماد ، شذرات، ج٥، ٢٦٦ . شاهين ، "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، ص ٤٠٠-٤٠١ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨. ابن الشِّحْنَة، لسان، ص٢١٨. البلخي، الفتاوى الهندية، ج٦، ص٢١٤.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨. وانظر: الحطاب الرُّعيني، مواهب الجليل، ج٦، ص٨٦. الخرشي، شرح مختصر خليل، ج٣، ص١٠٩. ميارة، الإتقان ، ج١، ص٩. النفراوي، الفواكه، ج٢، ص٢١٩. عليش، منح الجليل، ج٨، ٢٥٥.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨. وانظر: الشربيني، مغني ، ج٦، ص٢٥٧. الجمل، فتوحات ، ج٥، ص٣٣٤.

وقد أشار ابن واصل أنه قصد القاضي ابن شداد: " وقصدت خدمته بحلب سنة (٦٢٧هـ/١٢٢٩م)، واستفدت منه، وأقمت بمدرسته"(١). ومن القضاة المشهورين قاضي حمص زين الدين بن هندي ، حيث وفد مع والدة الملك الأفضل لتشفع لابنها عند العادل، ولم تحصل الإجابة(٢).

وقد يفرد قاض خاص بعقود الزواج، من ذلك : " خطب الملك العزيز ابنة عمه الملك العادل ، وندب القاضي المرتضى محمد بن القاضي الجليس عبد العزيز السعدي وكيلاً عنه ، وحضر قاضي القضاة محي الدين بن زكي الدين(٣)، وجميع عدوله، ووكل الملك العادل القاضي محيي الدين أبا حامد بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون في تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز..."(٤).

وجدير ذكره أن القاضي محيي الدين بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون(٥) ، وصل إلى مصر، " فاحترمه الملك العزيز وولاه القضاء بالديار المصرية ، وضم إليه النظر في أوقافها" (٦) . وسرعان ما عُزل عن القضاء، حيث أخذ الملك العادل ينهى ويحكم ويتصرف في كبير الأمور وحقيرها، " وعزل القاضي محيي الدين ابن أبي عصرون عن قضاء الديار المصرية، وولي القضاء زين الدين يوسف الدمشقي(٧). وفي دمشق تولى القضاء بعد وفاة القاضي محيي الدين بن زكي الدين في سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م، القاضي زكي الدين ولده ؛ ولكن سرعان ما عزله الملك المُعَظِّم عنها، وولي القضاء في دمشق شمس الدين الخوي، وفي عهد الملك الصالح إسماعيل تولى القضاء بعد وفاة الخوي القاضي رفيع الدين الجيلي، فسلك الرفيع الجيلي سيرة ردية جداً(٨). وممن كانت سيرته حسنة القاضي ابن شداد ، حيث أبرز ابن واصل دور القاضي ابن شداد، حيث سيره الملك الظاهر في سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) إلى السلطان الملك العادل، وكان قبل ذلك قد أرسل القاضي نجم الدين بن الحجاج – نائب القاضي بهاء الدين في الحكم بحلب – ، فوجد من الملك العادل قبولاً عظيماً، طيَّب قلبَ الملك الظاهر، وبسط أمله، فأنفذ الملك الظاهر القاضي بهاء الدين شاكراً لإنعامه(٩). وممن ولي القضاء بحماه وكان فاضلاً في المذهب

---

(١)ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٥١. البهوتى، الروض، ص ٧٠٤. العثيمين، الشرح ، ج١٥، ص٢٣٥.

(٣) هو قاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد بن القاضي زكي الدين علي بن محمد ، ولد بدمشق سنة(٥٥٠هـ/١١٥٥م)، وكان أثيراً لدى صلاح الدين، وهو الذي اختاره ليلقي أول خطبة للجمعة في المسجد الأقصى بعد استعادته سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، وتوفى بدمشق في سنة (٥٩٨هـ/١٢٠٢م). ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣٤. ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٧٢٩. ابن خلكان ، وفيات، ج٧، ص٣٣٨ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣٤.

(٥) ابن أبي عصرون الشيخ الإمام العلامة ، شرف الدين ، عالم أهل الشام أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي بن أبي عصرون بن أبي السري التميمي الحديثي الأصل ، الموصلي ، الشافعي ولد سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة، وتفقه على المرتضى الشهرزوري، ولي قضاء حران وسنجار وديار ربيعة ، وتفقه عليه أئمة ، ثم عاد إلى دمشق سنة سبعين ، ثم ولي قضاءها سنة ثلاث وسبعين وصف التصانيف ، توفي في حادي عشر رمضان سنة خمس وثمانين وخمس مائة . ابن واصل، مفرج، ج٣ ، ص٤٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٥٣. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٣٣٣. كحالة، معجم المؤلفين، ج٦، ص١٤٤.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤٠ .

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٤ .

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٣٣-١٣٤؛ ج٥، ص٢٣٧.

(٩) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٣٧ .

عماد الدين بن القطب في عهد الملك المنصور (١). وتولى القضاء في دمشق القاضي جمال الدين المصري ، حيث توفى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م ، وكان القاضي قبله زكي الدين بن محيي الدين بن زكي الدين، فحكم بحكم أنكره الملك المُعَظِّم، فغضب عليه وبعث إليه كلوتة(٢) وقبا(٣) وألزم بأن يلبسها في الملأ إهانة له وإخراقاً به، وإشعاراً بأنه لا يصلح له لباس أهل العلم، وأن اللائق به أن يكون جندياً ، فحزن لهذه الواقعة واغتم ، ومات بعدها بمدة قليلة (٤). ولما توفى جمال الدين المصري السابق الذكر ولى السلطان الملك المُعَظِّم القضاء شمس الدين الخويى، وكان فاضلاً عالماً متفنناً في فنون شتى، وقاد الذهن(٥). وفي حماة ولى الملك الناصر القضاء إلى شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن أبي الدم خلفاً للقاضي شهاب الدين بن القطب الذي قبض عليه الملك الناصر، وكان ابن أبي الدم هذا فاضلاً متفنناً في المذهب والأدب والتاريخ، سافر في صباه إلى بغداد واشتغل بالعلم، وخلع عليه الخليفة الإمام الناصر لدين الله، وقدم حماة وعليه خلعة الخليفة (٦). وتوفى ابن أبي الدم بالدوسنطاريا سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، وولي القضاء بعده في حماه محيي الدين أبو يعلى حمزة بن محمد القاضي أمين الدولة أبي القاسم(٧). ومن القضاة الذين تبوءوا مكاناً وأصبحوا من الأكابر والأعيان في بلده الشيخ أبا سالم ابن القاضي كمال الدين مظفر بن الثقفي، حيث كان مبعوث الملك المظفر ملك حماة إلى الملك الكامل، وتم إكرامه من الملك الكامل غاية الإكرام(٨). وفي سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م توفى القاضي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن الأستاذ قاضي حلب، وكان قبله أخوه زين الدين، فولي القضاء بعده نائبه ابن أخيه القاضي كمال الدين(٩). "وكان القضاء بالديار المصرية كلها للقاضي شرف الدين المعروف بابن عين الدولة الإسكندري. فعزل الملك الصالح شرف الدين عن مصر والوجه القبلي، وفوض قضاء ذلك إلى بدر الدين، وبقي شرف الدين قاضياً بالقاهرة والوجه البحري. وكان شرف الدين هذا قد طالت مدته في القضاء من أيام السلطان الملك الكامل..." (١٠). وفي سنة ٦٤١هـ/١٢٣٣م ولّى الملك الصالح قضاء

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٨٧ .

(٢) الكلوتة غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة ، وتسمى أيضاً كلفتاه، وكلفه. انظر: حاشية ٢من المفرج لابن واصل، ج٤، ص١٧٢.

(٣) القبا هو ثوب يلبس فوق الثياب أو فوق القميص على شكل معطف. انظر: حاشية ٤ من المفرج لابن واصل، ج١، ص٢٧٩، وحاشية ٣، ج٤، ص١٧٢.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٧١-١٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١٧٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص١٧٤.

(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٨) المصدر نفسه، ، ج٥، ص١٤٨.

(٩) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٨٠.

(١٠) كان جواداً كريماً زاهداً لا يدخر شيئاً ، ولا يملك إلتا سجادة خضراء من الصوف ، وسجادة من آدم، ومشطاً ، وسبحة ومقراضاً وعوداً من أراك، وليس له بدلة واحدة ، فإذا تغيرت غسلت له ليلاً وبغلة واحداً ، ما ملك عقاراً ولا وجبت عليه زكاة في عمره، وكان مضبوط المجلس، لا يشار أحداً في مجلسه، ولا يضحك فيه. انظر: حاشية ١ من المفرج لابن واصل، ج٥، ص٢٩٨.

مصر وما معها من الوجه القبلي القاضي أفضل الدين الخونجي، والقاهرة وما معها ولاية الحكم فيها للقاضي بدر الدين المعروف بقاضي سنجار([1]).

٥- **البريد:** استُخْدِمَ البريد الحمام الزاجل في نقل الرسائل في الدولة الأيوبية([2])، وكذلك الخيل النجيب([3])، ليسرع وصول الرسائل، من ذلك قول ابن واصل: " فسير إليه رسولاً على نجيب ليسرع وصوله إليه". وكان يسمى باب البريد دلالة على وجود البريد([4]). واستخدم الملك الصالح نجم الدين الحمام لمطالعة الأخبار يوميا، " وأصحبه قفصاً فيه حمام ليطالعه بالأخبار يوماً فيوماً"([5]).

٦- **الحاجب:** ومن الوظائف الأخرى في الدولة الأيوبية، وظيفة الحاجب([6]). فقد أرسل الملك الظاهر إلى الخليفة العباسي "حجاب"([7]). قال ابن واصل نقلاً عن العماد الأصفهاني: " فأشار عليّ بالسبق أحد حجابه"([8]) . أيضاً أشار ابن واصل إلى مهمة الحاجب : " وقَرُبَ إلى الملك العزيز عز الدين أسامة صاحب عجلون وكوكب فصار صاحب سر الملك العزيز، وحاجبه والواسطة بينه وبين الملك العادل"([9]). ومن الحجاب في الدولة الأيوبية: " الحاجب جمال الدين محاسن بن عجم الموصلي"([10]).

٧- **ناظر الدواوين :** كانت من الوظائف الموجودة في الدولة الأيوبية ،" كان بالموصل إنسان من أعيان الدولة ، وكان يتولى ديوان الخاتون بنت حسام الدين تمرتاش ابن إليغازي بن أرتق- وهي أم عز الدين "([11]). و"ابن عنين الدمشقي ، حيث ولاه الملك المُعَظِّم نظر الدواوين([12]) بدمشق، وعلت مرتبته جداً عنده"([13]).

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٣٣٥.

(2) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٢ .

(٣) البعير النجيب الإبل الكريمة واحدتها نجيبة ، والذي يركبه سراه الناس في أسفارهم. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: هِيَ عِتَاقُهَا الَّتِي يُسَابَقُ عَلَيْهَا. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١٢. وانظر: الهروي، الزاهر، ص١٤٥. الرازي، مختار، ص٣٠٤. الفيروزآبادي ، القاموس ، ج١، ص١٣٠. ابن جني ، سر ، ج٢، ص٢١٧ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٩ . ص٩٦ .

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢٠ .

(٦) الحاجب فهو الذي يتولى تنظيم مقابلات السلطان، والدخول عليه في مجلسه، وإبلاغه بحالة الشعب، وكشف مظالمهم أمامه، وإطلاعه على الأمور الرئيسة للدولة، ومطاردة الظلم وفق التوجيهات، فالحاجب يشبه وزير الداخلية . وسمّي الحاجب بذلك لأنه يحجب الملك عمّن يدخل إليه بغير إذن. الجاحظ، الرسائل السياسية، ص٥٧١. القلقشندي، صبح، ج٥، ص٤٢٢. أبو صيني، دور، ص ١٧٤. وانظر: الكتري، نور الدين محمود زنكي(رسالة ماجستير غير منشورة)، ص٩١.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩ .

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦.

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٥ .

(١٠) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٦ .

(١١) حسام الدين تمرتاش ابن إليغازي الأرتقي، ولي الحكم في ماردين سنة ٥١٦ه إلى سنة ٥٤٧ه، حيث خلفه والده نجم الدين ألبي، أما الخاتون ابنته ووالدة عز الدين مسعود فاسمها فلانة خاتون. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢١.

(١٢) كان لمتولي وظيفة نظر الدواوين، ويلقب بناظر الدواوين حق الإشراف الكامل على أعمال الدواوين المختلفة مثل : ديوان الجوالى، وديوان المواريث، وديوان الأحباس، وغيرها . ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٥. حاشية رقم ١ . وانظر:

Hassanein Rabie, The financial system of Egypt, pp.149-150

(١٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٤-٢١٥.

٨- **صاحب الشرطة :** كانت من الوظائف السائدة في الدولة الأيوبية، كان يقال لها صاحب الشحنة ، أو الشحنة، أو الشحنكية([1]).

٩- **العسكر:** كانت وظيفة العسكر من وظائف الدولة الأيوبية، حيث ضمت الدولة الأيوبية بمصر جمهور العساكر من : الصلاحية، والأسدية، والأكراد (٢).

١٠- **وظيفة الواعظ:** وهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد " ورد إلى الموصل واعظ"([3]). وممن عمل في الوعظ الشيخ شمس الدين يوسف، وكان له قبول عند الناس، فجلس شمس الدين يوسف سبط (ابن الجوزي) للوعظ كما أُمِر في جامع دمشق، ويذكر فضائل القدس، وما ورد فيه من الأخبار والآثار، وأن يحزن الناس ويذكر ما في تسليمه إلى الكفار من الصغار للمسلمين والعار، وحضر الناس لاستماع وعظه، وكان يوماً مشهوداً، وعلا يومئذٍ ضجيج الناس وبكاؤهم، وعويلهم. وحضرت أنا – ابن واصل– هذا المجلس..."(٤).

١١- **وظيفة (الكاتب):** من الوظائف التي كانت سائدة في الدولة الأيوبية ، الكاتب ، وأشهر هؤلاء العماد الأصفهاني الكاتب، كاتب صلاح الدين، فقد استغنى الملك الأفضل عن العماد بسبب وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزري، فقد قيل للملك الأفضل على لسان العماد الكاتب، ونقله ابن واصل: " هذا العماد ، يتعذر عليه الاعتماد، فإنه لا يصبر على ما تعطيه، وغير ما كان له من أبيك يأباه ولا يرضيه، ونحن نكفيك أمر كفايته، ونبلغ لك أمد بلاغته، وأي حاجة لك إلى العبارة البارعة، والفصاحة الصادعة، والبلاغة البالغة ، والأشغال الفارغة؟!، وأَمْرُ المَلك يتمشى بالكلام المفهوم، والخطاب المعلوم، ومن بقى يرغب في الغريب، ولا أرب فيه للأريب، ونحن نقوم لك بما لا غنى عنه من الكتابة، ولا نخطئ الغرض بالإصابة". وعمل العماد الأصفهاني عند الملك العزيز، وألمح على ذلك ابن واصل : " فقالوا للملك العزيز : أحضر كاتبك وعين ما تلتمسه من الشروط"، فأشار الملك العزيز للعماد الأصفهاني ، وقال : " هذا كاتب البيت ويمين الدولة، وبقلمه يتسدد هذا الخلل"([5]) . واشتهر العديد من الكتاب في الدولة الأيوبية، ومن كتاب الإنشاء شهاب الدين يحيى بن موفق الدين خالد بن القيسراني([6])؛ ولكن أحياناً كان يستغل بعضهم للكتابة في المفاسد، فهذا الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام أمر كاتبه أن يكتب : " من مقر

---

(١) جاء في لسان العرب: " وشحن البلد بالخيل: ملأه. وبالبلد شحنة من الخيل أي رابطة. قال ابن بري: وقول العامة في الشحنة إنه الأمير غلط". غير أن هذا الغلط هو ما كان يستعمله الناس دائماً، ويتردد في كتب التاريخ العربية في العصور الوسطى، فالشحنة، ويقال: الشحنكية أي رياسة الشرطة، أو محافظ المدينة، أو الأمير المشرف على حراستها، ويجمع هذا اللفظ على: شِحن، ووشحاني. ابن واصل، مفرج، ج١، ص٧؛ ج٤، ص٤٧. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٣٤.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤-٥ .

(٣) المصدر نفسه،مفرج، ج٣، ص٢١.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٤٥-٢٤٦ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٣. ٣٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٦٦ .

الإلهية "، ثم نُهي عن ذلك ، فانتهى خوفاً من القتل(١). وممن اشتهر كاتب الإنشاء البهاء الدين زهير الشاعر المشهور، وكان جيد الترسل بديع النظم، في غاية الجودة(٢).

١٢- وظيفة وكيل بيت المال(٣): وقد ولي هذه الوظيفة جمال الدين المصري في عهد الملك المُعَظِّم(٤). وكان وكيل بيت المال بمصر الفقيه مخلص الدين بن الكناني(٥).

١٣- وظيفة المدرس: امتهن الكثير من الفقهاء والعلماء مهنة التدريس، وكانوا متفاوتين في المكانة ، فمنهم من علَّم في المسجد، ومن أشهر المدرسين الذين درسوا في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي ، الفقيه المفسر النحوي البارع في المذهب المالكي والعارف بالعربية وعلم الكلام والتفسير : ابن سجمان محمد بن الشريشي بن أحمد بن محمد بن عبد الله المالكي (٦٠١-٦٥٠)(٦). وممن عمل في التدريس في المدارس والد ابن واصل: سالم بن نصر الله بن سالم ، تولى التدريس في المدرسة الناصرية الصلاحية، حيث " فوض إليه السلطان المُعَظِّم إليه تدريس المدرسة الناصرية الصلاحية (٧). ومنهم من عمل مدرساً في دور الحديث التي أسسها الملوك والعلماء مثل: دار الحديث التي أسسها الملك الأشرف ، فقد بنى بدمشق دار الحديث النبوي، ووقف عليها وقفاً جليلاً، وذكر الدرس فيها الشيخ العلامة تقي الدين بن الصلاح، إمام وقته في مذهب الشافعي، والحديث النبوي(٨).

١٤- ناظر الجيش(٩): تعد هذه الوظيفة من أهم الوظائف في الجيش الأيوبي، وأشار إليها ابن واصل، في عسكر جيش الملك الصالح نجم الدين أيوب: " وكان في العسكر أيضاً جمال الدين يحيى بن مطروح ناظر الجيش" (١٠).

١٥- الإستدار(١١): وهو الذي يتولّى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه، وقد ذُكر بلفظ (أستاذ دار) في فترة الدراسة، ومن أمثلة ذلك : أن الملك العزيز " بعث الأمير فخر الدين جهاركس أستاذ داره ، وهو

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٣٧. القلقشندي، صبح، ج١، ص ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٠٩.

(٣) وكيل بيت المال موظف مالي كبير كان يحل مكان ناظر بيت المال عند غيابه ، ويقوم بمهامه. وبالتالي كان وكيل بيت المال يتصرف كرئيس للخزانة ومسئول عن الموارد المالية المتبقية في الدواوين الأخرى الواردة إلى بيت المال. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٧٢؛ ج٥، ص٢٩٩. وانظر:
Hassanein Rabie, The financial system of Egypt, pp.8-147.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٧٢ .

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٩٩.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٠. وانظر: ابن شهبة ، طبقات الشافعية ، ص ٥٦ .

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٢. وانظر: ظاهر، التعليم، ص ٧٩ – ٨٠.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٤٣. وانظر: ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٣٤. العسقلاني، تبصير، ص١٦٠.

(٩) ناظر الجيش: ناظر الجيش، وظيفته من أهم الوظائف في الدولة، وكان يعاونه بعض كبار الموظفين، مثل: صاحب ديوان الجيش، وينوب عن الناظر في تصريف شئون الديوان، ومستوفي الجيش ويقوم بتحديد الرواتب التي تصرف للجند وتسجيلها في كشوف خاصة بمساعدة مستوفي الإقطاعات. ومستوفي الرزق، ويشرف على صرف مرتبات الأجناد وأرزاقهم العينية، واشترط في هؤلاء الموظفين جميعًا الأمانة التامة والكفاية المطلقة. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٠٩. وانظر: عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص٢٧٠ .

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٠٩.

(١١)الإستدار: وهو لقب أطلق على الذي يتولّى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه، وتمتثل أوامره فيه. وهو مركّب من لفظتين فارسيتين: إحداهما إستذ، ومعناها الأخذ. والثانية دار، ومعناها الممسك كما تقدّم، فأدغمت الذال الأولى وهي المعجمة في الثانية وهي المهملة فصار إستدّار. والمعنى المتولّي للأخذ، سمّي بذلك لما تقدّم من أنه يتولّى قبض المال. ويقال فيه أيضا: ستدّار ، وهناك من يطلق «أستادّار» وربما قالوا: «أستاذ الدار» ويقولون «أستادّار العالية» : أو «أستاذ الدّار العالية» وهو خطأ صريح لما تقدّم بيانه. ويقال«إستدّار الصّحبة» ويكون لقبا على متولّي أمر المطبخ، وكأنه لقّب بذلك لملازمته الباب سفرا وحضرا. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧١؛ ص٢١٦. القلقشندي، صبح، ج٥، ص٤٢٩-٤٣٠.

أجل الأمراء الصلاحية وأمثلهم إلى عمه الملك العادل ليقرر معه قواعد الصلح ..."([1]) . وقال ابن واصل عن الأمير نور الدين علي بن الأمير فخر الدين عثمان : " وكان أبوه أستاذ دار السلطان الملك الكامل" ([2]). ولما مرض الملك المظفر صاحب حماه، قام بتدبير أستاذ داره الأمير سيف الدين طغريل([3]). وكان ناصر الدين بن يغمور استدار الملك الصالح نجم الدين أيوب في ٦٤٤هـ/١٢٣٦م([4]).

١٦- جاندار([5]):

وقد أشار ابن واصل إلى هذه الوظيفة، وقال: " وكان عند السلطان جاندار يسمى شمايل من أهل قرية من قرى حماة تسمى معرذفتين، فوصل إلى أن خدم في الركاب السلطاني جاندارا"([6]) . وكان عند الملك الصالح نجم الدين أيوب زين الدين أمير جاندار([7]).

١٧- نظر الخزانة: وفي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م " سافر جمال الدين بن مطروح إلى الديار المصرية ، فولاه الملك الصالح نظر الخزانة"، حيث تهتم هذه الوظيفة بخزن الملوك بما فيها من قماش وألبسة(٨).

٢- المظاهر الاقتصادية:

١- الزراعة :

تلعب الزراعة دوراً كبيراً وأساسياً في حياة الإنسان منذ أن تحول من حياة الرعي والصيد إلى حياة الزراعة الأكثر تطوراً والأوفر غذاء، وستبقى الزراعة هي التحول الأعظم في حياة بني البشر، وجدير ذكره أن الدولة الأيوبية، كان لها باعٌ في الزراعة، وسنتحدث عن أهمها:

أ- المحاصيل الزراعية:

كانت الحياة الزراعية في الدولة الأيوبية منتشرة بصورة كبيرة(٩)، كانت تزرع في أراضيها "الفواكه"([10]).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٠٧. ص٣٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٦٢.

(٥) الجاندار: كلمة مركبة من لفظين فارسيين أحدهما جان ومعناه سلاح، والثاني دار ومعناه ممسك. وموضوع وظيفة الجاندارية أن متوليها يستأذن السلطان قبل دخول الأمراء للخدمة، ويدخل أمامهم إلى الديوان. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٩. حاشية ١ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٣٤.

(8) ابن واصل، ج٥، ص٣٠٤. وانظر: ابن العماد، شذرات، ج ٥، ص٢٤٧. اليونيني، ذيل، ج ١، ص ٧٧.

(٩) المصدر نفسه، مفرج ، ج٤، ص١٧٩ . وانظر: الحموي، التاريخ المنصوري، ص٩٤، ١١٣. ابن العديم، زبدة، ج٣، ص١٩٨. أبو الفداء ، المختصر، ج٣، ص١٣٦. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢١٥. قساطلي، الروضة الغناء، ص٥٨ .

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٢.

ومن أصناف الفواكه التي كانت تزرع "المشمش"، في دمشق([1]). ومن المحاصيل الزراعية "الغلال"([2]). ومن الفواكه التي تزرع في الدولة الأيوبية ، "الرمان" ([3]). وكانت تزرع الخضروات([4]). ومن الخضراوات الخيار([5]). ومن الحمضيات كانت تزرع في قيسارية الليمون والأترج ، فقد وصفت قيسارية بأنها "حسنة الفواكه "([6])، وبعث الملك المُعَظِّم بهدية لابن القيسراني بطبق كبير من الليمون والأترج([7])، كما زرع الأترج في بيت المقدس، والناصرة([8]). وزرعت في الأراضي الأيوبية الحنطة والشعير([9]). ومن المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع "البطيخ"([10]). والقصب([11]).

ب- الثروة الحيوانية:

ويبدو هذه الثروة كانت غزيرة في الدولة الأيوبية، وذلك لوجود المراعي بكثرة([12]). فوجدت الخيل العراب، والبغال، والأغنام([13])، والجمال([14])، والبقر([15])، والمواشي الكثيرة([16])، والعجول، حيث اشتهى الملك الأشرف عندما اشتد مرضه"لحم عجل"([17]).

٢- الصناعة : تعد الصناعة عنصراً رئيساً من عناصر الاقتصاد لأي بلد من البلدان، وقد وجدت صناعات متعددة في الدولة الأيوبية، سنشير إلى أهمها:

أ- **الصناعات الغذائية:** ومن تلك الصناعات الغذائية : صناعة الحلويات ، و"الحلواء"([18])، وعلى النقيض كانت صناعة الخمر موجودة في الدولة الأيوبية، حيث أقبل الملك الأفضل على "الشرب"، "وأمر بإراقة الخمور"([19]) أي إزالتها. وهذا الملك الأشرف هدم خاناً بالعقيبة يعرف بخان ابن الزنجبيلي كان تباع فيه

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٣١؛ ص٤٤ ؛ ج٤، ص٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٩-١٤٠.

(6) المصدر نفسه، مفرج ، ج٤، ص٢١٧-٢١٨. وانظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٦٤.

(7) الأترج: أحد أصناف الحمضيات، ويسمى الكبَّاد، يفهم من وصفه في كتب اللغة والطب أنه ما نسميه في بلادنا الخشخاش. ابن واصل، مفرج، ج٤، ٢١٧-٢١٨. وانظر: ابن الوردي، خريدة، ص٣٢٩. ابن النفيس، الشامل في الصناعة الطبية، المحقق، ج١، ص١٤٣. التركماني، المعتمد، ج١، ص ٨. اللَّبَابِيدي، اللطائف، ص٣٠٢. مصطفى، المعجم، ج ٢، ص ٩٦٧. عثامنة، فلسطين، ص٢٩٤.

(8) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٧-٢١٨. وانظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٦٦. خسرو، سفر نامه، ص٥٤. القزويني، آثار، ص٢٧٧.

(٩) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٨؛ ج٥، ص٩٤.

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٦٧.

(١١) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٩٣.

(١٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٤٧.

(١٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٣١؛ ١٩٧ ؛ ج٤، ص٣٦؛ ج٥، ص١٣٢. ص٣١١.

(١٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٩٣، ٢٩٥-٢٩٦. ص٣١١.

(١٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٤.

(١٦) المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٢.

(١٧) المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٧.

(١٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢.

(١٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠.

الخمور([1]). ووجد شراب كان يصنع ويسمى الفقاع([2]). ومن الصناعات الغذائية المعروفة في الدولة الأيوبية "البقسماط"([3]). ومنها أيضاً: "الهيْطَلِيَّة"([4]). وعرفت الدولة الأيوبية صناعة السكر حيث كانت تصنع الحلواء، والحلوى الصابونية([5])، وغيرها من الحلاوات أرخص من الجبن والخبز لكثرة السكر الذي كان بدمشق([6]).

ب- الصناعات الكيماوية:

١- العطور والطيب والمستقطرات: تعد أراضي الدولة الأيوبية من البيئات المناسبة لزراعة الورود والرياحين والزهور، فازدهرت فيها صناعة العطور، وأصبحت هذه الصناعة رائجة في فترة الدراسة، وكان الطيب والألطاف يقدم هدية للخليفة العباسي، وملوك الدولة الأيوبية ، حيث كانت هناك أنواعٌ من الطيب والألطاف"([7]) ومن المستقطرات كان يصنع الجلاب (ماء الورد)([8]) .

٢- الشمع: ومن الصناعات الكيميائية التي وجدت في الدولة الأيوبية، صناعة الشمع للإنارة، ، فقد أهدى الملك المُعَظِّم عيسى بهاء الدين ابن القيسراني "الشمع"([9]) .

ج- **صناعة الزجاج:** وشهدت الدولة الأيوبية صناعة أخرى من الصناعات الكيماوية المهمة، ألا وهي: صناعة الزجاج، فقد عرف الزجاج تلك المادة الصلبة الشفافة وعرفت صناعتها منذ القدم، فقد صنعت منها أواني الشرب([10]).

د- صناعة الملابس والأقمشة: انتشرت صناعة الملابس في الدولة الأيوبية، ويبدو ذلك واضحاً لما أرسل الملك الأفضل رسولاً إلى الديوان العزيز، ومعه هدايا منها ملابس لصلاح الدين : " ملابسه"([11])، وأرسل الملك الظاهر للخليفة العباسي: " وخزانة من خِلَعٍ وثياب"([12])، ومن أنواع الثياب: " ثوب

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص١٤٣.

(٢) الفقاع شراب من الشعير يخمر حتى يعلو الزبد. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩٦. وانظر: الرازي، مختار، ص٢٤١. الزبيدي، تاج، ج٢١، ص٥٠٩. أبو حبيب، القاموس ، ص٢٨٩. قلعجي وقنيبي، معجم، ص٣٤٨.

(٣) البُقسْماط: لفظ تركي .. نوع من الخبز وهو عبارة عن خبز جاف يستعمل في فترات الطوارئ. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠٨. وانظر: ابن شداد، النوادر، ص٢٦٦. أبو الفداء، المختصر،ج٤،ص٨٦. الجبرتي،تاريخ، ج١، ص٣٩٧.

(٤) نوع من الحلوى يتخذ من النشا واللبن والسكر. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١١٣. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم، ج٢، ص٩٨٨.

(٥) نوع من الحلوى تصنع من الدقيق الذي يحمص بالسمن، ثم يضاف إليه السكر واللبن، ويعمل منه قوالب مثل: الصابون، توضع في طبق وتبقى في الفرن حتى تنضج. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٥٣.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٥٣.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨.

(8) الجلاب لفظ فارسي معناه ماء الورد . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٤٤. القلقشندي، صبح، ج٤، ص٩٠-٩١. العمري، مسالك، ج٣، ص٤٢٨. الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص١٥٤.

(٩) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٨؛ ج٥، ص٥٨.

(10) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٤٠. وانظر: ابن منظور، لسان، ج٢، ص٢٨٨.

(١١) المصدر نفسه ، ج٣، ص٨.

(١٢) المصدر نفسه ، ج٣، ص٩.

أطلس"(١) . ووجدت صناعة الأقمشة (٢). حيث كانت تصنع" وساد السيادة" (٣)، وملابس متنوعة مثل: "العمامة" وهي للفقهاء، و"زي الجند"(٤). وقدم القاضي بهاء الدين رسول ديوان الخليفة للملك العادل عند التشريف له، " خمسين قطعة من أفخر القماش" (٥). وتعددت أنواع الثياب في العصر الأيوبي، منها: الأطلس، الخطابي، وعلى كل بقجة جلد قندسي كبير، أثواب عتابي خوارزمي، وعليها جلود قندسي كبار، أثواب عتابي بغدادي وموصلي، وأثواب معتق، وسوسي، ودبيقي(٦).

وكانت تصنع سراويل خاصة بنظام الفتوة (٧)، وعرفت الفرجيات (٨) من الملابس ، حيث نسج للمولود العزيز ابن الملك الظاهر ثلاث فرجيات- نوع من العباء المسترسل- من اللؤلؤ، في كل واحد منها أربعون حبة من الياقوت والبلخش، والزمرد(٩). ومن أنواع الملابس التي كانت تصنع البقيار، أو المقيار، وهي عمامة كبيرة كان يلبسها الوزراء والقضاة والكتاب(١٠). ومن الملابس التي كانت تصنع ملابس الحداد ثوب أزرق وعمامة زرقاء(١١). ومن الملابس "الشربوش"، قلنسوة طويلة تلبس بدل العمامة، وكانت شارة الأمراء(١٢). ومن الملابس الكلوتة، والقبا(١٣). وكان يلبس الكلوتة على رأسه بلا شاش علم المُعَظِّم(١٤). ويبدو أن هناك أزياء خاصة بالتجار، فقد بين ذلك ابن واصل في أحد المواقف لأحد الفرنجة: " وكان ذهابي إلى مصر ورجوعي في زي تاجر"(١٥). ومن الملابس التي كانت تصنع الكزاغند(١٦).

---

(١) ابن واصل، مفرج ج٣، ص٣٤.

(٢) المصدر نفسه ، ج٣، ص٦٥.

(٣) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٦٣ .

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨١.

(٦) هذه الثياب هي جزء مما يخلعه ملك على ملك في العصر الأيوبي . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٤-١٨٥.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٠٦. ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص١١٨٤.

(٨) نوع من العباء المسترسل ، ويصنع اليوم من الجوخ ، وله أكمام واسعة طويلة تتعدى أطراف الأصابع ، وهي غير مفتوحة أو مشقوقة . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٢١.

(٩) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٢١.

(١٠) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٥.

(١١) المصدر نفسه، ج٤، ص٦٥.

(١٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٤، ص٨٨.

(١٣) القبا هو ثوب يلبس فوق الثياب أو فوق القميص على شكل معطف. ابن واصل، مفرج،ج١، ٢٧٩؛ ج٤، ص١٧٢.

(١٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، مفرج، ج٤، ص٢٤٧.

(١٦) الكزاغند أو القزاغند والجمع كزاغنديات وقزغنديات لفظ فارسي معناه المعطف القصير يلبس فوق الزردية، وكان يصنع من القطن أو الحرير المبطن المنجد. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٤؛ ج٥، ص١٢٠.

ه- الصناعات المعدنية: ويبدو أنها كانت موجودة من خلال صناعة الخواتم، " وأرسل معه خاتماً"(١). ومن الصناعات المعدنية : صناعة الكوسات(٢). ومن الصناعات المعدنية المهمة صناعة السيوف، الأداة الرئيسة في القتال، والحروب(٣). وكذلك كانت تصنع الزردخاناة من الحديد(٤).

ومن الصناعات المعدنية صناعة صياغة الذهب والفضة: فقد وُجدت صناعة صياغة الذهب والفضة، وتمثلت في: " مصوغات ذهب وفضة" (٥). ووجدت أنواع من المصوغات المذهبة، وغيرها في زواج ضيفة خاتون من الملك الظاهر: عقود جوهر، عصابة مجوهرة، قلائد من العنبر المذهب وغير المذهب، قطع ذهبية وفضية(٦). وفي مولد الملك العزيز بن الملك الظاهر " أمر الملك الظاهر بإحضار شيء كثير من الفضة والذهب، وأمر الصواغ أن لا يتركوا شكلاً ولا صورة من سائر الصور إلا ويصوغون مثلها، فصاغوا من ذلك ما وزن بالقناطير، وصاغوا عشرة مهود من الذهب والفضة "(٧).

و- الصناعات الخشبية: كانت هذه الصناعات منتشرة في الدولة الأيوبية، فكانت تصنع من الخشب الجسور الخشبية في الحروب، " ونزل الملك الأفضل على جسر الخشب"(٨). وكانت تصنع المحفة(٩) من الخشب، حيث استعملها الكثير من الملوك، فلما مرض عز الدين بن مسعود صاحب الموصل، لم يقدر على الحركة، "فحمل في محفة"(١٠). وجدير ذكره أن الدولة الأيوبية كانت تصنع السفن، وخاصة من الأخشاب، وأشار ابن واصل لوجود السفن في الدولة الأيوبية في فترة الدراسة، " فعبرت إليه سفينته"(١١).

ز- صناعة الكلس والحجر: ويبدو أن هذه الصناعة كانت موجودة؛ لأن البناء والعمارة كانت موجودة بصورة كبيرة في الدولة الأيوبية، حتى أن بعض الحرف الخاصة بهذه الصناعة أصبح يطلق عليهم:

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٣ .

(٢) الكوسات هي: صنوجات من نحاس شبه التّرس الصغير، يدقّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ومع ذلك طبول وشبّابة، يدق بها مرتين في القلعة في كل ليلة، ويدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة، ومرة قبل التسبيح على الموادن ، وتسمّى الدّورة بذلك في القلعة، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه. ويقال للذي يضرب بالبوق المفسر ، وللذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض الكوسى. ابن واصل ، مفرج، ج٣، ص٥١. القلقشندي، صبح ، ج٤، ص٩، ص١٣ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٨، ص٧٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥، ص٢٦.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٩ .

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ٢١٤.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٠.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٩٥.

(٩) المحفة مركب كالهودج إلا أن الهودج يقبب والمحفة لا تقبب؛ قال ابن دريد: سميت بها لأن الخشب يحف بالقاعد فيها أي يحيط به من جميع جوانبه، وقيل: المحفة مركب من مراكب النساء. انظر: الأزدي ، جمهرة ، ج١، ص٤٣٦ . الرازي، مختار ، ج١١، ص٧٦ . ابن منظور، لسان ، ج٩، ص٤٩ . الفيروزآبادي، القاموس ، ج١، ص٨١٦.

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٩.

(١١) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٩٤.

الحجارون، النقابون، البناءون، ففي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م "شرع الملك العادل في عمارة فصيل دائر حول سور القدس بالكلس والحجر، وعمَّق الخندق، وأجرى الماء فيه" (١).

٣- التجارة:

أ- وسائل النقل: اعتمدت التجارة في الدولة الأيوبية فترة الدراسة على العديد من وسائل النقل، منها: وسائل النقل البري بواسطة الإبل النجيبة(٢)، والبغال(٣). أيضاً من الوسائل الخيل(٤)، فالبغال للأسفار والأثقال والخيل للطلب والهرب، فقد هرب ضياء الدين بن الأثير وزير الملك الأفضل وركب نجيبا، خوفاً على نفسه من الملك العادل عندما تملك مصر"(٥). كما عرف النقل المائي بواسطة السفن(٦).

ب- الضرائب: كانت الضرائب موجودة في الدولة الأيوبية، ففي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م وعند وصول التشريف للملك العادل من الخليفة العباسي، تكلم رسول ديوان الخليفة الشيخ شهاب الدين السهروردي، وهو على المنبر في حلب" أنه أطلق في بغداد وغيرها من المؤن والضرائب ما مبلغه ثلاثة آلاف دينار"(٧). وقبيل وفاة الملك الظاهر " أسقط كثيراً من المكوسى" (٨). ويُذكر أن ضيفة خاتون ابنة السلطان العادل أزالت المظالم والمكوس(الضرائب) في جميع بلاد حلب(٩).

ج- الغلاء ومستوى المعيشة: وكان التجار يستغلون الحروب، فكانت السلع تشهد غلاءً غير مسبوق، فعندما حاصر الملك العادل والملك الأفضل بلبيس: " غلا السعر وتعذرت الأقوات"(١٠). وفي إحدى المعارك أيضاً " نال أهل دمشق من الغلاء ما تمنوا معه الموت"(١١). وفي سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م " لما اشتد الحصار على الملك العادل بدمشق، غلت الأقوات...وغلت الأسعار جداً" (١٢). واستغل التجار تقصير النيل في سنة ٥٩٦ه، ١١٩٩م، " فكان ذلك سبباً للغلاء المفرط في السنة التي تلتها(١٣). وفي سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م ضايق الفرنج دمياط، حتى نفد ما عند أهلها من الأقوات، واشتد الغلاء بها جداً(١٤).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٤١.

(٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١١٢. الهروي، الزاهر، ص١٤٥. الرازي، مختار، ص٣٠٤. الفيروزآبادي ، القاموس، ج١، ص١٣٠. ابن جني، سر، ج٢، ص٢١٧ .

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٣١.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٦٣-٢٦٤ . وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص١١٢ .

(٦) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص١٩٤.

(٧) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٨٠. وانظر:
Bernard The Wise: The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(٨) ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص٢٤٠-٢٤١ . وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٦- ٢٩٧ .

(٩) المصدر نفسه ، مفرج، ج٥، ص٣١٣.

(١٠) المصدر نفسه ، ج٣، ص٥٢.

(١١) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٠٠ .

(١٢) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٠٤ ؛ ص١٠٧.

(١٣) ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص١١٥.

(١٤) المصدر نفسه ، ج٤، ص٣٢.

د- دار الضرب (عمل النقود وسكها): هى عبارة عن منشأة صناعية، تتبع السلطة (غالباً) تقوم بإصدار عملات نقدية ذهبية، أو فضية، أو نحاسية أو برونزية، فيتداولها الناس، وتكون أساس تعاملهم المالى، ويمكن أن تَسُك هذه الدار (الرسمية) نقداً تكلفه الدولة، أو تقوم أحيانا بعملات للتجار، أو لدولة أخرى أحيانا لتزيد من سيولة النقد بعد أن تحصل على تكاليف الضرب(١). وكانت الأوراق النقدية السائدة في الدولة الأيوبية، الدينار والدرهم، "وأعطى القاضي بهاء الدين ألفي دينار"(٢).

وقد قال ابن واصل عن الأفضل عندما تاب: " وأمر بإراقة الخمور، وبضرب آنية الشرب دراهم ودنانير في دار الضرب"(٣).

ه- الأسواق : وُجدت الأسواق في الدولة الأيوبية (٤)، ومن أنواع الأسواق :

١- أسواق النخاسة(٥)، أي أسواق بيع الدواب ، ويبدو أنها كانت موجودة في الدولة الأيوبية من اسم رسول الملك الظاهر "موفق الدين بن النخاس"(٦). فكان للملوك "دواب كثيرة"(٧)، ويبدو أنها كانت تباع في سوق النخاسة. وكان الأيوبيون يخرجون" دوابهم إلى الربيع" (٨). وفي سوق النخَّاسة كانت تباع الخيل العراب، حيث كانت هناك سوق الخيل(٩)، والبغال، والأغنام(١٠). وكانت الأسواق تغلق عند حدوث أي مناسبات في الدولة الأيوبية، " ولما قارب الشيخ شهاب الدين- رسول ديوان الخليفة- دمشق، غُلِّقَتْ الأسواق، وخرج الناس كلهم، وكان يوماً مشهوداً"(١١). وقد أغلقت الأسواق أبوابها في حلب سبعة أيام لوفاة الملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن السلطان صلاح الدين(١٢). وأغلقت الأسواق أيضاً عندما أطلق الملك الظاهر مماليك وجواري ، فوقع النهب ، والإرجاف ، وغُلِّقَتْ الأسواق(١٣). وتم إغلاق

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٤٠. العسكري: الأوائل، ص٢٥٤-٢٥٥. الصفدي: الوافي، ج٢١، ص٥٤. ابن العماد الحنبلي: شذرات، ج٣، ص١١٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٤١، ص٤٥٢. وانظر:
A. L.Udovitch: Fals, Encyclopadia of Islam, vol.2, p.768.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه ، مفرج ، ج٣، ص٢١ .

(٥) النخَّاس: بَائِع الدَّوَابّ، سُمِّي بذلك لنخسه إِيَّاهَا حَتَّى تَنْشَط. وحرفته: النَّخاسة، والنَّخاسة. وقد يُسمىَّ بَائِع الرَّقِيق: نَخّاسا. والأوّل هُوَ الأَصْل. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩٤. وانظر: الخليل، العين، ج٤، ص٢٠٠ . الأنباري، الزاهر، ج١، ص٤٤٧. الجوهري، الصحاح، ج٣، ص٩٨١. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٥، ص٤٠٥. ابن سيده، المحكم، ج٥، ص٨٢. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٢٨.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩٤.

(٧) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٠٧.

(٨) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٠٨.

(٩) غراراً على السوق الموجودة في بغداد. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٥٤.

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٣١؛ ١٩٧ .

(١١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٨١.

(١٢) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٩٨.

(١٣) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٣٩.

الأسواق في حلب عندما أُرجف بموت الملك الظاهر([1]). وكان الملك المُعَظِّم يتخرق الأسواق، أي: يتجول فيها([2]).

٢- سوق الغزل: كان يوجد في الدولة الأيوبية سوقاً خاصاً للغزل بمصر([3]). وفي سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م ابتنى الملك الصالح نجم الدين أيوب مدينة سماها الصالحية، جعل فيها سوقاً([4]).

و- المحال التجارية: ويبدو وجود هذه المحلات في الدولة الأيوبية عندما قال ابن واصل على لسان العماد :" وبمتجرها الرابح"([5])، ووجدت "المحال التجارية"([6]).

ثانياً: المظاهر الاجتماعية

١- فئات السكان في الدولة الأيوبية: تعددت فئات السكان في الدولة الأيوبية، ويبدو ذلك من خلال خطبة زواج ألقاها العماد الأصفهاني: " عُرباً وعُجْماً، وبدواً وحضراً"([7]).

أولاً: المسلمون:

أ- العَرب: ضمت الدولة الأيوبية الكثير من العرب المسلمين، وهناك إشارات كثيرة من ابن واصل تدلل على ذلك منها: " جماعة من عرب البلاد" والمقصود اليمن([8]). وقول ابن واصل:" وأخذ دليلاً من العرب"([9]). وقوله: " وحضر عنده عرب طي" ([10]). وفي سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م نزل الملك الأشرف حلب، وخيم بالميدان الأخضر، وخرج الأمراء إلى خدمته، واستحلفهم، وخلع عليهم، ووصل إليه الأمير مانع بن حديثه أمير العرب في جمع عظيم من العرب، وعاشت العرب في بلد حلب..." ([11]). وقوله: " وكان مقيماً عند العرب بظاهر مكة" ([12]). وكان هناك عرب في دمشق([13]).

وقد وجد العرب في اليمن والحجاز، لقول ابن واصل عن المسعود ابن الكامل عندما تولى اليمن والحجاز:" فخافته العرب وغيرهم"([14]).

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٤٠.
(٢) المصدر نفسه ، ج٤، ص٢١٠.
(٣) المصدر نفسه ، ج٥، ص١٦٩.
(٤) المصدر نفسه ، ج٥، ص٣٧٩.
(٥) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٦.
(٦) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٠ .
(٧) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٤.
(٨) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٣٨.
(٩) المصدر نفسه ، ج٣، ص٢٠٩.
(١٠) المصدر نفسه ، ج٣، ص٢٦٥.
(١١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٦٦ ؛ ص٢٦٧ .
(١٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٤.
(١٣) المصدر نفسه، مفرج ، ج٤، ص١٧٨.
(١٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٦٠.

ب- العُجم:

١- الأكراد:

وكان الأكراد يمثلون الدولة الأيوبية بشكل كبير، وخاصة أن مؤسسها صلاح الدين الأيوبي كردي . " وكان والده أيوب بن شاذي رحمه الله تعالى والياً بها-تكريت- ... ثم اتفق له الانتقال من تكريت إلى الموصل المحروسة "(١). وكان أصلهم من الأكراد، وكانوا من بلد يقال له دوين(٢)، وكانت في الدولة الأيوبية الكثير من العساكر "الأكراد"(٣).

ومن الأكراد : الأمير شجاع الدين يونس(٤). والذي قتل الملك المعز إسماعيل ابن سيف الإسلام جماعة من الأكراد(٥). ومن الأكراد الهكارية عماد الدين المشطوب، حيث حاول "خلع الكامل من السلطنة" (٦).

٢- الأتراك:

أشار ابن واصل إلى وجود الأتراك كفئة من السكان في الدولة الأيوبية (٧). ومن الأتراك عرف عنصر الغز الأتراك، أو ما يعرف بالتركمان، وشاع تسميتهم بالسلاجقة الذين انضووا تحت راية الدولة الأيوبية، " وأعطى الملك الظاهر التركمان الدستور بعد أن خلع عليهم"(٨).

ثانيا: أهل الذمة:

لم تخل الدولة الأيوبية من وجود سكان من أهل الذمة(اليهود والنصارى) ، وهذا ما أورده ابن واصل أن أناساً خرجوا إلى الشام " في عيد الصليب"(٩)، وتواجد النصارى في أغلب المدن الأيوبية، ففي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م كان الفرنج في القدس، ووجد قسيس في يده إنجيل(١٠) . وكان في الدولة الأيوبية سامريون(١١)، وهم فرقة من اليهود، فكان وزير الملك الصالح إسماعيل سامرياً فأسلم في صباه، وكان عمه وزير صاحب بعلبك الملك الأمجد، ومدبر دولته(١٢).

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠. وانظر: ابن شداد، النوادر، ج١، ص٣١. الذهبي، سير،ج١٦، ص١٢٠.

(٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٧٠. وانظر: ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢٦٠ . الذهبي، سير، ج٢٢، ص١١٥ . اليافعي ، مرآة ، ج٣، ص٣٣٣. ابن العماد، شذرات، ج٦، ص٣١١.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٩٦.

(٥) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٣٦.

(٦) المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٦ - ١٧.

(٧) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص١٣٧.

(٨) المصدر نفسه ، ج٣، ١٧٠.

(9) ابن واصل، مفرج، ج٣، ١٤٦. وانظر: القلقشندى: صبح،ج٢، ص٤٥٥ـ٤٥٧ . المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٣٢ .
وانظر: Albert d,Aix, Historia,P 645.

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٤٤.

(11) السامريون: فرقة من اليهود انشقت عن الربانيين والقرائيين بسبب خلافات مذهبية، وعقيدتهم هي عقيدة التوحيد اليهودية، وكتابهم المقدس أسفار موسى الخمسة (الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم)، وهم ينكرون نبوءة من بعد موسى ما عدا هارون ويوشع بن نون عليهما السلام، ويستقبلون طور نابلس. هم صنفان: صنف يقال لهم الدستان، وصنف يقال لهم الكوشان. انظر: البلاذري، فتوح، ص٢١٦. المسعودي، مروج، ج١، ص٥٩. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٣. الحويري، الأوضاع، ص١٠٠. الخلف، دراسات، ص ١٤٣.

(١٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٣٦.

٢- **العادات والتقاليد:** شاعت في الدولة الأيوبية عادات وتقاليد كثيرة ، يتمسكون بهـا، فغلـب علـيهم العادات الحسنة، ومن هذه العادات والتقاليد :

أولاً: الأعياد والمناسبات والاحتفالات: احتفل سكان الدولة الأيوبية بأعيـادهم ومناسـباتهم الاجتماعيـة والدينية بِحُريَّة، ومارست كل فئة من فئات السكان طابعاً يميزها عن غيرها، فحين احتفـل المـسلمون بأعيادهم، وأقاموا شعائرهم، كان لأهل الذمة الحرية في ذلك أيضا.

١- **الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية:** انتشرت الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية بشكل لافت، فمـن الاحتفالات العائلية التي كان لها أهمية كبرى:

أ- **الولادة:** ففي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ولد الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور، وسـماه عمر، وإنما سمي محموداً بعد ذلك. وكانت ولادته بقلعة حماة، وكان والده الملك المنصور بقلعة بعـرين في مرابطة الفرنج، فلما بلغته ولادته قدم إلى حماة، فهنأه أكابر الدولة، ومدحه الشعراء، وهنوه بذلك(١).

وفي يوم الخميس ٥ ذي الحجة ٦١٠هـ/ ١٧ أبريل ١٢١٤م ولد للملك الظاهر من ابنـة عمـه ضيفة خاتون بنت الملك العادل الملك العزيز غياث الدين محمد . وزينت حلب، واحتفل الملـك الظـاهر لمولده احتفالاً عظيماً(٢). وولد الملك الناصر بقلعة حلب يوم ١٩ رمضان ٦٢٧هـ/٣١ يوليو ١٢٣٠م، وكان لمولده بالغ الأثر في نفس والده الملك العزيز، فقد " زين البلد، وعقدت القباب، ولبس في أتم زينـة وهيئة، وأظهر من السرور والابتهاج بمولده ما جاوز الحد . ويبدو أن هذه عادة الملوك الأيوبيين فـي الابتهاج بالمواليد الذكور، لما في ذلك من تثبيت لدعائم ملكهم، وبقاء السلطة بسلالتهم(٣). وفي شهر ربيع الأول من سنة ٦٣٢هـ/ديسمبر ١٢٣٤م ولد الملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن الملـك المظفر صاحب حماة، وأمه الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الكامل، فعظمت المسرة عنـد العامـة والخاصة بمولده. وعملت له عقيقة بالقلعة المحروسة في اليوم السابع من مولده، حضرها أكابر المعممين والأجناد، وكان يوماً فيه قرة عين الأولياء، وكبت قلوب الحساد (٤).

ب – الزواج والختان: ومن العادات الاجتماعية الحسنة في الدولة الأيوبية الزواج والختان(٥).

١-**الزواج:** وكانت العادة أن يقدم الرجل لخطيبته صداقاً (مهر) حسب استطاعته، والاتفاق مع وليها(٦). وكانت ظاهرة الزواج عند ملوك بني أيوب يُبْذَلُ فيها الشيء الكثير، من أمثلة ذلك:

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٢٢٠.

(٣) ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٢٨٣. وانظر: ابن خلكان ، وفيـات، ج٤، ص١٠. الـصفدي، تحفـة، ج٢، ص١٥٤. الكتبـي، فـوات، ج٢، ص٦٦٧. عودة، الحركة الشعرية (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص٧.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٩٣.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٢١.

(6) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢١. وانظر: المقدسي، البدء،ج٤، ص٤٦. ابن خلدون، تاريخ،ج٢، ص١٥٨.

– زواج الملك العزيز من ابنة عمه الملك العادل في سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م، وأنشأ العماد الأصفهاني خطبة العقد، منها: " الحمد لله الذي خلق من الماء بشرًا، فجعله نسباً وصهرًا، وشرع النكاح، ووضعه صلة للأرحام وبرًا، وشد به أزرًا، ورفع به قدرًا، وأطلع بسناء سنته في العالم فجرا، وأجرى به أجرًا"(١).

– في سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م توجه القاضي بهاء الدين بن شداد من الملك الظاهر رسولاً إلى عمه الملك العادل لطلب الزواج من ابنته ضيفه خاتون، وسابقاً طلبها الملك الظاهر، وتم رفض الطلب، فلما وصل القاضي بهاء الدين عند الملك العادل، وخاطبه في ذلك تمت الموافقة، وسمح له بتزويج ابنته ضيفة خاتون، ورجع من عنده مكرماً(٢) . وفي ١١ محرم من سنة ٦٠٩هـ/ ١٣ يونيو ١٢١٢م بعث الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد رسولاً إلى عمه الملك العادل في تقرير أمر العقد، ووكله في قبوله، وأنفذ معه ثياباً كثيرة برسم الخلع على أرباب الدولة، ومالاً برسم النثار وقت عقدة النكاح . ولما ورد القاضي بهاء الدين إلى دمشق عقد العقد، وكان النائب عن الملك العادل في الإيجاب شمس الدين بن التنبي . وقبل القاضي بهاء الدين العقد لموكله على صداق مبلغه خمسون ألف دينار، ونثر النثار على الشهود والقراء. وسرحت الخاتون في المحرم إلى حلب، فوصلت إليها في تجمل، وقدم معها من القماش والآلات وأنواع المصاغ ما يحمله خمسون بغلاً، ومائة بختى وثلثمائة جمل، ومن الجواري والوصائف والإماء والحرائر في المحاير والكجاوات ما يحملهن مائة جمل. ومائة جارية أخرى كلهن يعملن أنواع الصنائع البديعة. وذكر أنها لما دخلت على الملك الظاهر مشى لها عدة خطوات، واحترمها احتراماً عظيماً، وقدم لها خمسة عقود جوهر قيمتها مائة ألف وخمسون ألف درهم، وعصابة مجوهرة ليس لها نظير، وعشر قلائد من العنبر المذهب، وخمسا غير مذهبة، ومائة وسبعين قطعة من الذهب والفضة، وعشرين تختاً من الثياب المختلفة الألوان، وعشرين جارية، وعشر خدم(٣).

– في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م تم عقد زواج الملك العزيز بابنة الملك الكامل فاطمة خاتون شقيقة الملك العادل الصغير ابن الكامل على صداق مبلغه خمسون ألف دينار، وذلك في مسجد خاتون بحضور الملك الأشرف، وولي عقد النكاح من جهة السلطان الكامل الأمير عماد الدين بن شيخ الشيوخ، وعن الملك العزيز القاضي بهاء الدين ابن شداد، وكان هذا الاتفاق ودمشق محاصرة، وبعد فتح دمشق عاد القاضي ابن شداد ومن معه إلى حلب(٤).

– وفي سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م عقد للملك الناصر العقد على ابنة عمه عاشوراء خاتون بنت السلطان

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٣٤.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢١٢.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ٢١٣-٢١٤.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ٢٥٤-٢٥٥ .

الكامل، وكان متولى العقد من جهة الملك الكامل كمال الدين بن شيخ الشيوخ، ومتولي القبول من جهة الملك الناصر الطواشي عزيز الدولة ريحان نائب الملك الناصر بالكرك، فلما عقد العقد نثر النثار من الذهب والفضة، وحصل الاتصال بين الملك الناصر ابن الملك المُعَظِّم وبين عمه الملك الكامل(١).

– وفي سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م توجه من حماه الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن نصر الله رسولاً إلى السلطان الملك الناصر صاحب حلب، ليعقد العقد للسلطان الملك المنصور على ابنة خالته الصاحبة عصمة الدين عائشة خاتون ابنة الملك العزيز صاحب حلب، فقد وصل إلى حلب وعقد العقد بقلعة حلب على صداق خمسين ألف دينار. وأوجب العقد من جهة الملك الناصر القاضي كمال الدين بن زين الدين ابن الأستاذ قاضي حلب، وقبل العقد من جهة الملك المنصور الشيخ تاج الدين رحمه الله(٢).

٢– الختان:

وكانت ظاهرة الختان موجودة في الدولة الأيوبية ، ففي سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٤م ختن الملك الظاهر ولده الملك الصالح صلاح الدين أحمد ، وعمره يومئذ تسع سنين(٣) .

ج– المآتم والأحزان:

كانت لملوك الدولة الأيوبية طقوس وعادات في العزاء" (٤) . ومن عاداتهم الجلوس في العزاء ثلاثة أيام، ومن عاداتهم وضع الميت في تابوت، ودفنه في إحدى الترب، فلما توفى الملك المؤيد نجم الدين مسعود "وضع في تابوت" ، وحُمل إلى حلب فوصل إليها ٢٨ شعبان ٦٠٦هـ/٢٤ فبراير ١٢١٠م، ودفن في التربة الظاهرية بمقام إبراهيم عليه السلام (٥).

ومن عاداتهم أن يدفن الأمير أو الملك في مدرسة أنشأها، كالملك المُعَظِّم(٦)، ولما توفى الملك المنصور(ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهان شاه بن أيوب) بقلعة حماه، في ذي القعدة من سنة ٦١٧هـ/ يناير ١٢٢١م، حيث أوصى في مرضه بإخراج من في حبسه، وقال : " في حبسنا قد ظلمنا بأخذ مالنا" ، وأعتق جميع مماليكه وإمائه، وأثمانهم تجل عن الحصر(٧). ومن العادات أيضاً لبس شعار الحزن، وملابس الحداد، ففي٢٠ ذي القعدة سنة ٦١٢هـ/١١ مارس ١٢١٦م توفى الأمير أبو الحسن عليّ بن الخليفة الناصر لدين الله، وكان مرضه الإسهال، فحزن الخليفة حزناً لم يسمع بمثله، ومشى جميع الناس بين يدي تابوته إلى تربة جدته الخيزران، ولما سمعت الملوك بموته، وخاصة

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص١٥–١٦.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٥٧.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٦، ص٢١، ص٢٢١.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٦.

(٥) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص ١٩٨. وانظر: أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٤٧٥. الأصفهاني، البرق، ج ٣، ص ٧٧. الذهبي: تاريخ، ج ٤٥، ص ٧٨. أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٣٨٧.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٩.

(٧) المصدر نفسه ، ج٤، ص٧٧.

الدولة الأيوبية جلسوا في العزاء له لابسين شعار الحزن خدمة للخليفة([1]). وكانت الصلاة على الميت بالإضافة إلى لبس الحداد من الطقوس الهامة التي مارسها ملوك بني أيوب على الأموات، ففي ٦١٦هـ/ ١٢١٩م توفيت ملكة خاتون بنت الملك العادل، وحزن عليها زوجها الملك المنصور حزناً شديداً، ولبس الحداد، وأمر بصعود أكابر حماة إلى القلعة للصلاة عليها، قال ابن واصل: " فصلوا عليها وأَمَّ بهم والدي، وحضرت معه يومئذ وعمري نحو اثنتى عشرة سنة "([2]). وكانت هناك عادات عندهم الحزن المفرط على الميت، ففي٢٠ جمادى الآخرة سنة ٦١٣هـ/ ١٤ أكتوبر١٢١٦م توفى الملك الظاهر([3]). وقد حزنت البلاد لموته " فوقع الأمراء عن خيولهم، وكشفوا رءوسهم، وقطعوا شعورهم، وضجوا ضجة واحدة، وفعل كذلك مماليكه وأهل القلعة، وكان منظراً فظيعاً، وأقبل الناس على النوح والبكاء" ، وكان المتولي لغسله شهاب الدين بن حرب خطيب قلعة حلب، وصلى عليه هو والأتابك والفقيه ابن الدال، والحاج بهاء الدين عمر بن أياز([4]). ومن عادات بني أيوب إذا مات أحد الملوك يتم السيطرة على ما يملك، ففي ٧ جمادى الآخرة ٦١٥هـ/ ٣٠ أغسطس ١٢١٨م، توفى الملك العادل، ولم يعلم بموته إلا المُعَظِّم، فأخذ جميع ما كان مع الملك العادل من الأموال والجواهر النفيسة، والذخائر، والعدد، والأثقال ، والخيول. فلما تم للملك المُعَظِّم ما أراد أظهر موته، وجلس في العزاء، وكتب إلى سائر الملوك يخبرهم بموته([5]). ولما علم الملك الكامل بموت والده جلس في العزاء بمنزلته المعروفة بالعادلية في بر دمياط، وحزن الكامل حزنا شديداً على أبيه([6]). وفي ذي القعدة من سنة ٦٢٤هـ/اكتوبر ١٢٢٧م توفى الملك المُعَظِّم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بالدوسنطاريا بقلعة دمشق([7]). ولما توفى دفن رحمه الله في مدرسة حنفية بناها تحت جبل قاسيون في طرف الصالحية الغربي، وكان وقف عليها وقفاً جليلاً، ودفن بها والدته وهي أم ولد تركية ، ودفن فيها جماعة من أهله([8])، وترتب في ممالك المُعَظِّم ابنه الملك الناصر داود، فنفذت كتبه ورسله إلى عميه الملك الكامل، والملك الأشرف بالتعزية بأبيه الملك المُعَظِّم، فقعد كل منهما في عزائه([9]). وفي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م توفى الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن السلطان الملك الكامل صاحب اليمن، وورد الخبر للملك الكامل وهو محاصر لدمشق، فجلس للعزاء لابساً الحداد([10]). وتوفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى في ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م([11]). ولما مات

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٦٥.

(٣) المصدر نفسه ،ج٣، ص٢٣٧-٢٤١ . وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٦- ٢٩٧ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٤١- ص٢٤٢.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٧٠. وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٦ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٥.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠٨.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٩.

(٩) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٢٤ .

(١٠) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٥٩ .

(١١) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٣٧.

دفن في تربة بنيت له ينفذ شباكها إلى الكلاسة بجامع دمشق، ورتّب عليها من يقرأ القرآن عليه ليلاً ونهاراً ، رحمه الله ورضي عنه([1]). وتوفى الملك الكامل في ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م، فلما علم الملك المظفر ملك حماة، أقام بها العزاء في الجامع الأعلى([2]).

وقد استمرت هذه العادات والطقوس عند ملوك وأمراء الدولة الأيوبية: ففي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م توفى الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن الملك العادل بقلعة عزاز، وحمل تابوته إلى حلب، وخرج السلطان الملك الناصر يوسف صاحب حلب، وأعيان الدولة، وأماثل البلد وصلوا عليه. ودفن في الفردوس في المكان الذي أنشأته أخته الصاحبة. وتسلم نواب الملك الناصر قلعة عزاز، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م. وعمل عزاؤه في قلعة حماه، وحضره الملك المظفر رحمه الله، وهو مريض بالفالج، وحضره أكابر البلد([3]). وفي سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م وافت المنية الصاحبة ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل والدة الملك العزيز، ودفنت بالقلعة التي دفن فيها ولدها الملك العزيز رحمهما الله([4]). وفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م وافت المنية الملك المظفر ملك حماة، كان مريضاً بالفالج، ثم عرضت له حمى حادة أياماً، فكانت وفاته بها. وورد الخبر بموت الملك المظفر إلى الديار المصرية، فحزن لموته السلطان الملك الصالح، وجلس له في العزاء([5]). وفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م جاء " الخبر بوفاة الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل صاحب ميا فارقين، وجُلس له في العزاء بالجامع الأزهر([6]). وفي سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م توفى الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص، توفى بالنيرب بظاهر دمشق، فحمل إلى حمص ودفن بظاهرها([7]). وفي سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م توفى الملك العادل الصغير بقلعة الجبل، فجُهز وأُخرج إلى مقبرة شمس الدولة بن صلاح الدين خارج باب النصر فدفن بها([8]). ووافت المنية الملك الصالح نجم الدين في يوم الإثنين (١٥ من شعبان ٦٤٧هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٢٤٩م)([9]). وولي الحكم بعد الصالح نجم الدين ابنه المُعَظِّم توران شاه، حيث "حاول مقارعة الحملة السابعة للصليبيين بقيادة لويس التاسع"([10])، إلا أنه قتل على أيدي المماليك في يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ٦٤٨هـ/ ٢ مايو ١٢٥٠م([11]). وبهذا انتهى عهد الملوك فترة الدراسة.

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٧٧.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٣١٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٢-٣٤٥.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٤٥.

(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٦٩-٣٧٠.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٨٠.

(٩) المصدر نفسه ، مفرج، ج٥، ٢٩٥-٢٩٦. وانظر: ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٧٤. ابن العميد، أخبار، ص٣٧، ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٦٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٤١. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٢٩٥ .

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٦، ١١١-١١٢. ص١٢٠-١٢١. وانظر: ابن أيبك، كنز، ص٧، ص٣٣٧-٣٣٨.

(١١) المصدر نفسه، مفرج،ج٥، ٢٩٦. وانظر: ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٧٧٩.أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢١٩.

٢- الاحتفالات والمناسبات الدينية: وإلى جانب الاحتفالات، والمواسم، والمناسبات الاجتماعية، والعائلية، كانت هناك الاحتفالات، والمواسم، والمناسبات الدينية التي تعددت أشكالها:

أ- الاحتفال بالمولد النبوي (محمد صلى الله عليه وسلم): ويبدو أن هذه الظاهرة كانت منتشرة ، بحكم أن الدولة الأيوبية كان أغلب سكانها من المسلمين([1]).

ب- موسم عاشوراء: ويبدو أن سكان الدولة الأيوبية كانوا يحتفلون بيوم عاشوراء، حيث حُمَّ الملك العزيز، ثم توجه إلى القاهرة فدخلها يوم عاشوراء(٢).

ج- شهر رمضان: كانت للملوك في الدولة الأيوبية طقوساً في شهر رمضان، ولكثرة حروبهم ، كان شهر رمضان يأتي وهم في الحرب، " وفي شهر رمضان من سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م قصد الملك المنصور صاحب حماة بعرين..." ([3]) ، وحارب الملك الظاهر أياماً وهو منازل لحماة في شهر رمضان([4]). وفي سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م دخل شهر رمضان والملك العادل "مقيما بالبحيرة حتى صام شهر رمضان كله" على نية الجهاد ضد الفرنج([5]).

د- سفر الحجاج لأداء فريضة الحج : وبحكم أن جُل الناس في الدولة الأيوبية وعلى رأسهم ملوكها من المسلمين، كانت شعيرة الحج تقام في كل عام. ومن شدة اهتمام الملوك والأمراء الأيوبيين سيروا مع قوافل الحجيج قواداً لها، فكان أمير الحج في سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م عز الدين أسامة صاحب عجلون وكوكب([6]). وقد حج في سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م والي البر بحماة([7]). وفي سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م)، ذهب للحج المسعود ابن الملك الكامل للحج، وذكر ابن واصل ركناً منه : " فلما كان يوم عرفة" ([8]) . وقال ابن واصل: " وكتب والدي رحمه الله في هذه السنة -٦٢٤هـ/١٢٢٦م- وهو مقيم بالقدس بالمدرسة الناصرية الصلاحية إلى السلطان الملك المُعَظِّم يستأذنه في الحج، فأذن له في ذلك، وأحرم عند الصخرة الشريفة، وسافر إلى مكة محرماً، وحج وجاور، ثم حج سنة خمس وعشرين وعاد في سنة ستة وعشرين، وأقمت مكانه بالمدرسة المذكورة"([9]). وجدير ذكره أن منطقة اللجون في الأردن كانت منزلة الحجاج إذا توجهوا للحجاز([10]). وفي سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م سافر القاضي شهاب الدين قاضي حماة إلى جهة العراق بنية الحج مع الحاج العراقي، ولما وصل إلى بغداد سافر مع الحاج العراقي، وجرت عليه

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨٢.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠١.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ١٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ١٧٣.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١١٩ .

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص١٣٥.

(٨) المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٤-١٢٥.

(٩) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠٨.

(١٠) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٣.

شدة، رجعوا بسببها إلى بغداد، فخلع الخليفة على القاضي شهاب الدين، وعاد إلى حماة في السنة القابلة([1]).

ه- عيد الفطر والأضحى: كانت ملوك بني أيوب يحتفلون بالأعياد الدينية، ففي سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م عيَّد الملك المنصور صاحب حماة في بعرين " عَيَّدَ عيد الأضحى بها"([2]). وفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م حضر الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر صاحب حلب عيد الفطر، فخلع على كافة الأمراء، ومقدمي البلد وأرباب المناصب، وعمل عيداً عظيماً احتفل فيه، ولم يعمل بحلب عيد قبل هذه السنة مذ مات أبوه الملك الظاهر رحمهما الله([3]). وفي سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م أقام الملك الصالح نجم الدين في خربة اللصوص، " وعيدوا بها عيد الفطر"([4]).

و- المقامات والمزارات: وقد وجد مقام إبراهيم عليه السلام بمشهد برزة في غوطة دمشق([5]).

٣- مظاهر اجتماعية أخرى كانت سائدة في الدولة الأيوبية:

أ- كأس الفتوة ورمي البندق: وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة، ويلبسوا له سراويلها ويكون انتماؤهم إليه، ورعية كل ملك يشربون لذلك الملك ويلبسون له. ففعلوا ما أُمروا به([6]).

وانتسب الملوك إليه في رمي البندق([7]) ، وجعلوه قدوتهم فيه([8]).وقد ورد رسول الخليفة إلى حماة في أيام الملك المنصور (ناصر الدين أبو المعالي محمد) رحمه الله، وتقدم إليه بأن يلبس للخليفة سراويل

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٨٥-٨٦.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٠١.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٢٨.

(٤) المصدر نفسه ، مفرج، ج٥، ص٢١٢.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٣٨.

(٦) الفتوة نظام اجتماعي إسلامي قديم يعتمد على ما تعتمد عليه الفروسية من آداب وصفات أهمها الشباب والفتوة ، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الكذب، والرحمة باليتيم، وقري الضيف، ومساعدة الضعيف والإيثار، ولها ذكر في الأحاديث النبوية ، ثم نسبت إلى علي بن أبي طالب ، وظل هذا النظام متبعاً خلال العصور الإسلامية يتطور بتطورها، يقوى حيناً، ويضعف أو يهجر حيناً آخر، إلى أن عمل على إحيائه الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، كما هو وارد في النص، وكانت للفتوة ناموس ، وكانت لها طقوس خاصة ؛ فلا يقبل الفتى الجديد إلا إذا زكاه فتيان آخرون ، ويحتفل بانضمامه احتفالاً خاصاً له رسوم معينة، فيحزم بحزام وهو يعبر عنه بشدة العقد، ويلي ذلك شرب كأس الفتوة، ثم لبس سراويل الفتوة، وكانت كأس الفتوة تحتوي الماء والملح... ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٧) البندق كرات تصنع من من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها، وهي فارسي بلفظها واستعمالها، وتسمى الجلاهقات جمع جلاهق، فكان الفرس يرمون هذا البندق عن الأقواس كما يرمون النبال، وزاقتبس العرب هذه اللعبة في أواخر أيام عثمان بن عفان، وعدوا ظهورها في المدينة منكراً ، ثم ألفوها حتى شكلوا فرقاً من الجند ترمي بها، وكان رماة البندق في العصر العباسي طائفة كبيرة يخرجون إلى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطير ونحوه، ويعدون ذلك من قبيل الفتوة، ولهم زي خاص يمتاز بسراويل كانوا يلبسونها يسمونها سراويل الفتوة، وكان لرمي البندق شأن كبير في العصور الوسطى بالعراق والشام ومصر وفارس وغيرها، ثم تفننوا في رمي البندق بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق، فلما اخترعوا البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب، وسموا هذه الآلة بندقية نسبة إليه، وقد عنى الخليفة الناصر (ت: ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) عناية خاصة بالبندق حتى جعل رميه فناً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها من مباشرة أو من أحد رسله بالوكالة. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٠٧.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٠٦-٢٠٧ .

الفتوة، ويلبس الأكابر له. فتقدم الملك المنصور بأن يعمل خطبة في الفتوة ، وقال ابن واصل: " فعمل والدي خطبة بديعة في هذا المعنى، واستشهد بآيات من القرآن منها قوله تعالى: " قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ " (الأنبياء:٦٠)، ومنها قوله تعالى: " إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ" (الكهف:١٠)، وغير ذلك من الأخبار والآثار التي يحض فيها على عمل الطاعات واجتناب المآثم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم على الظالم، وإغاثة الملهوف وحفظ الجار، وغير ذلك مما يشترطونه في الفتوة، وقرئت هذه الخطبة بمحضر من السلطان والأكابر. وكان القاضي بحماة يومئذ بهاء الدين أبا اليسر بن موهوب ، فأمره السلطان بلبس سراويل الفتوة في المجلس فلبسها ولبسوها الجماعة" (١). وفي سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م خرج الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب إلى الصيد، ورمي البندق بنواحي العمق(٢).

ب- وجود دور للنساء الأرامل، ودور للصغار الأيتام، ودور للقطاء . ويبدو أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في الدولة الأيوبية ، وذلك لكثرة الحروب ، والنزاعات داخل الدولة الأيوبية(٣).

ج- الصعاليك(٤): ويبدو أن هذه الفئة كانت منتشرة في المجتمع الأيوبي(٥).

د- الغناء: من المظاهر الاجتماعية التي كانت سائدة عند الأيوبيين سماع الأغاني، وقد شجع العادل ابن أخيه- الأفضل- على سماع الأغاني: " فجلس وسمع الغناء، واستحسن المجلس واستطاب ما هو فيه وندماؤه، وقال الأفضل: " أيَّ حاجة بك إلى التكتم، أعلن بما أنت فيه وافعله ظاهراً، فَلَا خَيْرَ في اللَّذات مِنْ دونِهَا سِتْرُ" ، فقبل وصية عمه وتظاهر بلذاته، وصرف إليها سائر أوقاته"(٦). ومن المغنيات في العصر الأيوبي ست الفخر بنت التاجر مغنية الأشرف(٧). وذكر ابن واصل عند زواج ضيفة خاتون ابنة الملك العادل: "أنه كان في خدمتها مائة جارية، كلهن مطربات يلعبن بأنواع الملاهي"(٨).واشتهر بالغناء الشاعر المغني جمال الدين بن عبد ، وكان شاعراً مغنياً متميزاً، وكان أحد ندماء الملك الجواد(٩).

ه- الترفيه: ومن المظاهر الاجتماعية إقبال الناس على الترفيه، حتى أن الملوك والأمراء في العصر الأيوبي مارسوا الترفيه في حياتهم، ومن ألوان الترفيه التي مارسوها:

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٠.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٥٥ .

(٤) وهم قومٌ لا مالَ لهم ولا اعتماد ولَا ضَيعة. والتصعلك: الفقر. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٥٩. وانظر: الخليل، العين، ج٢، ص٣٠٣. الهروي، تهذيب، ج١، ص٨٧. الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٥٩٦. الزبيدي، تاج، ج٢٧، ص٢٤١.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٥٩.

(٦) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٤٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٤، ص١٠٥.

(٨) المصدر نفسه ، ج٣، ٢١٣-٢١٤.

(٩) المصدر نفسه ، ج٥، ص١٩٤.

١- **اللعب بالكرة:** فقد لعب بنو أيوب بالكرة، وهذا ما كان يفعله الملك الأوحد ابن الملك العادل قبيل وفاته: "لعب الكرة"(١).

٢- **اللعب بالنرد:** وكانت ظاهرة سائدة في المجتمع الأيوبي ، فقد كان الملك الأمجد "يلعب بالنرد"(٢).

٣- **اللعب بالصوالجة(٣):** فلما علم صاحب حمص بموت الكامل كاد يستطير من الفرح والسرور، وكان بنوه بين يديه فلم يطلعهم على الخبر؛ بل قال: " شدوا علي خيل الكرة لأنزل إلى الميدان وألعب بالصوالجة" . ونهض قائماً على قدميه، ونزل هو وأولاده إلى الميدان، ولعبوا فيه بالصوالجة(٤).

٤- **الصيد:**

كان لملوك الدولة الأيوبية شغف بالصيد ، فهذا الملك المعز فتح الدين اسحق ابن السّلطان صلاح الدّين يوسف بن أيوب، كان فاضلاً، حسن المذاكرة. نزل بحلب عند أخيه، وقع عن فرسه في الصّيد (٥). وكانت الأقواس تستخدم في الصيد(٦) . وفي سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م أقام الملك العزيز عثمان ابن الناصر صلاح الدين بالإقامة بذات الصفا متصيداً حتى سابع المحرم سنة ٥٩٥هـ/ ٨ نوفمبر ١١٩٨م (٧) . وفي سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م خرج الملك العزيز صاحب حلب إلى الصيد(٨).

و- **البذل (الرشوة):** أشار ابن واصل إلى هذه الظاهرة في مواطن كثيرة، منها: " فلما سمعوا عزم الملك الأفضل على تسليم القدس إلى الملك العزيز، كتبوا إلى الملك الأفضل يبذلون له القيام بالقدس ورجاله من وقفه فقط، ولا يحوجونه فقط إلى بذل شيء آخر من ماله" (٩). وهناك إشارات كثيرة تدل على الرشوة، منها: "فأرغبه الفرنج، وبذلوا له مالاً" (١٠). وقول ابن واصل: "وابذل ما عندك من الأموال"(١١). " وبذل الملك الأفضل للملك الظاهر جبلة واللاذقية وأعمالهما"(١٢). " وكان عز الدين جرديك النوري نائباً عن

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٨٤.

(٣) ولعبة الصوالجة أو الصولجان شبيهة بلعبة (البولو) الحديثة اذ كان اللاعب يمتطي فرسا ويمسك بيده عصا طويلة ويجري بالفرس ويحاول ان يضرب الكرة التي على الأرض ويوصلها الى الهدف المحدد، ولهذه اللعبة أنظمتها وشروطها المعروفة . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٧٦. وانظر: كوثر جاسم، لعبة الصولجان قديماً ، ولعبة البولو حديثاً. جريدة الدستور ، العدد :٢٥٥٧، الأربعاء ٢٠ شعبان ١٤٣٣هـ/ ١١ يوليو ٢٠١٢م.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٧٦.

(5) المصدر نفسه ، مفرج، ج٢، ص٤٢٥. وانظر: الأصفهاني، البرق، ج٣، ص٧٧. أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٤٧٥. الذهبي، تاريخ، ج٤٥، ص ٢٢٢. الصفدي، الوافي، ج ٨، ص ٢٨٠. الذهبي، تاريخ، ج٤٥، ص ٢٢٢.

(6) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٤٠. وانظر: الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٥، ٢٠٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٢٥. سميل، الحروب الصليبية، ص٧٧، ٧٨.

(٧) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ص٨٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٥، ص١٠.

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص١٥ .

(١٠) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٦.

(١١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٧.

(١٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٤٣.

الملك العزيز بالقدس، فبذل له الملك الأفضل إقطاعاً ، وطلب منه تسليم القدس فسلمه إليه"([1]). ولما توفى صاحب سنجار ملك بعده ابنه، فأراد ابن عمه نور الدين انتزاعها منه، فراسل " قطب الدين الملك العادل ، وبذل له الأموال الكثيرة لينجده على نور الدين ...فأجابه إلى ذلك" ([2]). وقد حاول عبد الكريم بن علي البيساني أخا القاضي الفاضل إعطاء رشوة للأمير فخر الدين جهاركس في سبيل الحصول على قضاء الاسكندرية ، له خمسة آلاف دينار، وأربعون ألف دينار للسلطان؛ ولكن المحاولة فشلت([3]). وجدير ذكره أن الأجناد والعامة لا يقاتلون مع قادتهم إلا بالمال، " والأجناد والعامة لا يقاتلون إلا بالمال" ([4])، ونازل الملك الظاهر حماة للاستيلاء عليها، إلا أن صاحبها الملك المنصور بذل له مبلغاً مقداره ثلاثون ألف دينار صورية، ورحل الظاهر عنه([5]). ولما قصد الملك الكامل حمص في سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، إلا أن ملكها بعث نساءه إلى الكامل يشفعن فيه، وبذل جملة من المال فلم يلتفت إليه([6]).

ز- الظلم والجور : كان الظلم مستشرياً في الدولة الأيوبية، فعندما دخل الملك العزيز دمشق : " أظهر العدل... وأزال المظالم " ([7]). حتى أن الظلم والجور وصل إلى أم الملك الناصر، حيث تزوجت بسليمان شاه ، "وملَّكته اليمن ، فملأها ظلماً وجوراً"([8]). وكان معروفاً عن معز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر الظلم والجور، " وكان ظالماً ، قبيح السيرة جداً، سفاكاً للدماء لا يمتنع عن قبيح يفعله مع رعيته من القتل، وقطع الألسنة، والأنوف، والآذان، وحلق اللحى" ([9]). ومن الظلم والجور أن الحسن بن قتادة والي مكة قد أساء السيرة في الأشراف ومماليك أبيه، حتى وصل به الأمر : قتل أبيه وعمه وأخيه؛ ولكن الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل ، فذاق وبال أمر([10]). وكان الملك المجاهد أسد الدين (شيركوه بن محمد بن شيركوه)(ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) صاحب حمص عنده ظلم كثير، وعسف لرعيته، وتشديد في استخلاص الأموال منهم. وكان إذا حبس إنساناً نسيه، وبقي في حبسه مدة طويلة، أو إلى أن يموت، ولفرط جوره في رعيته منع النساء بحمص أن تخرج واحده من باب المدينة خوفاً أن يأخذ أهل البلد عيالاتهم ويهربوا. وأخباره في العسف والجور كثيرة مشهورة([11]).

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص٥٢.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٧٩.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٨٤-٨٥ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٠٤.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٢٣.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص ١٥٣.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٧.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٣٩.

(٩) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٨٨.

(١٠) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٢٥.

(١١) المصدر نفسه، مفرج ، ج٥، ص٢٥٦.

ح- ظاهرة الحشم([1]) والخدم والجواري في الدولة الأيوبيـــة : وُجدت هذه الظاهرة من خلال قول ابن واصل: " وَحَشَمٌ"([2]) . وكذلك وجد الخدم في قول ابن واصل: " فأرسلت خادما"([3]). وقوله: "ونحن عبيدك وخدمك"([4]). وكان مع ضيفة خاتون عند زواجها: " عشرين جارية، وعشر خدم" ([5]).

ط- ظاهرة الغلاء والأوبئة والمجاعات: في سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، قصَّر النيل، " كان الغـــلاء العظيم بالديار المصرية، وتعذرت الأقوات بها، حتى أكل الناس الميتة، وأكل بعضهم بعضاً، ثم تبع ذلك وباء عظيم وموتان"([6]). وكثر الغلاء بعكا في سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م([7]). وفي سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م عم وباء الجراد أكثر البلاد، فأهلك كثيراً من الغلات، والخضروات بالعراق، والجزيرة، وديار بكر، والشام، وكان الغلاء شديداً([8]). وفي سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م أصبح مستوى المعيشة في دمشق فـــي الحـــضيض،" واشتد بها الغلاء اشتداداً، حتى بلغ سعر الغرارة من القمح ألف درهم وستمائة درهم. وهلك عالم من أهل دمشق بالجوع والوباء. ومن العجب أن إنساناً كانت له دار تساوي عشرة آلاف درهم، عرضها للبيع فلم تزد على ألف وخمسمائة درهم، فاشترى بها غرارة واحدة من القمح ، فقامت عليه بعشرة آلاف درهـــم. ومات شخص في الحبس فأكل لحمه أهل الحبس. وكان يباع ويشترى حب الخرنوب بالميزان، ويتقـــوت به "([9]).

ي- الحرامية: بهذا اللفظ عبر ابن واصل عن وجود اللصوص والحرامية في أنحاء الدولة الأيوبية([10]).

ثالثًا: المظاهر الثقافية والعلمية

١-العلماء :

قال تعالى " وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" (فاطر: ٢٨).

---

(١) حشم: الحَشَمُ: خَدَمُ الرجل ومَن دونَ أهلِه من وَلَدِه وعِياله.وقال آخرون: الخدم، وحُشمَةُ الرجل، وحَشَمُهُ، وأحْشامُه: خاصته الَّذين يغضبون لَـــهُ من عبيد أو أهل أو جيرة. وَحكى ابْن الْأَعرَابِي أَن الحَشَمَ وَاحِد وَجمع. وقال آخرون: وتجمع على أحشام. والحشم بالتحريـــك: جماعـــة الإنـــسان اللائذون به لخدمته. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩. وانظر: الخليل، العين، ج٣، ص٩٩. الأزدي، جمهرة، ج١، ص٥٠٤. ابن فـــارس، مجمـــل، ج١، ص٢٣٥. ابن الأثير، النهاية، ج١، ص٣٩١. ابن منظور، لسان، ج١٢، ص١٣٦. زين العابدين، التوقيف، ص١٤١.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢١.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٨.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢١٤.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١١٥؛ ص١٢٧.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٤٠.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٣٣؛ ص١٣٩.

(٩) الخرنوب هو شجر أعظم من شجر الجوز، له زهر ذهبي . ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٣٥٢-٣٥٣. وانظر: ابن البيطار، تحفة، ص٢٠٣-٢٠٨. الشواف، دمشق، ص١١٢.

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٦٤.

وقد تمتع الكثير من ملوك الدولة الأيوبية بالبراعة في شتى العلوم، حيث كان من رأي الملك العزيز ابن الملك الظاهر ابن صلاح الدين "أن أي أمير مات أقرّ ولده موضعه، وإن كان صغيراً يرتب معه من يقوم بتثقيفه وتأديبه ...وإنما تلقوا هذه الخلة الجميلة من جدهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين"(١)، ومن هؤلاء:

١- الملك العزيز عماد الدين عثمان(٥٩٥هـ/ ١١٩٨م):

سمع بالإسكندرية الحديث من الحافظ السّلفيّ، والفقيه أبى طاهر بن عوف الزّهريّ، وسمع بمصر من العلّامة أبى محمد بن برّيّ النحويّ، وغيرهم" . ويقال: إن والده كان يؤثره على بقية أولاده(٢).

٢- الملك المُعَظِّم(٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م):

" وكان عالماً فاضلاً متفنناً في الفقه والنحو وغيرهما، وشيخه في النحو وعلم الأدب الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن حسن الكندي(٦٣٥ هـ/١٢٣٧م). وكان شيخه في الفقه الإمام جمال الدين الحصيري(٣)- رحمه الله. وقرأ على الشيخ تاج الدين كتاب سيبويه(٤). قال ابن واصل: " ولقد وقفت على نسخة من كتاب سيبويه وعليها خط الملك المُعَظِّم في عدة مواضع أظنها ستة، يقول في بعضها: " أتممت هذا الكتاب مطالعة ومراجعة وأنا منازل مدينة أرسوف"(٥)، وفي بعضها يقول: " أتممته مطالعة ومراجعة وأنا بنابلس"(٦). وقد التزم المُعَظِّم عيسى بالمذهب الحنفي، حيث كان ملوك بني أيوب على المذهب الشافعي، حتى أن والده العادل سأله ذات مرة قائلاً" : كيف اخترت مذهب أبي حنيفة وأهلك شافعية؟ " فأجابه على سبيل المداعبة: " يا خوند(٧) أما ترضون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم"(٨).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١١٧.

(٢) المصدر نفسه، مفرج،ج٣،ص٨٣. وانظر:ابن خلكان،وفيات،ج٣، ص٢٥١. انظر:أبو الفداء،المختصر،ج٣،ص٩٥ .

(٣) الإمام الحصيري : الشيخ الإمام الفقيه العلامة شيخ الحنفية محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري الحصيري الحنفي ، ولد سنة(٥٤٣٦هـ/١١٥١م) ، وتوفي سنة (636 هـ/ 1141 م). ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠. وانظر : الذهبي ، سير، ج 16، ص٣٥١ -352.

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر مولى بني الحارث بن كعب، روى عن أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد . وسيبويه لقب له، ومعناه بالفارسية "رائحة التفاح". وسمي سيبويه؛ لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن. كان سيبويه النحوي غاية في الخلق، وكتابه في النحو هو الإمام فيه. قيل: مات سنة ثمانين ومائة، وهو أصح. وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة. وكتاب" سيبويه "أقدم مصنف جمع مسائل النحو العربي كافة . ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠. وانظر: ابن سعد ، الطبقات، ص٢٨. ابن ماكولا، الإكمال، ج٤، ص٤٢٠. الأنباري، نزهة، ص٥٥. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٤٦٤. الذهبي، سير، ج٧، ص٣٤٦. الفيروزآبادي، البلغة، ص١٥١. السيوطي، بغية، ج٢، ص٢٢٩-٢٣٠. الغزي، ديوان، ج٣، ص١١. حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص٣٦٧. كحالة، معجم، ج٤، ص٢٧٤. بروكلمان، تاريخ، ج٢، ص١٣٤-١٣٥. أبو خليل، الحضارة، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٥) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. ياقوت، معجم، ج١، ص١٥١.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠ -٢١١.

(٧) خوند : معرب كلمة خداوند الفارسية، بمعنى السيد العظيم أو الأمير، استعملت في عصر المماليك بمعنى الكبير، أو صاحب المقام الرفيع، ولقّب به السلطان وزوجته. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١١. وانظر: زين العابدين، معجم ، ص 228 . الخطيب، معجم ، ص170 . الخالدي ، المورد العذب، ص73 .

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١١.

ولما وقف الملك المُعَظِّم على" تاريخ بغداد "، الذي صنفه الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب المتوفى سنة(463 هـ/١٠٧٠م)، وفيه مطاعن علي الإمام أبي حنيفة رواها الخطيب البغدادي عن جماعة من المحدثين، رد عليه المُعَظِّم عيسى، وقام بتحقيق تلك المطاعن، وبين بطلانها، وذلك من خلال كتاب صنفه، وسماه " السهم المصيب في الرد على الخطيب"(١). وأجاب المُعَظِّم في كتابه هذا عن كل مطعن ذكره بأحسن جواب، كما ضمن كتابه مباحث قيمة في الفقه والنحو(٢) . قال ابن واصل: " ووقفت على هذا الكتاب بالقدس الشريف، وطالعته جميعه ووجدته في غاية الحسن. ثم ذكر في آخره مطاعن على الخطيب، صاحب تاريخ بغداد، وروى له أشعاراً غزلية طعن بسببها في عدالته، وقرر بها جرحه، وصنف غير ذلك من الكتب"(٣).

٣- الملك المحسن يمين الدين أحمد ابن صلاح الدين الأيوبي(ت: محرم سنة ٦٣٤هـ/سبتمبر ١٢٣٦م):

لبس زي العلماء، وسمع الحديث بمصر، ودمشق، وحلب، وبغداد، ومكة، والمدينة(٤).

٤- الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر صاحب حلب (ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٦م): أحضر الفقهاء وهو ابن خمس عشرة سنة، عنده في ليالي الجمع يتكلمون في مسائل العلم بين يديه(٥).

٥- الملك الكامل(٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م):

رأى ابن واصل أن الكامل " كان محباً للعلماء ومجالستهم وسماع مناظراتهم . وكانت عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو، إذا حضر الفقهاء والنحاة سألهم عنها، وامتحن بها علومهم؛ فمن أجاب منهم الجواب الصحيح حظي عنده وقرّبه"(٦). وفي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م جاء الفرنج ليتسلموا القدس خراباً، وكانت تحصل بين الانبراطور والكامل مراسلات، كان المتردد بينهما الأمير فخر الدين بن الشيخ، وكانت تجري بينهم محاورات في أشياء شتى، وسير الانبراطور إلى الملك الكامل في أثناء ذلك مسائل حكمية ومسائل هندسية ورياضية مشكلة، ليمتحن بها من عنده من الفضلاء، فعرض الملك الكامل ما أورده من المسائل الرياضية على الشيخ علم الدين قيصر بن أبي القاسم إمام هذه الصناعة، وعرض الباقي على جماعة من الأفاضل فأجابوا على الجميع(٧).

٦- الملك المظفر تقي الدين محمود، صاحب حماه (ت: ٨ جمادى الأولى ٦٤٢هـ/١٢ أكتوبر١٢٤٤م):

كان له ميل إلى من عنده فضل ومعرفة. ورد إليه الشيخ علم الدين قيصر بن أبي القاسم المهندس الفاضل في العلوم الرياضية، فأحسن إليه وقربه. وكان يقترح عليه أموراً علمية وآلات رياضية، فعمل له

---

(١) حاجي خليفة، كشف، ج٢، ص٥٠ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٢. والنظر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٤٦. الغامدي، بلاد الشام، ص٣١٩.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٢.

(4) المصدر نفسه، مفرج، ج٢، ص٤٢٥. ابن العديم، بغية، ج٣، ص١٢٥٨. الذهبي، سير، ج٢٣، ص١٢٥٨ و ج٢٣، ص١٨؛ تذكرة، ج٤، ص١٤١٩؛ تاريخ، ج٤٦، ص١٧٩.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٢٧.

(٦) ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص١٥٨.

(٧) المصدر نفسه ، ج٤، ٢٤٢.

كرة من الخشب، رسم فيها جميع الكواكب المرصودة في السماء، وعملت هذه الكرة بالقلعة، قال ابن واصل: " وكنت أساعد الشيخ علم الدين على تحريرها. وكان السلطان الملك المظفر رحمه الله يحضرنا، ونحن نرسمها، ويسألنا عن المواضع الدقيقة فيها، فنخبره، فيدرك ما نقول لصحة إدراكه، وقوة ذهنه. وكان كل وقت يسأل الشيخ علم الدين: " أي شيء وصلت إليه من كتاب المجسطي والعلوم الرياضية؟ . وسألني عن الذي حققته من هذه الفنون. ولما عرض له ما عرض من ذلك المرض، حصل عندي من الألم ما لا مزيد عليه. ففارقت حماه وانتقلت إلى الديار المصرية" (١).

ومن أهم العلماء في الدولة الأيوبية :

١- **الإمام أبي حامد الغزالي،** (450هـ -٥٠٥هـ/١٠٥٨ - ١١١١ م)(٢).

٢- **الإمام فخر الدين الرازي،** (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)(٣).

٣- **مجد الدين أبو السعادات**(٥٤٤-٦٠٦هـ/ ١١٤٩-١٢٠٩م) (٤) .

٤- **الشيخ الإمام سيف الدين أبو الحسن على الآمدي رحمه الله**(ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، وكان إماماً عظيماً متقدماً في علمي الكلام، وأصول الفقه وعلم المنطق وسائر العلوم الحكمية. وكان علماً في هذه العلوم، عظم في الآفاق صيته، واشتهر ذكره، وصنف التصانيف البديعة في جميع هذه الفنون(٥).

٥- **علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني**(٥٧٤- ٦٤٩هـ/ ١١٧٧-١٢٥١م): وكان عظيماً في العلوم الرياضية، وعمّر له مواضع حسنة منها الجوسق المعروف بطيحة في مدينة رأس عين في غاية الحُسن على شكل مثمن، وبإزائه نهر يتصل ببلاد الخابور(٦).

٦- **الشيخ كمال الدين بن طلحة** (ت: رجب ٦٥٢هـ/أغسطس ١٢٥٤م)(٧): وكان إماماً عالماً بالأصوليين ومذهب الشافعي والأدب(٨).

---

(١)ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص٣٤٣-٣٤٤ .

(٢) الإمام زين الدين حجة الإسلام أعجوبة الزمان أبو حامد محمد الغزالي الطوسي الشافعي (ت: ٥٠٥هـ/١١١١م) الفقيه الأصولي الشافعي، جامع أشتات العلوم له التواليف الحسان مثل إحياء علوم الدين في التصوف ، ويعد من مجددي القرن الخامس الهجري لم تر مثله العيون لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً وذكاءً وطبعاً فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه. توفى يوم الإثنين (١٤ جمادى الآخرة ٥٠٥هـ/١٧ ديسمبر ١١١١م) ودفن في مدينة طوس إحدى بلاد فارس (إيران) رحمه الله تعالى. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٧٨. وانظر: الغزالي، إحياء، ج١، ص٣-٥.

(٣) ولد سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م) واشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الرَّي، وقد كان معظماً عند ملوك الخوارزمية وغيرهم ، كان يحضر مجلسه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقهاء، والعامة والغوغاء وكانت له عبادة وأوراد . لما أحس بدنو الأجل ، أملى على تلميذه إبراهيم ابن أبي بكر بن علي الأصفهاني وصيته، وذلك في يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر محرم سنة "٦٠٦" هـ وامتد مرضه بعدها إلى أن توفي. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٧٨. وانظر: الذهبي، سير، ج٢١، ص٥٠٠-٥٠١. ابن العماد، شذرات، ج٧، ص٤١-٤٢. الحمودي، وصايا، ص١٧٢.

(٤) وهو أحد العلماء الأفذاذ له كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول) ، وكتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) ، وكتاب المختار في مناقب الأخيار وغير ذلك، وكانت وفاته في آخر يوم من سنة ست وست مائة رحمه الله . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠. ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٧.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٧٨؛ ج٥، ص٣٥. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٩٣ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٤٥-١٤٦. ص٣٤٣ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٩٥.

(٨) هو الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي العدوي النصيبي، ولد سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، وبرع في الفقه والأصول والخلاف، وحدث بحلب ودمشق، ولي الوزارة بدمشق سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م لمدة يومين ، وتركها وتزهد، وهو مصنف كتاب العقد الفريد، وكتاب الدر المنظم في اسم الله الأعظم، توفى في حلب في رجب سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م.
ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٩٥. وانظر: السبكي، طبقات الشافعية ، ج٥، ص٢٦.

٧- **الشيخ تاج الدين الأرموى**(٦٥٣هـ/١٢٥٥م): وفد إلى الملك الكامل،وأحسن إليه وجماعة من أهل العلم،"فأكرمهم وقرر لهم الجامكيات،كان إمام وقته في الأصوليين والمعقولات،وأقام عنده مدة مكرماً ([1]).

٨- **الشيخ عز الدين بن عبد السلام** (٥٧٧ -٦٦٠هـ/١١٨١ - ١٢٦٢م)([2]).

٢- **العلوم النقلية والعقلية**([3]) :

كانت ملوك بني أيوب لهم اهتمامات خاصة بعلوم القرآن، وبالأحاديث النبوية الشريفة، وعلم اللغة والفقه، والأدب والترسل، وعلم الطب، والتاريخ، والرياضيات، والكيمياء، وفي بناء المؤسسات التعليمية:

أ- **علم القراءات:** ازدهر تعليم القراءات في العصر الأيوبي إلى جانب العلوم الإسلامية الأخرى، حيث أقبل عليها طلبة العلم الذين أصبحوا فيما بعد من كبار القراء المشهورين، فقد أولى الملك المُعَظِّم عيسى هذا العلم عناية خاصة، فجعل له المدرسة النحوية داخل المسجد الأقصى، وعهد بالتدريس فيها إلى الشيخ شمس الدين بن رزين البعلبكي، وذكر ابن واصل أنه جوَّد القرآن العظيم على الشيخ البعلبكي في تلك المدرسة بالمسجد الأقصى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م([4]). وكان للملك المُعَظِّم باعٌ في العديد من العلوم، منها: علم القراءات، فقد استدعى والد ابن واصل، وجماعة من الفقهاء، وناقشهم في عدة أمور، ومما سأل عنه يومئذ أنه ورد في القراءات الست، أعني ما عدا قراءة أبي عمرو بن العلاء "إن هذان لساحران"(طه:٦٣)، وهذه القراءة هي المطابقة لخط المصحف الإمام، ومن شأن إن أن ينتصب ما بعدها، فقال بعضهم: إن ها هنا بمعنى نعم، كما في قول الشاعر([5]):

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنَّه

---

(١) تَاج الدّين الأرموي مُحَمَّد بن حسن تَاج الدّين الأرموي الشَّافِعِي مدرس الشرفية ببَغْدَاد صحب الْأَمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ وبرع فِي العقليات، توفّي عَن نَيف وَثَمَانِينَ سنة فِي سنة ثلث وَخمسين وست ماية وَقيل مُحَمَّد بن الْحُسَيْن وَقيل توفّي فِي سنة خمس وَخمسين وَهُوَ صَاحب كتاب التَّحْصِيل كَانَ سُلْطَان المناظرين). ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٩٠ . وانظر: الحموي، الأدباء، ج٦، ص٢٥٨٩. ابن كثير، طبقات، ص٨٧٧. ابن قاضي شهبه، طبقات، ج٢، ص٢٠٠ .

(٢) هو سلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. تولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي. ولما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة " صفد " للفرنج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السَّلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه. ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكّنه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته. توفى بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م. له الكثير من الكتب . كان من أمثال مصر: " ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السَّلام " . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٤١-١٤٢ ، ص٣٠٢-٣٠٣. وانظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج٨، ص٢٠٩. أبو الفداء، طبقات الشافعيين، ص٨٧٣. الفاسي، ذيل، ج٢، ص١٢٨.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٧٨. وانظر: الصنعاني، مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ج٦، ص١٧٣؛ ج٧، ص٤٨٢. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٩٣ . الذهبي، سير، ج٢٢، ص١٠٢؛ ص٢٦٦؛ ص٣٦٦ .

٤) ابن واصل ، مفرج ، جـ٤ ، صـ٢١١-٢١٢.

(٥) هو عبيد الله بن قيس الرقيات. (ت نحو ٨٥ هـ/ ٧٠٤ م) عبيد الله بن قيس الرقيات بن سريح بن مالك.شاعر، من بنى عامر بن لؤي. اقام بالمدينة ونزل الرقة، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير مصعب وعبد الله، فأقام سنة وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، فسأل عبد الملك في امره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي.من آثاره: ديوان.شعر. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٣. حاشية ٣ . وانظر: ابن عساكر، مختصر، ج٣٨، ص٨٥. الحموي، الأدباء، ج١، ص٢٨٥. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٨٨. كحالة، المؤلفين، ج١، ص٢٤٣.

أي: نعم .

فأجاب هذا القائل بعضهم : أن هذا القول يعكر عليه ورود اللام في الخبر؛ فإنه لا يقال "نعم زيد لقائم". فقال السلطان رحمه الله: " لا يعكر عليه؛ بل جاز أن تأتي هذه اللام رعاية للفظ إن؛ فإنه يقتضي جواز وقوع اللام في الخبر، ورعاية اللفظ واعتباره قد جاء كثيراً، يقولون يا زيد الظريف، فيراعون اللفظ، ويحملون عليه، وإن كان زيد منصوباً في التقدير" . فاستحسن الجماعة هذا الجواب من السلطان وأطنبوا في الثناء عليه"(١).

ب- علم التصوف: وكان العلماء يتخذون من الربط أماكن للمطالعة، والتاليف، وبخاصة في علم التصوف(٢). وعرف عن المتصوفه المتعبدين أنهم يقضون معظم أوقاتهم في مجاهدة النفس، وكبح جماحها، والسمو بها عن عالم الشهوات المادية إلى عالم المعرفة والمثل العليا، وفي ذلك يبين ابن خلدون أن التصوف هو العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة(٣).

ومن أهم علماء التصوف في الدولة الأيوبية : الإمام أبي حامد الغزالي، (450هـ - ٥٠٥هـ/١٠٥٨ - ١١١١ م)، له مؤلف كبير في التصوف: إحياء علوم الدين (٤).

ج- علم اللغة والفقه: تميز ملوك بني أيوب بالفراسة في شتى العلوم، منهم الملك المُعَظِّم عيسى، وهذا ما أوضحه ابن واصل: " ولما قدم الملك المُعَظِّم رحمه الله القدس الشريف سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٥م)، جلس خارج الصخرة الشريفة، واستدعى جماعة الفقهاء، قال ابن واصل: " واستدعى والدي رحمه الله وباحثهم في مسائل لغوية وفقهية(٥). ويحكى عن الملك المُعَظِّم أن عالماً فاضلاً وفقيهاً يدعى جمال الدين المصري صلى ليلة بالملك المُعَظِّم، وكان يلثغ بالقاف ويجعلها همزة، لم يفتح له من القرآن إلا قوله تعالى: " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ" (المائدة: ٢٧)، فأبدل كل قاف فيها همزة، فضحك الملك المُعَظِّم وقطع الصلاة. وكان الملك الكامل" في بعض أسفاره إلى دمشق يستحضر بها جماعة من العلماء؛ وكان فيهم الشيخ زين الدين بن معطي النحوي المغربي رحمه الله، وكان إماماً في علم العربية لا يُجارى فيه، إلا أنه كان فقيراً ناقص الحظ، يقعد مع الشهود تحت الساعات يورِّق ويشهد. وبلغ من السن مبلغاً كثيراً، وهو فقير ليس له ما يقوم بكفايته. فسألهم الملك الكامل عن قولهم: " زيدٌ ذُهِبَ به" هل يجوز في "زيد" النصب؟. فقالوا كلهم: "لا يجوز إلا الرفع". واعتمدوا كلهم على قول الزمخشري (٤٦٧- ٥٣٨هـ/

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٤ ، ص٢١٣.

(2) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٧. وانظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٦٧. عبد المهدي، الحركة، ص ٢٠٤. عبد المهدي، المدارس، ج ١ ، ص ١١٠ . وانظر: نويصر، العمارة الإسلامية ، ص١٥٣-١٥٤.

(3) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٧. ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٦٧. عطية ، تاريخ التعليم ، ص١٢٣.

(٤) المصدر نفسه ، مفرج، ج٤، ص٧٨. وانظر: الغزالي، إحياء، ج١، ص٣-٥.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٧٢-١٧٣، ج٥، ص١٥٨ .

١٠٧٥- ١١٤٤م)([1])، صاحب المفصل "زيدٌ ذُهِبَ به ليس فيه إلا الرفع"، فقال زين الدين رحمه الله: يجوز فيه النصب على أن يكون المرتفع ب" ذُهِبَ " المصدر الذي دل عليه ذهب وهو الذهاب؛ وعلى هذا فموضع الجار والمجرور الذي هو "به" النصب، فيجيء من باب : زيد مررت به، إذ يجوز في "زيد" النصب، فكذلك ها هنا. فاستحسن الملك الكامل جوابه، وأمره بالسفر إلى مصر فسافر إليها. وقرر له الملك الكامل معلوماً جيداً يقوم بكفايته، وحسنت أحواله، إلا أنه لم تطل مدته وتوفى بعد مدة يسيرة"([2]) .

وكان الملك الكامل يبيت عنده جماعة من الفضلاء في بعض الليالي يأنس بهم مثل: الشيخ جمال الدين اليمني النحوي([3])، والفقيه عبد الظاهر([4]). وكان الملك الناصر داود ابن الملك المُعَظِّم له اهتمامات بالفقه ومذاهبه، فقد تناقش مع عمه الكامل في الفقه، ففي أحداث سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م، قال ابن واصل عن الملك الناصر داود: " واجتمعت به أنا ووالدي في قلعة الكرك، فسمعته رحمه الله يقول لوالدي: " تباحثنا مع السلطان – الملك الكامل– وأصحابه البارحة في الفقه، فكانوا جميعهم عليّ؛ لأنهم كلهم شافعية؛ السلطان وصلاح الدين الأربلي، والشيخ شمس الدين قاضي العسكر الشريف، وكمال الدين بن شيخ الشيوخ. وخرج شمس الدين الخسرو شاهي معي فصار معهم عليّ لأنه شافعي، وبقيت أنا وحدي في مقابلة الجميع ما معي من ينصرني عليهم"([5]).

د- فنون الأدب والنظم والرسائل: ازدهرت الحركة الأدبية في العصر الأيوبي ازدهارًا كبيرًا، ووقف وراء ذلك الازدهار غير سبب، منها رعاية الملوك الأيوبيين لهذه الحركة، فقد كان بلاطهم مأوى لعدد كبير من الشعراء والأدباء، وكان بعضهم ممّن اشتهروا في الأدب وقول الشعر، مخلّفًا وراءه ديوان شعر، أو نتاجًا شعريًا ليس بالقليل، ومنهم على سبيل المثال:

– الملك المنصور(ت: ٦١٧هـ/١٢٢٠م). كان رحمه الله ملكاً جليلاً، شجاعاً مقداماً، عالماً فاضلاً، يحب العلماء والفضلاء([6])، وكان في خدمة الملك المنصور ما يناهز مائتا معمم من الفقهاء والنحاة، وأهل اللغة، والمشتغلين بالعلوم الحكمية، والمهندسين، والمنجمين، والشعراء، والكتاب، والأماثل([7]) . وكان

---

(١) أستاذ الدنيا، فخر خوارزم، جار الله العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشريّ، كان من خوارزم، وهو من زمخشر: إحدى قراها القريبة منها. وكان يضرب به المثل فى علم الأدب والنحو واللغة. ولد في خوارزم ، يوم الأربعاء (٢٧ رجب ٤٦٧هـ)، وتوفي بقصبة خوارزم، ليلة عرفة (٥٣٨هـ). أشهر كتبه (الكشاف – ط) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة – ط). وقد قام الشيخ ابن يعيش النحوي المتوفى سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٤م) ، بكتابة شرح المفصل. وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٥٩. وانظر: الأنباري، نزهه، ص٢٩٠. القفطي، إنباه، ج٣، ص٢٦٥. العسقلاني، لسان،ج٦، ص٤.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٥٩-١٦٠ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٦٤.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٦٤ .

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٤.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص ٦٥ .

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٧٩.

يحب أهل الأدب والشعر، ويحب سماع المديح، ويجيز عليه الجائزة الكثيرة. وفي عزاء زوجته أخـذت القراء تقرأ بين يديه، ووعظت الوعاظ، وأنشدت الشعراء المراثي.

وقد اقترح له أن تنظم المراثي على وزن قصيدة أبي العلاء المعري ورويّها التي مطلعها(١) :

يا سَاهرَ البرق أَيقظْ رَاقِدَ السَّمـــــــــــــرُ لعَّلَ بالجزعِ أعواناً على السَّهَـــــــرِ

فعمل جماعة من الشعراء قصائد على هذا الوزن والروي، وأجود قصيدة عملت قـصيدة حـسام الـدين خشترين بن تليل، وهو جندي كردي، وكان شاعراً مجيدًا، غير أنه كان ألكن لحانـاً، وإذا نظـم أجـاد وأحسن، ووصف لبس السلطان الحداد، وأبدع في المعنى، وفي وصف لبس السلطان الحداد(٢):

مَا كنتُ أعلمُ أنَّ الشمسَ قَدْ غَرُبَتْ حتى رأيتُ الدُّجَـى مُلقى على القَمَرِ

وصنف الملك المنصور عدة تصانيف، منها: كتاب طبقات الشعراء، وكتاب مضمار الحقائق في التاريخ، وهو نحو عشرين مجلدة، وصنف غير ذلك(٣). وكانت للملك المنصور أشعار حسنة جُمعت في ديوان ، من ذلك قوله(٤):

سُحَّا الدُمُوعَ فإن القـــــــــــومَ قد بانوا وأقفـــــــــر الصَّبْرُ لمَّا أقفر البانُ
أَتُسعـــــــــــــداني بوَجْدٍ بَعُدَ بينهُمْ؟ فالشَّانُ لمَّا نأوا عَنِّي لـــــــه شانُ

- الملك الأفضل (ت: ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)(٥).

وكان الملك الأفضل فاضلاً متأدباً ينظم الشعر الجيد ، من ذلك قوله(٦):

نَظَرْتُـــــكَ نَظْـــــرَةً مِنْ بَعْدِ تِسْعٍ تَقَضَّتْ بالتَّفَـــــــــــــرُّقِ مِنْ سِنِينْ
وَغَضَّ الدَّهْـــــــــرُ عَنْهَا طَرْفَ غَدْرٍ مَسَافَةَ قُـــــــــــــرْبِ طَرْفٍ مِنْ جَبِين

- الملك المُعَظِّم عيسى**(ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م)** :

ومن شعر الملك المُعَظِّم، أنه بعث بهدية لابن القيسراني بطبق كبير من الليمون والأترج، كابتهاج في فتح قيسارية التي بيد الفرنج ، فرد عليه القيسراني بأبيات من الشعر ، فرد عليه المُعَظِّم بالقول(٧):

يَا مَنْ تَفَرَّدَ بالفَضَـــــــــائلِ دَائباً أبداً يُؤَسِّسُ مَجْدَهَا تَأْسِيْسا
لا زِلْتَ فِي دَرَجِ المَكَـــــــــارِمِ رَاقِياً تَعْلُو وَرَبْعُكَ بالثَّنَا مَحْرُوسا

---

(١)ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٦٥ .

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٦٥ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤، ص٨١.

(٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص١٥٥. وانظر: ص٣٧ ، حاشية ٥ من الدراسة.

(٦) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٧-٣٨.

(٧) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٧-٢١٨.

- الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه، أخذ بعلبك وأعمالها(ت: ٦٢٧هـ/١٢٢٩م) (١).

كان الملك الأمجد ملكاً جليلاً، فاضلاً متأدباً، يحب العلماء والفضلاء والشعراء وأهل الأدب، ويجيزهم بالجوائز الكثيرة، وكان يقول الشعر الجيد البديع الذي يضاهي به شعر شعراء عصره المجيدين، ولم يكن في بني أيوب أشعر منه، وبعده الملك الناصر داود بن الملك المُعَظِّم، ومنهم تقي الدين عمر، وتاج الملوك بوري بن أيوب، والملك المنصور بن الملك المظفر صاحب حماة. ومن شعره(٢):

حَيَّ عَنِّي الحِمَى، وَحَيَّ المصلى ... وَزَمَاناً بالرُّقْمَتَيْنِ تَوَلَّى

كَانَ أَغْلَى الأَوْقَاتِ فِي النَّفْسِ قَدْرًا ... فَتَلَاشَى زَمَانُهُ وَاضْمَحَلَّا

- الملك الكامل (ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م): ومما روي للملك الكامل شعر حسن(٣) :

إِذَا تَحَقَّقْتُمْ مَا عِنْدَ عَبْدِكُمْ ... مِنَ الغَرَامِ فَهَذَا القَدْرُ يَكْفِيهِ

أَنْتُمْ سَكَنْتُمْ بِقَلْبِي فَهْوَ مَنْزِلُكُمْ ... وَصَاحِبُ البَيْتِ أَدْرَى بالَّذِي فِيْهِ

-الملك الناصر داود(ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)(٤): وكان للملك الناصر دور في الدفاع عن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم . فقد عقد الخليفة المستنصر بالله محفل للعلماء حضره الملك الناصر، وكان الخليفة بمرأى منه ومسمع، فقام فقيه، وأنشد قصيدة يمدح فيها الخليفة، ومن جملتها:

لَوْ كُنْتَ في يومِ السَّقِيفةِ حَاضِرًا ... كنتَ المقدَّمُ والأمامُ الأَروعا

فعظم هذا القول على الملك الناصر، وقال في ذلك الملأ ما معناه: كذبت كان جدنا مولانا أمير المؤمنين العباس بن عبد المطلب يوم السقيفة حاضراً، ولم يكن المقدم والأمام الأروع إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فخرج المرسوم بنفي ذلك الفقيه فنفي(٥). وقد كان لملك الناصر أشعار جزلة اللفظ والمعنى، منها: قصيدة بليغة رائقة السبك، حسنة المعاني، جزلة الألفاظ، وهي من قلائد شعره، بعثها لابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب يعاتبه أثناء محاصرة فخر الدين بن شيخ الشيوخ له في الكرك، إذ كان مبعوثاً من الملك الصالح نجم الدين أيوب ، قال فيها(٦):

قُولُوا لِمَنْ قَاسَمْتُهُ مُلكَ اليدِ ... وَنَهَضْتُ فيهِ نَهْضَةَ المُستأْسِدِ

وَاقَعْتُ فيهِ كُلَّ أصيدَ من ذَوِي ... رَحْمِي عَرِيقٌ في العَلَاءِ مُسودِ

لَاقَيْتهم بِسِنَانِ كلَّ مُثَقَّفٍ ... صِدْقَ الكُعُوبِ وَحَدَّ كُلَّ مُهنَّدِ

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٨٤ . وانظر: ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٥٣ ــ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٤٣ . صلاح الدين، فوات ، ج١، ص٢٢٦. الصفدي ، أعيان، ج٤، ص٤١٠ . الصفدي، الوافي ، ج١٠، ص١٩٠ . المقريزي، السلوك ، ج١، ص٣٦١ . الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين ، ص١٦.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٨٤ ؛ ٢٨٦.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٦٩ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٣٣٠. المبيضين، الملك الناصر داود شاعراً ، رسالة ماجستير، ص١٠.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠١؛ ج٥، ص١٠٨.

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٦٥.

عَـــــــاصَيْتُ فيهِ ذَوِي الحِجَى مِنْ أُسْرَتِي وَأَطَعْتُ فِيهِ مَكَـــــــــــــــــارِمِي وَتَوَدُدِي

وقد تميزت الدولة الأيوبية بوجود جماعة مـــن الفـــضلاء تميـــزوا فـــي فنـــون الأدب والـــنظم والرسائل"([1]). منهم:

١- العماد الأصفهاني: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـــ/١٢٠٠)، وقد تميز أسلوبه بالإسراف في المحسنات اللفظية، والصياغة البديعية، غير أن تأليفه كان يحوي الكثير من الروايات التاريخية الممتـــازة التي تستحق العناية؛ لأن مؤلفها شاهد وعاصر الأحداث بنفسه، ثم سجلها بأسلوبه الأدبي(٢).

وله شعر حسن ، من ذلك ([3]):

إنَّ بَيْعَ الحُصـــونِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ سُنَّةٌ سَنَّهَا بِبَيْرُوتَ سَامَـــــه
لَعَنَ اللهُ كُلَّ مَنْ بَاعَ ذَا البَيْـــــــعَ وَأَخْزَى بِخِزْيِهِ مَنْ سَامَـــــه

٢- القاضي محيي الدين بن زكي الدين علي زين الدين (ت: ٥٩٨هـــ/١٢٠٢م)، " وكان فاضلاً مترسلاً، وله النظم والنثر البديعان "([4])

٣- ابن سناء الملك (٥٤٥-٦٠٨هـــ/١١٥٠/١٢١٢م). له أشعار حسنة، مدح فيها ملوك بني أيوب، من ذلك قوله في مدح الملك العزيز بن صلاح الدين ملك الديار المصرية ([5]):

مَنْ فَر مِنْكَ فَـــــــــلَا يُـــــــلَامُ وَشَرِيدُ بَأْسِـــــكَ مَا يَنَـــــــــامُ
وَجَنَـــــــابُ عِـــــــزِّكَ مَا يُرَا عُ مِنَ الخُطُـــــــــــوبِ وَمَا يُضَامُ

٤- بهاء الدين أسعد بن يحيى بن موسى السنجاري (٥٣٣ - ٦٢٢ هـــ/ ١١٣٩ - ١٢٢٥ م)، له شـــعر حسن، مدح الملك المنصور قائلاً([6]):

المَجْدُ يُدْرَكُ بِالعَســـــالة الذُبل وَالْمَشْرَفِيَّةِ ، لَا بِالْـــــوَعْدِ والأَمَلِ
والجَدُّ فِي الجِدِّ فَاجْنُبْهَا مُسَوِّمَـــــــةً يَقُـــــودُهَا أسدٌ بالأَيْنُقِ الذُلُلِ

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤ ، ص٢١٤.

(2) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٢٧-١٢٨. وانظر: الأصفهاني، الفتح ، ص ٨٨-٨٩. سعداوي، المؤرخون، ص١٩-٢٨. عبـد القـادر، سياسـة صلاح الدين، ص١٧.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧٤.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٣٣.

(٥) هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي، أبو القاسم، القاضي السعيد، شاعر، مـن النـبلاء. مـصري المولـد والوفاة. كان وافر الفضل، رحب النادي، جيد الشعر، بديع الإنشاء. كتب في ديوان الإنشاء بمصر مدة. وولاه الملك الكامل ديوان الجيش سنة ٦٠٦ له عدة أعمال . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤٩. وانظر: ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٦١. الذهبي، سـير، ج١٦، ص٤١. الـصفدي، الـوافي، ج٢٧، ص١٣٥.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٤٤ .

٥- شرف الدين أبو المحاسن بن عنين الدمشقي(**٥٤٩ - ٦٣٠ هـ/ ١١٥٤ - ١٢٣٢ م**)([1]) كاتب الإنشاء وغيره، وأصله من حوران، وله النظم البديع الذي لا يجاريه فيه أحد.. ولما علت سنه كتب إلى الملك المُعَظِّم يستعفيه من النظر"([2]):

أقلني عِثَارِي واحْتَسِبْهَا صَنِيْعَةً ... يَكُونُ بِرحمَاهَا لَكَ اللهُ جَازِيَا
كفى حَزَناً أن لستَ تَرْضَى ولَا أَرَى ... فتى راضياً عنِّي ولا الله راضيا
ولست أُرجى بعد سبعين حِجَّةً ... حياةً وقَدْ لَاقَيْتُ مِنْهَا الدَّوَاهِيَا
ولا بدَّ أَنْ أَلقَى الرَدَى من مصمَّم ... وكم يتوقَّى مَنْ تَخَطَّى الأَفَاعِيَا

ومن جيد شعره، حين نفاه الناصر رحمه الله، " فذكر أنه كتب على شجرة من جوز دمشق لما نفي" ([3]):

فَعَلامَ أَبْعَدتُم أخا ثقةٍ ... لم يجترم ذنباً ولا سَرَقَا
انفُوا المؤذن من بِلَادِكُمْ ... إن كان يُنْفَى كلُّ من صَدَقَا

٦- ابن الأَثِير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ/ ١١٦٠ - ١٢٣٣ م)، صاحب التاريخ المشهور([4]).

٧- وممن تميز في الأدب والترسل جمال الدين بن شيث كاتب الإنشاء، وكان جيد الترسل فاضلاً متأدباً ، وكان مع ذلك مغرى بصناعة الكيمياء([5]).

٨- ضياء الدين ابن الأثير(**٥٨٥ - ٦٣٩ هـ/ ١١٨٩ - ١٢٤١ م**)، كان مترسلاً، فاضلاً بالأدب وعلم البديع، وهو صاحب "المثل السائر"، و"المعاني المبتدعة"، وغيرهما من الكتب([6]). وبالرغم من ذلك أساء ضياء الدين الأدب على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيعة المهاجرين والأنصار له إذ قدم عليها بيعة المستنصر، إذ قضى بأنها لو كانت للصديق لم يمت بحسرتها سعد بن عبادة الأنصاري، ولم يقل

---

(١) ابن عُنَيْن: (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ / ١١٥٤ - ١٢٣٢ م). هو محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن ابن عنين، أبو المحاسن، شرف الدين، الزرعي الحوراني الدمشقيّ الأنصاري: أعظم شعراء عصره. مدح الملوك والوزراء . وكان هجّاء، قلّ من سلم من شره في دمشق. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٤-٢١٥؛ ج٥، ص٤١-٤٨ . وانظر: الحموي، الأدباء، ج٣، ص١٤٠٤. ابن المستوفي، أربل، ج١، ص٤١٩. ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص١٤. الذهبي، سي، ج٢٢، ص٣٦٣.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٤-٢١٥.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٤١.

(٤) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير: المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتجوّل في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها. من تصانيفه " الكامل" في التاريخ، و" أسد الغابة في معرفة الصحابة " ، و " اللباب" اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه، و " تاريخ الدولة الأتابكية " و " الجامع الكبير " في البلاغة، و " تاريخ الموصل" ولم يتمه. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠. وانظر: ابن الأثير(عز الدين)، أسد الغابة، ج١، ص١. ابن الزكي، تهذيب، ج١، ص٨٦ .

(٥) هو عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي صاحب كتاب (معالم الكتابة) المتوفى سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م)، وقد نشر الخوري قسطنطين الباشا المخلصي هذا الكتاب في بيروت سنة ١٩١٣م. ابن واصل، مفرج،ج٤، ص٢١٥. حاشية رقم ٦.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠؛ ج٤، ص١٩٨. وانظر: ابن المستوفي، أربل، ج٢، ص٢٠٩.

الفاروق رضي الله عنه أن بيعة أبي بكر رضي الله عنهما كانت فلتة. ولقد افترى في ذلك فإن بيعة الصديق لم تكن بيعة أفضل منها إلا البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم([1]).

٩- فخر القضاة نصر الله بن براقه المصري رحمه الله، وكان فاضلاً في فنون الأدب والنظم والرسائل، وكان شاعراً مجيداً([2]). ومن شعره الجيد، قوله في مدح الناصر داود([3]):

مَلِكٌ سِيـــــــــــــــــــرَتُهُ سَـــــــــــائِرَةٌ ... مِنْ فِلِسْطِينَ إِلَى أَقْصَى خَـــــوِي

وإِمَامٌ يُقْتَـــــــــــدَى الْبَحْرُ بِهِ ... كُلَّمَا نَادَى نِـــــــــــدَاهُ الغُمْرِ حَيّ

ذُو خَـــــوَانٍ يَرْخُصُ اللحْمُ بِهِ ... مُنْضَجًا لكن يُغَالِـــــــــــى فِيْهِ نَيّ

فَهُـــــــــــــــــــوَ للناسِ ربيعٌ دَائِمٌ ... فِيْ خَـــــــــــــــرِيفٍ وَمَصِيْفَ وَشُتَي

١٠- بهاء الدين زهير بن محمد بن علي القوصي (٥٨١-٦٥٦هـ/١١٨٥-١٢٥٨م)([4]).

ومن أشعاره ، قصيدة يمدح بها الملك الكامل :

لـــــــكَ اللهُ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ فَإِنَّمَا ... مِنَ الْقَتْلِ قَدْ أَنْجَيْتُـــــهُ أَوْ مِنَ الأَسْرِ

يُقَصّرُ عَنْكَ الْمَدْحُ مِنْ كُلِّ مَادِحٍ ... وَلَوْ جَاءَ بِالشَّمْسِ الْمُنِيْرَةِ وَالْبَـــــــــــدْرِ

قال ابن واصل: " قلت: لقد أبدع بهاء الدين زهير في هذه القصيدة، وأتى بكل معنى بديع لطيف، وكذا أكثر شعره"([5]) . وحكم ابن واصل هذا حكم فني بديع لا يصدر إلا عن خبير، وقائل للشعر.

١١- الصاحب كمال الدين بن العديم (٥٨٨-٦٦٠هـ/١١٩٢-١٢٦١م). وهو من المؤرخين والكتاب وله شعر حسن، له مؤلفات عديدة([6]).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠١. وانظر: ابن المستوفي، أربل، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) فخر القضاة ابن بزاقة: ولد بقوص وتوفي بدمشق (٥٧٧-٦٥٠هـ/ ١١٨١-١٢٥٢م). هو نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي، فخر القضاة أبو الفتح ابن بصاقة الغفاري المصري الحنفي الناصري الكاتب؛ شاعر كاتب ماهر، كان خصيصاً بالمُعَظَّم عيسى ثم بابنه الناصر داود، وتوجه معه إلى بغداد. كان أكتب أهل زمانه، وأجودهم ترسلا، وأطولهم باعا في الأدب. له " ديوان شعر " ورسائل. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٤ ؛ ج٥، ص١٩.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٥.

(٤) ولد بمكة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ونشأ بالقاهرة، وحفظ القرآن العزيز. وسمع من علي بن أبي البنا وغيره. واشتغل وبرع في عدة علوم كالفقه والعربية واللغة. وفي الشعر. وشعره في غاية الانسجام والعذوبة والفصاحة. وهو السهل الممتنع. وكان – رحمه الله – فاضلاً، كاتباً، كريماً، نبيلاً، جميل الأوصاف، حسن الأخلاق، طويل الروح، حلو النادرة. وكان في مبادئ أمره خدم الملك الصالح أيوب، وسافر معه إلى الشرق. رقاه إلى أرفع المراتب، ونفده رسولاً إلى الملك الناصر، وبعدها نفر منه الملك الصالح، وتقرب للملك الناصر، ومدحه، وأخيراً رجع للقاهرة إلى أن توفى. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٠٣. وانظر: ابن خلكان، وفيات ، ج٢، ص٣٣٢. ابن اسعيد المغربي، الغصون، ص٢٥.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٠٣.

(٦)عمر بن أحمد بن هبة اللّه بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم. مؤرخ، محدِّث، من الكتَّاب، له شعر حسن، ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي بالقاهرة. من كتبه «بغية الطلب في تاريخ حلب» (مخطوط) كبير جداً، اختصره في كتاب آخر سماه «زبدة الحلب في تاريخ حلب»، و«سوق الفاضل» (مخطوط) منه مجلدين في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، و«الدراري في الذراري» (مطبوع)، و«وصف الطيب) «مخطوط) رسالة، و«الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة»، و«دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري» (مطبوع) ما وجد منه، و«التذكرة» (مخطوط أجزاء منها). ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠٤. وانظر: ابن يونس الصدفي، تاريخ، ج٢، ص٣١٣.

١٢- شرف الدين أبو محمد، شيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد الدمشقي ثم الحموي الشافعي، الإمام العلامة الأديب الشاعر المعروف بابن الرفاء الأوسي الأنصاري(٥٨٦-٦٦٢هـ/١١٩٠-١٢٦٤م). وكان الشيخ شرف الدين فاضلاً متأدباً، جيد النظم والترسل، ومن شعره ، مدح الملك المظفر لما ولي حماة(١):

تَنَاهَى إِلَيْكَ الْمُلْكُ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ وَحَلَّ بِكَ الرَّاجِي فَحَطَّتْ رَوَاحِلُهُ

أَلَا هَكَذَا فَلْيَمْنَعُ المَجْدَ مَانِعٌ أَلَا هَكَذَا فَلْيَبْذُلُ الْبَذْلَ بَاذِلُهُ

١٣- ابن واصل: جمال الدين، محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل أبو عبد الله المازني التميمي الحموي الشافعي(٢). حيث نظم الشعر ، وكانت عنده قريحة متوقدة ، قال عن نفسه: " ونظمت وأنا بحلب أبياتاً، ذكرت فيها المنازل بين بغداد وحماة، وهي(٣):

طَوَاهَا سُراها حِينَ طَالَ سفارها وَانْحَلَّهَا تَهْجِيرُهَا وَابْتِكَارُهَا

وَأَتْبَعَهَا جَذْبُ البُرى وَأَذَابَهَا اشْتِيَاقٌ إِلى أرضٍ بعيدٍ مَزَارُهَا

وَمَا بَاعِثُ الأَشْوَاقِ نَحْوَ بِلَادِهَا سِوَى أَهْلَهَا لَا شَيْخُهَا وَعِوَارُهَا

ه- **علم الطب** : برع في علم الطب ملوك بني أيوب ، وكانت لهم آراء هامة في الطب ، منهم :

١- الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/١٠ مارس ١٢٣٧م):

وفد على الملك الكامل" الإمام أفضل الدين الخونجي(٥٩٠-٦٤٦هـ/١١٩٤-١٢٤٨م) ، وكان فاضلاً في المنطق، والمعقولات، والطب، وأما ذهنه ففي غاية التوقد والإدراك، فاستحضره الملك الكامل فسأله عن مسألتين في الطب، فاتفق أنه أخطأ فيهما، فانحط عنده قليلاً، سأله عن الخيار كيف ينبغي أن يؤكل؟. وسأله لم إذا أُكل الحلو مع غيره يُتقيأ الحلو بعد ما أكل معه، وإن أُكل الحلو أولاً ؟. فأجاب عن الأولى بأن الخيار أفضل ما أُكل مع قشره، وأخطأ في ذلك؛ لأن قشره في غاية الغلظ، فأفضل ما يؤكل أن يقشر ويقطع ويؤكل بالخل. وإنما غَلَّطَ أفضل الدين الخونجي قول أبي علي بن سينا(٤) في القانون أن الخيار ينبغي أن يؤكل مع قشره، وهذا خطأ من أبي علي، وقد غلطه فيه سائر الأطباء. وأجاب عن الثانية بجواب غير مرضٍ ولم أحفظه(ابن واصل). والجواب الحق ، أن الطبيعة لملائمتها الحلو تشح به،

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٧٣-٢٧٤. وانظر: الصفدي، الوافي، ج٢، ص١٥٧.

(2) الصفدي، الوافي، ج٣، ص٧١. السبكي، طبقات، ج٢، ص١٩٤. ابن العماد، شذرات، ج٥، ص٤٣٨.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٢٥.

(٤) ابن سينا: "٣٧٠-٩٨٠م/ ٤٢٨هـ-١٠٣٧م": هو، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا، أبدع في العلم والفلسفة، وبخاصة في الطب وعلم النفس، وكتب في الطبيعيات والهندسة والرياضيات والكيمياء وفي الفلسفة، واللغة العربية نحوًا وصرفًا وبلاغة وشعرًا، لقب بالشيخ الرئيس لغزارة علمه، وهو في سن يافعة كما لقب بجالينوس العرب لتبحره في الطب، ولقب بالمعلم الثالث من حيث الفلسفة أي بعد أرسطو والفارابي. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٦١. وانظر: ابن مسكويه، تجارب، ج١، ص٩. ابن عربشاه، عجائب، ص٤٤٦. بدوي، الفلسفة، ص١٣. الطائي، الكيمياء، ص٧٩. الفقي، الأزهر، ج١، ص١٣٧ .

فلهذا يُتقيأ أخيراً([1]). ولما أجاب أفضل الدين الملك الكامل بما أجابه به دخل الحكيم الرشيد بن أبي حليقة([2]) على الملك الكامل فسأله عن هاتين المسألتين، فأجاب بالجواب الصحيح . فقال الملك الكامل: " فقل لمولاي الذي قال كذا وكذا" تهكماً به. وخجل أفضل الدين. وليس هذا إنصافاً من الملك الكامل، فإنه ليس الغلط في مسألة، أو مسائل قليلة مما يقضى بعدم الفضيلة، فإنه ليس يمكن الإحاطة بجميع المسائل([3]).

٢- الملك المنصور صاحب حماة أصيب في بعرين عندما أراد فتحها في ٥٩٥هـ/١١٩٩م حصلت له جراحة حال الزحف، " وأقام بها مداوياً لجراحته"([4]).

وقد عرفت الدولة الأيوبية جماعة من الأطباء، منهم:

١- الحكيم موفق الدين محمد بن أبي الخير الطبيب(٦٣٧هـ/١٢٣٩م): كان فاضلاً في علم الطب متقناً له، وكانت منزلته عند الملك المظفر- صاحب حماة- عالية جداً، وكان مع ذلك ديناً متورعاً، مات في الحبس بسبب التضييق والضرب([5]).

٢- سعد الدين الحكيم الدمشقي، وهو من فضلاء الأطباء(ت: ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)([6]).

٣- موفق الدين إبراهيم. وكان سامرياً ثم أسلم وحسن إسلامه، وكان متقناً لصناعة الطب، حسن المعالجة، وفي آخر مرض الأشرف، أمر بطلب الحكيم موفق الدين إبراهيم، ووجدوه في مقام إبراهيم عليه السلام، يدعو للملك الأشرف، وتوفى الملك الأشرف بعدها بيومين(ت: ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)([7]).

٤- رشيد الدين أبو حليقة (٥٩١-٦٦٠هـ/١١٩٥-١٢٦٢م)([8]).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٦١.

(٢) هو إبراهيم بن أبي الوحش بن أبي حليقة علم الدين الرشيد الذي استقر رئيسا للأطباء بمصر والشام، وقد كان نصرانياً فبلغ في دينه أن عين للبطريكية فلم يوافق ودخل في الإسلام وعالج الظاهر بيبرس فعوفي فوهب له الأمراء أشياء كثيرة فاستكثره السلطان فأعطاه جزءاً منه وهو أول من عمل شراب الورد الطري، ويقال أن تركته بلغت حوالي ثلاثمائة ألف دينار،وذلك وأن دل إنما يدل على أن صناعة الطب كانت رابحة من ناحية ومن ناحية أخرى أن ذلك الطبيب كانت له شهرته التي جعلته يتملك تلك الثروة العظيمة . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٦١. وانظر: ابن حبيب، تذكرة، ج١، ص٢٩١. ابن حجر، الدرر، ج١، ص٥٣.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٦١-١٦٢ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠١.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٦) سعد الدّين بن عبد الْعَزِيز: هُوَ الْحَكِيم الْأَجَل الإِمَام الْعَالم سعد الدّين أَبُو إِسْحَق إِبْرَاهِيم بن عبد الْعَزِيز بن عبد الْجَبَّار بن أبي مُحَمَّد السّلميّ ، وَكَانَ الْحَكِيم سعد الدّين أوحد زَمَانه وعلامة أَوَانه فِي صناعَة الطِّبّ، كان مولده بِدِمَشْق فِي أَوَائِل الْمحرم سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وخدم بصناعة الطِّبّ ، وخدم الملوك ، حتى الملك الكامل، توفّي رَحمَه الله وَكَانَت وَفَاته بِدِمَشْق فِي سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٣٧. وانظر: ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٦٧١.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٣٧. وانظر: ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٦٧٣.

(٨)هُوَ الْحَكِيم الْعَالم رشيد الدّين أَبُو الْوَحْش بن الْفَارِس أبي الْخَيْر بن أبي سُلَيْمَان دَاوُد بن أبي المنى بن أبي فانة وَيعرف بِأبي حليقة يعرف بأبي حليقة لوجود حلقة بأذنه ، اشتغل بالطب ، كَانَ أوحد زَمَانه فِي صناعَة الطِّبّ والعلوم الْحكميَّة متقننا فِي الْعُلُوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة رؤوفا بالمرضى محبا لفعل الْخَيْر ، كان ملازماً للملوك. من أهم أعماله: ألف كتاب المختار في ألف عقار في الأدوية المفردة ، رسالة في حفظ الصحة، وكتاب في الأمراض وأسبابها ومداواتها. وأخبار ونوادر وشعر . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٥٤. وانظر: ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٩٠.

٥- الحكيم زين الدين بن سعد الدين بن سعد الله ابن واصل (ابن عم المؤلف)([1]).

٦- الطبيب النفيس بن طليب النصراني. كان طبيباً عند الملك الصالح نجم الدين([2]).

وقد انتشرت في الدولة أيوبية عدة أمراض تألم منها الملوك والولاة والحكام، منهم : عز الدين مسعود زنكي ملك الموصل، فقد تعلل ب "مرض الإسهال"([3]). وأصابت الحمى الملك العزيز، ويرقان، وقرحة في الأمعاء، وتوفى على أثرها([4]). ومن الأمراض التي كانت موجودة وجع المفاصل، حيث أُصيب بها عز الدين أسامة: " وعجز عن الركوب لوجع المفاصل الذي كان يعتريه قبل ذلك"([5]).

وقد عرفت الدولة الأيوبية الأشربة والأدوية والعقاقير، حيث كانت ست الشام بنت أيوب المعروفة بالحسامية " تعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير فيفرق على الناس"([6]).

وجدير ذكره أن نور الدين صاحب الموصل لما اشتد مرضه، وأيس من نفسه، أشير عليه بالانحدار إلى عين القيارة ليستحم بها([7]) . ولما وقع الملك الظاهر قبيل وفاته بالحمى حُقِنَ وخيف عليه؛ ولكن أجل الله جاء في ٢٠ جمادى الآخرة ٦١٣هـ/ ١٤ أكتوبر ١٢١٦م([8]). وفي سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م توفى الملك القاهر عز الدين صاحب الموصل، وكان سبب وفاته أنه حُمَّ، ثم عاودته مع قيء كثير وكرب شديد، ثم برد بدنه وعرق، ثم توفى([9]). وتوفى الملك المنصور صاحب حماة (٦١٧هـ/١٢٢٠م)، وكان مرضه حمى حادة محرقة، وتأدت به إلى أن ورم دماغه، واشتعل ذهنه([10]). ومن الأمراض المنتشرة في العصر الأيوبي (القولنج)([11])، الذي أدى إلى وفاة الملك الصالح ناصر الدين محمود بن نور الدين محمد ابن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق([12]). ومن الأمراض الدوسنطاريا فقد توفى الملك المُعَظِّم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بالدوسنطاريا بقلعة دمشق([13]). وقال ابن واصل

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣٠٧. وانظر: أحمد عيسى، معجم الأطباء، ص٥٠٥.

(٣) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٩.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٨٢.

(٥) المصدر نفسه ، مفرج، ج٣، ص٢٠٩.

(٦) انظر هامش "٣" من كتاب المفرج لابن واصل، ج٣، ص٦٣ .

(٧) عين القيارة، بها عين يخرج منها القار ، وهى من الموصل، على مرحلة إلى أسفل. وماؤها معدنيّ حارّ، يستحمّ فيه الناس للشفاء من أمراض المفاصل. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٠٢. وانظر: ياقوت، معجم ، ج٤، ص ٤١٩ .

(٨) ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص٢٤٠-٢٤١ . وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٦- ٢٩٧ .

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٦١.

(١٠) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٧٧.

(١١) القولنج بفتح اللام وجع في المعى المسمى قولن بضم اللام وهو شدة المغص.. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص١٠٦؛ ج٤، ص١٠٧. وانظر: الخوارزمي، مفاتيح، ج١، ص١٨٣. الحموي، المصباح، ، ج٢، ص٥١٨. السيوطي، معجم، ص١٩٣. منق، خير، ص٤٦. المناوي، التوقيف، ص٢٧٧. مصطفى، الوسيط، ج٢، ٧٦٧.

(١٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٠٧.

(١٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢٠٨.

عن والده قبل وفاته(٦٢٩هـ/١٢٣٢م) في حماة: " وعُرِضَتْ له حمى حادة وأعقبها دوسنطاريا"([1]). ومن الأمراض التي كانت معروفة عند الأيوبيين الذرب، وهو مرض استطلاق البطن المتصل، وهو من الأمراض المزمنة فكان الملك الأشرف "لا يستقر الطعام في معدته"([2]). وقبيل وفاة الملك الكامل، تعرض الملك الكامل لوعكة صحية، بينها ابن واصل: " أصابه زكام فدخل الحمام في ابتدائه، فصب ماء شديد الحرارة على رأسه، وعمل ذلك اتباعاً لقول محمد بن زكريا الرازي في كتاب "طب ساعة" ذكر فيه أن من أصابه زكام فصب على رأسه ماء شديد الحرارة انحلَّ زكامه لوقته، فانصب من دماغه مادة مادة إلى فم معدته، فتورمت، وعرضت له حُمَّى شديدة. وأراد القيء، فنهاه الأطباء عنه، وقالوا: " إن فعل هذا هلك في الوقت" ، فخالفهم وتقيأ فهلك لوقته، وعُرضت له خوانيق- هو المرض المسمى بالذبحة، ومن أنواعه الذبحة الصدرية- وأنها انقطعت، وتقيأ دماً كثيراً ومِدة، وأراد القيء فشاور الأطباء، فمنهم من أشار به، فقال له الحكيم موفق الدين إبراهيم: لا يفعل، وأنكر على من أشار القيء، فخالفه وتقيأ، فانصبت بقية من المادة إلى قصبة الرئة، وسدتها، فمات رحمه الله"([3]). ومرض الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة ، حيث أصابته " سكتة، ثم انحلت بفالج عطب به جنبه الأيمن، وبقي أياماً لا يتكلم ولا يتحرك وهو كالميت... ثم بعد ذلك صار يركب وينزل، ولازمت الأطباء مداواته، وكلامه مع ذلك غير مفصح ، ولا يفهم منه إلا بعسر، وفي ذهنه ضعف، وعرضت له حمى حادة أياماً، فكانت وفاته بها"([4]).

وفي سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م وافت المنية الصاحبة ضيفة خاتون ابنة السلطان العادل والدة الملك العزيز، وكان سبب موتها قرحة عرضت في مراق البطن، وازداد مرضها، وحدث لها حمى بسبب ذلك، وتزايد مرضها إلى أن انتقلت إلى رحمة الله"([5]). وتوفى المنصور صاحب حمص سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م بمرض السل([6]). وفي سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م مرض الملك الصالح نجم الدين أيوب بالخوانيق([7]).

و- علم التاريخ : برع فيه العديد من علماء الدولة الأيوبية، وكان من هؤلاء العلماء ملوك الدولة الأيوبية، على رأسهم: محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه، الأيوبي، أبو المعالي المنصور ابن المظفر (المتوفى: ٦١٧هـ)، حيث ألف كتاب مضمار الحقائق في التاريخ، وهو نحو عشرين مجلد (٨).

وكان من أبرز المؤرخين الوافدين إلى بيت المقدس في العصر الأيوبي العالم المؤرخ العماد الكاتب الأصفهاني الذي ألف في تاريخ بيت المقدس كتاب "الفتح القسى في الفتح القدسي" ، حيث أن تأليفه كان يحوي الكثير من الروايات التاريخية الممتازة التي تستحق العناية؛ لأن مؤلفها شاهد وعاصر

---

(١) ابن واصل، مفرج، ، ج٥، ص١٨.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٢٨.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٥٤.

(٤) المصدر نفسه ، ج٥، ص٣٠٦-٣٠٧؛ ص٣٤٣.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٣١٢.

(٦) المصدر نفسه ، ج٥، ص٣٦٩-٣٧٠.

(٧) الخناق: أن يحدث في المبلغ ضيق يقال له: خوانيق وهو مخنوق. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٨٧.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٧٨ . وانظر: عبد المهدي ، الحركة ، ص ١٧٠. العسلي ، معاهد ، ص ٧٠.

الأحداث بنفسه، ثم سجلها بأسلوبه الأدبي(١). ومنهم الإمام العالم بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي المعروف بان عساكر ، ولد سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م، وقدم إلى بيت المقدس سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م ، صنف كتاب "الجامع المستقصي في فضائل المسجد الأقصى"، ودرسه بنفسه في بيت المقدس، وتوفي ابن عساكر سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م(٢).

ومنهم العالم المؤرخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، الذي ألف في تاريخ البلدان، والمؤرخ بهاء الدين بن شداد، والمؤرخ القاضي الأكرم جمال الدين القفطي، وفي العصرين الأيوبي والمملوكي برز عدد من المؤرخين، منهم المؤرخ فخر الدين علي بن أحمد المقدسي، المتوفى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م ، صنف كتاب "اسنى المقاصد وأعذب الموارد"، جمع فيه شيوخه من الرجال والنساء وكن خمساً وعشرين ، كما برز المؤرخ ابن واصل الحموي، صاحب المفرج، وقد تقدم الحديث عنهم(٣). ومن المؤرخين الكبار في الدولة أيوبية ابن الأَثِير ، صاحب التاريخ المشهور. ومنهم أيضاً: الصاحب كمال الدين بن العديم وهو من المؤرخين (٤). وكان ابن أبي الدم فاضلاً متفنناً في المذهب والأدب والتاريخ، سافر في صباه إلى بغداد، واشتغل بالعلم (٥).

ز- الرياضيات والفلك: المقصود بعلوم الرياضيات، الحساب والجبر والهندسة، وقد ارتبط بها علم الفلك، فلم يظهر عالم رياضي إلا وقد عرف الفلك واشتغل به(٦). فقد كان العالم أبو عبد الله محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني عارفاً بفنون الفلك والنجوم والحساب والهندسة(٧). ومن علماء الرياضيات والفلك : العالم، المهندس، الفلكي، الرياضي، عَلَم الدين، قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر بن حسان بن عبد الرحمن أبو عبد الله السلمي الدمشقي الأصل والوفاة ، المصري المولد، المعروف بتعاسيف، كانت وفاته في: (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م)(٨)، وكان عظيماً في العلوم الرياضية، وعمّر له مواضع حسنة منها الجوسق المعروف بطيحة في مدينة رأس عين في غاية الحُسن على شكل مثمن ، وبإزائه نهر يتصل ببلاد الخابور(٩). وكان من العلماء في الرياضيات : الإمام العالم عبد اللطيف البغدادي الذي كان

---

(1) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ص١٢٧-١٢٨. وانظر: الأصفهاني، الفتح ، ص ٨٨-٨٩.

(2) الذهبي ، سير ، ج ١٥ ، ص ٥٠٦ . الذهبي ، تذكرة ، ج ٤، ص ١٠٨-١٠٩. عطية ، تاريخ التعليم ، ص ٢٢٤.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠-٢١١. وانظر: المنذري، التكملة، ج٣ ، ص٢٩٨ . ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٦٤٦ ؛ ص٦٤٠ . خليل، مدينة القدس ، ص١١٧. حاجي خليفة ، كشف ، ج ١ ، ص ١٢٩.

(٤) من كتبه «بغية الطلب في تاريخ حلب» (مخطوط) كبير جداً، اختصره في كتاب آخر سماه «زبدة الحلب في تاريخ حلب»، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠٤. وانظر: ابن يونس الصدفي، تاريخ، ج٢، ص٣١٣، ص٥٣٦.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٧٤.

(٦) بدوي ، الحياة العقلية ، صـ٢٩٩. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ٤٤٣.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٤، ٢١٧-٢١٨. وانظر: اليافعي ، مرآة ، جـ٣، صـ٢٨٧. ابن كثير ، البداية، جـ١٤، صـ٣٤.

(٨) المصدر نفسه ، مفرج، ج٥، ص١٤٥-١٤٦. ص٣٤٣ . وانظر: طوقان، بين العلم والأدب، ص٩٢.

(9) ابن واصل، مفرج ، ج٥، ص١٤٥-١٤٦. أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٤٣٨. النويري: نهاية، ج ٢٩، ص٢٧٣. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٨٣. الصفدي: الوافي، ج٢٤، ص٢٢٨. القرشي: طبقات الحنفية، ج١، ص٤١٥. المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٧٦. العسقلاني: نزهة الألباب، ج١، ص١٤٦.

مبرزاً في علم الحساب، والإمام العالم ابن القفطي ، وقد ذكر الحموي أنه كان يعرف علمي النجوم والهندسة([1]) ، ومنهم ابن واصل الحموي الذي درس الرياضيات والعلوم الشرعية ببيت المقدس، صاحب المفرج، حيث أخذ الرياضيات عن العالم عَلَم الدين، قيصر بن أبي القاسم، وصفه ابن واصل بـ"شيخنا في العلوم الرياضية"، وقال: "كان عظيماً في العلوم الرياضية" ([2]).

ح- علم الكيمياء: وتميز في هذا العلم جمال الدين بن شيث، حيث كان مغرى بصناعة الكيمياء([3]).

٣- المؤسسات العلمية: عُرفت في عهد الدولة الأيوبية ومؤسسها المؤسسات العلمية، ومن أهمها : المدارس([4])، الربط والخوانق([5])، والمساجد([6])، الكتَّاب، والقباب([7]).

أ- المساجد: تعد المساجد من المظاهر البارزة للحركة العلمية والثقافية في عهد صلاح الدين وخلفاؤه ، الذين أدركوا ما للمسجد من أهمية ودور محوري كأحد المؤسسات الدينية المركزية التي تجمع الناس للعبادة والعلم، فضلاً عن أنها توحد صفوف المسلمين، وتصقل خصالهم، وتزيد من فضائلهم، وتعمل على جمع كلمتهم، ومن أجل ذلك فقد عمل خلفاء صلاح الدين على إقامة العديد من المساجد . فقد أشار ابن واصل إلى الكثير من المساجد، من أهم هذه المساجد:

١- المسجد الأقصى: عنى الملك الناصر صلاح الدين، بعد تحريره بيت المقدس من الصليبيين، بإعادة الحياة العلمية الدينية إلى المسجد الأقصى، فأزال الآثار الصليبية منه، ورتب للمسجد الأقصى إماماً، وأقام على خدمته السدنة بما فيهم الخطباء، والمدرسين، ونقل إليه عددا من المصاحف الشريفة، ووقف على المسجد الأوقاف الكبيرة ([8]) . وجدير ذكره أن خلفاء صلاح الدين اهتموا اهتماما كبيراً بالمسجد الأقصى، وعلى رأسهم الملك المُعَظِّم عيسى . قال ابن واصل: " ولقد رأيته بالبيت المقدس في سنة ثلاث وعشرين وستمائة، والرجال والنساء والصبيان بالجامع الأقصى يزاحمونه ولا يردهم أحد عنه، وهذا المسلك لم يسلكه أحد من أهل بيته ولا غيرهم . ومن المفارقات أن الملك المُعَظِّم كان شديد التعصب لمذهب أبي حنيفة رحمه الله ، عزل خطيب الأقصى، وكان شافعياً، وولى خطابة الأقصى رجلاً حنفياً بغدادياً يقال له: شهاب الدين، وكان متميزاً في الفقه، وأبقى الملك المُعَظِّم بالصخرة الإمامة للشافعية، وأمر المؤذنين أن لا يبلغوا في تكبير الأصوات بالحرم الشريف إلا خلف الإمام الحنفي إمام الأقصى لا غير. وبلغه مرة أن

---

(1) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ٥ ، صـ٤٥٣.

(2) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٤٦. وانظر: الذهبي، سير، ج١٧ ، ص١٩٠. ابن العماد ، شذرات ، ج٦، ص١١٠. بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج٦، ص٣٢. قدري طوقان، تراث العرب العلمي، ص ٣٥٣ .

(٣) ابن واصل، مفرج،ج٤، ص٢١٥. حاشية رقم ٦.

(٤) المصدر نفسه، مفرج ، ج٣، ص٩، ١١، ٢٢، ٦٠، ٦٣، ٢٢٠، ٢٤١ . ج٤، ص٦٥، ٧٨، ٨٧،١٢٨ ،١٤٢،٢١١، ٢١٩، ٢٢٠. ج٥، ص٣٧، ١٦٢،١٦٩، ١٧٢، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٧٣.

(٥) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٨٧، ٢٥٧. ج٥، ص١٧٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣، ص٦٤-٦٥، ٦٨، ١٠٣. ج٤، ص٢١٠، ٢١١. ج٥، ٣٤٥. ج٦، ص١٧٠.

(٧) المصدر نفسه ، ج٣، ص٢١٢،١١١.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠. وانظر: الأصفهاني ، الفتح ، ص١٤٠-١٤١. العسلي ، معاهد ، ص ٣٥-٤٠. عبد المهدي ، الحركة الفكرية، ص٥٤ . خليل، "مدينة القدس في العهد الأيوبي"، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١١٦ .

المؤذنين بلغوا بالحرم خلف إمام الصخرة الشافعي، فأنكر ذلك غاية الانكار([1]). ومن أشهر المدرسين الذين درسوا في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي، الفقيه المفسر النحوي البارع في المذهب المالكي والعارف بالعربية وعلم الكلام والتفسير: ابن سجمان محمد بن الشريشي بن أحمد بن محمد بن عبد الله المالكي (٦٠١-٦٥٠)([2]) . كما درس بالمسجد الأقصى الحسن بن الخطير بن أبي الحسين النعماني الحنفي (٥٤٧-٥٩٨هـ) ، نسبة الى النعمانية قرية في بغداد ، وكان مبرزا في النحو واللغة العربية والعروض والقوافي والشعر ، عالما بتفسير القرآن، والفقه، والحساب، والطب، والمنطق([3]).

ومنهم الشيخ ابن اللباد ([4])، وكان هؤلاء المدرسون يتقاضون رواتبهم من ريع أوقاف المسجد الأقصى([5]).

وهكذا عاد المسجد الأقصى والصخرة المشرفة مركزي علم وعبادة ، وتدفق عليهما العلماء والفقهاء، وانشغلوا بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس([6]).

٢- الجامع الأزهر بالقاهرة:

يعتبر الأزهر مؤسسة علمية منذ أن أسس حتى يومنا هذا([7]).

٣- الجامع الأقمر بالقاهرة :

وفي شهر رجب من سنة ٦٤٤هـ، وقّع الملك الصالح أيوب للمؤلف بوظيفة التدريس في الجامع الأقمر بالقاهرة، وهو من بناء الخليفة الفاطميّ، الآمر بأحكام الله، وكتب التوقيع بإنشاء الصاحب فخر الدين لُقمان الإسعرديّ(٨).

٤- مسجد خاتون ([9]).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠، ٢١١.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٠. وانظر: ابن شهبة ، طبقات الشافعية ، ص ٥٦ .

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٢١٠-٢١١. الحموي، الأُدباء"،ج٣ ، ص٢١٣-٢١٤ . السيوطي، بغية ، ج١، ص ٥٠٢.

(٤) كان عالما بأحوال الدين والنحو واللغة والطب والتاريخ (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م). ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠-٢١١. وانظر: المنذري، التكملة، ج٣ ، ص٢٩٨ . بن أبي أصيبعة، عيون، ص٦٤٦ ؛ ص٦٤٠ .

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٠-٢١١. وانظر: المنذري، التكملة، ج٣ ، ص٢٩٨ .

(٦) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٠-٢١١. الأصفهاني، الفتح، ص١٩٨. عبد المهدي، الحركة ص٥٤-٥٥ .
صبيح، القضاء والمراكز العلمية في بيت المقدس، أطروحة دكتوراة غير منشورة، ص١٢٣.

(٧) الجامع الأزهر(تأسس٣٦١ هـ/٩٧١م): هذا الجامع أول جامع أسس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله لما اختط القاهرة، جدده الحاكم بأمر الله، ووقف عليه أوقافًا، ثم إن المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ، ثم جدد في أيام الظاهر بيبرس. وقد سمي بالأزهر تيمنا بفاطمة الزهراء بنت الرسول إشادة بذكراها. انقطعت صلاة الجمعة فيه أيام صلاح الدين وأعيدت في أيام الظاهر بيبرس، فتحدث في إعادتها فيه، فامتنع قاضي القضاة ابن بنت الأعز وصمم، فولى السلطان قاضيا حنفيا، فأذن في إعادتها فأعيدت. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٥. وانظر: المقريزي، اتعاظ، ج٣، ص٩٣. الفقي، الأزهر، ج١، ص٢٣-٢٤.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج ٦، ص١٧٠.

(٩) ينْسب مَسْجِد خاتون إلى صفوة الْملك زمرد ابْنة الْأَمِير جاولي أم شمس الْمُلُوك إِسْمَاعِيل وَإِخْوَته بني تَاج الْمُلُوك بوري بن ظهير الدين طغتكين أتابك وَهِي أُخْت الْملك دقاق لأمه الَّذِي هُوَ مدرسة لأَصْحَاب أبي حنيفَة بِأَعْلَى الشّرف القبلي بِأَرْض دمشق بِأَرْض صنعاء ، على الشرف القبلي عند مكان يسمى صنعاء الشام المطل على وادي الشقراء وهو مشهور بدمشق توفيت سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦٢م). ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦٤-٦٥. وانظر: أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٢٢. النعيمي ، الدارس، ص٣٨٤. الأفغاني، أسواق، ص٢٧٢، ص٥٠١.

٥- مسجد القدم([1]).

٦- الجامع المجاهدي بظاهر الموصل([2]).

وكان الملوك والولاة والحكام يهتمون ببناء المساجد ، فكان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل، " ديّناً، خيّراً، ابتنى بجواره مسجداً، فكان يخرج إليه ويصلي فيه". وكان الملك الأفضل متخذا لنفسه مسجدا عندما تاب: " واتخذ لنفسه مسجداً يخلو فيه لعبادة ربه تعالى"([3]).

وقد أشار ابن واصل أن الملك المُعَظِّم أراد أن يولي أباه أحد المنصبين القضاء، أو الخطابة في جامع دمشق، " فأبى والدي إلا المضي إلى القدس"([4]).

وهذا الملك الأشرف هدم خاناً بالعقيبة يعرف بخان ابن الزنجبيلي كان تباع فيه الخمور، ويعلن فيه بارتكاب الفواحش، فطهره من ذلك، وبنى موضعه جامعاً تقام فيه الصلوات الخمس، ويصلى فيه الجمع ، وجاء في غاية الحسن، وسماه جامع التوبة، ووقف عليه وقفاً جليلاً، وأمر بإقامة الجمع في جامع خارج باب الصغير يقال له مسجد الجراحي([5]).

ب- المدارس: اهتم صلاح الدين وخلفاؤه ببناء المدارس، ومن المدارس التي أسست :

١- المدرسة الناصرية الصلاحية(المدرسة الشريفية) (تأسست: ٥٦٦ هـ/١١٧٠م) ([6]). وقد ذكر ابن واصل أن أباه تولى التدريس في المدرسة الناصرية الصلاحية، حيث " فوض إليه السلطان المُعَظِّم إليه تدريس المدرسة الناصرية الصلاحية...فمضينا إلى القدس في أوائل سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وأقمنا به"([7]).

٢- المدرسة الشامية البرانية (المدرسة الحسامية)، (تأسست: ٥٨٢هـ/١١٨٦م)([8]).

٣- المدرسة العزية للحنفية والشافعية(تأسست : ما قبل ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)([9]).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦٨. وانظر: البصروي، تاريخ، ص١١٥. ابن خمارويه، مفاكهة، ص١٣٦.

(٢) بدئ في بناء الجامع في سنة ٥٧٢ه، وباشر البناء مهرة البنائين والفنانين ، وصرفت عليه مبالغ طائلة، وأقيمت فيه صلاة الجمعة في سنة ٥٧٥ه قبل أن تكمل عمارة مرافقة ، وتم بناؤه في سنة ٥٧٦، وقد زين الجامع بزخارف وكتابات جميلة بعضها بالجبس ، والبعض الآخر بالآجر وبالمرمر المطعم بالصدف. وقد زار الرحالة المعروف ابن جبير مدينة الموصل في سنة ٥٨٠ه، وصلى في هذا الجامع، ووصفه وصفا رائعاً . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٠٣. الذهبي، تاريخ ، ج٤٢، ص١٩٥. اليافعي، مرآة، ج٤، ص١٤. ابن العماد، شذرات، ج٦، ص٥١٩.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢١،٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤١؛ ج٥، ص١٤٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤١؛ ج٥، ص١٤٣.

(٦) هي المدرسة التي بناها السلطان نور الدين محمود بن زنكي بالقرب من البيمارستان النوري، ونسبت إلى الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب ، وهي أول مدرسة عملت بديار مصر، ودرس بها الشريف القاضي قاضي العسكر الأرموى، فعرفت به، وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده إلى أيام المقريزي، وربما بعد ذلك . ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٤٢. وانظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٦٣-٣٦٤. النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٣١-٣٣٣. حسنين ربيع، النظم، ص٧٥ .

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٤٢.

(٨) باني المدرسة الشامية البرانية أنشأتها ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان أخت الملك الناصر صلاح الدين وهي من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافا ، من الفقهاء: القاضي رفيع الدين الجيلي. وقد توفيت في ذي القعدة ودفنت بتربتها التي بمدرستها الشامية سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦٣؛ج٥، ص٢٣٧. وانظر: النعيمي، الدارس، ص٢٠٨.

(٩) سميت المدرسة العزية نسبة إلى عز الدين مسعود، وزار ابن خلكان المدرسة ، وصفها عند كلامه عن عز الدين مسعود: " كان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية، فدفن بهذه المدرسة في تربة هي بداخلها، رحمه الله تعالى؛ ورأيت المدرسة والتربة، وهي من أحسن المدارس والترب، قال ابن واصل: " ولم يبق من المدرسة المعزية سوى غرفة واحدة مربعة الشكل ، وفوق الغرفة قبة مثمنة الشكل كالقباب التي بنيت في الموصل في القرنين السابع والثامن للهجرة . ذكرت المعلومة من كتاب المفرج ، ج٣، ص٢٢، هامش (١). ابن خلكان ، وفيات، ج٥، ص٢٠٧.

٤- المدرسة العزيزية(تأسست: ٥٩٢هـ/١١٩٥م)([1]).

٥- المدرسة الميمونية(تأسست: ٥٩٣هـ/١١٩٦م) ([2]).

٦- المدرسة الفلكية : (تأسست : ٥٩٦هـ/١٢٠٠م)([3]).

٧- المدرسة الصاحبية أو مدرسة القاضي بهاء الدين ابن شداد (تأسست : ٦٠١هـ/١٢٠٤م)([4]).

٨- المدرسة الظاهرية (تأسست: ٦١٦هـ/ ١٢١٩م)([5]).

٩- المدرسة الأتابكية: (تأسست: ٦٢٠هـ/١٢٢٣م). وقد نقل تابوت السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي صاحب حلب من الحجرة التي دفن بها بقلعة حلب إلى القبة التي بنيت له بالمدرسة الأتابكية لدفنه بها، وذلك في مستهل شعبان سنة ٦٢٠هـ/سبتمبر ١٢٢٣م([6]).

١٠- المدرسة الشامية الجوانية : (تأسست: ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)([7]).

١١- المدرسة الصالحية(تأسست:٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ([8]) .

---

(١) المدرسة العزيزية شرقي التربة الصلاحية وغربي التربة الأشرفية وشمالي الفاضلية بالكلاسة لصيق الجامع الأموي، ولما مات السلطان صلاح الدين بن أيوب بنى ولده الملك العزيز عثمان مدرسة إلى جنب الكلاسة بالجامع ونقل إليها والده في قبة في جوارها ، وأقام بالتدريس بها جل العلماء مثل : الآمدي، ابن الزكي. ابن واصل،مفرج، ج٥، ص٣٧. وانظر: اليافعي، مرآة، ج٣، ص٣٥١. النعيمي، الدارس، ص٢٩٠.

(٢) كانت تقع قرب باب الساهرة ببيت المقدس ، تنسب إلى الأمير فارس الدين بن عبد الله القصري ، وقفها سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، ابتدأت هذه المدرسة زاوية، ثم أصبحت مدرسة للشافعية، واستمرت تؤدي مهمتها في الحركة الفكرية حتى القرن التاسع الهجري. انظر: الأصفهاني، الفتح، ص٥٨٦. أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٠٨. الذهبي، "تاريخ الإسلام، ص٣٩١. العليمي، الأنس، ج٢، ص١٠٠. العارف، المفصل، ص٢٣٩. عبد المهدي، المدارس، ج١، ص٣٤٠.

(٣) أنشأها فلك الدين سليمان أخو العادل لأمه. قال ابن شداد: وقال ابن كثير في تاريخه في سنة ست وتسعين وخمسمائة: وقي شوال رجع إلى دمشق الأمير فلك الدين أبو منصور سليمان بن شروة بن خدلك وهو أخو العادل لأمه وهو وقف المدرسة الفكلية داخل باب الفراديس وبها قبره فأقام بها محترما معظما إلى أن توفي رحمه الله في المحرم من سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م). ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦٠ . النعيمي، الدارس، ص٣٢٧.

(٤) هي المدرسة التي أنشأها جانب داره في حلب، وأقام فيها ابن واصل المؤلف ، أنشأها بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي للشافعية، ثم عمَّر في جوارها داراً للحديث، وجعل بين المكانين تربة يدفن فيها ، وموقع هذه المدرسة في حلب . ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩. وانظر: ابن العجمي، كنوز الذهب، ج١، ص٢٨٧-٢٨٨ .

(٥) هي ضمن المدارس الشافعية التي بظاهر حلب، أنشأها الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب، وانتهت عمارتها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وأنشأ إلى جانبها تربة أرصدها ليدفن بها من يموت من الملوك والأمراء. ودفن الظاهر في مدرسته التي بنيت له بحلب. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٤١. وانظر: النعيمي، الدارس، ص٢٥٧.

(٦) عرفت هذه المدرسة بالمدرسة الأتابكية نسبة إلى مؤسسها الأتابك شهاب الدين طغريل عتيق الملك الظاهر، وقد بنيت هذه المدرسة سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٢٨. وانظر: علي، خطط، ج٦، ص١١٤.

(٧) إنشاء ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان انتهى. وقد تقدمت ترجمتها في الشامية قبل هذه وكانت هذه المدرسة دارا جعلتها بعدها مدرسة وفيها توفيت ونقلت إلى تربتها بالشامية البرانية ويقال لها الحسامية أيضا كما تقدم فيها. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٦٣. وانظر: النعيمي، الدارس، ص٢٥٦.

(٨) أنشأها السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م). وترجع أهميتها إلى النظام الأربعي الذي اتسع لتدريس المذاهب الأربعة(الشافعي- الحنفي- المالكي- الحنبلي) في بناء واحد. وممن ولي التدريس بالمدرسة الصالحية الإمام أفضل الدين الخونجي(٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، حيث ولي القضاء أيضاً بمصر. ابن واصل ، مفرج، ج٥، ص١٦٢. وانظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٣٦، ٣٧٤. حسنين ربيع، النظم المالية، ص٧٧- ٧٨ .

١٢- **المدرسة السلطانية المنصورية**([1]) : أسسها الملك المنصور ظاهر حماة، وتقبل عزاء زوجته ملكة خاتون بنت الملك العادل فيها. وقد صار فيها معيداً من أهل حماة شهاب الدين بن القطب ، كان شهاب الدين عنده نباهة في الفقه والخلاف والأدب. ثن اتفق أنه ولى أمراً وخان فيه، فحبسه المنصور بجامع القرية([2]).

١٣- **المدرسة الحنفية (الأمجدية):** وهي على باب الحرم الشريف المعروفة بالأمجدية؛ وهي منسوبة إلى الملك الأمجد حسن شقيق الملك المُعَظِّم، وكان مدفوناً بها، ثم نقل بعد ذلك إلى مشهد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بمؤتة من أعمال الكرك([3]).

١٤- **المدرسة العادلية الكبرى:** وبنى الملك المُعَظِّم بدمشق المدرسة الكبيرة الشافعية المعروفة بالمدرسة العادلية، ودفن بها والدة السلطان الملك العادل، ووقف عليها وقوفاً بدمشق، ودفن بها أيضاً الملك المعز مجير الدين يعقوب بن الملك العادل في أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب بعد سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٣([4]).

١٥- **المدرسة البادرائية:**

بناها الشيخ نجم الدين البادرائي كمدرسة شافعية([5]).

١٦- **المدرسة الجاروخية:**

كان شهاب الدين مع جنديته فاضلاً فقيهاً ولي التدريس بالمدرسة بدمشق([6]).

١٧- **المدرسة الحنفية النورية بحماه:**

تولى التدريس في هذه المدرسة الشيخ علم الدين قيصر بن أبي القاسم المهندس الفاضل في العلوم الرياضية([7]).

---

(١) ابن واصل، مفرج ، ج٤، ص٦٥، ص٧٨، ص٨٧ . وانظر: مصعب الشقفة، حماة الشماء مدينة الحضارة ورمز الشموخ والإباء، مجلة بشائر الإسلام، العدد (٥)، ص٥٦.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٨٧ .

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٢١١.

(٤) المصدر نفسه، مفرج ، ج٤، ٢١٩-٢٢٠.

(٥) أنشأها الشيخ الإمام العلامة الشيخ نجم الدين البادرائي بالمعجمة البغدادي الفرضي، ولد سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م وسمع من جماعة وتفقه وبرع في المذهب ودرس بالنظامية وترسل عن الخلافة غير مرة وحدث بحلب ودمشق ومصر وبغداد وبنى بدمشق المدرسة الكبيرة المشهورة. وكان فقيها عالما دينا صدرا محتشما جليل القدر وافر الحرمة متواضعا دمث الأخلاق منبسطا وقد ولي القضاء ببغداد على كره منه، وتوفي رحمه الله تعالى ٦٥٥هـ/١٢٥٧م . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٧٢. وانظر: النعيمي، الدارس، ص١٥٤.

(٦) المدرسة الجاروخية من مدارس دمشق ، بناها سيف الدين جاروخ التركماني داخل بابي الفرج والفراديس لصيقة الإقبالية الحنفية شمالي الجامع الأموي والظاهرية الجوانية . بناها جاروخ برسم المدرس العلامة الإمام أبي القاسم محمود بن المبارك بن علي ابن المبارك المعروف بالمجير الواسطي ثم البغدادي الشافعي أحد العلماء الأذكياء والمحررين في المذهب ، توفى سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٤١. وانظر: النعيمي، الدارس، ص١٦٩.

(٧) هذه المدرسة في الجانب الشرقي من حرم جامع نور الدين، بنى هذه المدرسة الملك المؤيد صاحب حماه. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٣٤٣. وانظر: محمد كرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٢٧.

ج- البيمارستان(١): والمقصود بالبيمارستان، المستشفى الذي يعالج فيه المرضى، ومن أشهر البيمارستات في الدولة الأيوبية، البيمارستان الصلاحي، فبعد الفتح الصلاحي لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، قرر الملك الناصر صلاح الدين أن يجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار، والواقعة جنوب كنيسة القيامة "بيمارستانا " للمرضى وسماه " البيمارستاني الصلاحي"، وزوده بالعقاقير، والأدوية ،ووقف عليه الأوقاف العديدة منها بيوت في محلة القطانين، وباب العمود، ومحلة حطة، ودكاكين في سوق الزيت، ومخازن مختلفة وكان ممن عمل فيه من الأطباء : يعقوب بن صقلاب النصراني المقدسي(٢)، ورشيد الدين الصوري(٣)، وكان يمارس في البيمارستان الصلاحي أيضا تدريب الأطباء وتعليمهم ، شأنه في ذلك شأن البيمارستانات الكبرى في العالم الإسلامي التي كانت تعد مراكز لتعليم الطب ، وكان الأطباء يأخذون مرتباتهم من وقف البيمارستان (٤).

د- الكتَّاب(٥): عُرِفَ الكتَّاب منذ عهد صلاح الدين(٦) ، إذ كان الملوك يذهبون بأبنائهم إليها ليتأدب ويتعلم ، فكان رأي العادل في ابن العزيز الملك " يمضي إلى الكتَّاب، وأقيم له من يؤدبه ويعلمه"(٧).

ه- الرُبَطْ والخوانق: وجدت في الدولة الأيوبية الرُبَطْ والخوانقْ كمؤسسة تعليمية ، وقد أشار إليها ابن واصل بقوله: " وتقسمت في البلد في القاعات والمدارس والخانقاهات والربط" (٨).

١- الربط : جمع رباط، وهو شبيه بالخوانقاة، وكانت مأوى يلجأ إليه العلماء والرحالة وطلبة العلم، الذين يتنقلون بين حواضر العالم الإسلامي، ويتلقون تعلىمهم على أيدي المشايخ والعلماء(٩). وكان العلماء يتخذون من الربط أماكن للمطالعة، والتاليف، وبخاصة في علم التصوف(١٠).

---

(١) البيمارستان : كلمة فارسية معناها المستشفى وهي مؤلفة من كلمة (بي) ، ومعناها " بدون و(مار)، ومعناها "الحياة والحيوية "و(ستان)، ومعناها "مكان "، فمعنى الكلمة كلها : مكان للمرضى ، قال الجوهري في الصحاح: المارستان دار المرض . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٥٥ . وانظر: الجوهري، الصحاح،ج3، ص978. عبد الدايم ، التربية ، ص162 .

(٢) يعقوب بن صقلاب النصراني المقدسي ، للمزيد حول ترجمته انظر : ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٦٥١ . سامي خلف حمارنة ، "الطب العربي في فلسطين في زمن الفاطميين والأيوبيين" ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، ط١ ، المجلد الثاني ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ص ١٢ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد : حمارنة ، الطب . المدني ، الحياة العلمية ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

(٣) رشيد الدين الصوري ، للمزيد حول ترجمته انظر : ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٦٥١ – ٦٥٢ .

(٤) ابن واصل ، مفرج ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ . وانظر: الاصفهاني ، الفتح ، ص ٦١٢ . ابن خلكان ، "وفيات ، ج ٧ ، ص ٢٠٠ . العسلي ، معاهد ، ص ٢٩٤ .عبد الله عبد الرازق مسعود السعيد : ، " المستشفيات الاسلامية من العصر النبوي الى العصر العثماني " ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٥٣ .

(٥) الكتاتيب: الكُتَّابُ موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ والجمع الكَتَاتِيبُ، والمَكاتِبُ: مفردها مَكْتَبٌ، وهو أيضا: موضع التعليم، ويقال لصبيان المَكْتَبِ الفُرْقانُ أيضاً، والمكتب و المكتّب: المعلّم، ومن ألقابه الحفائلي، والمكتب موضع الكتاب، والمكتب والكتّاب موضع تعليم الكتاب، ورجل كاتب، والجمع: كتّاب وكتبة، وحرفته الكتابة، والكتبة: الحالة، واستكتبه: أمره أن يكتب له، والكتاب ما كتب فيه، والجمع كتب. ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١١١. وانظر: السمعاني: الأنساب، ج١٢، ص٤١٠. ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٦٩٨. الجُنْدي: السلوك، ج١، ص٣٨١. الخزاعي، تخريج ، ص٨٦.

(٦) Berchem, Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Le Caire. 1922. No 39.

(٧) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١١١.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص١٨٧.

(9) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٧. وانظر: المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٤٢٧. عبد المهدي، الحركة، ص٧٥. عبد الدائم، التربية، ص١٦١. المدني، الحياة، ص١٨١.

(10) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٧. وانظر: نويصر، العمارة الإسلامية، ص١٥٣-١٥٤.

٢- **الخوانق** : ومفردها خانقاة أو خانكاة، فهي كلمة فارسية الأصل معناها: البيت، وقيل أصلها خونقاة، أي الموقع الذي يأكل فيه الملك([1])، وقد احتوت على عدد من الغرف المخصصة لمبيت الفقراء والصوفية([2])، كانت تؤدي فيها الصلوات، وتقام فيها الأوراد والأذكار، وكان يعقد فيها دروساً في الفقه والأدب، وكانت تشتمل على خزائن للمصاحف والكتب، وبعض الخوانق كانت توفر حاجات الطلاب: من المأكل والمشرب، والأدوية، والاحتياجات الأخرى([3])، ومن الواضح مما سبق أن مثل هذه الخوانق كانت بمثابة مراكز علم وعبادة، وكان لها دور ديني، واجتماعي كغيرها من المؤسسات الدينية([4]). وكان مسئول نظر الخانكاهات-الخانقهات- الشيخ صدر الدين بن حمويه من بغداد([5]). ويبدو أنه كانت توجد " خانكاهات للزمنى والعميان " في الدولة الأيوبية([6]). ووجدت في الدولة الأيوبية الخانقاة الناصرية الصلاحية تجاه دار الوزارة المعروفة بخانقاة سعيد السعداء([7]).

و- **دور الحديث:** اهتم خلفاء صلاح الدين ببناء دور الحديث، والتي من مهمتها تدريس الحديث الشريف، ومن الملوك الذين بَنَوْا داراً للحديث :

- **الملك الأشرف (ت: ٤ محرم ٦٣٥هـ/ ٢٧ أغسطس ١٢٣٧م):** كانت للملك الأشرف اهتمامات بعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف، فقد بنى بدمشق دار الحديث النبوي، ووقف عليها وقفاً جليلاً، وذكر الدرس فيها الشيخ العلامة تقي الدين بن الصلاح، إمام وقته في مذهب الشافعي، والحديث النبوي([8]).

- **الملك الكامل(ت: ٢١رجب٦٣٥هـ/ ١٠ مارس ١٢٣٧م):** "كان الكامل رحمه الله مغرماً بسماع الأحاديث النبوية، وممن وفد عليه من علماء المحدثين الإمام مجد الدين أبو الخطاب عمر بن دحية(٦٣٣هـ/١٢٣٥م)([9])، فتقدم عنده، وأكرمه، ولازمه، وبنى له دار الحديث بين القصرين في الجانب

---

(1) ابن واصل، مفرج، ، ج٣، ص١٨٧ . وانظر: السبكي، طبقات، ج٧، ص٣١٨-١٢٠. الذهبي، سير، ج٢، ص٣٢٦. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٢٣٥.

(٢) وقد كان لصوفية الخانقاوات دور سياسي متميز، وعن ذلك انظر: ناصف، أحمد عبد السلام أحمد: " دور الصوفية في صد الهجمة الصليبية على ديار الإسلام في مصر والشام (٤٩٠-٧٩٨هـ/١٠٩٦-١٣٩٨م) "، رسالة دكتوراه كلية الآداب، جامعة طنطا، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص١٠ وما بعدها.

(3) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٧. وانظر:عبد الدائم، التربية، ص١٦٠. إبراهيم، الحياة، ص٧٤. عبد المهدي، الحركة، ص٧٨.

(4) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٨٧ . وانظر: المدني، الحياة العلمية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٧.

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٥ .

(٧) هي الخانقاة التي جعلها صلاح الدين يوسف ابن أيوب برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم في سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م)، وولي عليهم شيخاً ، ووقف عليها "أوقافاً عدة، وكان سكان هذه الخانقاة من الصوفية، يعرفون بالعلم والصلاح، وترجى بركتهم. وولي مشيختها الأكابر والأعيان كأولاد شيخ الشيوخ ابن حمويه، وغيرهم . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٧٠. وانظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤١٥-٤١٦.

(٨) ولد سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م ، وسمع الحديث بالموصل وبغداد ونيسابور ومرو وغيرها، وكان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، اشتغل بالتدريس في دمشق وغيرها، وتوفى سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٤٣. وانظر: ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٣٤. العسقلاني، تبصير، ص١٦٠.

(٩) هو المعروف بذي النسبين الأندلسي البلنسي، وينتهي نسبه إلى دحية الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان من أعيان العلماء متقناً لعلم الحديث النبوي، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها. انتقل من بلاد الأندلس إلى مصر والشام والعراق في طلب الحديث والاستفادة منه، ولد سنة (٥٤٤هـ)، وتوفى بالقاهرة سنة(٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، ودفن بسفح المقطم. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٥٢، ص١٦٢، ص١٦٧. ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٨١-٣٨٢.

الغربي سنة (٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م)، وجعله شيخها ، ووقف عليها وقفاً جميلاً، وكان يصعد إليه إلى القلعة في غالب الأوقات ويستفيد منه([1]). وكان مجد الدين أبو الخطاب عمر بن دحية يُتهم بالمجازفة في النقل، فعلم الكامل صحة ما نُقل عنه، فنزلت مرتبته في عينه، فعزله عن مشيخة دار الحديث، وولاها لأخيه الحافظ أبي عمرو عثمان بن الحسن بن دحية . وكان أسن من أبي الخطاب، وكان حافظاً للغة العربية قيماً بها، وتوفى أخوه أبو عمرو في ثالث عشر جمادى الأولى سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، ودفن بسطح المقطم. وكذلك اهتم العلماء ببناء دور الحديث، منهم: **ابن شدّاد** ، حيث أنشأ دار حديث بحلب (٢).

ز- القباب: ومن المؤسسات العلمية الهامة، فقد بنَى المُعَظِّم بالحرم القُدْسي قُبّة، ووقف عليها وقفاً جليلاً على أن يشتغل في تلك القبة بالقرآت السبع، وشرط أن لا يصرف من وقفها شيء إلا للحنفية فقط، وولّى تدريسها للشيخ ابن رزين البعلبكيّ، فقرأ عليه المؤلف، في تلك القبّة، كتاب "الإيضاح" لأبي علي الفارسي(377هـ/987م)، وجوّد عليه القرآن. وكان حسن القراءة، حافظاً للقراءات العشر وطُرقها([3]).

ح- التُرَبْ: ولما مات الملك الأشرف دفن في تربة بنيت له ينفذ شباكها إلى الكلاسة بجامع دمشق، ورُتب عليها من يقرأ القرآن عليه ليلاً ونهاراً. ولما مات الملك الكامل دفن بالقلعة في دمشق، ثم نقل إلى تربة بنيت له، لها شباك لافظ إلى جامع دمشق، وجاءت في غاية الحسن([4]).

رابعًا: النظام العسكري

١- عناصر الجيش وتنظيماته:

أ- الفرسان (الأمراء): يؤلف الفرسان العنصر الأساسي في الجيش الأيوبي بصفة عامة، ويسمون بالخيالة، وكانوا من العساكر الصلاحية، وخاصة من أمرائهم، والأسدية، والأكراد، وبين ذلك ابن واصل: " رحل الملك العزيز من الديار المصرية في العساكر المتوافرة من الصلاحية والأسدية والأكراد وغيرهم" ([5])، وعند نزال الملك العادل لدمشق " خرج الملك العادل من القلعة طالباً باب السلامة، فوجد ابن أخيه الملك الظافر قد قصده، ودخل منه جماعة، فحمل عليهم الملك العادل، ومعه بدر الدين دلدرم اليساروقي، وعز الدين بن المقدم، وجماعة يناهزون سبعين فارساً، فأخرجوهم من البلد، وقفز إلى البلد الأمير رأس الكبش، وسنقر العزيزي..." ، ومن الأمراء الفرسان: " سيف الدين علي بن مهران، فخر الدين إيتاس البانياسي، حسام الدين عيسى بن خوشترين، وأخوه سيف الدين، وسابق الدين مثقال الجمدار"([6]).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٦٢-١٦٣، ص١٦٧-١٦٨.

(2) المصدر نفسه، مفرج ، ج٥، ص٨٩. وانظر: أبو الطيب، ذيل التقييد، ج٢، ص٣٢١.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٢١٢. وانظر : حاجي خليفة ، كشف، ج ١، ص214 .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٤٥، ص١٧١.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٩ . وانظر: الأصفهاني، البرق، ج٣، ص١٦٦،٧٢، ج٥، ص١١٤، ١٤٧. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٥٢، ١٨٤، ١٨٨، ٣٠٥.ج٢، ص٤٧.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩٦-٩٨.

ب-المشاة (الرجالة): وهم الرجالة من الجند الرماة، وقد اتخذوا من شتى العناصر التي كونت الجيش الأيوبي في عهد خلفاء صلاح الدين، وقد اعتمدوا في تكتيكاتهم العسكرية كما ذكرنا على الحرب الخاطفة، والمطاردة والمناوشة، وضرب مؤخرة العدو، وعلى حرب العصابات، والشوارع بين الأشجار والبساتين. كما أنهم لعبوا دوراً مهماً، وأساسياً في الحصار، وتزويد الجيش بالمؤن والمعدات، والحرب في المناطق الوعرة، وأحياناً كانوا يندمجون مع الفرسان، فيرافق الفارس جندي من المشاة، وكانت أهميتهم في الجيش تأتي بعد الفرسان، والدليل على ذلك أن مشاة الجانب الخاسر في المعركة كان مصيرهم الذبح(١). فقد أرسل الملك الكامل للعزيز معونة " ليستخدم رجالة، يستعين بها على الحصار" لشيزر. وفي سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م ، دخل الملك الصالح إسماعيل دمشق "في جمع عظيم من الخيالة والرجالة"(٢).

ج- المفاردة : وهم نوع من عساكر الدولة الأيوبية، فقد عزم الملك الأفضل على قبض من بقي عنده من الأمراء الصلاحية، فهرب ... وجماعة من المفاردة لما علموا ذلك ولحقوا بالقدس". وقد كان جماعة من المفاردة من أتباع الملك العادل: " وبذل لهم الملك العادل العطاء"(٣).

وقبيل وفاة الملك الظاهر صاحب حلب أُصعدت " جماعة من المفاردة إلى القلعة ليبيتوا بها"(٤).

د-النشابون (الرماة): يطلق عليهم الرماة؛ لأنهم يرمون بالنشاب، فقد وجدت فرق في الجيوش الأيوبية المتعاقبة يسمون النشابة، ويستعان بهم في صد المغيرين، وفي الحصون والأبراج، وكسر أقفال الأبواب، وهذا ما فعله قراقوش في تصديه للملك الظاهر عندما أغار على حصن أفاميه(٥).

ه-المنجنيقيون: وهم رماة المنجنيق(٦)، وكانوا يستخدمونها في تدمير القلاع، والأسوار، والحصون، والدفاع عن المدن، والقلاع ضد هجمات الأعداء. وكانوا يستخدمون في إصلاح الأسوار(٧).

---

(1)ابن واصل، مفرج، ، ج٥، ص٦٥. وانظر: أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٨٨، ٣٠٥. سميل، الحروب ، ص٨١-٨٦.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص٦٥ ، ٢٢٩.

(٣) لفظ "المفاردة" : استعمل في الجيش الأيوبي منذ بدايته، والمفادرة جمع (مفردي)، نوع من عساكر الجيش في ذلك العصر، وأغلب الظن أنهم كانوا أحراراً ولم يكونوا من المماليك ، ففي كتاب السلوك للمقريزي مثلاً : نصوص مختلفة ذكرت المفاردة على أنهم عنصر آخر غير المماليك وأغلب الظن كذلك أنهم سموا بهذا الاسم لتبعيتهم المباشرة لديوان المفرد، وكانت تخرج منه نفقة المماليك من كسوة. ابن واصل، مفرج ،ج٣، ص٩٣-٩٤، ٩٨ . المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦ .

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٣٩.

(5) النشاب: ويعاونهم الطلائع وهي سرية من الفرسان يتقدمون الجيش عادة: للاستكشاف والاستطلاع. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٢٢ . وانظر: ابن القلانسي، ذيل، ص٢٦٥.أبو شامة، الروضتين، ج١، ص ١٨٨. ج٢، ص١٨٦؛ ص٢٠٨؛ ص٣٠٦. متز، الحضارة، ج٢، ص١٢٥.الشامي، الحضارة، ص٩٩. ثابت، الجندية ، ص١٥١.

(6) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٣٣٥. انظر: الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص١٧. القلقشندى، صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٣. الخطيب، معجم المصطلحات، ص٤١٠. العجم، موسوعة مصطلحات علم التاريخ، ص٦٤١. سالم، تاريخ البحرية، ج١، ص١٤٢.

(٧) ابن واصل ، مفرج، ج٣، ص٧٦ . وانظر:الأصفهاني، البرق، ج٣، ص١٥١. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص ١٨٨. ج٢، ص ١٥٠، ١٨٦. إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٣٦٠. ثابت، الجندية، ص١٥٤.

و- رماة الجروخ:

يسمون أيضاً بالجرخية (ج: جرخي)، وهم الذين يرمون السهام، والحجارة، والمواد الحارقة(النفوط) بواسطة آلة حربية ذات أقواس كبيرة تعرف بالجرخ([1]). ومن جراء هؤلاء الرماة" أصاب جوهراً سَهْمُ غَرْبٍ كانت فيه منيته" ([2]). وجُرح الملك الظاهر بسهم في ساقه، عند منازلته لحماة ([3]).

وقد أغار الفرنج على عمل بعرين، ومعهم من الجرخية ورماة الزنبورك([4]). وفي حصار الملك العزيز لشيزر سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م بعد المساس بأصحابه، " فتقدم شهاب الدين إلى الجرخية الذين بالقلعة أن لا يرمي أحد منهم بسهم"([5]).

ز-اليزك:

اليزك هو: الدليل، أو طليعة الجند، ومن يقتدي به، ويسير أمام الجند لاستطلاع أخبار العدو([6])، ويمكن تشبيهه بجنود الاستطلاع الآن. فقد أشار ابن واصل في معرض حديثه عن كسرة الخوارزمية، حيث كسرهم الملك المنصور صاحب حمص مع عساكره : "ووصلت الخوارزمية ليكبسوا اليزك، فعلموا بهم، وتأهبوا في الليل، فركب العسكر، فولت الخوارزمية بين أيديهم إلى سروج"([7]).

ح- قاضي العسكر: وكانت لمهام قاضي العسكر الذي يعينه السلطان مهمات كثيرة ، أولها رسولاً للملك أو السلطان في مهمات محددة، وهو الذي يفصل بين الجند، ويتحدث في الأحكام في أثناء تنقلاتهم، وكان يتخذ له كاتب، ويكون له شهود عدول، ويكون له منزل بجوار خيام الجند، ويكون مستعداً للأحكام التي يكثر فعلها بين المعسكر، مثل: الغنائم، والقسمة، والمبيعات، والديون المؤجلة، والرد بالعيب، والشركة، وما يحكم فيها بمغيب، " وكان قاضي أقصرا هو قاضي عسكر عز الدين، رسولاً منه إلى الملك الظاهر"([8]). وجدير ذكره أن قاضي العسكر عند الملك المُعَظِّم في دمشق القاضي" نجم الدين خليل بن المصمودي الحموي"([9]).

ط- الخراسانيون: واختصوا بنقب الأسوار، والعمل على إحداث الفتحات، ليتسنى للجنود الدخول إلى القلعة أو المدينة([10]). وقد اشتهر الحلبيون بمعرفتهم بمواضع النقوب في الأسوار، لذلك كان يطلق عليهم

---

(1) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٦٥. وانظر: أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٦٤. ثابت، الجندية، ص١٥٤.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، مفرج، ج٣، ص١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٢٣.

(٤) والزنبورك نوع من السهام. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٤٨.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٦٥. ص٢٩٠. ص٣٠٩ .

(6) المصدر نفسه، ج٥، ٢٩٢. وانظر: أبوشامة ، الروضتين ، ج٢، ص٣٩٨. ج٣، ص ٢٠.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٩٢.

(8) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٥. وانظر: أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص٣٠٧. ج٣، ص٣٣٥.

(٩) المصدر نفسه ، مفرج، ج٤، ص١٤١.

(10) ابن القلانسي، ذيل، ٢٧٩. ابن منقذ، الاعتبار، ص٩٥، ٢٠٠، ٢٠٣. الأصفهاني، البرق، ج٣، ص١٧٨. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٧٥، ٣٤٢.

النقابون([1])، والحجارون([2]). وقد شاركوا في جل الفتوحات، والقتال ضد الفرنج التي كان يقوم بها صلاح الدين، وخلفاؤه من أبنائه، وأخوه الملك العادل وأبناؤه، ومنها على سبيل المثال: في سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) " تحركت الفرنج لقصد بلاد الإسلام فخرج الملك العادل بالعساكر، وخيم بالقصبة، وجهز إلى بيروت جماعة من العسكر، ومعهم الحجارون والنقابون، وأمرهم بهدم ربض بيروت ففعلوا، وحصَّن عز الدين أسامة القلعة، وترك فيها جماعة من الأجناد ليحفظوها"([3]). وفي موضع آخر " زحف الملك الظاهر يوماً إلى البلد، ووصل الحلبيون النقابون إلى السور ونقبوه، وما بقي لهم مانع دون البلد"([4]). وشارك الخراسانيون في عمارة القلاع، وتحصين الأسوار، وتعميق الخنادق([5]). وفي سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م وردت أخبار بوصول الفرنج إلى عكا، فسير الملك الظاهر للملك العادل حجارين ونقابين، ليبعث ذلك إلى مصر([6]).

ي- الزردخاناة: وهم صناع الزرد أو السلاح ([7]). وفي سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م وردت أخبار بوصول الفرنج إلى عكا، فسير الملك الظاهر للملك العادل زرد خاناة ([8]). وقول ابن واصل عن خراب أبراج البيت المقدس وأسواره: " ثم تقدم المُعَظِّم بنقل ما كان فيه من الزرد خاناه، وآلات القتال وغير ذلك، فعظم على المسلمين خرابه، وتأسفوا عليه غاية الأسف"([9]).

٢- التعبئة وأساليب القتال: دعا صلاح الدين وخلفاؤه منُذ بداية حكمهم للجهاد في سبيل الله، وأعلنوا أن هدفهم تحرير بلاد المسلمين، ومقدساتهم من الاحتلال الفرنجي. ومن ذلك أن العادل "خرج مبرزاً إلى القصير على نية الجهاد" ضد الفرنج([10])، وهذا الملك الأشرف ، أشار عليه بعض خواصه بالعودة إلى بلاده هو وعسكره دون مقاتلة الفرنج سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، فقال: " قد خرجت بنية الجهاد ولابد من إتمام هذا العزم" ([11]).

ومن المجاهدين في الدولة الأيوبية الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي، ابن الملك العادل ، حيث ملك ميافارقين خلفاً لوالده شهاب الدين غازي، ولم يزل مالكاً لها إلى أن

---

(1) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٣٥؛ ج٤، ص٣٢. وانظر: ابن القلانسي، ذيل، ٢٧٩، ٣٤١. ابن الأثير، ج١٠، ص٧٦. أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٢٧٩، ٣٠٥.

(2) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٣٥؛ ج٤، ص٣٢. وانظر: الأصفهاني، البرق، ج٣، ص١٧٨.

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٧١.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٦.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٣٥.

(٧) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٣٥؛ ج٥، ص٦٥.

(٨) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٣٥.

(٩) المصدر نفسه ، مفرج، ج٤، ص٣٢ ؛ ج٥، ص٢٦.

(١٠) المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٢.

(١١) المصدر نفسه، ج٤، ص٩٣.

ملكها التتر بعد أن طال حصارهم لها، وصبر صبراً عظيماً، وجاهد في الله جهاداً لم يجاهد أحد من الملوك مثله رحمه الله، ثم ملكها التتر، وقتلوه شهيداً ، رحمه الله ورضي عنه([1]).

وقد اكتسب خلفاء صلاح الدين، وخاصة الملك العادل وأولاده خبرة واسعة، ومهارة فائقة في إدارة الحرب، وتطبيق مبادئها قبل تولّيهم السلطة، ومن أساليب القتال المتبعة في عهد خلفاء صلاح الدين:

أ- **الحصار (تضييق الخناق):** وهو من أساليب القتال المتبعة في الدولة الأيوبية، وقد أشار ابن واصل إلى التضييق الذي فعله الملك العزيز تجاه دمشق، لمحاربة أخيه الأفضل، فنصحه عمه : "نفس الآن الخناق عن البلد"([2]). وقد استخدم هذا الأسلوب الملك العادل " ونازل الملك العادل ماردين، وجدَّ في حصارها ومضايقتها...وبقي محاصراً للقلعة" ([3]). وفي سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م "حصر الملك الأوحد خلاط فملكها"([4]). وفي سنة٦٠٦هـ/١٢٠٩م نازل الملك العادل سنجار ، " فجد في مضايقة البلد ومحاصرته، واصطلى أهل سنجار الحرب بأنفسهم، وصبروا أحسن صبر. وأمر الملك العادل بقطع ما على البلد من البساتين والجواسق-الخنادق-، ونصب على البلد عدة مجانيق"([5]).

ب- **التجهيز والاستعداد للقتال وحشد القوات:** ولما فسدت الأحوال عند الملك الأفضل، حاول العادل والعزيز أخذ بلاده منه، وهي دمشق، فما كان من أخوه الملك الظافر "المشمر" إلا يعد العدة مع أخيه لمواجهة عساكر العادل والعزيز: " وأحضر الملك الظافر المقدمين واستحلفهم، واستكثر من العدد والآلات، وتولى أسباب تحصين البلد، وقطع ما فوق المصلى عند مسجد فلوس بفصيل، ورتب الرجال حول البلد يتناوبون عليه لحفظه، وفّق الأمراء على الأبراج والأسوار"([6]). حتى أن الأفضل لم يجنح للسلم ، ف" استوثق وسوَّر وخندق"([7]). وفي سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) " تحركت الفرنج لقصد بلاد الإسلام فخرج الملك العادل بالعساكر، وخيم بالقصبة، وجهز إلى بيروت جماعة من العسكر ومعهم الحجارون والنقابون، وأمرهم بهدم ربض بيروت ففعلوا، وحصَّن عز الدين أسامة القلعة، وترك فيها جماعة من الأجناد ليحفظوها"([8]).

ج - **وحدة القيادة:** يؤدي تطبيق هذا المبدأ إلى تجاوز الخلافات وتوحيد الجهود، واختصار الوقت والإجراءات، مما يساعد في تحقيق النصر، جمع الملك العادل، وأبنائه من بعده في شخوصهم بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية، فكانوا الملوك وقادة الجيش في الوقت نفسه، وقادوا جيوشهم إلى النصر في أغلب المعارك التي خاضوها ضد الفرنجة، وقد استطاع الملك العادل توحيد الجبهة الإسلامية مرة

---

(١) ابن واصل، مفرج، ، ج٥، ص٣٤٦.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٣١.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٨٠؛ ص١٠١.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص١٩٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٠.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٦١.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٧١.

أخرى، بعد أن فرقها الصراع والانقسام، وأصبحت دولته تمتد من بلاد الجزيرة شرقاً مروراً بالشام ومصر، وخطب له على منابرها، وضربت السكة فيها باسمه(١)، ومن بعده جاء الملك الصالح أيوب فصارت الجبهة الإسلامية صفاً واحداً متراصاً في وجه الغزاة الفرنجة، بقيادة سياسية واحدة، وقيادة عسكرية واحدة، فتهيأت الظروف لتحقيق النصر، على الفرنجة، ومناوئيهم من البلاد المجاورة لهم(٢) .

د- إحداث خراب في الأبراج والحصون ، لعدم سيطرة العدو على البلاد:

كان هذا الأسلوب متبع منذ أيام الناصر صلاح الدين ، وفي سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)، كان خراب أبراج البيت المقدس من المُعَظِّم لهدف عسكري، ثم سياسي، فلما علم المُعَظِّم من مضايقة الفرنج الشديدة لدمياط، خاف المُعَظِّم من وصول أمم الفرنج إلى البيت المقدس، في حال تمكن الفرنج من ثغر دمياط، " فتقدم بخراب أبراج البيت المقدس، وأسواره...فكان كل برج من أبراجه نظير قلعة . فجمع له الحجارين والنقابين، وعلَّق أسواره ، وأبراجه فهدمها ما خلا برج داود عليه السلام فإنه أبقاه. ولما هدمت أسواره انتقل عنه أكثر المقيمين به، وكان فيه خلق لا يحصون، فلم يبق فيه إلا القليل من الناس(٣).

ه- الخديعة:

كان العادل بحكم عقيدته وطبيعته التي تميل إلى الرحمة والرأفة يكره إراقة الدماء على غير طائل، ويسعى لتحقيق أهدافه بأقل الجهد والخسائر، وصفه المؤرخون بأنه كان في السياسة والدهاء على جانب عظيم' وأنه كان يكثر أعمال الحيل والمكر والخداع مع الفرنج، ومع أولاد أخيه، حيث نشبت بينه وبينهم الكثير من المنازعات، فكان يميل للخديعة، دون القتال، ومن خلال إعمال العقل والحيلة والحكمة السياسية، تمكن الملك العادل من توحيد الممالك تحت راياته(٤).

و- إنهاك العدو واستنزاف قوّته:

كان الملك العادل يوالي " الغارات على الفرنج، ويقصدهم بنفسه وجموعه مرة بعد أخرى ، إلى أن أضجرهم وأسأمهم" (٥). وهذا الملك المظفر صاحب حماة عندما هجم الفرنج على حماة في رمضان ٦٢٧هـ/يوليو ١٢٣٠م " فقاتلهم وحمل عليهم حملة بعد حملة، فلم يثبتوا له، وولوا منهزمين، وقتل من خيالتهم ورجالتهم خلق كثير، وأسر جماعة، ودخل حماة مظفراً منصوراً(٦).

٣- إنشاء القلاع والحصون والبروج(٧) :

---

(١)ابن واصل، مفرج، ، ج٣، ص١١٢؛ ص١٣٣. وانظر: ابن الوردي، تتمة المختصر، ج٢، ص١٧٨.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٨٠؛ ج٥، ص٣٥٠. وانظر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٢٧.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٣٢ . وانظر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٠٤.عمران، الحملة الخامسة، ص٢٥٠ .

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٧١-٢٧٢ . وانظر: المقريزي، السلوك ، ج١، ص١٩٤. فايد عاشور، الجهاد، ص٢٨٢-٢٩١. وانظر: رانسيمان، الحروب، ج٣، ص٢٠٦ . شاهين، الملك المُعَظِّم عيسى، ص٧٥ .

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠٣.

(٧) قال تعالى: {وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} (النِّسَاء: ٧٨) . البروج هاهنَا الحُصُون، واحدها بُرْج.والحِصْنُ: واحدُ الحُصونِ.والقَلعة من الحُصون: ما يُبْنَى منها على شَعَف الجبالِ المُمْتَنِعةِ. والمَعاقل: الحُصون أَيْضا تَشْبِيها بمَعاقل الْجبَال والمَعْقِل والمَوْئل فِي الْجَبَل وَاحِد. القَلْعة بِسُكُون اللَّام: حصن مشرف. انظر: الخليل، العين، ج١، ص١٦٥. الأزدي، جمهرة، ج٢، ص٩٣٩. الفارابي، معجم، ج١، ص١٩٤. الهروي، تهذيب، ج١١، ص٤٠. ابن سيده، المحكم، ج١، ص٢١٨. الرازي، مختار، ص٧٥. ابن منظور، لسان، ج٢، ص٢١٢. اللبابيدي، اللطائف، ص٢٧٨.

انتشرت القلاع والحصون والبروج بشكل لافت في الدولة الأيوبية بعد موت صلاح الدين رحمه الله، وذلك لكثرة الحروب التي خاضتها ضد مناوئيها، خاصة بين الملوك فيما بينهم، وبين أعدائهم من الخارج كالصليبيين، والخوارزميين، والسلاجقة، والأراتقة، للحفاظ على الممالك والبلاد التي بأيديهم، ومن الحصون: " الكرك، والشوبك " "قلعة نجم"، "شَيْزَرْ(١)، وأبو قبيس"(٢). "صَهْيون(٣) وحصن بَرْزِيَة على السواحل الشامية".تل باشر في حلب."كوكب وعجلون(٤)"." بَعْرِين، وكفر طاب، وحصن أفامية".وحصن "بكسرائيل"(٥)، وحصني الداروم وغزة (٦)، وحصن نينوي(٧)، بوقبيس(٨)، ومن القلاع "جعبر"، " ماردين"، "حلب"(٩)، "عزاز". و"منيعة"(١٠) ، وقلعتا العقر وشوش، وقلعة العمادية (١١)، وقلعتا كواشي، وتَلْيَعفر(١٢). والشغر وبكاس(١٣). واللاذقية(١٤)، وقلعة بعلبك(١٥)، وقلعة المعرة(١٦) . ومن البروج : " وكان على النيل برجٌ منيع وفيه سلاسل من حديد غلاظ، تمد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر المالح إلى الديار المصرية"(١٧).

٤- الأسلحة والمؤن والعتاد: زود خلفاء صلاح الدين جيوشهم بأنواع عديدة من الأسلحة، والتي شاع استعمالها في تلك المرحلة، وقد تنوعت الأسلحة المستخدمة والآلات في الجيوش الأيوبية ، حيث كان يوجد آلات القتال، قال ابن واصل: " ونصب آلات القتال"(١٨) ، ومن أمثلة هذه الأسلحة:

---

(1) شيزر: قلعة تشتمل على كورة جنوب معرة النعمان إلى الشمال من مدينة حماة تبعد عنها حوالي ٤٤كم. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. وانظر: ياقوت: معجم ، ج٣، ص٣٨٣. البكري: معجم، ج٣ص٨١٨. الحميري، الروض ، ص3 .

(2) أبو قبيس، حصن مقابل شيزر. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٨١.

(٣) ويقصد ابن الأثير هنا باب صهيون وهو أحد أبواب القدس ويقع في الجهة الجنوبية منها، أما جبل صهيون فيقع في الركن الجنوبي الغربي منها. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٤. وانظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٥٦. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥٨. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٦٩.

(4) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٣٧-٣٩. وانظر: ابن العديم، زبدة، ج١، ص٤٥٩ .

(٥) الأصل "ببسرائيل" ، وقال فيه ابن واصل:" وفي الجبل على سمت طريق حماه حصن حصين يعرف ببكسرائيل . ابن واصل، مفرج ، ج٢، ص٢٥٩ ؛ ص٤٥ .

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧٠.

(٧) نينوي اسم قرية كانت بالموصل. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٨.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٦٤.

(9) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٤٣، ص٤٥.

(١٠) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص ١٣٦.

(١١) العقر قلعة حصينة شرقي الموصل تعرف بعقر الحميدية، والشوش قلعة عالية على مقربة منها. والعمادية قلعة شمال الموصل بناها عماد الدين زنكي سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م مكان قلعة خربه من قلاع الأكراد تسمى قلعة الشعباني . ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٠.

(١٢) كواشي كانت تسمى قديماً أردمشت وهي قلعة حصينة في الجبال الواقعة شرقي الموصل، وقلعة تليعفر أو تل أعفر قلعة حصينة بين سنجار والموصل. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٣١.

(١٣) بكاس قلعة من نواحي حلب على شاطئ العاصي تقابلها قلعة الشغر بينهما واد كالخندق وهما قرب أنطاكية. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١١٦.

(١٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٣٠.

(١٥) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٢٧.

(١٦) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٢.الإدريسي، نزهة ، ج٢، ص٦٥٢. ياقوت، معجم ج٥ ص١٥٦.

(١٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٨ .

(١٨) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٣٠ .

أ- **السيوف:** كان السيف سلاحاً رئيسياً في جيوش خلفاء صلاح الدين، حيث كان يستخدمه الجيش في العصور الوسطى، وأورد ابن واصل في كتابه الكثير عن السيف: " وأنا أعلم أنه لا يرد قلمي بالسيف" (١). وقد اهتم خلفاء صلاح الدين وفرسانهم اهتماماً كبيراً بالسيف عند الهجوم على الأعداء، فقد فتح العادل يافا"هجماً بالسيف وقتل مقاتلتها"(٢). وذكر ابن واصل منازلة العادل للقاهرة، حيث أرسل للأفضل:" ولا تحوجني إلى أخذها بالسيف"(٣). وملك الملك الأوحد خلاط، حيث " بذل السيف في أهلها"(٤). ومن أنواع السيوف التي استخدمها جيش الملك الكامل:" اللهاذم(٥) والمخاذم"(٦).

ب- الأقواس: وقد ذكرها ابن واصل بقوله: "بوتر القوس"(٧) ، حيث تعد الأقواس من أقدم أسلحة القتال، واستخدم أيضاً في الصيد، وقد اشتهر منه القوس التركي والفارسي، ويتألف القوس من: البدن والوتر، والمحسب، وهو مقبض الرامي، ويصنع الوتر من خيوط مفتولة، أو شراك جلد، ويصنع من الحديد، وكان له وعاء يوضع فيه، وقد تميز الأتراك بالرمي بالقوس، وكانت لهم مقدرةٌ كبيرةٌ على حملها، وقد تميز القوس بالخفة، وكان هو السلاح الرئيسي للأتراك بجانب السيف(٨).

ج- الرمح: وقد ألمح ابن واصل أن الرمح موجود ضمن الأسلحة، ففي ثالث شهر رمضان من سنة ٥٩٩هـ/ ١٦ مايو ١٢٠٣م انتصر الملك المنصور على الفرنج، وأخذ جماعة منهم، وبأيديهم رماحهم(٩). وفي سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م ولد الملك العزيز ابن الملك الظاهر، تم الاحتفال بمولده، وعمل أشكال ذهبية ، منها رماح ذهب أسنتها جوهر منظوم(١٠). فالرمح: عود طويل في رأسه حربة، يتراوح طوله من خمسة أذرع إلى سبعة، وهو خاص بالفرسان ،فكان يطلق على الرماح القصيرة مربوعات، وعلى الرماح الطويلة (الطوال)، ومنها المتشعب والعريض، والرفيع، والمستوي، والمموج وغيرها، وقد تميز الرمح بالخفة مما ساعدهم كثيراً على سرعة الضرب والحركة، وكان الرمح التركي أخف وزناً، وحملاً من الرمح الفرنجي؛ وقد كانت تنصب الرءوس على الرماح (١١).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ، ج٣، ص٢٨. وانظر: زكي، السيف، ص٣٣-٣٧؛ ص٢٢٣.

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٧٥ .

(٣) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٠٩. وانظر: زكي، السيف، ص٢٢٣.

(٤) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٧٧.

(٥) سيف لهذم أي : حاد . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٢٠ . وانظر: ابن منظور، لسان، ج١٢، ص٥٥٦ .

(٦) الخذم سرعة القطع وسمي السيف مخذما. ابن واصل، مفرج،ج٥، ص٢٠. ابن منظور،لسان،ج١٢، ص١٦٨.

(7) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٤٠.

(8) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص١٤٠. وانظر: الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٥، ٢٠٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٢٥. سميل، الحروب الصليبية، ص٧٧.

(٩) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٤٣.

(10) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٢١. وانظر: أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص٣٤٣.

(١١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص١٣٧. وانظر: سميل، الحروب الصليبية، ص٧٧- ٧٨. الشامي، الحضارة، ص٩٩.

د- **السهام:** من آلات الرمي الشهيرة، حيث كان يستخدمها خلفاء صلاح الدين ، ففي إحدى المعارك " أصاب جوهراً سَهْمُ غَرْبٍ كانت فيه منيته" (١)، وكذلك أصيب الظاهر بسهم عند إغارته على حماة(٢).

ه- **المنجنيق(٣):** كان المنجنيق من العتاد الأساسي في الحروب عند خلفاء الناصر صلاح الدين، فقد نازل الفرنج تبنين، وأحدقوا بها وضايقوها؛ ولكنهم غادروها، "وأمر الملك العزيز بنقل الغلال إلى تبنين وإصلاح ما تهدم بالمنجنيقات من أسوارها"(٤) . وأراد الملك الظاهر السير، والسيطرة على حصون شقيف وركوش، ونصب عليه المجانيق وضايقه، وتوجه إلى الشغر وبكَّاس، ونصب عليه تسعة مجانيق" وفي النهاية تم تسليم هذه الحصون للملك الظاهر، مع إعطاء أصحابها خبز إقطاع وتعويض مالي(٥). وأراد الملك المنصور الاستيلاء على بَعْرين، " وجد الزحف على قلعتها، ونصب عليها المجانيق"(٦). وفي سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م توجه الملك العادل "إلى قلعة قريبة من أطرابلس، ونصب عليها المجانيق، إلى أن افتتحها" (٧). واستخدم الملك الكامل المجانيق عندما نازل آمد في ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م(٨)، واستخدمها الملك العزيز ابن الملك الظاهر في حصاره لشيزر" ونصب عليها المجانيق من جهة الجبل وهو شرقيها، ونصب المنجنيق الغربي قبالة بابها"(٩).

و- **الجروخ:** هي آلات حربية تستعمل لرمي السهام، والحجارة، حجمها أصغر من العرادة، ولها أقواسٌ كبيرةٌ تشد بوتر توضع بها السهام والمواد المشتعلة، والحجارة لرميها من مسافات بعيدة(١٠).

ز- **النشابة والتراكيش:** النشابة: يطلق عليها اسم السهم، أو النبل، وجمعها نشاب، وتصنع من أنواع معينة من عود الشجر، وأحسنها ما يكون مصنوع من التبغ، والأخشاب الصلبة، ولا تستعمل إلا مع القوس لأنها تكمله(١١). فقد حصر المسلمون الفرنج عندما فتحوا دمياط ، وأخذوا " يرمونهم بالنشاب..."(١٢). أما التراكيش فهو لفظ فارسي معناه الجعبة أو الكنانة التي توضع فيها النشاب، وقد استخدمه جيش الملك الكامل في حروبه(١٣).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ، ج٣، ص١٠٠ .

(٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص١٢٣.

(3) من أشهر الأسلحة الثقيلة، وأشدها تأثيراً، وبخاصة في الحصار، وقد استخدمه الأيوبيون في حروبهم خاصة في ضرب القلاع، والحصون، والمدن الكبيرة . ابن واصل، مفرج، ج٥، ص١٨٢. وانظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧١. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٤٢. ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٣٢. الصوري، الأعمال، ج٢، ص٥٦٩.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧٦ .

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٨١.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص١٠١.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٣.

(٨) المصدر نفسه، مفرج، ج٥، ص١٧.

(٩) المصدر نفسه، ج٥، ص٦٥.

(10) المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٠؛ ١٢٣..

(11) ابن واصل، مفرج ، ج٣، ص١٢٢. ابن منظور، لسان، ج٦، ص٤٢٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٢٥.

(١٢) المصدر نفسه، مفرج، ج٤، ص٩٦.

(١٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١.

ح- الدروع: الزردية وَهِي قَمِيص من حلقات من الْحَدِيد متشابكة يلبس وقاية من السِّلَاح(١).

ط- الخوذة: وقد أشار ابن واصل إلى الخوذ، في معرض حديثه عن ولادة الملك العزيز بن الملك الظاهر. والخوذة قطعة واحدة من الحديد، وهي من آلات الحرب، تلبس لوقاية الرأس، وتجمع خوذ(٢).

ي- البوق: الذي ينفخ به لإعلان النفير. وأشار ابن واصل على استيلاء الملك العزيز على دمشق بالقول: " ضُرب البوق، وزحف العسكر على البلد" (٣).

ك- جسور الخشب: حيث كان يستعملها ملوك بني أيوب في القتال، من ذلك : " ونزل الملك الأفضل على جسر الخشب، وزحف من الغد إلى البلد، وجرى قتال عظيم" (٤).

ل- الشبارة : سفينة حربية صغيرة ، أكثر ما تستعمل في العراق(٥).

م- المرمات والحراقات: المرمات نوع من السفن الحربية الكبيرة في العصور الوسطى. أما الحراقات مفرها الحراقة نوع من السفن الحربية وهي سفينة مصممة لرمي النيران؛ كالنار الإغريقية، وبها مرام تلقى منها النار على العدو أي: قواذف المنجنيق كان يستعمل بكثرة في البحر المتوسط، وفي نهر النيل(٦).

ن- الزوارق: ويبدو أن الأيوبيين كانوا يستخدمون الزوارق، وهي سفن صغيرة تصنع من الحديد ذات سطح واحد "وتسمى أيضًا حديدية" وتستخدم في القتال في الأنهار، كما تستخدم مع السفن الكبيرة لأغراض الاستطلاع والنقل السريع، وتعتبر من ملحقات الأسطول، ويحمل الزورق جماعة من الرماة(٧). وقد أشار إليها ابن واصل يوم مولد الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب: " وعمل زورق من القلعة إلى المدينة"(٨).

س- **الحجارة والنبل:** كانتا أداتان تستعملان في الدفاع (٩).

ع- **السكاكين:** ويبدو أنها كانت تستخدم في القتال، والدفاع عن النفس، ويقال عن السكين الكبير نجر، استعمل في كل البلدان الإسلامية، وله مقبض، ويصنع غالباً من العاج (١٠).

---

(١) ابن واصل، مفرج، ، ج٣، ص٢٢١؛ ج٥، ص١٢٠. وانظر: مصطفى، المعجم، ص٢٨٠.

(2) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٢١؛ ج٥، ص١٢٠. .

(3) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٦٢. وانظر: ابن منقذ، الاعتبار، ص١٨. أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٣١٧. ابن العديم، بغية، ج٤، ص١٩٦٤. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٩٠. ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٣١.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٩٥.

(٥) المصدر نفسه، مفرج، ج٣، ص٢٠٢. وانظر: ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٦٩ .

(٦) المرمة (ج: مرمات) نوع من السفن الحربية الكبيرة في العصور الوسطى ، ويظهر أنها من أصل إيطالي ، وفي حوادث ٦١٥هـ/١٢١٨م : أخذ الفرنج في محاربة أهل دمياط، وعملوا آلات ومرمات وأبراجاً يزحفون بها في المراكب إلى برج السلسلة ليملكوه، فأرسل الله سبحانه ريحاً قطعت مراسي مرمة كانت للفرنج من عجائب الدنيا، فمرت تلك المرمة إلى البر الذي فيه المسلمون فملكوها، فإذا هي مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ، ومساحتها خمسمائة ذراع، وفيها من المسامير مازنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلاً . وفي سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م: احترقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٢٦٠؛ ج٤، ص٩٦. وانظر: محفوظ، فن الحرب، ص٩٩.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٨٣. وانظر: محفوظ، فن الحرب، ص٩٩ .

(٨) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٨٣.

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٢١٠؛ ج٥، ص١٨٢.

(١٠) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٧.

الخاتمة

يمكن إيجاز أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة بما يلي:

- سلكت الدولة الأيوبية في حكمها النظام الملكي الوراثي شأنها في ذلك شأن من سبقها من الدول، كالدولة السلجوقية والزنكية.
- أظهرت الدراسة مدى تفكك الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، والصراع الشديد بين خلفائه سواء كانوا أبناءه ، أو إخوته.
- أظهرت الدراسة افتقار خلفاء صلاح الدين الأيوبي إلى الكثير من مقومات القيادة العسكرية والسياسية التي اشتهر بها صلاح الدين الأيوبي.
- أثبتت الدراسة أن الملك العادل استطاع توحيد الجبهة الإسلامية مرة أخرى بعد أن مزقها الصراع والانقسام.
- أظهرت الدراسة مدى تأثير المنازعات بين أبناء البيت الأيوبي، واستغلال الصليبيين لهذه المنازعات في استرداد كثير من المناطق التي فتحها صلاح الدين الأيوبي، وخاصة المدن الساحلية، وبعض المناطق الداخلية.
- كشفت الدراسة عن تقديم بعض ملوك وأمراء بني أيوب مصالحهم الشخصية على المصلحة العامة للدولة الإسلامية، وتجلى ذلك من موقف الصالح إسماعيل، وتحالفه مع الصليبيين ضد الصالح نجم الدين.
- أثبتت الدراسة وجود خليفة قوي مثل: الملك الصالح نجم الدين للملك العادل سيف الدين أبو بكر، حيث استطاع مرة ثانية إعادة توحيد الدولة الأيوبية تحت سلطانه، وفرض سيطرته على معظم بلاد الشام ومصر.
- أظهرت الدراسة علاقة ملوك بني أيوب بالدولة العباسية، وخاصة الملك العادل، وأولاده، وأحفاده: الملك المعظم عيسى، والملك الأشرف موسى، والملك الكامل، والملك الناصر داود ابن المعظم، والملك الصالح نجم الدين أيوب، وذلك لإكساب حكمهم الصبغة الشرعية . فقد كانوا يقومون بكل واجباتهم المعنوية تجاه منصب الخليفة، وأنهم كانوا يجددون الولاء للخلفاء العباسيين عبر أداء قسم الولاء، أو ما كان يعرف بالتحليف، ولم تنقطع الرسل بين ملوك بني أيوب، وديوان الخليفة العباسي.
- أظهرت الدراسة علاقة الأيوبيين بالخوارزمية منذ عهد المعظم عيسى، والملك الأشرف موسى، والملك الكامل، حيث اعتمدوا عليهم في محاربة الحلف الأيوبي المعادي لكل واحد منهم .

- أظهرت الدراسة أيضاً علاقة الأيوبيين بسلاجقة الروم منذ عهد الملك العادل، ومروراً بالمعظم عيسى، حيث كانت علاقة المعظم علاقة حميدة، فقد قام المعظم عيسى بتزويج شقيقته من السلطان علاء الدين كيقباذ، أيضاً كانت علاقة السلاجقة بالملك الأشرف موسى جيدة، حيث استنجد عز الدين كيكاوس بالأشرف على عمه طغرل شاه بن قلج أرسلان صاحب أرزن الروم. أما عن الملك الكامل كانت علاقته بهم غالبها القتال.
- كشفت الدراسة عن قدرات خلفاء صلاح الدين في مواجهة الصليبيين، فكانت سياسة العادل تجاههم إقامة العلاقات الدبلوماسية معهم؛ لأن ذلك من أجل مصلحة المسلمين. أما عن المعظم فكان يسعى لمصلحة الدين الإسلامي، فكان يفضل سياسة المواجهة مع الصليبيين ، وأنها السبيل الأوحد في التعامل معهم دون اللجوء للمهادنة والمداراة. ومن ذلك : قيامه بتخريب أبراج البيت المقدس، وأسواره، حتى لا يقع فريسة سهلة بيد الأعداء، وخوف المعظم على السكان الذين يرفضون مغادرة المدينة؛ فإن الخراب سيجبرهم على تركها دون أن يصابوا بأذى مثلما أصاب إخوانهم عندما دخل عليهم الصليبيون أول مرة، وتم تخريب بيت المقدس لحرمان الصليبيين من الانتفاع بها، وتحصيناتها، مما يساعد على تعجيل رحيلهم عنه، وكذلك كان توجه الملك الناصر داود في مقارعة الصليبيين. أما عن الملك الأشرف والملك الكامل ، وأبنائه كانوا حريصين على مقارعة الصليبيين، والجهاد في سبيل الله. فكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بالرغم من مرضه الشديد يجاهد ، ويقاتل الصليبيين للذود عن حمى الإسلام ، والحفاظ عليه.
- كشفت الدراسة عن جوانب حضارية هامة في الدولة الأيوبية، بالرغم من وجود النزاعات، والخصومات فيما بين الملوك، وحروبهم ضد مناوئيهم، وكذلك ضد الصليبيين، حيث تمثلت هذه الجوانب في: الجانب الاقتصادي، والجانب العلمي والثقافي، حيث نبغ العديد من الملوك في شتى العلوم، وقولهم الشعر، حيث أجادوا فيه، مثل: المعظم، والمنصور، والناصر داود، والملك الكامل، ومنهم من كانت لهم دواوين شعرية كالملك المنصور، أيضاً اهتموا بالجانب الاجتماعي، حيث احتفلوا بالعديد من المناسبات الاجتماعية السارة كالزواج والختان، واحتفلوا بالعديد من المناسبات الدينية الإسلامية كشهر رمضان، والحج، والاحتفال بالعيدين الفطر والأضحى ، والاحتفال بعيد الصليب بالنسبة للمسيحيين، وكذلك اهتمامهم بالنظام العسكري، والنظام الإداري، حيث طوروا فيه لأبعد الحدود

الملاحق

الملحق الأول

خرائط للدولة الأيوبية في عهد خلفاء صلاح الدين

١- خريطة الدولة الأيوبية والإمارات الإسلامية والصليبية في القرن الثاني عشر للميلاد

المصدر: منتدى التاريخ العالمي والإسلامي، الرابط: http://lbcaira.keuf.net/

٢ – خريطة بلاد الشام قبل الغزو الصليبي

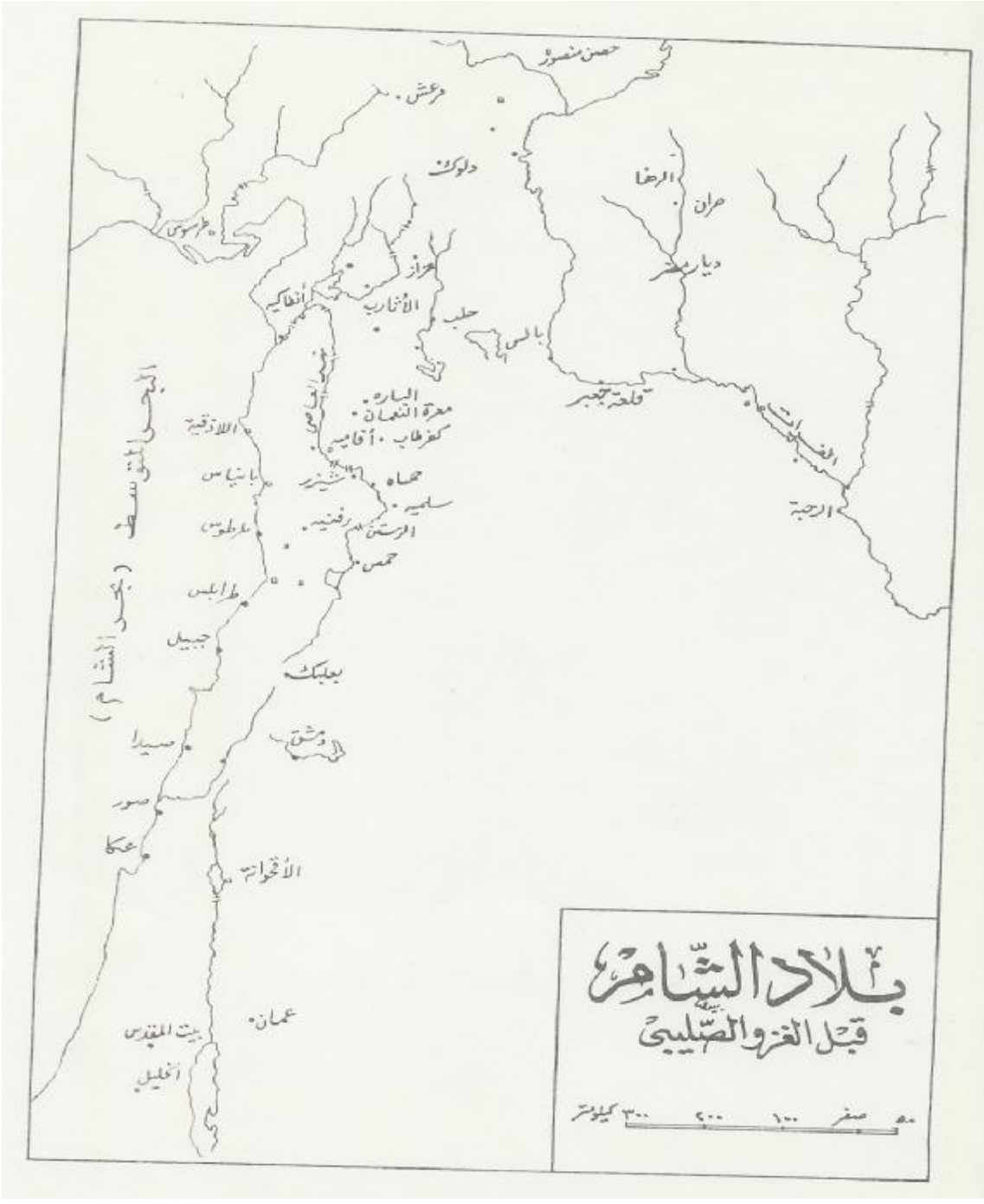

المصدر: **١ – الغامدي ، بلاد الشام ص ٣٥٧.**

٢ – الفراني، المقاومة، ص٣٣٠.

٣- خريطة توضح مسير الحملة الصليبية الأولى

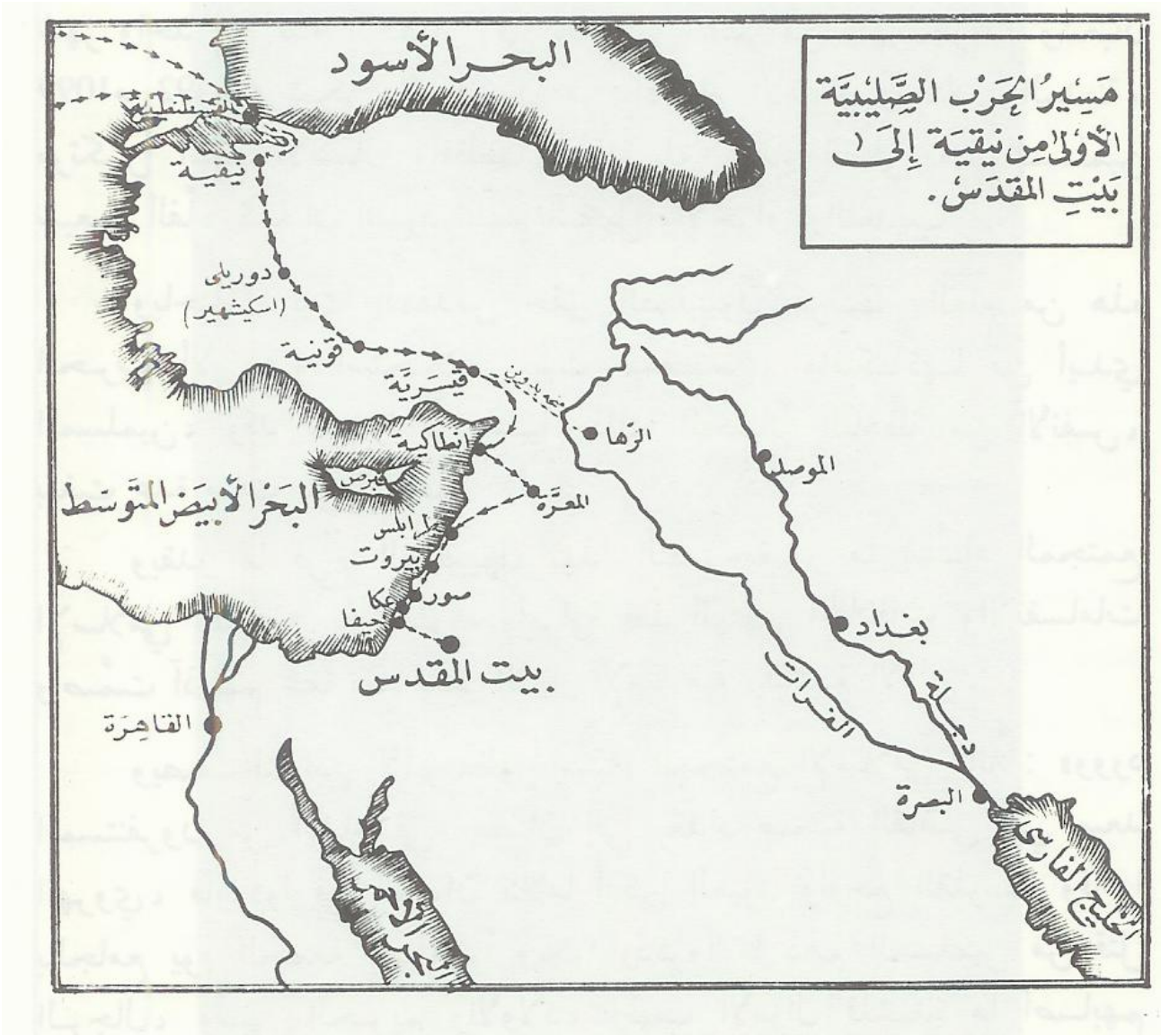

المصدر: **- المطوي، الحروب الصليبية، ص ٥٣.**

- الفراني، المقاومة، ص٣٣١.

٤- خريطة الحملة الصليبية الثالثة

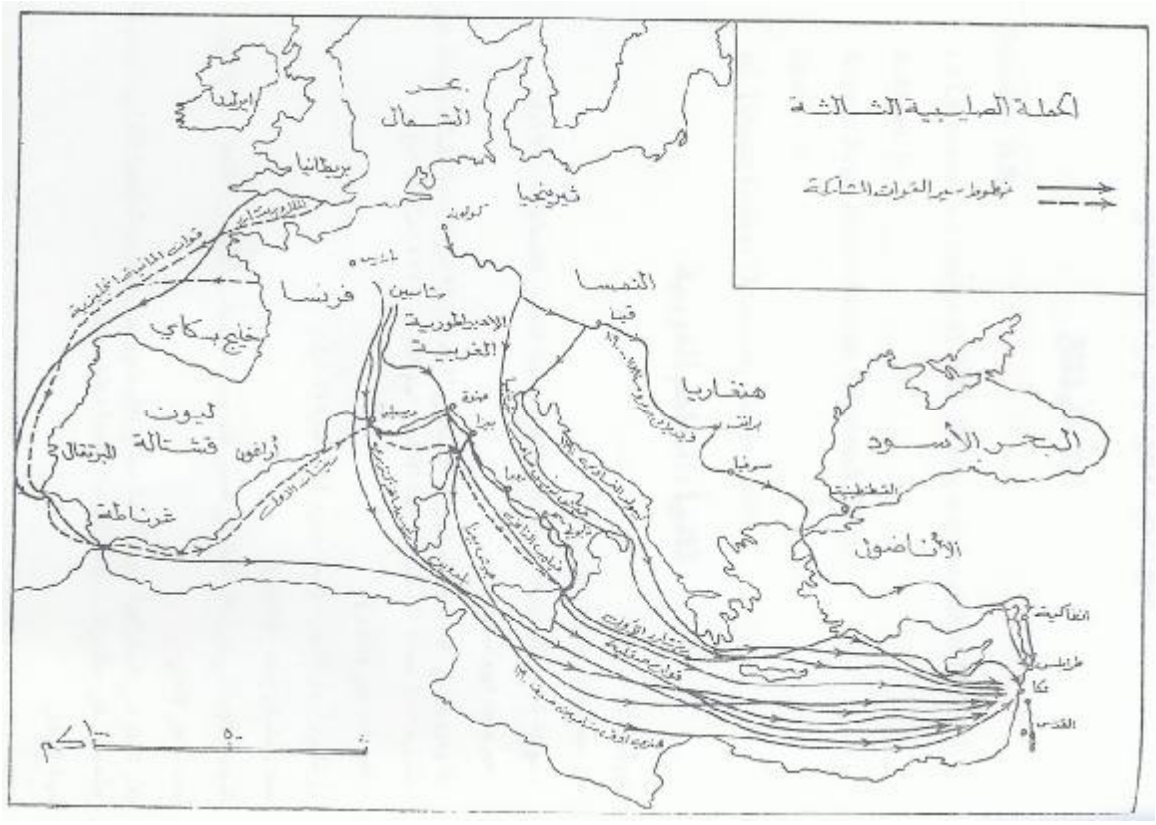

المصدر: **- سلامة، عكا، ص ١٥٩.**

- الفراني، المقاومة، ص٣٣٧.

الملحق الثاني

البلدان التي أقام بها أو تنقّل بينها المؤلف ابن واصل وتواريخ ذلك

المدينة	السنة	المدينة	السنة	المدينة	السنة
حماه	٦٠٤-٦١٦هـ	المستعصمية	٦٤١ هـ	القاهرة	٦٤٧ هـ
المعرّة	٦١٩ هـ	العُقْر	٦٤١ هـ	قليوب	٦٤٨ هـ
حماة	٦٢١هـ	الموصل	٦٤١هـ	مرصفا	٦٤٨هـ
دمشق	٦٢١هـ	نصيبين	٦٤١هـ	القاهرة	٦٤٨هـ
القدس	٦٧٢٢هـ	ماردين	٦٤١ هـ	قوص	٦٤٩هـ
دمشق	٦٢٦هـ	رأس عين	٦٤١ هـ	عيذاب	٦٤٩هـ
حلب	٦٢٧هـ	حران	٦٤١هـ	جدة	٦٤٩هـ
دمشق	٦٢٨هـ	حلب	٦٤١هـ	مكة المكرمة	٦٤٩هـ
الكرك	٦٢٩هـ	قنسرين	٦٤١ هـ	المدينة المنورة	٦٤٩هـ
البلقاء	٦٣٠هـ	المعرة	٦٤١ هـ	ينبع	٦٤٩هـ
حماه	٦٤٠هـ	حماه	٦٤١هـ	القاهرة	٦٥١هـ
حلب	٦٤١هـ	القدس	٦٤١هـ	الجيزة	٦٥١هـ
حران	٦٤١هـ	غزة	٦٤١هـ	القاهرة	٦٥١هـ
دنيسر	٦٤١هـ	العباسة	٦٤١هـ	الجيزة	٦٥٩هـ
ماردين	٦٤١هـ	القاهرة	٦٤٢هـ	صقلية	٦٥٩هـ
نصيبين	٦٤١هـ	دمشق	٦٤٦هـ	جنوب إيطاليا	٦٦١هـ
الموصل	٦٤١هـ	القاهرة	٦٤٦هـ	الإسكندرية	؟- ٦٩٠هـ
تكريت	٦٤١هـ	الصالحية	٦٤٧هـ	حماه	٦٩٠هـ-
المزرفة	٦٤١هـ	منزلة حاتم	٦٤٧هـ	القاهرة	٦٩٧هـ
بغداد	٦٤١هـ	تلبانة	٦٤٧هـ	حماه	
تكريت	٦٤١هـ	المنصورة	٦٤٧		

المصدر / إعداد الباحث .

الملحق الثالث

خلفاء صلاح الدين

١- أهم أولاد صلاح الدين وأحفاده: (٥٨٩-٦٤٨هـ/١١٩٤-١٢٥٠م)

الرقم	الملك	وفاته	البلاد التي حكمها ومدتها
١-	الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين	٦٢٢هـ/١٢٢٥م	ولي دمشق من (٥٨٢-٥٩٢هـ)، والقدس، وبعلبك، وصرخد، وتبنين، وبصرى، إلى الداروم (دير البلح) حتى حدود مصر، ثم سميساط.
٢-	الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين	٥٩٥هـ/ ١١٩٨م	مصر من سنة ٥٨٩-٥٩٥ه
٣-	الملك المنصور ناصر الدين محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبى	٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م.	تولى مصر من595 هـ/١١٩٨م إلى ٥٩٦هـ/١٢٠٠م . ولكن عمه الملك الأفضل على بن صلاح الدين الأيوبى أخذ منه جميع السلطات ثم انهزم أمام العادل القادم من دمشق سنة ٥٩٦ه .
٤-	الملك الظاهر غياث الدين غازي الملقب أبو منصور ابن صلاح الدين	٦١٣هـ/ ١٢١٦م	حكم حلب من ٥٨٢-٦١٣ه ، كانت معه في حياة أبيه
٥-	الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر ابن صلاح الدين	٦٣٤هـ/١٢٣٦م	حكم حلب بعد أبيه من ٦١٣-٦٣٤ه
٦-	الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز بن الملك الظاهر بن الناصر صلاح الدين الكبير	٦٥٨هـ/١٢٦٠م	حكم حلب من ٦٣٤-٦٥٨ه ، واستولى على دمشق سنة ٦٤٨ه عقب قيام دولة المماليك بمصر.

المصدر/ - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٥، ص٢٠٤

٢- الملك العادل وأهم أولاده وأحفاده: (٥٨٩-٦٤٨هـ/١١٩٤-١٢٥٠م)

الرقم	الملك	وفاته	البلاد التي حكمها ومدتها
١-	الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان، الملقب بالملك العادل أبو بكر. شقيق صلاح الدين. أحد ملوك الدولة الأيوبية .	٦١٥هـ/١٢١٨م	آل إليه حكم مصر عام ٥٩٦ هـ، ثم ضم حلب عام (٥٩٨هـ، فاليمن عام ٦١٢ هـ)، وسير إليها ابنه الملك المسعود صلاح الدين. ثم قسّم ملكه بين أولاده، فأعطى الكامل مصر، وقسم الشام بين المعظم والأشرف، والأوحد ميا فارقين وما جاورها.
٢-	الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى بن الملك العادل ، أخو صلاح الدين	٦٣٥هـ/١٢٣٧م	حكم الموصل سنة ٥٦٠٧ قبل وفاة العادل، ثم بعد وفاته ضم حمص سنة ٥٦١٧، وضم دمشق سنة ٥٦٢٦.
٣-	الملك شرف الدين عيسى(المُعَظّم)، ابن العادل سيف الدين أبي بكر ، أخو صلاح الدين	٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م	حكم دمشق من سنة ٥٦١٥-٥٦٢٤.
٤-	الملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، أخو الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر الأيوبيّ	٦٥٦هـ/١٢٥٨م	حكم دمشق من سنة ٥٦٢٤-٦٢٦، عزله الأشرف موسى ، وضم دمشق.
٥-	الملك الصالح إسماعيل	٦٤٣هـ/١٢٤٥م	حكم دمشق من ٦٣٧-٦٤٣م
٦-	السلطان الكبير الكامل ناصر الدنيا والدين، أبو المعالي، وأبو المظفر محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب	٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م	حكم مصر من سنة ٥٦١٥-٥٦٣٥، ودمشق سنة ٥٦٣٥.
٧-	الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل بن العادل، أخو صلاح الدين	٦٤٧هـ/١٢٤٩م	حكم مصر سنة ٥٦٣٧، ودمشق سنة ٥٦٤٣، حتى وفاته سنة ٥٦٤٧.
٨-	الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل.	٦٤٨هـ/١٢٥٠م	حكم مصر ودمشق من ٦٤٧-٥٦٤٨.
٩-	الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل ابن الملك العادل.	٦٢٦هـ/١٢٢٨م	حكم اليمن من ٦١٢-٥٦٢٥.
١٠-	الملك العادل الثاني ابن الملك الكامل، ابن الملك العادل الكبير ، أخو صلاح الدين	٦٤٥هـ/١٢٤٧م	حكم مصر ودمشق من ٦٣٥-٦٣٧، أخذها منه الصالح إسماعيل بن العادل

المصدر/ - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٥، ص٢٠٤

٣- البلاد التي حكمها الأيوبيون(خلفاء صلاح الدين): (٥٨٩-٦٤٨هـ/١١٩٤-١٢٥٠م)

الرقم	البلد	الحاكم	السنة
١-	مصر	- الملك العزيز عماد الدين عثمان	٥٨٩-٥٩٥هـ/١١٩٣-١١٩٨م
		- الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان	٥٩٥-٥٩٦هـ/١١٩٨-١١٩٩م
		- الملك العادل سيف الدين	596-٦١٥هـ/١١٩٩-1218م
		- الملك الكامل محمد	615-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٨م
		- الملك العادل الثاني	635-٦٣٧هـ/١٢٣٨- ١٢٤٠م
		- الملك الصالح نجم الدين أيوب	٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠- ١٢٤٩م
		- المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين	٦٤٦-٦٤٨هـ/١٢٤٩-١٢٥٠م
وقد حكم السلاطين الخمس الأخيرون سوريا أيضاً، وانتقل السلطان بعد توران شاه اسمياً إلى الملك الأشرف مظهر الدين موسى، وعملياً إلى شجرة الدر، ثم عزل أيبك الملك الأشرف، وتزوج من شجرة الدر، وانتقل السلطان إلى المماليك.			
٢-	دمشق	- الملك الأفضل نور الدين علي	589- ٥٩٢هـ/١١٩٣-١١٩٧م
		- الملك العادل سيف الدين	592-٦١٥هـ/١١٩٧-1218م
		- الملك المعظم شرف الدين عيسى	615-٦٢٤هـ/١٢١٨-1226م
		- الناصر صلاح الدين داود	624-٦٢٦هـ/١٢٢٦-1228م
		- الملك الأشرف موسى	626-٦٣٥هـ/١٢٢٨-1237م
		- الملك الصالح إسماعيل	635هـ/١٢٣٧م
		- الملك الكامل محمد بن العادل الأول	635هـ/١٢٣٧م
		- الملك العادل الثاني ابن الملك الكامل	635-637هـ/١٢٣٧-1239م
		- الملك الصالح عماد الدين "إسماعيل	637-643هـ/١٢٣٩-١٢٤٥م
		- الملك الصالح نجم الدين	643-647هـ/١٢٤٥-1249م
		- الملك توران شاه ابن الصالح نجم الدين	647-٦٤٨هـ/١٢٤٩-1250م
		- الملك الناصر صلاح الدين يوسف	648-٦٥٨هـ/٢٥٠ - ١٢٦٠م
		- ثم استولى المغول على دمشق	
٣-	حلب	- الملك الظاهر غياث الدين	٥٨٢هـ/ ١١٨٦م
		- الملك العزيز غياث الدين	٦١٣هـ/١٢١٦م
		- الملك الناصر صلاح الدين يوسف	٦٣٤هـ/١٢٣٦م

٤-	الموصل	- الملك الأوحد نجم الدين أيوب - الملك الأشرف موسى - الملك المظفر غازي	٥٩٧هـ/١٢٠٠م ٦٠٧هـ/١٢١٠م ٦٢٨-٦٤٣هـ/١٢٣٠-١٢٤٥م
٥-	حماه	- الملك المظفر الأول تقي الدين عمر - الملك المنصور الأول - الملك كلج أرسلان - الملك المظفر الثاني - المنصور الثاني	٥٧٤هـ/١١٧٨م ٥٨٧هـ/١١٩١م ٦١٧هـ/١٢٢٠م ٦٢٦هـ/١٢٢٨م ٦٤٢هـ/١٢٤٤م
٦-	حمص	- محمد بن شيركوه - مجاهد شيركوه - المنصور إبراهيم - الأشرف موسى	٥٧٤هـ/١١٧٨م ٥٨١هـ/١١٨٥م ٦٣٧هـ/١٢٣٩م ٦٤٤-٦٦١هـ/١٢٤٦-١٢٦٢م
٧-	الحجـــاز واليمن	- المعظم توران شاه أيوب - سيف الإسلام بن أيوب - معز الدين إسماعيل - الناصر أيوب بن سيف الإسلام - المظفر سليمان بن شاهنشاه - مسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل محمد	569-٥٧٧هـ/١١٧٣- ١٨١١م 577-٥٩٣هـ/١١٨١-1196م 593-٥٩٨هـ/١١٩٦-1201م 598-٦١١هـ/١٢٠١-1214م 611-٦١٢هـ/١٢١٤-1215م 612-٦٢٦هـ/١٢١٥-1229م
٨-	الكرك	- الملك العادل بن نجم الدين أيوب - الملك المعظم عيسى بن العادل - الملك الناصر داود بن المعظم عيسى - الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل بن الكامل استولى عليها المماليك	584-٥٩٢هـ/١١٨٨-1195م 592-٦٢٤هـ/١١٩٥-1226م 624-٦٤٧هـ/١٢٢٦-1249م 648-٦٦١هـ/١٢٥٠-1262م
٩-	ميافارقين (تركيا)	- العادل الأول محمد بن أيوب - الأوحد نجم الدين بن سيف الدين - الأشرف موسى بن سيف الدين - المظفر شهاب الدين غازي - الكامل ناصر الدين محمد بن شهاب الدين	٥٩١هـ/١١٩٤م ٥٩٤هـ/١١٩٩م ٦٠٧هـ/١٢١٠م ٦١٨هـ/١٢٢١م ٦٤٢- ٦٨٢هـ/١٢٤٤-١٢٨٤م

المصدر/ - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٥، ص٢٠٦-٢٠٨

الملحق الرابع

الكتابان المتبادلان بين لويس التاسع والصالح نجم الدين أيوب قبل نزول الفرنج إلى البر الغربي لدمياط

نص كتاب لويس التاسع إلى الصالح نجم الدين

بسم الله الفصيح صاحب الدين الصحيح عيسى بن مريم المسيح . أما بع: فإنه لم يخف عليك ولا على كل ذي عقل ثاقب أنك أمين هذه الملة الحنيفية، وأنا أمين هذه الملة النصرانية. وليس خفي عنك ما فتحنا من بلاد الأندلس؛ وأخذنا النساء والعذارى، وفرقناهم على ملة النصارى، وجعلنا رجالهم أسارى، ونساءهم عليهم حيارى. وقد علمت ما نحن فيه من حق الرعية لما فتحنا بلاد المهدية وعتونا على ثغر الإسكندرية، فلا تلجئ العالم إلى العسف ولا تسمهم بسيماء الخسف؛ نقتل العباد، وندوس البلاد، ونطهر الأرض من الفساد. فإن قابلتنا بالقتال فقد أوجبت على نفسك ورعيتك النكال، ورميتهم في أسر الوبال، ويكثر فيهم العويل ولا يرحم عزيز ولا ذليل، ولا تجد إلى نصرتهم من سبيل.

ونحن شرحنا لك ما فيه الكفاية، وبذلنا لك غاية النصيحة والهداية، أن تنقل إلى عندنا ما عندك من الرهبان، وتحلف لنا بعظائم الإيمان أن تكون لنا نائبا على ممر الأزمان. وتجعل لنا بما عندك من مراكب وطرائد وشوان، ولا تكون فيك فترة ولا توان، لتكون قلوبنا راضية عليك، ولا تسوق حتفك إليك، وتكون على نفسك وجيشك قد جنيت، وتعود تقول يا ليت. وتضع الحرب أوزارها، وتشعل نارها، ويتعالى شرارها، ويقيم فنارها، وتأخذ منكم بنارها. فسيوفنا حداد، ورماحنا مداد، وقلوبنا شداد، ويحكم بيننا وبينكم رب العباد. فإن كانت (البلاد) لك فهدية ألقيت بين يديك، وإن كانت لنا فيدنا العليا عليك، إذ استحققنا إمارة الملتين، وحكم الشريعتين، وبيد الله تعالى السعادة وهو الموفق للإرادة.

المصدر: كتاب جوزيف نسمان (العدوان الصليبي على مصر)، ص٢٩٣-٢٩٦ .

نص رد الصالح أيوب على كتاب الملك الفرنسي

(بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على القوم الظالمين ، من عند الذائد عن حرم المسلمين والقارئ كتاب رب العالمين ، المنزل على خير المرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله الطاهرين ،وأصحابه الأنصار والمهاجرين ، صلاة دائمة إلي يوم الدين .

أما بعد ،،،

فقد وصل كتابك وفهمنا لفظك وخطابك . وها أنا قد أتيتك بالخيل والرجال، والخزائن والأموال والعساكر والأثقال ،والقيود والأغلال ؛ فإن كانت لك فأنت الساعي وقد أمنت الناعي ، وإن كانت عليك فأنت الباغي لحتفك والجادع أنفك بظلفك ، فإن رأيت أن لا تقيم بين الفئتين ضغنا ، فلذلك من الله علينا وعليكم مننا ، وإن غير ذلك فقد قال تعالى : "أفمن زين له سوء عمله فراه حسنا ". ولما وصل إلينا كتابك أعطيناك جوابك ، ومن يهديه الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. وفي كتابك تهددنا بجيوشك وأبطالك وخيلك ورجالك ، أو ما تعلم أنا نحن أرباب الحتوف وفضلات السيوف ، ما نزلنا على حصن إلا هدمناه ، ولا عدم منا فارس إلا جددناه ، ولا طغى علينا طاغ إلا دمرناه . فلو نظرت _أيها المغرور_ حد قلوبنا ، وجد حروبنا ، لرأيت فرسانا أسنتهم لا تمل وسيوفهم لا تكل وقلوبهم لا تذل ، ولعضيت على يدك بسن الندم ولأخرت تحريك قدم عن قدم ، فلا تعجبك العساكر التي بين يديك ، فهو يوم أوله لنا وأخره عليك . إذا أتاك كتابي هذا فلتكن منه بالمرصاد على أول سورة النحل وأخر سورة ص : "أتى أمر الله فلا تستعجلوه " ،"ولتعلمن نبأه بعد حين " . هنالك تتطاول نحوك الأعناق وتشخص صوبك العيون ، ويشوبك الويل ، وتسوء بك الظنون ، "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ").

المصدر: كتاب جوزيف نسمان (العدوان الصليبي على مصر)، ص٢٩٣-٢٩٦ .

الملحق الخامس

نص رسالة الناصر داود صاحب الكرك إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام يذكر فيه خبر الهجوم الذي قام به الداوية على مدينة نابلس في الفترة ما بين يوم الجمعة ٤جمادي الأولى سنة ٦٤٠هـ/٣١تشرين الأول ١٢٢٤م، حتى الأحد ٦جمادي الأولى ٦٤٠هـ/٢تشرين ثاني ١٢٤٢م.

النص:

"أحسن الله عزاء المجلس السامي القاضوي العزمي في مصابة بالمسلمين وصبرنا على ما دهمت به حوزة الدين وأثاب الذين استشهدوا بها وعد الشهداء من رضوانه وعوضهم عن بمنازل الأمن من قصور جنانه وسامحنا وإياه بما أهملنا من حماية الدين وحفظ أركانه وبما اعتمدناه من إغفاله وخذلانه ولا حول ولا قوة بالله قول معترف بتقصيره عن جهاد أعداء الله وأعداء دينه ذاكراً جريمته جهراً بلسانه وسراً بيقينه وذلك بمصيبة المسلمين بمدينة نابلس التي قتلت فيها المشايخ والشبان وسبيت الحلايل والصبيان واستولت يد الكفر على ما كان مدخراً من الأموال والغلال وما جمعه المسملون لازمتهم في السنين الطوال فهو يوم ضرب فيه الكفر بجرانه وتبختر فيها أنصاره وأعوانه وزها على الإسلام برونق زمانه وهو اليوم الذي تقابلا فيه بأحجم الإسلام ثم تولى واقتسما فيه بالسهام فكان سهم الكفر هو السهم المعلا فيا لها من فجيعة أبكت العيون وانكت الجفون وهجمت على القلوب من أسماعها فودت لو أنها سبقت المنون ليتني نبذت قبل سماعها قصياً أو ليت ربي لم يجعلني لعباده أو ليتني مت قبل هذا وكتبت نسياً منسياً".

المصدر: **١- مجهول، الفوائد، لوحة، ١١٩ــ١٢٠.**

٢- اليونيني، ذيل، ج١، ص١٥٧ــ١٥٨.

الملحق السادس: عملات أيوبية

١ – دينار سكب للملك العادل

هذا دينار للعادل الثاني.. قطره ٢٢ مم ووزنه ٦ جم.

مأثورات الوجه: الإطار: لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

المركز: محمد ، الملك العادل ، سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل

الظهر:

الإطار: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة خمس وثلثين وستمائة

المركز: الإمام المنصور أبو جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين

المصدر: منتدى العملات والطوابع، الرابط:

http://www.coins arab.com/vb/showthread.php

٢ – الدرهم الفضي الذي سكب للملك العادل

أما درهمه الفضي.. فقطره ٢٤ مم ويزن ٢.٨ جم ، وأما مأثورات الوجه:

الإطار: لا إله إلا الله محمد رسول الله

ضرب بدمشق سنة خمس وثلثين وستمائة

المركز: الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن محمد

المركز: الإمام المنصور أبو جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين

..

المصدر: منتدى العملات والطوابع، الرابط:

http://www.coins arab.com/vb/showthread.php

٣- نصف الدرهم الذي سكب للملك العادل

ولتكتمل السلسة النقدية.. هاهو ذا نصف الدرهم الخاص بالملك العادل، قطره ١١ مم ووزنه ١.٤ جم.. مأثورات وجهه: الإطار: ..... سنة خمس وثلاثين

المركز: الملك العادل

الظهر: المركز: الإمام المستنصر

المصدر: منتدى العملات والطوابع، الرابط:

http://www.coins arab.com/vb/showthread.php

٤- الدراهم وأنصاف دراهم في عهد الكامل ابن الملك العادل

اعتبر الملك الكامل محمد بن ايوب(٦١٥ - ٦٣٥ هجري) هو الملك الوحيد من ملوك الايوبيين الذي سك نقود تحمل اسم مدينة غزه وكانت من الفضه دراهم وانصاف دراهم وهي تعتبر نادره جدا ، وفيما يلي نماذج لتلك الدراهم:

أ-

الوجه : المركز داخل مربع

الملك الكامل ناصر الدنيا والدين محمد بن ابي بكر

هامش: لا اله الا الله وحده لاشريك له محمد رسول الله

الظهر : المركز داخل مربع الامام المنصور ابو جعفر المستنصر

بالله امير المؤمنين

هامش:

بسم الله

ضرب بغزه سنة اربع

المصدر: منتدى العملات والطوابع، الرابط:

http://www.coins arab.com/vb/showthread.php

ب-

الوجه : المركز داخل مربع

الملك الكامل ناصر الدنيا والدين محمد بن ابي بكر

هامش : لا اله الا ا لله وحده محمد رسول الله

الظهر : المركز داخل مربع الامام المنصور ابو جعفر المستنصر

بالله امير المؤمنين

هامش:

بسم الله

ضرب بغزه سنة خمس

.....

المصدر: منتدى العملات والطوابع، الرابط:

http://www.coins arab.com/vb/showthread.php

ج-

نصف درهم

الوجه: مركز داخل مربع

الملك الكامل

هامش: لا اله الا الله وحده

.....

الله

الظهر : مركز داخل مربع الامام المنصور

هامش:

ضرب بغزه سنة اربع

المصدر: منتدى العملات والطوابع، الرابط:

http://www.coins arab.com/vb/showthread.php

الملحق السابع: آلا ت حربية في عهد خلفاء صلاح الدين الأيوبي

شكل رقم (١)

لوحة تمثل آلة من آلات الحصار الصليبية للمدن الإسلامية(السلالم)

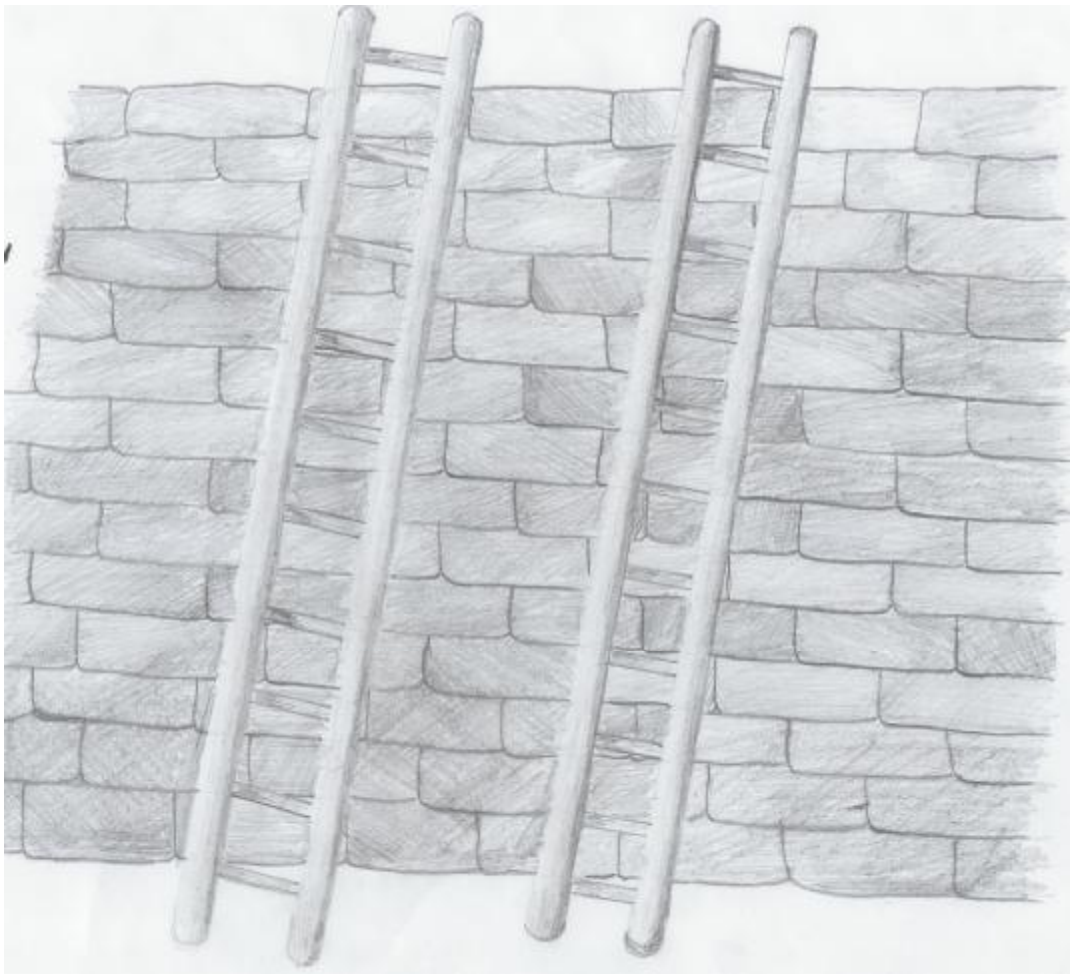

المصدر: الصوافي، القلاع، ص ٨٨.

شكل رقم (٢)

لوحة تمثل آلة من آلات الحصار الصليبية للمدن الإسلامية(الرافعة)

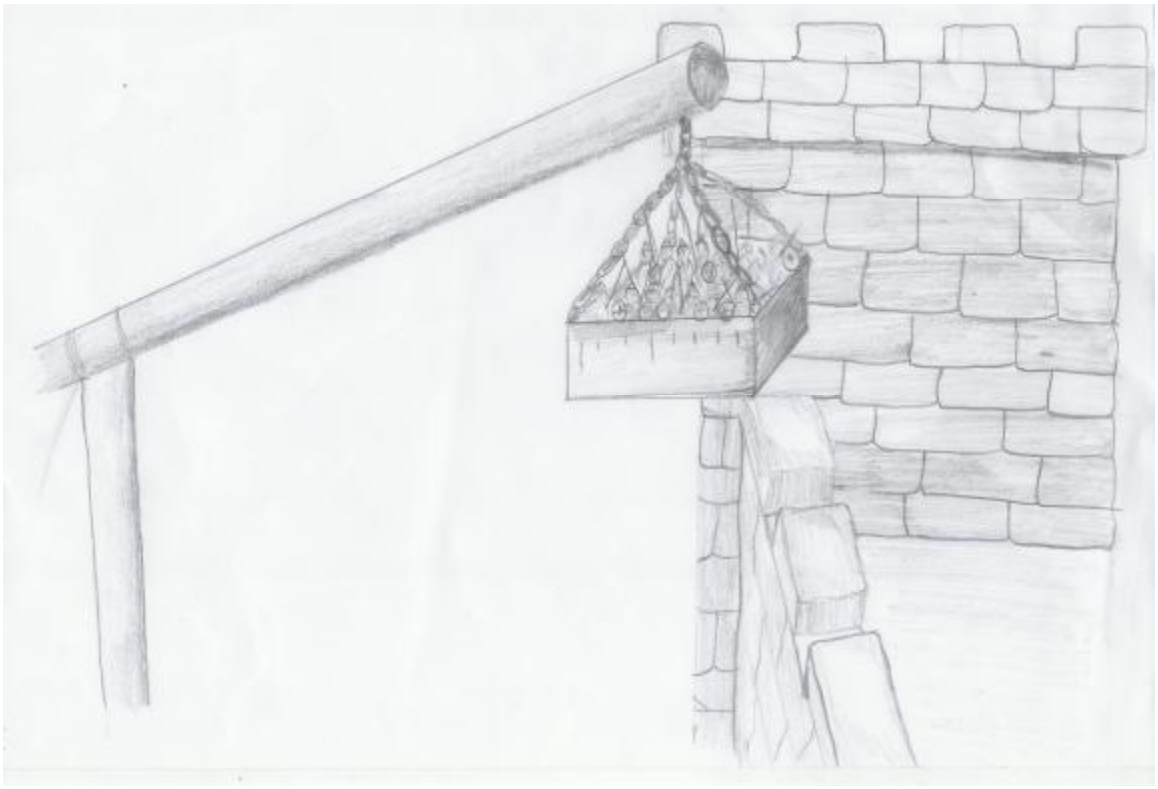

المصدر: الصوافي، القلاع، ص ٨٨.

شكل رقم (٣)

لوحة تمثل آلة من آلات الحصار الصليبية للمدن الإسلامية(خطاف طويل لتخريب السور وفتح ثغرة)

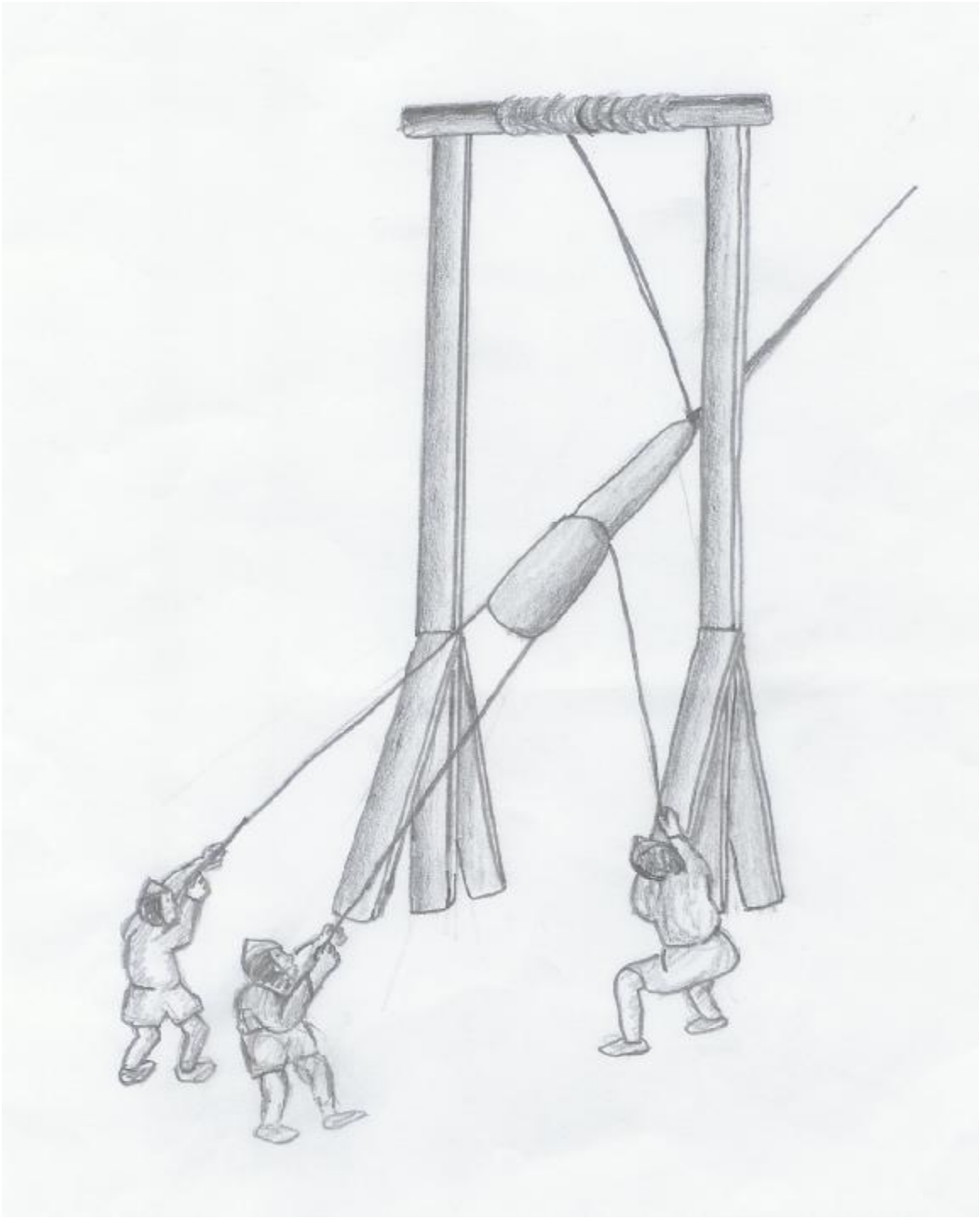

المصدر: الصوافي، القلاع، ص ٨٨.

شكل رقم (٤)

لوحة تمثل آلة من آلات الحصار الصليبية للمدن الإسلامية(الدبابة، أو برج الاقتحام)

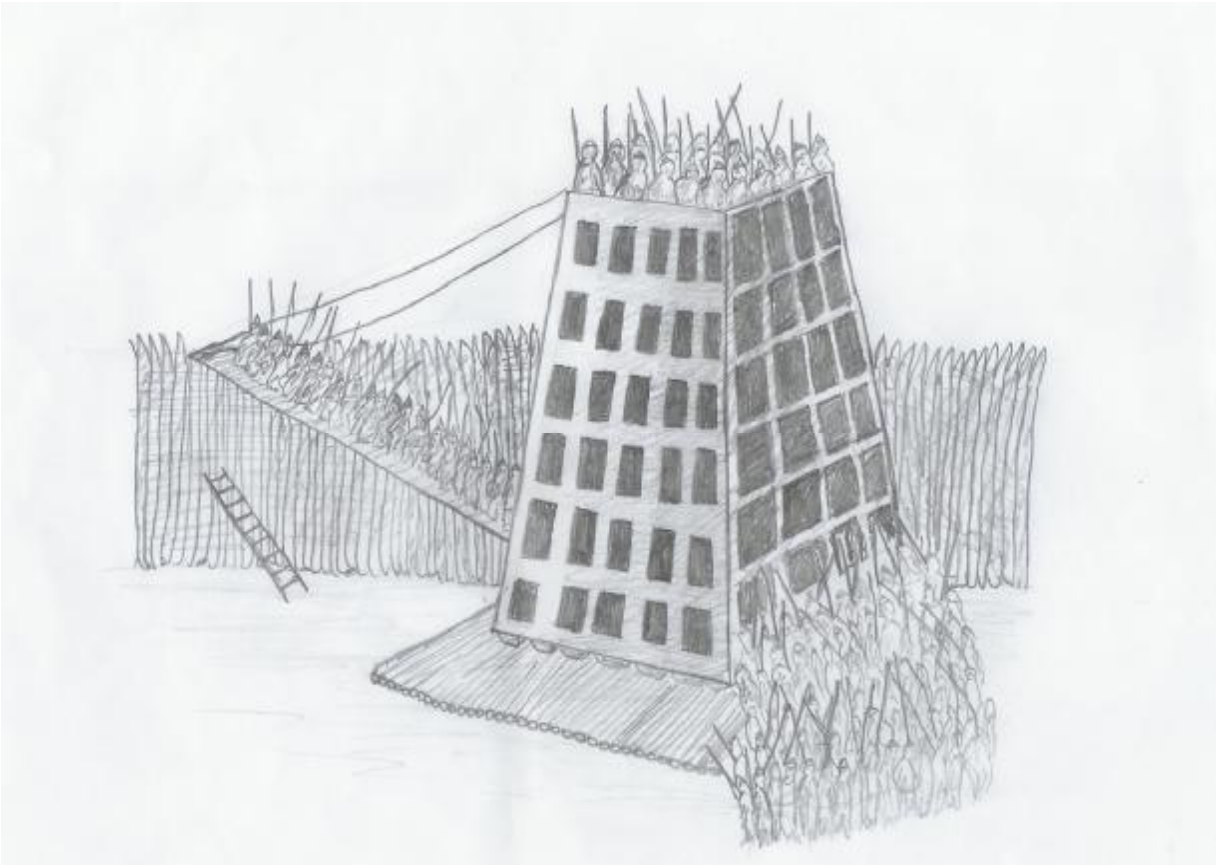

المصدر: الصوافي، القلاع، ص ٨٨.

شكل رقم (٥)

لوحة تمثل آلة من آلات الحصار الصليبية للمدن الإسلامية(الدبابة، أو برج الاقتحام).

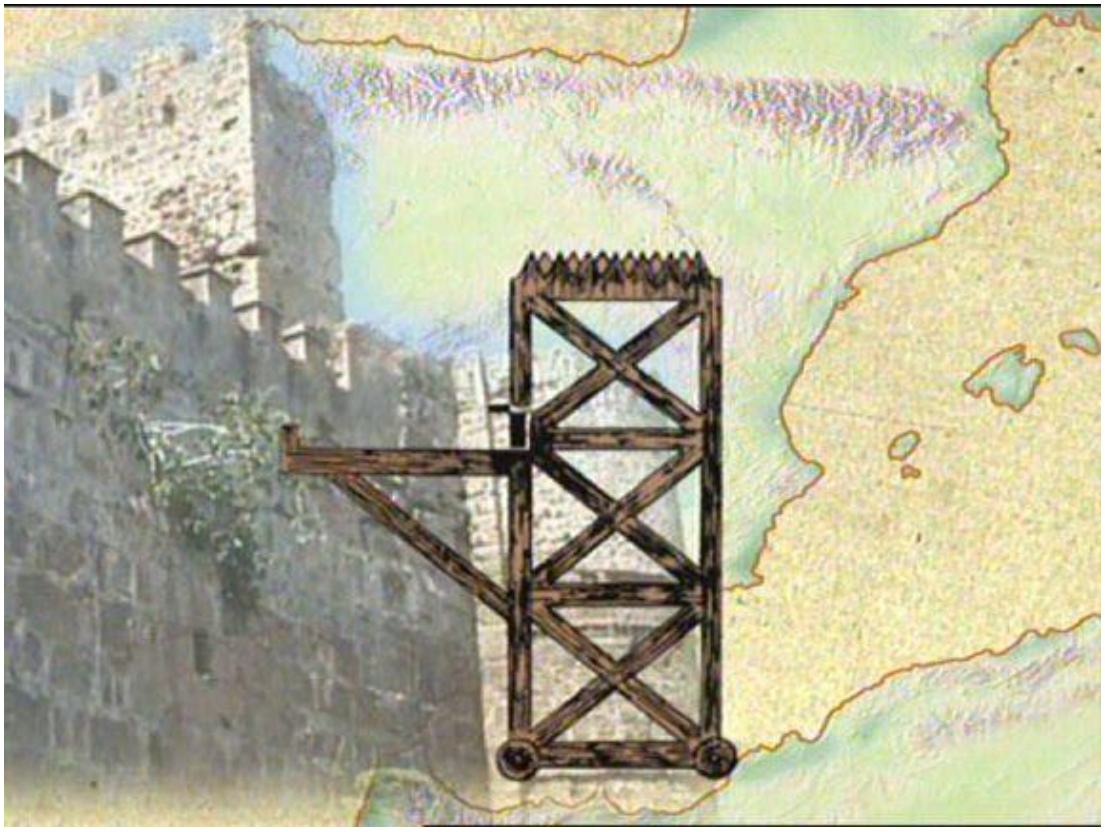

_____

_____

_____

المصدر: ١- الفراني، المقاومة، ص٥٣٦.

٢- www.rawicordoba.com/locations2.htm

شكل رقم (٦)

لوحة تمثل مجموعة من الأسلحة التي كانت تستعمل في مرحلة الحروب الصليبية (السيف،الدرع)

المصدر: ١- الفراني، المقاومة، ص٥٣٧.

٢- www.rawicordoba.com/locations2.htm

شكل رقم (٧)

لوحة تمثل آلة من آلات الحصار الصليبية للمدن الإسلامية(المنجنيق)

المصدر: ١- الفراني، المقاومة، ص٥٣٨.

٢- www.rawicordoba.com/locations2.htm

شكل رقم (٨)

لوحة تمثل آلة من آلات الحصار الصليبية للمدن الإسلامية(المنجنيق)

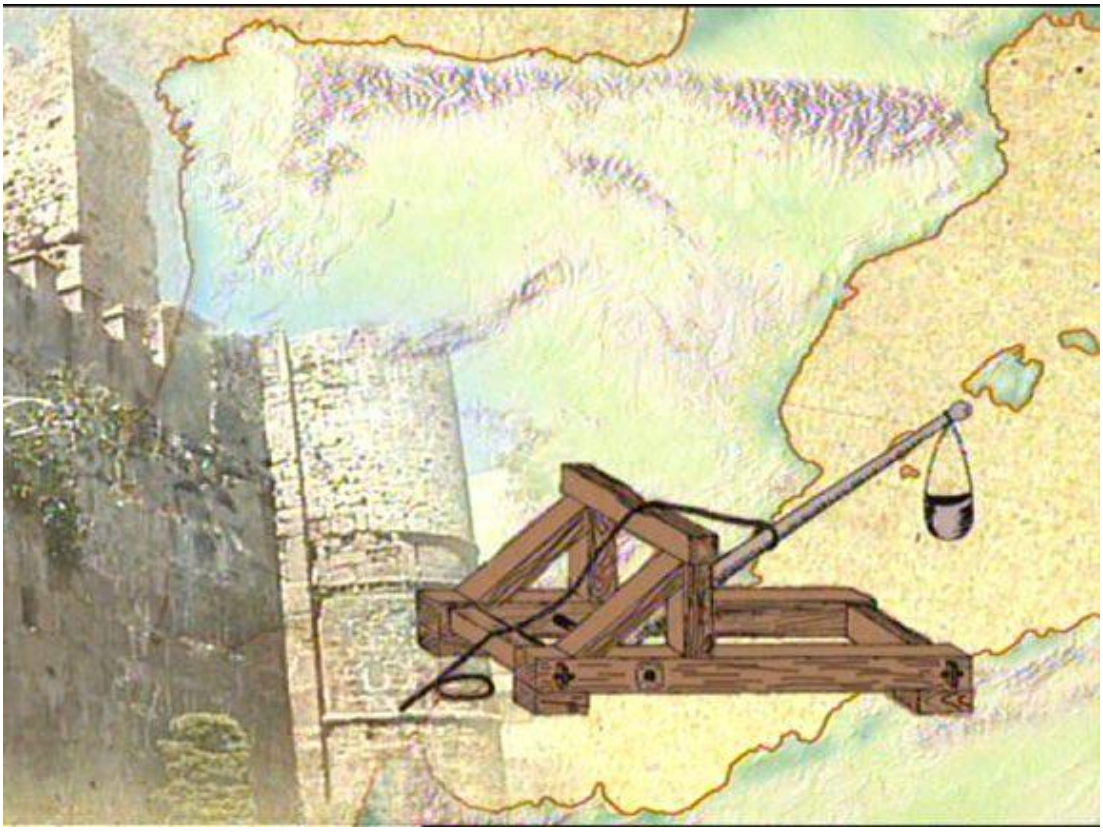

المصدر: ١- الفراني، المقاومة، ص٥٣٩.

٢- www.rawicordoba.com/locations2.htm

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات.

ثانياً : المصادر العربية .

ثالثاً : المراجع العربية.

رابعاً : المصادر الأجنبية المعربة.

خامساً : المراجع الأجنبية المعربة.

سادساً : الأطروحات والرسائل الجامعية.

سابعاً : الموسوعات.

ثامناً : المعاجم.

تاسعاً : الدوريات والمقالات العربية.

عاشراً : الدوريات الأجنبية المترجمة.

الحادي عشر : المؤتمرات العلمية.

الثاني عشر : المواقع الالكترونية.

الثالث عشر : المراجع الأجنبية.

* القرآن الكريم.

أولاً: المخطوطات.

ابن عربشاه،شهاب الدين أحمد(د.ت):

١. عجائب المقدور في أخبار تيمور، طبع في أردوكايند في بندر، سنة١٣٩٩هـ/١٨٨٢م.(مخطوط غير محقق).

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٤م):

٢. تاريخ ابن الفرات، صورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى برقم ٦١٢ عن نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ٥٤١ ق.

مجهول:

٣. "الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية"، أو كتاب "سيرة الملك الناصر"، مخطوط في المتحف البريطاني، لندن، رقم (٣٠٢٥ ح).

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م):

٤. التاريخ الصالحي، مكتبة فاتح باستامبول رقم ٤٢٢٤.

ثانياً: المصادر العربية.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية،(١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

٦. "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل"، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.

٧. الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت :٦٠٦هـ/١٢٠٩م):

٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: ق ١٢هـ/٦٣٣م):

٩. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي(ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م):

١٠. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الناشر: عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م).

أبو حامد الغزالي، زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الحسين العراقي (ت: ٨٠٦هـ/١٤٠٣م):

١١. إحياء علوم الدين، تحقيق: سيد عمران، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٩م):

١٢. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت – لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية – ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد الكاتب(ت:٥٩٧هـ/١٢٠١م):

١٣. "البرق الشامي"، تحقيق فالح حسين، ط١، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ١٩٨٧م.

١٤. "الفتح القسي في الفتح القدسي"، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة، ١٩٦٥م.

ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت: ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):

١٥. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المحقق: الدكتور نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، (د.ت).

ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن محمد بن علي الكوفي(ت: نحو ٣١٤هـ/٩٢٦م):

١٦. الفتوح، تحقيق: علي شيري، بيروت–لبنان، دار الأضواء، (١٤١١هـ/١٩٩١م).

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين (ت: ٥٧٧هـ/١١٨١م):

١٧. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

ابن إياس، محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م):

١٨. "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، تحقيق: محمد مصطفى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(ت:٢٥٦هـ/٨٦٩م):

١٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م):

٢٠. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: ط٢، ١٩٨٥م.

البصروي، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدين الدمشقيّ العاتكي الشافعي (ت: ٩٠٥هـ/١٤٩٩م):

٢١. تاريخ البصروي، المحقق: أكرم حسن العلبي، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٢٢. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، (د. ط)، ١٤١٧هـ.

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني(ت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م):

٢٣. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان(د.ت).

٢٤. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، أعادت طبعه بالأوفست: بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي (د.ت).

البغدادي، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر معين الدين ابن نقطة الحنبلي(ت:٦٢٩هـ/١٢٣١م):

٢٥. إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، المحقق: د. عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: جامعة أم القرى، مكة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

٢٦. المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، (١٩٩٢م).

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م):

٢٧. فتوح البلدان، بيروت – لبنان، دار ومكتبة الهلال، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

البلوي ، خالد بن عيسى ، (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م):

٢٨. "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"، تحقيق الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المغرب، د.ت.

البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت: ٦٢٢هـ/١٢٢٥م):

٢٩. "سنا البرق الشامي"، مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.

بهاء الدين، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، (ت: ١٠٣١هـ/١٦٢١م):

٣٠. الكشكول، المحقق: محمد عبد الكريم النمري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م.

البهوتى، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس الحنبلى (ت:١٠٥١هـ/١٦٤١م):

٣١. الروض المربع شرح زاد المستقنع، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، دار المؤيد – مؤسسة الرسالة.

بيبرس المنصوري، نائب السلطة في مصر(ت: ٧٢٥هـ/١٣٢٤م):

٣٢. مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ه، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي(ت: ٤٤٠هـ/١٠٤٨م):

٣٣. الآثار الباقية عن القرون الخالية، برلين، ١٨٧٨م.

ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي (ت:٦٤٦هـ/١٢٤٨م):

٣٤. تحفة ابن البيطار في العلاج بالأعشاب والنباتات، القاهرة ، دار الفضيلة ، ١٩٩٢م.

التركماني، عمر بن يوسف بن عمر الغساني(٦٩٦هـ/١٢٩٧م):

٣٥. المعتمد في الأدوية المفردة، المصدر: موقع الحواج http://www.khayma.com/hawaj

ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

٣٦. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي"، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة – مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٧. مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، القاهرة، دار الكتب المصرية،(د. ت).

٣٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣٠م):

٣٩. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المحقق: إحسان عباس، بيروت – لبنان، الناشر: دار صادر، ١٩٩٧م .

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي(ت: ٢٥٥هـ/٨٦٩م):

٤٠. البيان والتبيين، بيروت، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤١. الرسائل السياسية، دار ومكتبة الهلال، بيروت(د.ت).

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (المتوفى: ١٢٣٧هـ):

٤٢. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دار الجيل، (د.ط).

ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م):

٤٣. رحلة ابن جبير، " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار "، بيروت، دار ومكتبة الهلال الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ/١٤٢٩م):

٤٤. غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

الجمل، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري(ت: ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م):

٤٥. فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، دار الفكر، (د. ط)، (د.ت).

الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

٤٦. السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، صنعاء اليمن، مكتبة الإرشاد،(١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت: ٣٩٢هـ/١٠٠٥م):

٤٧. سر صناعة الإعراب، بيروت، لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الجواليقي، موهوب بن محمد بن أحمد بن الخضر:

٤٨. المعرب من الكلام الأعجمي لحروف المعجم، دمشق، دار القلم. (١٩٩٠م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٤٩. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م):

٥٠. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، المحقق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.

ابن حبتة الأنصاري، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد (ت : ١٨٢هـ/٧٩٨م):

٥١. الخراج، الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، سعد حسن محمد ، طبعة جديدة مضبوطة – محققة ومفهرسة ، أصح الطبعات وأكثرها شمولا.(د.ط)،(د.ت). الكتاب مرتبط بنسخة مصورة لـ (ط المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة).

ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت ٧٩٩هـ/١٣٧٧م):

٥٢. "تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه"، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ج(١) سنة ١٩٧٦م، ج(٢) سنة ١٩٨٢م، ج(٣) سنة ١٩٨٦م.

ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

٥٣. إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، مصر– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٥٤. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، بيروت – لبنان، المكتبة العلمية.

٥٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المحقق: مراقبة/ محمد عبد المعيد ضان، حيدر اباد– الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٥٦. لسان الميزان، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، بيروت – لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٥٧. نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد – الرياض،(١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (ت: ٧٦٥هـ/١٣٦٣م):

٥٨. ذيل تذكرة الحفاظ، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الحسيني، صدر الدين بن علي (ت: ٥٧٥هـ/١١٧٩م):

٥٩. أخبار الدولة السلجوقية: زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

الحطاب الرُّعيني، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ):

٦٠. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي(ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م):

٦١. التاريخ المنصوري = تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، المحقق: دكتور أبو العبد دودو الناشر: مطبعة الحجاز / مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ/١٣٦٨م):

٦٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.(د.ط)، (د.ت).

الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):

٦٣. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت– لبنان، مؤسسة ناصر للثقافة – طبع على مطابع دار السراج، ط٢، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

الحنبلي، أحمد بن إبراهيم(ت: ٨٧٦هـ/١٤٧١م):

٦٤. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تقديم وتحقيق وتعليق : مديحة الشرقاوي، بورسعيد، مصر ، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ/١٩٩٦م .

ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م):

٦٥. صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م):

٦٦. المسالك والممالك، بيروت، دار صادر أفست ليدن، ١٨٨٩م.

الخرشي، محمد بن عبد الله المالكي أبو عبد الله:

٦٧. شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر للطباعة، (د.ط)، (د.ت).

الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين (ت: ٧٨٩هـ/١٣٨٧م):

٦٨. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، المحقق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، (١٤١٩هـ).

خسرو، ناصر(ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م):

٦٩. "سفر نامة"، ترجمة يحيى شاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

٧٠. تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

٧١. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، بيروت – لبنان، منشورات مؤسسه الأعلمي للمطبوعات ،(١٣٩١هـ/١٩٧١م).

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البر مكي الإربلي(ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢مـ):

٧٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت- لبنان، دار صادر، (١٣١٧هـ/١٩٠٠م).

خليفة، حاجي مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):

٧٣. "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي (ت: ٣٨٧هـ/٩٩٧م):

٧٤. مفاتيح العلوم، المحقق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، ط٢، (د.ت).

الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الشافعي(ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

٧٥. حياة الحيوان الكبرى، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي(ت: ٢٨١هـ/ ٨٩٤م):

٧٦. ذم المسكر، المحقق: د. نجم عبد الرحمن خلف، دار الراية ، الرياض، (د.ت).

الدواداري، أبو بكر عبد الله أيبك(ت: ٧٣٦هـ/ ١٣٤٨م):

٧٧. الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار الشرقية، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٩٦١م.

٧٨. كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق بيرند راتكه، القاهرة، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، ١٩٨٢م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

٧٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٨٠. تذكرة الحفاظ، بيروت-لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٨١. سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٣،(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٨٢. العبر في خبر من غبر، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

٨٣. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن(١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٨٤. المشتبه في أسماء الرجال، طبعة ليدن، سنة ١٨٦٣م .

٨٥. معجم محدثي الذهبي، المحقق: روحية عبد الرحمن السويفي، الناشر: دار الكتب العلمية،

١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٨٦. المعين في طبقات المحدثين، المحقق: د. همام عبد الرحيم سعيد، عمان – الأردن، الناشر: دار الفرقان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٨٧. من ذيول العبر، تحقيق صلاح الدين المنجد،نشر مطبعة الكويت الحكومية د.ط.د.ت.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، ومحمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثي:

٨٨. المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثي، المحقق: مصطفى جواد، الناشر: المجمع العلمي العراقي، مطبعة المعارف، ١٣٧١-١٩٥١م.

الراوندي، محمد بن على سليمان (ت٥٩٩هـ/١٠١٩م):

٨٩. " راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية"، نشر وتصحيح محمد ساقبال، ترجمة: إبراهيم الشواربي، عبد النعيم حسانين، فؤاد الصياد، دار العلم، القاهرة، ١٩٦٠م.

رِياض زَادَه، عبد اللطيف بن محمد بن مصطفى المتخلص بلطفي، الحنفي (المتوفى: ١٠٧٨هـ):

٩٠. أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون، المحقق: د. محمد التونجي، دمشق، سورية، الناشر: دار الفكر الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الزبيدي ، المرتضى ، (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

٩١. "ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب" ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله ، (ت ٥٣٨هـ/ ١١٨٧م):

٩٢. الجبال والأمكنة والمياه، المحقق : د. أحمد عبد التواب عوضن الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣١٩هـ/ ١٩٩٩م.

زين العابدين، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ/١٦٢١م):

٩٣. التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر ، (ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م):

٩٤. "تاريخ ابن سباط" ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس - لبنان ، ط١، جروس برس ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله البغدادي(ت:٦٥٤هـ/١٢٨٠م):

٩٥. مرآة الزمان في تأريخ الأعيان من سنة ٣٤٥-٤٤٧هـ، دراسة وتحقيق: جنان جليل محمد الهموندي، بغداد، الدار الوطنية، ١٩٩٠م.

- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: ٧٧١هـ):

٩٦. طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الدين أبو الخير (ت: ٩٠٢هـ/١١٤٩٧م):

٩٧. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٩٨. "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، القاهرة، ١٩٣٤-١٩٣٦م، د.ط، د.ن.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ/١٠٩٠م):

٩٩. شرح السير الكبير، الشركة الشرقية للإعلانات، (د.ط)، ١٩٧١م.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م):

١٠٠. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية،(١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

أبو سعد الآبى، منصور بن الحسين الرازي (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م):

١٠١. الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر.

ابن سهل أسلم ، بن أسلم بن حبيب الرزّاز الواسطي، أبو الحسن، بَحْشَل (ت: ٢٩٢هـ/٩٠٤م):

١٠٢. تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، بيروت، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني)، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ/١٤٧٤م):

١٠٣. تاج التراجم في طبقات الحنفية، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، دمشق، الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين(ت:٩١١هـ/١٥٠٥م):

١٠٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا- لبنان، المكتبة العصرية، (د،ط)، (د،ت).

١٠٥. تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر، مطبعة السعادة، (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

١٠٦. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
١٠٧. الخصائص الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت)، (د.ط).
١٠٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
١٠٩. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، القاهرة، مكتبة الآداب، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

الشارعي، موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشافعي (ت: ٦١٥هـ/١٢١٨م):

١١٠. مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، شهاب الدين(ت:٦٦٥هـ/١٢٦٨م):

١١١. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، المحقق: إبراهيم الزيبق، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، (د،ط)، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت: **٩٤٢هـ/١٥٣٥م**):

١١٢. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية،(١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر الأيوبي"ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م):

١١٣. "مضمار الحقائق وسر الخلائق"، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، د.ت.

ابن شاهين الظاهري، خليل بن شاهين الظاهري، غرس الدين (ت: ٨٧٣هـ/١٤٦٨م):

١١٤. زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس، باريس، مطبعة الجمهورية، ١٨٩٢م.

ابن الشِّحْنَة، أبو الوليد لسان الدين أحمد بن محمد بن محمد الثقفي الحلبي الحنفي:

١١٥. لسان الحكام في معرفة الأحكام، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ط٢، (١٣٩٣/١٩٧٣م).

ابن شداد، بهاء الدين يوسف (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م):

١١٦. "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

ابن شداد ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (ت: ٦٨٤هـ/١٢٨٥م):

١١٧. الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، مصدر الكتاب : موقع الوراق

الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي(٩٧٧هـ/١٥٦٩م):

١١٨. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٣م):

١١٩. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، دار المعرفة.

الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي (ت: ٤٤٨هـ/١٠٥٦م):

١٢٠. رسوم دار الخلافة، المحقق: ميخائيل عواد، بيروت، الناشر: دار الرائد العربي – الطبعة: الثانية، ١٩٨٦م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

١٢١. أعيان العصر وأعوان النصر، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، بيروت – لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق – سوريا، دار الفكر، ط١، ١٤١٨ هـ/١٩٩٨م.

١٢٢. أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديدة، ط٢، (١٩٨٣م).

١٢٣. نكث الهميان في نكت العميان، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

١٢٤. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

صفيّ الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي الحنبلي، البغدادي (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٩م):

١٢٥. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت،دار الجيل، (١٤١٢ هـ/١٩٩١م).

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني (المتوفى: ٢١١هـ):

١٢٦. المصنف، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.

الطرسوسي، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم نجم الدين الحنفي (ت: ٧٥٨هـ/١٣٥٧م):

١٢٧. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، المحقق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، (د.ت)، ط٢.

ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي (ت: ٩٥٣هـ/١٥٤٦م):

١٢٨. "القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية"، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٤٩م.

١٢٩. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ/١٩٩٨م.

ابن عبد الهادي، يوسف (ت:٩٠٩هـ/١٥٠٣م):

١٣٠. ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق الدكتور أسعد طلس، بيروت، ١٩٤٣م.

ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر سبط (ت: ٨٨٤هـ/١٤٧٩م):

١٣١. كنوز الذهب في تاريخ حلب، حلب ، الناشر: دار القلم، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي(ت: ٦٦٠هـ/١٢٨٦م):

١٣٢. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، بيروت-لبنان، دار الفكر، (د.ت).

١٣٣. زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م):

١٣٤. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٤م):

١٣٥. الأوائل، طنطا – مصر، دار البشير، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي(ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م):

١٣٦. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية،(١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

عليش، أبو عبد الله المالكي، محمد بن أحمد بن محمد:

١٣٧. منح الجليل شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر(١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

العليمي، مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحنبلي (ت:٩٢٨هـ/١٥٢١م):

١٣٨. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان – الأردن ، مكتبة دنديس، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح(١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

١٣٩. شذرات الذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – سوريا، بيروت – لبنان،(١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي شهاب الدين(ت:٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

١٤٠. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، أبو ظبي، المجمع الثقافي، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

ابن العميد، الشيخ المكين جرجس بن العميد، (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م):

١٤١. أخبار الأيوبيين، بورسعيد، جمهورية مصر العربية، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).

الغساني، الملك الأشرف، (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م):

١٤٢. "العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك"، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: ١١٦٧هـ/١٧٥٣م):

١٤٣. ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ (١٤١١هـ/١٩٩٠م).

العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م) :

١٤٤. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١، ١٩٨٧م ، ج٢، ١٩٨٨م، ج٣ ١٩٩٠م.

الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين ، (ت:٣٥٠هـ/٩٦١م):

١٤٥. معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة القاهرة، عام والنشر، النشر: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٨م):

١٤٦. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، المحقق: كمال يوسف الحوت، بيروت، لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

١٤٧. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (د. ت).

ابن الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م):

١٤٨. الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢.

ابن فندمه، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، (ت:٥٦٥هـ/ ١١٦٩م):

١٤٩. تاريخ بيهق / تعريب ، الناشر: دار اقرأ، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

ابن الفوطي، أبي الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد الشيباني البغدادي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) :

١٥٠. "تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب"، الجزء الرابع، القسم الثالث، تحقيق مصطفى جواد، دمشق ١٩٦٥م.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ):

١٥١. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين(ت: ٨٥١هـ/١٤٤٧م):

١٥٢. طبقات الشافعية، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، بيروت، دار النشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله ، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

١٥٣. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي.

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):

١٥٤. آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت– لبنان، دار صادر،(ب . ت).

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م):

١٥٥. أخبار العلماء بأخيار الحكماء، المحقق: إبراهيم شمس الدين، بيروت – لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

١٥٦. إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، (١٤٢٤هـ).

ابن القلانسي، أبو يعلى التميمي حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت : ٥٥٥هـ/١١٦٠):

١٥٧. ذيل تاريخ دمشق، ط١، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري(ت:٨٢١هـ/١٤١٨م):

١٥٨. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).

١٥٩. مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط٢،(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: ١٣٠٧هـ/١٦٦٢م):

١٦٠. أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر(ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

١٦١. فوات الوفيات، المحقق: إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار صادر، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

١٦٢. البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت– لبنان، دار إحياء التراث العربي،(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١٦٣. طبقات الشافعيين"، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الكرخي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

١٦٤. المسالك والممالك، بيروت – لبنان، دار صادر، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م).

ابن ماكولا، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر(ت: ٤٧٥هـ/١٠٨٦م):

١٦٥. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ–١٩٩٠م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،(ت:٤٥٠هـ/١٠٥٨م):

١٦٦. الأحكام السلطانية، القاهرة، دار الحديث، (ب.ت).

مرتضى الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت:١٢٠٥هـ/١٧٩١م):

١٦٧. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ت).

ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي(ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م):

١٦٨. تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق،(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

المسعودي، علي بن الحسين بن علي(ت: ٣٤٦هـ/٩٦٠م):

١٦٩. التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة – مصر،(د.ت).

١٧٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الرياض– المملكة العربية السعودية، مكتبة الرياض الحديثة،(١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز (ت: ٦١٠هـ/١٢١٣م):

١٧١. المغرب في ترتيب المعرب، مكتبة أسامة بن زيد – حلب، ١٩٧٩م، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار.

المطهر المقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ):

١٧٢. البدء والتاريخ، بور سعيد– مصر، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).

المغربي ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد (ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٥٩م):

١٧٣. الجغرافيا، المكتبة الشاملة، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

المقدسي، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أبو عبد الله (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

١٧٤. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

المقدسي، محمد بن عبد الواحد ضياء الدين، أبو عبد الله (ت: ٦٤٣هـ/١٢٤٥م):

١٧٥. فضائل بيت المقدس، المحقق: محمد مطيع الحافظ، سورية – لبنان، دار الفكر،(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي(ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م):

١٧٦. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: الجزء ١: حققه د جمال الدين الشيال، أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد كلية الآداب – جامعة الإسكندرية. الجزء ٢، ٣: حققه د محمد حلمي محمد أحمد، أستاذ التاريخ الإسلام.

١٧٧. السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٧٨. المقفى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

١٧٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية،(١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

المنذري، زكي الدين أبو محمد بن عبد القوي(ت: ٥٨١-٦٥٦هـ):

١٨٠. التكملة لوفيات النقلة، المحقق : د. بشار عواد معروف، دار الرسالة، ط٣، ١٤٠٥-١٩٨٤م.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت:٧١١هـ/١٣١١م):

١٨١. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دمشق – سوريا، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، (١٤٠٢هـ/١٩٨٤م).

ابن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ/١١٨٨م):

١٨٢. "كتاب الإعتبار"، حرره فيليب حتى ،مطبعة جامعة برستون، الولايات المتحدة، ١٩٣٠، والدار المتحدة، ١٩٨٦م.

منق، علي بن لالي بالي بن محمد القسطنطيني الحنفي، (ت: ٩٩٢هـ/١٥٠٥م):

١٨٣. خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، المحقق: الدكتور حاتم صالح الضامن، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

منلا أو ملا، أو المولى ، خسرو، محمد بن فرامرز بن علي (ت: ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م):

١٨٤. درر الحكام شرح غرر الأحكام، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.

النعيمي، عبد القادر بن محمد ، (ت: ٩٧٨هـ/١٥٧٠م):

١٨٥. الدارس في تاريخ المدارس، جزءان، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

١٨٦. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة وآخرون، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

ميارة، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي:

١٨٧. الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام المعروف بشرح ميارة، دار المعرفة،(د.ت).

النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا شهاب الدين الأزهري المالكي:

١٨٨. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر،(د.ط)، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

ابن النفيس، علي بن أبي الحزم القرشي (المتوفى: ٦٨٧هـ):

١٨٩. الشامل في الصناعة الطبية، المحقق: يوسف زيدان، الناشر: المجمع الثقافي، أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة، ط١، الجزء: ١، ٢٠٠٠م، الجزء: ٢، ٢٠٠٢م.

نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد (ت: ق ١٢هـ):

١٩٠. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، لبنان / بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية – ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

الهروي، علي بن أبي بكر بن علي، أبو الحسن (ت: ٦١١هـ/١٢١٤م):

١٩١. الإشارات إلى معرفة الزيارات، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

الهروي ، محمد بن أحمد بن الأزهري ، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ/١٣٣٨م):

١٩٢. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، الناشر: دار الطلائع(د.ت).

الوادي آشي، محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي، شمس الدين، أبو عبد الله الأندلسي (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

١٩٣. برنامج الوادي آشي، المحقق: محمد محفوظ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – أثينا– بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م):

١٩٤. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب.

– الجزء ١–٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، (د.ت).

– الجزء ٤–٥، تحقيق حسن محمد ربيع، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، (د.ت).

– الجزء السادس، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الجامعة اللبنانية– طرابلس(د.ت).

ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي(ت:٧٤٩/١٣٤٨م):

١٩٥. تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان،(١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

١٩٦. خريدة العجائب وفريدة الغرائب "، المحقق : أنور محمود زناتي – كلية التربية ، جامعة عين شمس، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (ت: ٨٤٠هـ/١٤٣٦م):

١٩٧. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

ابن أبي الوفاء، أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

١٩٨. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الناشر مير محمد كتب خانه، كراتشي – باكستان،(د.ت).

ابن الوكيل، يوسف الملَّواني (ت: ١١٣١هـ/١٧١٩م):

١٩٩. تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق : محمد الششتاوي، القاهرة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان(ت:٧٦٨هـ/١٣٦٦م):

٢٠٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية،(١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٢٠١. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء"، المحقق: إحسان عباس، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي،(د.ط) (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م):

٢٠٢. البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد (ت: ٣٤٧هـ/٩٥٨م):

٢٠٣. تاريخ ابن يونس المصري، الناشر: بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ.

اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد، (ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٥م):

٢٠٤. ذيل مرآة الزمان، ٤ أجزاء، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ثالثاً: المراجع العربية:

إبراهيم،حسن:

٢٠٥. " تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي" ،ط١، ٤أجزاء، النهضة المصرية، ١٩٦٢م.

إبراهيم ياسين الخطيب:

٢٠٦. القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل الأيوبي، دار المناهج الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

أحمد، محمد حلمي محمد:

٢٠٧. مصر والشام والصليبيون ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الأفغاني، سعيد:

٢٠٨. " أسواق العرب في الجاهلية والإسلام "، بيروت – دار الفكر، ط٣، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).

ابن أيوب، تاج الدين:

٢٠٩. "منتخبات من كتاب التاريخ"، مطبوع فى ذيل كتاب النوادر السلطانية، المحاسن اليوسفية، لابن شداد، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

الباشا، حسن:

٢١٠. "الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار"، القاهرة، ١٩٧٨م.

بدوي، أحمد أحمد:

٢١١. " الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام "، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت).

برجاوي، سعيد أحمد :

٢١٢. الحروب الصليبية في المشرق ، بيروت ، الناشر: دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٤م .

البيشاوي ، سعيد عبد الله :

٢١٣. "نابلس: الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية خلال الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م" ، ط١ ، عمان ، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- بيطار، أمينة:

٢١٤. تاريخ العصر الأيوبي، دمشق، دار الطباعة الحديثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

التكريتي، محمود ياسين أحمد:

٢١٥. الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، الناشر: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.

ثابت، نعمان:

٢١٦. الجندية في الدولة العباسية، بغداد سنة ١٩٣١م.

جوزيف نسيم، يوسف:

٢١٧. العدوان الصليبي على مصر، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، ط١، دار الكتب الجامعية، ١٩٦٩م.

الحايك، منذر:

٢١٨. العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، دمشق، سورية، الأوائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م .

٢١٩. " القاموس الفقهي لغة واصطلاحا "، دمشق – سورية، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، تصوير: ١٩٩٣م.

حسين، حمدي عبد المنعم:

٢٢٠. دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، السويس، ١٩٩٦م.

حسين، محسن محمد:

٢٢١. أربيل في عهد الأتابكة، بغداد، ١٩٧٦م.

الحصيني، محمد أديب آل تقي الدين:

٢٢٢. منتخبات التواريخ لدمشق، دار الاتفاق العربية، ١٩٧٩م .

حمدي ، حافظ أحمد:

٢٢٣. الدولة الخوارزمية والمغول، غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي، القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٤٩م.

الحمودي ، زهير محمود :

٢٢٤. وصايا وعظات قيلت في آخر الحياة، ، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه/١٩٩٩م.

الحويري، محمود محمد:

٢٢٥. " الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد "، دار المعارف، القاهرة،١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

الخالدي، عبد الله:

٢٢٦. المورد العذب في بعض الكلام الدخيل في كلام العرب: بيروت، دار الروضة. د.ت.

الخضري، محمد:

٢٢٧. الدولة العباسية، راجعه واعتنى به: الأستاذة/ نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، طبعة مؤسسة المختار الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

الخلف، سعود بن عبد العزيز:

٢٢٨. " دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية " الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

أبو خليل ، شوقي:

٢٢٩. "الحضارة العربية الإسلامية" ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

خليل، عماد الدين:

٢٣٠. " الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام" (٤٦٥-٨١٢هـ/ ١٠٧٢-١٤٠٩م) أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٩٨٠م.

الدباغ، مصطفى مراد (ت:١٤٠٩هـ/١٩٨٩م):

٢٣١. " الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين "، منشورات اليسار، ط ٣، ١٩٨٨م.

٢٣٢. " موسوعة بلادنا فلسطين "، منشورات دار الطليعة لبنان، ط١، ١٩٦٥م.

٢٣٣. **دحلان ، أحمد بن السيد زيني:**

٢٣٤. الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مكة، طبعة المطبعة الميرية، ١٨٨٤م.

الدويكات، فؤاد عبد الرحيم:

٢٣٥. " إقطاعية طبريا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي "، اربد، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

الدي، فاضل:

٢٣٦. " الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري"، دار الأديب، بغداد، ١٩٦٩م.

ربيع، حسنين محمد:

٢٣٧. "النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين"، القاهرة، ١٩٦٤م.

الزُّحَيْلِيّ، وَهْبَة:

٢٣٨. الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، سوريَّة – دمشق، دار الفكر، ط٤، (د. ت).

زكي، عبد الرحمن:

٢٣٩. "السيف في العالم الإسلامي". ط القاهرة، ١٩٥٧م.

زيان، حامد زيان غانم:

٢٤٠. الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

زيادة، محمد مصطفى:

٢٤١. حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١م .

زيدان، عبد الكريم:

٢٤٢. السنن الإلهية ، دار الرسالة.(د.ط)، (د.ت).

ساسالم، السيد عبد العزيز:

٢٤٣. "تاريخ البحرية في حوض البحر المتوسط" بالاشتراك مع: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

السحيباني، حمد بن صالح :

٢٤٤. الضعف المعنوي، وأثره في سقوط الأمم، ، كتاب المنتدى، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٤٥. **سعداوي، نظير حسان:**

٢٤٦. "المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٦٢م.

السعيد، عبد الله عبد الرزاق مسعود:

٢٤٧. " المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني "، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

سلامة، جلال حسني:

٢٤٨. "عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة"، ط١، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

شحاتة، عادل عبد الحفيظ عثمان حمزة:

٢٤٩. العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٦م .

شراب، محمد:

٢٥٠. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١١ هـ/١٩٩٠م.

الشنتريني، على بسام:

٢٥١. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

صبرة، عفاف سيد:

٢٥٢. التاريخ السياسي لدولة السلاجقة الخوارزمية، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الصَّلَّابيِّ، علي محمد:

٢٥٣. الدولة الأموية، عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار ، بيروت، لبنان، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٥٤. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، القاهرة، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الصوافي، طالب عبد الفتاح:

٢٥٥. "القلاع في شمال فلسطين في فترة الصلاع الفرنجي الإسلامي ٤٩٢-٦٩١هـ/١٠٩٩-١٢٩١م"، ط١، مؤسسة الأسوار، عكا، ٢٠٠٠م.

طقوش، محمد سهيل:

٢٥٦. تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

الطهطاوي الحنفي، أحمد رافع بن محمد الحسيني القاسمي (ت: ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م):

٢٥٧. التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ، عني بنشره القدسي، دمشق، الناشر: مطبعة الترقي، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.

طوقان، قدري حافظ:

٢٥٨. بين العلم والأدب، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، غزة، مطبعة منصور ، طبعة سنة ٢٠٠٠م، صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦م.

٢٥٩. تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودار الشروق، بيروت(د.ت)، صدرت الطبعة الأولى ١٩٤١م.

٢٦٠. علماء العرب وما أعطوه للحضارة، الرياض، منشورات الفاخرية، وبيروت، دار الكتاب العربي(د.ط)، (د.ت).

العارف، عارف:

٢٦١. " المفصل في تاريخ القدس "، القدس- فلسطين، مطبعة المعارف، ط٥، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

عاشور، **سعيد:**

٢٦٢. نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك- المرأة في الحضارة العربية- المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية"، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م.

عاشور، سعيد عبد الفتاح:

٢٦٣. الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٦٤. " الحركة الصليبية"، صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٤٢٦هـ/١٩٨٦م.

٢٦٥. ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية، في كتاب دراسات وبحوث في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، مطبعة الأحد البحتري، ١٩٧٧م.

عاشور، فايد حماد:

٢٦٦. "جهاد المسلمين في الحروب الصليبية"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، د.ط.

العبادي، أحمد مختار:

٢٦٧. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٢م.

عبد الحي الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، (ت: ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م):

٢٦٨. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المحقق: إحسان عباس بيروت، الناشر: دار الغرب الإسلامي – ص. ب: ٥٧٨٧/١١٣، الطبعة: ٢، ١٩٨٢م.

عبد الدائم، عبد الله:

٢٦٩. " التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين "، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

عبد القادر، دريد:

٢٧٠. "سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة ٥٧٠-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م"، بغداد١٩٧٩م، د.ط، د.ت.

عبد المهدي، عبد الجليل حسن:

٢٧١. الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي "، عمان، مكتبة الأقصى، ط١، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)."

٢٧٢. "المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي" ، جزءان ، ط١ ، مكتبة الأقصى ، عمان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

العبود، نافع توفيق:

٢٧٣. الدولة الخوارزمية، بغداد، مطبعة الجامعة ١٩٧٨م.

عثامنه، خليل:

٢٧٤. " فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنجي١٠٩٩ "، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ٢٠٠٠م.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م):

٢٧٥. الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، ط١، (١٤٢٢هـ-١٤٢٨هـ).

العريني، السيد الباز:

٢٧٦. " الشرق الأدنى في العصور الإسلامية، الأيوبية "، القاهرة، دار النهضة العربية.

٢٧٧. "مؤرخو الحروب الصليبية"، دار الهيئة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، د.ط. "الشرق الأدنى في العصور الإسلامية، الأيوبية"، دار النهضة العربية القاهرة.
٢٧٨. مصر في عصر الأيوبيين، إدارة الثقافة العامة، الإسكندرية، د، ت.
٢٧٩. المغول، بيروت، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨١م.
٢٨٠. المماليك، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ط)، (د.ت).

العروسي، محمد المطوي:

٢٨١. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م.

العسلي، بسام:

٢٨٢. فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، بيروت، لبنان، دار الفكر،ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

العسلي، كامل جميل:

٢٨٣. " معاهد العلم في بيت المقدس "، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، (١٤٠٢هـ/١٩٨١م).

عطية، أحمد:

٢٨٤. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٩٩١م.

علي، محمد كرد (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م):

٢٨٥. " خطط الشام "، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين،(١٩٩٩م).

علي، وفاء محمد:

٢٨٦. دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

عمار، جمال فوزي محمد:

٢٨٧. "التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصبيبية (٥٣١-٦٦٠هـ)، ط١، مكتبة القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.

عنان، محمد عبد الله:

٢٨٨. "مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري"، القاهرة ١٩٦٩م، د.ط، د.ن.

العودة ، سليمان بن حمد بن عبد الله:

٢٨٩. كيف دخل التتر بلاد المسلمين، الناشر: دار طيبة، الطبعة: الثالثة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

الغامدي، علي محمد علي:

٢٩٠. "بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ٤٦٣-٤٩١هـ/١٠٧٠-١٠٩٨م "، المكتبة الفيصلية، الرياض، ١٩٨٤م، (د.ط).

غنيم، اسمت:

٢٩١. الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٧م.

غوانمة، يوسف حسن درويش:

٢٩٢. إمارة الكرك الأيوبية"، ط٢، دار الفكر عمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٢٩٣. معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج خطاب جديد في العجز الإسلامي والعربي والمشروع النهضوي الغربي الوحدوي ، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٥ه/١٩٩٥م.

عوض، محمد مؤنس:

٢٩٤. " الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية"، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٥م.

الفاخوري، حنا:

٢٩٥. "تاريخ الأدب العربي"، ط٢، بيروت، د.ت.

فانديك، إداوارد كرنيلوس(ت: ١٣١٣هـ/١٨٩٦م):

٢٩٦. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مصر، الناشر: مطبعة التأليف (الهلال)، عام النشر: ١٣١٣هـ - ١٨٩٦م.

الفراني، عبد الحميد جمال:

٢٩٧. " المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلاد الشام "، غزة- فلسطين، مكتبة اليازجي، ٢٠٠٨م.

الفقي، محمد كامل:

٢٩٨. " الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة "، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف (د.ت)، (د.ط).

قاسم، قاسم عبده، علي السيد علي:

٢٩٩. الأيوبيون والمماليك،(التاريخ السياسي والعسكري)، مطابع الهداية ١٩٩٥م .

قسطالي ، نعمان:

٣٠٠. الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، نشر دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

قلعجي، محمد رواس، و حامد صادق قنيبي:

٣٠١. " معجم لغة الفقهاء "، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م):

٣٠٢. " معجم قبائل العرب القديمة والحديثة "، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة: السابعة، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

ماجد، عبد المنعم:

٣٠٣. الدولة الأيوبية في مصر الإسلامية ، دار الفكر العربي، طبعة ١٤١٨ه/١٩٩٧م.

مصطفى، إبراهيم / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار:

٣٠٤. "المعجم الوسيط"، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

مصطفى، شاكر:

٣٠٥. " التاريخ العربي والمؤرخون"، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجال في الإسلام، د.ط، بيروت، ١٩٧٩م. "المدن في الإسلام حتى العصر العثماني"، ط١، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م.

المنجد، صلاح الدين:

٣٠٦. النظم الدبلوماسية في الإسلام، دار الكتاب الجديد ١٩٨٣م.

نويصر، حسني محمد:

٣٠٧. " العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك "، مركز التميز لعلوم الإدارة والحاسب، ١٩٩٨م.

يوسف، جوزيف نسيم:

٣٠٨. العدوان الصليبي على مصر، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور د. ، دار النهضة العربية الطبعة عام ١٩٨١م.

رابعاً: المصادر الأجنبية المعربة:

ريموندا جيل:

٣٠٩. تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسنين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١٩٩٠،١م.

ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرون (أو هارون) بن توما الملطي (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

٣١٠. تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت لبنان، دار الشرق، ط٣، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

الفيتري، يعقوب بطريرك عكا (القرن: ٧هـ/١٣م):

٣١١. " تاريخ بيت المقدس "، ترجمة: سعيد البشاوي، عمان، دار الشروق، ط١، ١٩٩٨م.

خامساً: المراجع الأجنبية المعربة:

بارتولد:

٣١٢. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة ، ١٩٥٨م.

بروكلمان، كارل:

٣١٣. " تاريخ الشعوب الإسلامية "، نقله للعربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط ٦، مكتبة وآوفست السروجي عكا، ١٩٧٤م.

رنسيمان، ستيفن:

٣١٤. تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط٣، بيروت، دار الثقافة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

سميل، ريلي:

٣١٥. "الحروب الصليبية"، ترجمة سامي هاشم، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٨٢م.

الصوري ، وليم:

٣١٦. "تاريخ الحروب الصليبية" المسمى "الأعمال المنجزة فيما وراء البحار" ، جزءان ، ترجمة سهيل زكار ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

كاهن، كلود:

٣١٧. تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، ترجمة بدر الدين القاسم، بيروت، ١٩٧٧م.

متز، آدم:

٣١٨. " الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الإسلامية "، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، (د.ت).

سادساً : الأطروحات والرسائل الجامعية

إبراهيم، سوسن محمد نصر:

٣١٩. الأخوة الملوك الثلاثة أولاد العادل الأيوبي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

إبراهيم، عبد المجيد إبراهيم:

٣٢٠. الحياة الاجتماعية في بلاد الشام العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي،اتحاد المؤرخين، بغداد، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

أبو شمالة، شريف أمين محمد:

٣٢١. " فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر ١٣٢- ٢٦٤هـ/ ٧٥٠- ٨٧٨م" إشراف: د. خالد يونس الخالدي، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية – غزة،(١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

الجزار،هاني فخري:

٣٢٢. النظام العسكري في دولة المماليك(٦٤٨ـ٩٢٣هـ/١٢٥٠ـ١٥١٧م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة،١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

حمد، أسامة أحمد:

٣٢٣. إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي من سنة (٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٣١هـ/٢٠٠١م.

الحناوي، مفيد داود:

٣٢٤. " العلاقات السياسية بين إمارة دمشق ومملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي (١١٠٠-١١٩٣م)"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، عام ١٩٨٦م بإشراف مصطفى الحياري.

خليل، مقبولة حسن:

٣٢٥. مدينة القدس في العهد الأيوبي. رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ١٤١١هـ/١٩٩١م.

شاهين، رياض مصطفى:

٣٢٦. الملك المعظم عيسى (٥٧٦-٦٢٤هـ/١١٨٠-١٢٢٧م)، سياسته الداخلية والخارجية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الخرطوم، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

شلوف، نسيم زريق:

٣٢٧. " الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م "، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور: رياض مصطفى شاهين، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، ٢٠٠٩م.

الشواف، عبد المعين محمد طاهر:

٣٢٨. دمشق بين سقوط الفاطميين وظهور الأيوبيين (٤٦٨-٥٦٩هـ/١٠٧٥-١١٧٣م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، إشراف أ.د إبراهيم محمد زعرور، دمشق، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.

صبيح عبد اللطيف عبد الله العورتاني النابلسي:

٣٢٩. " القضاء والمراكز العلمية في بيت المقدس، خلال القرون الستة الأولى من الهجرة" ، دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد-العراق، (رمضان ١٤٢٢هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠١م).

صيدم، فريد وحيد:

٣٣٠. جهاد السلطان الصالح نجم الدين أيوب وجهوده في توحيد مصر والشام (٦٣٨-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور: رياض مصطفى شاهين، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

أبو صيني، عبد القادر أحمد:

٣٣١. " دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة"، " رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد.

عبد الهادي ، عادل محمد خضر:

٣٣٢. "عسقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري وحتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري دراسة تاريخية وحضارية (٣٥٩-٦٦٩هـ/٩٦٩-١٢٧٠م)" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

عدنان محمد محمود ظاهر :

٣٣٣. التعليم في مدارس بيت المقدس الإسلامية في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٩٠م .

عودة، فادي عبد الرحيم محمود:

٣٣٤. الحركة الشعرية في بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز (٥٦٣٤-٦٥٨هـ/١٢٣٦م-١٢٦٠م)، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

عطية، سليمان إسحق:

٣٣٥. " تاريخ التعليم في فلسطين من الفتح العربي إلى آخر الأيوبيين "، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م).

الكتري، محمد عبد الوهاب حمد:

٣٣٦. السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور: رياض مصطفى شاهين، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

المبيضين، فادي موسى:

٣٣٧. الملك الناصر داود شاعراً، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

المدني، رشاد:

٣٣٨. الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي(٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٨-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور: رياض مصطفى شاهين، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

المسحال ، حسن إبراهيم:

٣٣٩. "عسقلان في فترة الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، كلية التربية الحكومية ، غزة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

مسلم، زياد جابر إبراهيم:

٣٤٠. " صورة الهند عند المؤرخين المسلمين، دراسة في الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية حتى نهاية القرن الخامس الهجري "، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين، إشراف: عدنان ملحم، ٢٠٠٩م.

ناصف، أحمد عبد السلام أحمد:

٣٤١. " دور الصوفية في صد الهجمة الصليبية على ديار الإسلام في مصر والشام (٤٩٠-٧٩٨هـ/١٠٩٦-١٣٩٨م) "، رسالة دكتوراه كلية الآداب، جامعة طنطا، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

نصار، أمل هشام أحمد:

٣٤٢. " المقدسي البشاري، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دراسة في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والدينية والإدارية والعمرانية "، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس، جامعة النجاح الوطنية. إشراف: عدنان ملحم.

سابعاً: الموسوعات

بدوي، عبد الرحمن:

٣٤٣. الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية"، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى- ١٩٨٧م.

شلبي، أحمد:

٣٤٤. موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩م.

الصلابي، علي محمد محمد:

٣٤٥. موسوعة الحروب الصليبية(٤)، الحملات الصليبية الرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، "الأيوبيون بعد صلاح الدين"، (د.ط)، (د.ت). Mail:abumohamed2@maktoob.com

الطائي، فاضل أحمد:

٣٤٦. علم الكيمياء والصيدلة عند العرب "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية"، الناشر: مؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

العجم، رفيق:

٣٤٧. " موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي"، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، ٢٠٠٠م.

عكاوي، رحاب خضر:

٣٤٨. موسوعة عباقرة الإسلام، ج٣، بيروت ، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

فارس، محمد:

٣٤٩. موسوعة علماء العرب والمسلمين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م .

لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي (١٣١٠هـ):

٣٥٠. الفتاوى الهندية، دار الفكر، ط٢، (د،ت).

مجموعة باحثين:

٣٥١. "الموسوعة الفلسطينية"، دمشق ، مجلد4،(١٤٠٤هـ/1984م).

محفوظ، جمال :

٣٥٢. فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية"، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

ثامناً: المعاجم

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ/٩٩٨م):

٣٥٣. جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين،(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م):

٣٥٤. " الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) "، دار العلم للملايين، (ربيع أول ١٤٢٣هـ/ أيار/ مايو ٢٠٠٢م)، الطبعة: الخامسة عشر.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ/١٣٣٨م):

٣٥٥. تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت: ٣٢٨هـ/١٠٠٥م):

٣٥٦. الزاهر في معاني كلمات الناس، المحقق: حاتم صالح الضامن ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)**:**

٣٥٧. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت، عالم الكتب، الطبعة: الثالثة، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(ت:بعد٦٦٦هـ/١٢٦٨م):

٣٥٨. مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، صيدا – الدار النموذجية، ط٥ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م):

٣٥٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ،(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

الخطيب، مصطفى عبد الكريم:

٣٦٠. "معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية"، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

بن زوير البلادي الحربي، عاتق بن غيث:

٣٦١. معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

زين العابدين، شمس الدين نجم:

٣٦٢. معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة (د.ن)، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م):

٣٦٣. المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٦٤. المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

عبد الله ، عبد الله عبد الغني:

٣٦٥. معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

عيسى بك، أحمد:

٣٦٦. معجم الأطباء (من سنة ٦٥٠ه إلى يومنا هذا-١٩٤٢- ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة)، مطبعة فتح الله إلياس نوري وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م):

٣٦٧. مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٦٨. معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م):

٣٦٩. العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م):

٣٧٠. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٧١. " معجم المؤلفين "، بيروت، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

اللَّبَابِيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي (ت: ١٣١٨هـ/١٩٠٠م):

٣٧٢. اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء، الناشر: دار الفضيلة – القاهرة(د.ط)، (د.ت).

مرتضى الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

٣٧٣. تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،(د.ت).

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقي(٧١١هـ/١٣١١م):

٣٧٤. لسان العرب، بيروت – لبنان، دار صادر، ط٣، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٣٧٥. معجم البلدان، بيروت – لبنان، دار صادر، ط٢، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

تاسعاً: الدوريات والمقالات العربية :

جاسم، كوثر:

٣٧٦. من نفائس دار الكتب والوثائق، لعبة الصولجان قديماً ، ولعبة البولو حديثاً. جريدة الدستور ، الأربعاء ٢٠ شعبان ١٤٣٣هـ/ ١١ يوليو ٢٠١٢م، العدد ٢٥٥٧ .

شاهين، رياض مصطفى :

٣٧٧. "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، دراسة تحليلية" ، مجلة كلية الآداب ببنها ، العدد السابع ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

الشقفة، مصعب:

٣٧٨. حماة الشماء مدينة الحضارة ورمز الشموخ والإباء، مجلة بشائر الإسلام، العدد (٥).

الطرسوسي، مرضي بن علي بن مرضي (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م):

٣٧٩. "تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، ونشر أعلام العلم في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء" تحقيق كلود كاهن، مجلة الدراسات الشرقية، عدد (١٢)، بيروت، ١٩٤٨م.

فراج، عبد الستار:

٣٨٠. "معجم البلدان لياقوت الحموي"، مجلة العربي، العدد (١٤١)، أغسطس ١٩٧٠م.

محمد، سوادي عبد:

٣٨١. مقدمة في دراسة صليبي المشرق العربي في المصادر العربية الأولية"(٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) مجلة دراسات، مجلد (٢)، عدد(٣)، ١٩٨٥م.

يوسف، جوزيف نسيم:

٣٨٢. "معركة حطين خلفياتها ودلالاتها"، مجلة عالم الفكر،مجلد(٢٠)، عدد(١)،أبريل،مايو،يونيو،عام ١٩٨٩م.

عاشراً:الدوريات الأجنبية المترجمة

جاكسون، ديفيد:

٣٨٣. "معركة حطين والإستيلاء على بيت المقدس"، ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد، القاهرة، ١٩٨٩م.

الحادي عشر: المؤتمرات والندوات العلمية:

الحياري، مصطفى:

٣٨٤. "تحرير القدس ١١٨٧م عبرة من الوحدة في الماضي"مؤتمر يوم القدس، الندوة الثانية، عمان-الأردن، ١٢-١٤، تشرين أول، ١٩٩١م، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٢م.

حمارنة، سامي خلف :

٣٨٥. "الطب العربي في فلسطين في زمن الفاطميين والأيوبيين" ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، ط١ ، المجلد الثاني ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الثاني عشر: المواقع الالكترونية:

حمدي: من التراث القريب: تاريخ الكتاب لعبد اللطيف أرناؤوط، الرابط:

٣٨٦. موسوعة دهشة، http://www.dahsha.com/old/viewarticle.php?id=28379

خريطة الدولة الأيوبية والإمارات الإسلامية والصليبية في القرن الثاني عشر للميلاد

٣٨٧. منتدى التاريخ العالمي والإسلامي http://lbcaira.keuf.net/

الدرهم الفضي ونصف الدرهم، والدينار التي سكبت للملك العادل، والدراهم وأنصاف دراهم في عهد الكامل ابن الملك العادل:

٣٨٨. المصدر: منتدى العملات والطوابع : http://www.coins arab.com/vb/showthread.php

٣٨٩. المتحف الثاني: www.rawicordoba.com/locations2.htm

محمد علو، قلعة نجم الحصن المتين، ولؤلؤة الفرات الأروع.

٣٩٠. **موقع حلب،** الرابط: http://www.esyria.sy/ealeppo/index.

٣٩١. موقع ويكيبيديا، الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki

الثالث عشر: المراجع الأجنبية

٣٩٢. Albert dAix: "Historia Nicenae Vel Antiochenae Prologum, Ed., R.H.C.– O cc." Tome V Paris 1869.

٣٩٣. A. L.Udovitch: Fals, Encyclopadia of Islam, vol.

٣٩٤. Berchem, Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Le Caire. 1922.

٣٩٥. Bernard The Wise: The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine.

٣٩٦. Fedden, Robin: "Crusades Castles". London, 1950.

٣٩٧. Gibb; H.A.R: "The Damascus Chronicle Crusades", of the London, 1932.

٣٩٨. Grousset. R: "Histoire de Croisads, 1185–1210",Paris 1948.

٣٩٩. Hassanein Rabie, The financial system of Egypt.

٤٠٠. Stevenson, W.B: "The Crusaders in the East", Lebanon, Beirut, 1968.